وفيات الأعيان

٢



وفيات الأعيان

وأنباء أبناء الزمان

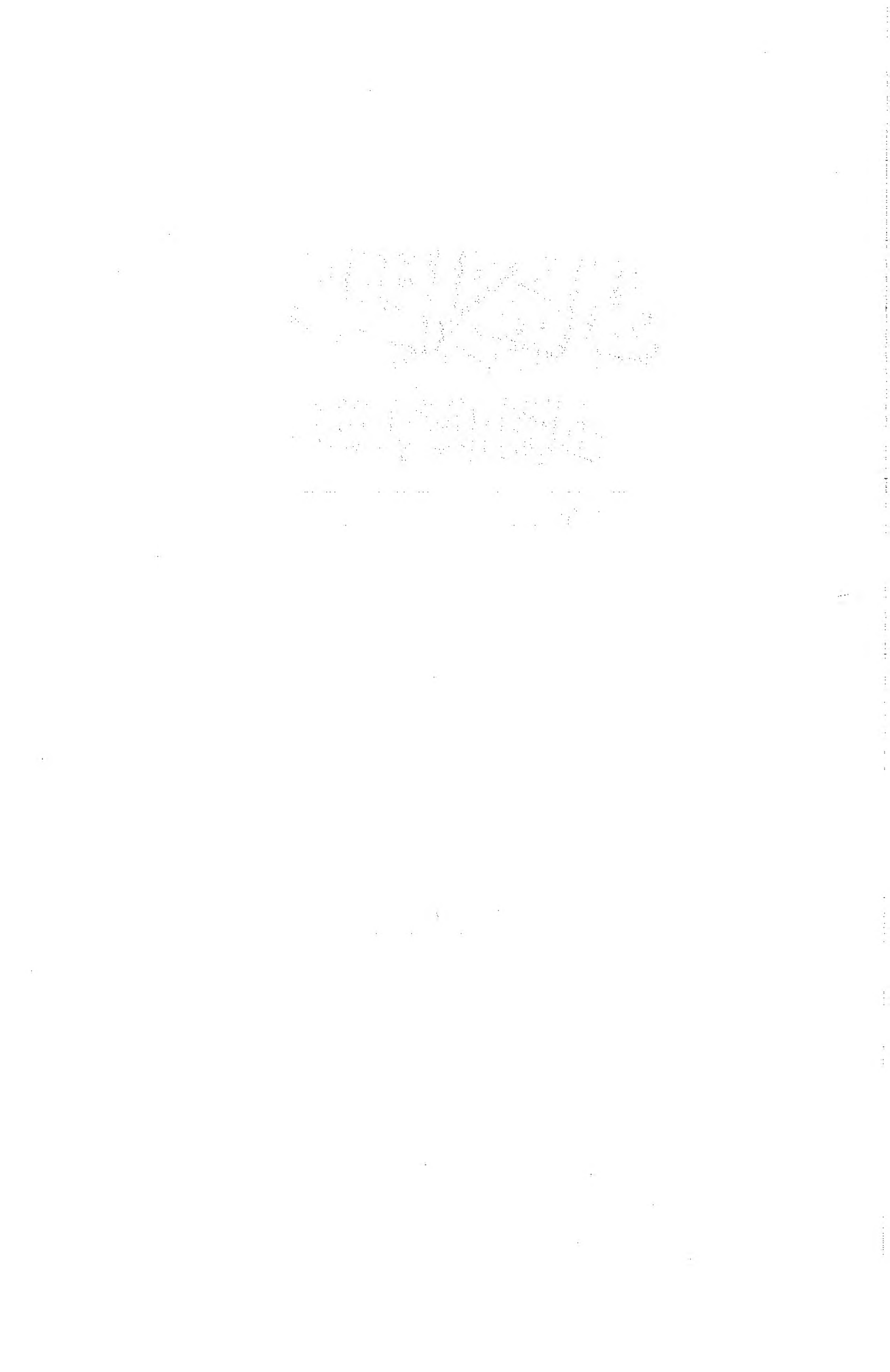
لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان
(٦٠٨ - ٦٨١ هـ)

حققه

الدكتور إحسان عباس

المجلد الثاني

دار صادر
بيروت



مقدمة

اعتمدنا في تحقيق هذا الجزء على المخطوطات الآتية :

١ – النسخ التي أشار إليها وستنفيلد في مطبوعته ، وقد تقدم الحديث عنها في مقدمة الجزء الأول .

٢ – مخطوطة المتحف البريطاني (رقم : ١٥٠٥ ، التكملة : ٦٠٧) وقد تقدم وصفها أيضاً في مقدمة الجزء الأول .

٣ – مسودة المؤلف (المتحف البريطاني رقم : Add. ٢٥٧٣٥) ، وتقع في ٢٩٣ ورقة ، وقد كتب على الورقة الثانية فيها بخط غير خط الأصل : مسودة المرحوم ابن خلكان عليه رحمة المليك المنّان بخطه . وعلى هذه الورقة ما يفيد ان النسخة كانت ملكاً لمسعود بن إبراهيم سنة ١٠٧٤ ، وعلى الورقة التي تليها : « كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، عني بجمعه لنفسه ولمن شاء الله تعالى من بعده الفقير إلى رحمة الله تعالى أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان » . وعلى هذه الورقة نفسها ان النسخة كانت من كتب أبي بكر ابن رستم بن أحمد بن محمود الشرواني ، كما تملكها محمد بن سالم بن معز الله بن سالم ابن واصل ، وعليها تعليق بخط هذا الأخير في تبيان مزايا الكتاب وتفضيله على سائر الكتب المؤلفة في التراجم لما اشتمل عليه من المذاكرات الأدبية والفوائد الفقهية والنكت الغريبة اللطيفة . وهي نسخة جيدة دقيقة الضبط ، وعلى هوامشها عنوان لكل ترجمة ، كما امتلأت تلك الهوامش بالتحشيات التي أضافها المؤلف بعد أن كتب الصورة الأولى من كتابه . وقد امحى بعض هذه الحواشي في الخُمس الأول من ورقات هذه النسخة ، كما ان هناك تحويلات أو إشارات إلى تحويلات لم تثبت فيها ، ويبدو أن المؤلف قد أثبتها في كراسات منفصلة . كذلك فإن المؤلف قد ضرب على أشياء كان قد أثبتها ثم بدا له فيها فأسقطها أو أثبت ما رآه أصلح منها .

وقد جاء على الورقة الأخيرة من هذه النسخة : نجز الجزء الأول ويتلوه في أول الجزء الثاني حرف الفاء إن شاء الله تعالى ، الحمد لله وحده وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم ؛ وكان الفراغ منه يوم الجمعة بعد الصلاة رابع عشر شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستمائة بالقاهرة المحروسة . فهذه النسخة إذن تمثل النَصَف الأول من الكتاب (قبل أن يكمل المؤلف حرف اليـــاء بتراجم طويلة) وتنتهي عند آخر ترجمة غيلان بن عقبة المشهور بذي الرمّة ، ولكن الإضافات في حواشيها تدل على أن المؤلف تعهدها بالزيادة والتبديل بعد تاريخ نسخها ، فهنـــاك حاشية تشير إلى أنه قد أضاف ما أضافه سنة ٦٧٥ ، وذلك بعـــد عودة المؤلف من الشام إلى القاهرة بسنوات . وإذا صح هذا التقدير فإن هذه النسخة تمثل – مع ما يضاف إليها من التحويلات – الشكل الذي ارتضاه المؤلف لكتابه .

٤ – نسخة أحمد الثالث (رقم : ٢٩١٩) ورمزها س : وتتكون هذه النسخة من ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول في ٢٦٧ ورقة (١٨ سطراً × ١٢ كلمة) ، وينتهي بترجمـــة أبي الحسن الأشعري ، وفي آخره : بلغ مقابلة وتصحيحاً بالنسخة **الكبرى** ولله الحمد .

الجزء الثاني في ٢٥٩ ورقة ، وينتهي بترجمة المعتمد بن عباد .

الجزء الرابع في ٢٠٧ ورقات ، ويبدأ بترجمـــة يحيى بن زياد المعروف بالفراء وينتهي بخاتمة المؤلف ؛ وقد كتب في آخره أيضاً : بلغ مقابلة وتصحيحـــاً بالنسخة **الكبرى** فصح صحتها والحمد له .

فهذه النسخة تنقص الجزء الثالث الذي يبدأ بترجمة المعتصم بن صمادح وينتهي بترجمة يحيى بن يعمر . وهي نسخة حسنة الضبط في الجملة وتاريخ نسخهـــا في شهر محرم الحرام سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ، وقد قوبلت على نسخة حازت تقدير أحد الائمة وهو الشيخ العلامة مفتي المسلمين أبو محمد عبد الرحيم جمال الدين بن الحسن بن علي الأسنوي ، فقد كتب على تلك النسخة ما نصه : « اعلم أن نسخ هذا الكتاب سقيمة غالباً وهذه النسخة من أصحها متناً وضبطاً ومقابلة على خط مؤلفها » .

والحقيقة أن المقابلة بين هذه النسخة ومسودة المؤلف تبرز حقيقة هامة وهي ان النسخة التي أثنى عليها الأسنوي قوبلت على نسخة بخط المؤلف قبل أن يضع عليها

الزيادات والحواشي اللاحقة. ولهذا فإن نسخة س تكاد تكون صورة أمينة لما قيده المؤلف في المرحلة الاولى من تأليفه لهذا الكتاب.

٥ — نسخة آيا صوفيا (رقم : ٣٥٣٢) ورمزها ص : تقع في ٢٤٤ ورقة (٢٥ سطراً × ١٥ كلمة) وهي مكتوبة بخط نسخ دقيق واضح، وتنتهي بترجمة عبد الرحمن ابن عبد الله السهيلي صاحب «الروض الأنف»، وقد جاء في آخرها: «نجز الجزء الاول من وفيات الاعيان بحمد الله ومنّه وإعانته وحسن توفيقه يوم الخميس سادس عشرين رجب الفرد سنة خمس وثلاثين وسبعمائة، علقه لنفسه الفقير إلى الله تعالى عز وجل محمد بن الحسين بن محمود البالسي عفا الله عنه وسامحه بمنّه ولطفه وكرمه، يتلوه في الجزء الثاني ترجمة أبي جعفر المنصور ... إلخ». فهي نسخة قديمة نسبياً من حيث تاريخها، وتتفق كثيراً مع مسودة المؤلف، ولكنها احتوت ترجمات زائدة لم يشر إليها المؤلف في مسودته، كما حفلت بزيادات كثيرة في كثير من التراجم المشتركة. ومما يلفت النظر أن أكثر الترجمات المزيدة فيها يخرج على الخطة التي صرح بها المؤلف في مقدمته حين قال: «ولم أذكر في هذا المختصر أحداً من الصحابة رضوان الله عليهم ولا من التابعين رضي الله عنهم إلا جماعة يسيرة تدعو حاجة كثير من الناس إلى معرفة أحوالهم، وكذلك الخلفاء لم أذكر أحداً منهم». فمن أمثلة التراجم المزيدة ترجمات أبي بكر الصديق وعائشة وعبد الله بن العباس وعبد الله بن الزبير وأبي جعفر المنصور.

٦ — نسخة الظاهرية (رقم: ٥٤١٨) ورمزها ر: وهي نسخة كاملة من وفيات الأعيان تقع في ٤٨٨ ورقة (٣٧ سطراً × ١٦ كلمة) وقد جاء في آخرها: «وقد وقع إتمام كتابة هذا الكتاب بحمد الله وعونه في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب الفرد سنة خمس وخمسين ومائة وألف على يد الحقير السيد إبراهيم بن الحكيم غفر الله له بمنّه وكرمه آمين». فهي تمثل نسخة حديثة قليلة الاحتفال بالضبط والدقة، ولكنا اعتمدناها لأن فيها زيادات يتفق بعضها مع زيادات ص ومسودة المؤلف. وتنفرد ر بزيادات تتفق فيها أحياناً مع النسخة التي رمزنا لها بالحرف د من نسخ وستنفيلد.

وبعد حصولنا على هذه المخطوطات الجديدة، أصبح من الضروري أن نعدّل في خطتنا التي جرينا عليها في الجزء الأول؛ فقد أصبحت مسودة المؤلف تمثل أصلاً معتمداً للنص الأصلي الذي أثبتناه في المتن، وقد كانت هذه النسخة ذات عون كبير

لنا في ترجيح القراءة المعتمدة لدى اختلاف النسخ . ثم إننا بدلاً من أن نضيف زيادات النسخ في آخر الجزء كما فعلنا في الجزء الأول ، أثبتنا الزيادات المستمدة من النسخ : ص ، ر ، د ، في المتن نفسه ، وميزنا هذه الزيادات بوضعها بين معقفين مع الإشارة إلى ذلك في الحواشي . وفي هذا الجزء أيضاً أثبتنا العناوين التي وضعها المؤلف نفسه في مسودته بعد أن كنا نلتزم بعناوين مطبوعة وستنفيلد . وسيجد من يتتبع تراجم هذا الجزء والأجزاء التي تليه ترجمات إضافية لم ترد في أصل المؤلف أو في معظم مطبوعات الكتاب ، وقد أشرنا في الحواشي إلى كل إضافة من هذا النوع .

وقد كان حصولنا على المخطوطة ص سابقاً لحصولنا على سائر النسخ ، ولهذا استخرجنا ما فيها من زيادات وألحقناها في آخر الجزء الأول تالية للزيادات المستخرجة من نسخة د . وهنالك وجدنا أن هذه النسخة - أي ص - قد انفردت بترجمة لم ترد في غيرها من النسخ وهي ترجمة : إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك التي لم نستطع أن نعطيها رقماً منفرداً .

أما الترجمات العارضة التي تصدى لها ابن خلكان في أثناء كتابه ، فقد جرينا في هذا الجزء أيضاً على تمييزها بالرقم العربي ، وجعلنا الترقيم فيه تالياً للترقيم في الجزء الاول .

وسوف يكون اعتمادنا في تحقيق الاجزاء التالية على عدد آخر من المخطوطات سنشير إليها في المواضع الملائمة لذلك .

ويطيب لي في ختام هذه الكلمة أن أتقدم بأوفر الشكر وأتمه إلى جميع الاصدقاء الذين قدموا لي العون المسعف على إنجاز هذا العمل ، وأخص بالذكر منهم : الصديق الدكتور عزت حسن أمين المكتبة الظاهرية بدمشق الذي تفضل فأمدّني بميكروفيلم من نسخة الظاهرية ؛ والصديق محمد بن تاويت الطنجي الاستاذ بالمعهد الإسلامي الاعلى في اسكدار لما قدمه لي من مساعدة كبيرة أثناء مراجعتي للمخطوطات في مكتبات استانبول ؛ والاخ الدكتور وليد عرفات الذي ذلل كل صعوبة عملية في سبيل الحصول على صورة من مسودة المؤلف ؛ كما أشكر القائمين على القسم الشرقي في المتحف البريطاني على ما لقيته لديهم من معونة صادقة . والله أسأل أن يعينني على إنجاز سائر هذا العمل بحوله وقوته .

بيروت في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٦٩ — إحسان عباس

حرف الحاء

١٤٧

أبو تمام

أبو تمام حبيبُ بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشجّ بن يحيى بن مروان بن مُر بن سعد بن كاهل[١] بن عمرو بن عدي بن عمرو بن الغوث[٢] بن طيىء — واسمه جُلْهُمة — بن أدَدَ بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كَهْلان بن يشجب ابن يعرب بن قَحطان الشاعر المشهور؛ [وذكر[٣] أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي في كتاب « الموازنة بين الطائيين » ما صورته : والذي عند أكثر الناس في نسب أبي تمام : أن أباه كان نصرانياً من أهل جاسم ، قرية من قرى دمشق ، يقال له : تَدوس[٤] العطار ، فجعلوه أوساً ، وقد لُفّقَت له نسبة إلى طيىء ، وليس فيمن ذكر فيها من الآباء من اسمه مسعود ، وهذا باطل ممن عمله ، ولو كان نسبه صحيحاً لما جاز أن يلحق طيئاً بعشرة آباء[٥] .

---

١٤٧ - ترجمة أبي تمام في طبقات ابن المعتز : ٢٨٧ والأغاني ١٦ : ٣٠٣ وتاريخ بغداد ٨ : ٢٤٨ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ١٨ ، وفيه كتب الصولي كتابه « أخبار أبي تمام » (ط. القاهرة : ١٩٣٧) وكتب الآمدي كتاب « الموازنة » بينه وبين البحتري .

١ ص س : كامل .

٢ أ ج : غوث ؛ س : الحرث .

٣ ما بين معقفين لم يرد إلا في م ر ، مع ايجاز في م .

٤ أ : ندوس ؛ م : فدرس .

٥ لم أجد هذا في « الموازنة » ، ولكني وجدت عند ذكر البيت « إن كان مسعود ... » قول الآمدي (١ : ٥٣٤) : « إن كان مسعود » يعني مسعوداً اخا ذي الرمة ، ولا يعرف له بيت واحد بكى فيه على الديار ، وهذا من معاني أبي تمام الغامضة التي يسأل عنها ، وما زلت أرى الناس قديماً يخبطون فيه ، وإنما ذكر مسعوداً لأنه كان ينهى ذا الرمة عن البكاء على الديار ، وذلك كقول القائل : إن كان حاتم قد شح فلست منه ، أي انه إن كان يعد كرمه وجوده قد رأى أن البخل حسن فلست مقتدياً به .

قلت : وذكر الآمدي هذا في قول أبي تمام :

إن كان مَسعود سقى أطلالهم سَبَلَ الشؤونِ فلستُ من مسعودِ

وقد سقط في النسب بين قيس ودفاقة[1] ستة آباء .

وقول أبي تمام : « فلست من مسعود » لا يدلّ على أن مسعوداً من آبائه بل هذا كما يقال : « ما أنا من فلان ولا فلان مني » يريدون به البعد منه والأنَفَة ، ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ولد الزنا ليس منا » و « عليّ مني وأنا منه » .

وقد ساق الخطيب أبو بكر في « تاريخ بغداد » نسَبه ، وفيه تغيير يسير .

وقال الصولي[2] : قال قوم : إن أبا تمام هو حبيب بن تدوس النصراني ، فغير ، فصار أوساً] .

كان أوحد[3] عصره في ديباجة لفظه ونصاعة[4] شعره وحسن أسلوبه ، وله كتاب « الحماسة »[5] التي دلت على غزارة فضله وإتقان معرفته بحسن اختياره ، وله مجموع آخر سماه « فحول الشعراء » جمع فيه بين طائفة كبيرة من شعراء الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين ، وله كتاب « الاختيارات من شعر الشعراء » ، وكان له من المحفوظ ما لا يلحقه فيه غيره ، قيل إنه كان يحفظ أربع عشرة[6] ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع ، ومدح الخلفاء وأخذ

---

١ هـ : وذفافة .

٢ قال الصولي في أخبار أبي تمام : « وهو حبيب بن أوس الطائي صليبة » .

٣ ر : واحد .

٤ د : وفصاحة .

٥ تصدى له شراح كثيرون ؛ ومن شروحه المشهورة شرح التبريزي وشرح المرزوقي ؛ وحاكاه في الاختيار عدد كبير في المغرب والمشرق سموا كتبهم باسم الحماسة؛ ولأبي تمام « الحماسة الصغرى » وهو كتاب الوحشيات ، نشر بتحقيق الاستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي وزاد في حواشيه الاستاذ محمود محمد شاكر (دار المعارف : ١٩٦٣) .

٦ كذا في المسودة .

جوائزهم ، وجاب البلاد ، وقصد البصرة وبها عبد الصمد بن المعذّل[1] الشاعر ، فلما سمع بوصوله – وكان في جماعة من غلمانه وأتباعه – فخاف من قدومه أن يميل الناس إليه ويُعرضوا عنه ، فكتب إليه قبل دخوله البلد[2] :

أنتَ بينَ اثنتين تبرُزُ للنـا ... سِ وكلتاهُما بوَجهٍ مذالِ
لستَ تنفكُّ راجياً لوصالٍ ... من حَبيب أو طالباً لِنَوال
أيّ ماء يبقى لوَجهكَ هذا[3] ... بينَ ذُلّ الهوى وذُلّ السؤال

فلما وقف على الأبيات أضرب عن مقصده ورجع ، وقال : قد شغل هذا ما يليه فلا حاجة لنا فيه . وقد ذكرت نظير هذه الأبيات في ترجمة المتنبي في حرف الهمزة .

[[4] ولما قال[5] ابن المعذّل هذه الأبيات في أبي تمام ، كتبها ودفعها إلى ورّاق كان هو وأبو تمام يجلسان إليه ولا يعرف أحدُهما الآخر ، وأمر أن تُدفع إلى أبي تمام ، فلما وافى أبو تمام وقرأها قلبها وكتب :

أفيَّ تنظم قَولَ الزور والفَنَدِ ... وأنتَ أنقَصُ من لا شيء في العَدَدِ
أشرَجتَ[6] قلبكَ من غيظٍ على حنَقٍ ... كأنها حرَكات الرُّوح في الجسَد
أقدَمْتَ وَيلكَ من هَجوي على خطَرٍ ... كالعَيرِ يُقدِمُ مِن خَوف على الأسَد

وحضر عبدُ الصمد ، فلما قرأ البيت الأول قال : ما أحسن علمه بالجدل ، أوجبَ زيادة ونقصاناً على معدوم ، ولما نظر إلى البيت الثاني قال : الإشراج

---

١ أ ج د هـ : المعدل .
٢ انظر الصولي : ٢٤١ – ٢٤٢ والشريشي ٢ : ١٨٩ والأغاني ١٣ : ٢٥٤ .
٣ ب ج : لحر وجهك يبقى .
٤ ما بين معقفين انفردت به م ر .
٥ هذا الخبر مخالف للذي قبله بعض المخالفة ومن حق المؤلف أن يصدّره بمثل قوله « ويقال ان... الخ » وانظر الأغاني ١٣ : ٢٥٥ وديوانه ٤ : ٣٥١ .
٦ أشرج الشيء : شده بالشرج وهي العرى .

من عمل الفراشين ولا مدخل له ههنا ، فلما قرأ البيت الثالث عضّ على شفته وقال : قتل .

وقال الصولي[1] : قد ذكر ذلك أبو الفتح محمود بن الحسين المعروف بكشاجم في كتاب « المصايد والمطارد » عند قوله فيه : وأغفل الجاحظ في باب ذكر انقياد بعض المأكولات لبعض الآكلات ذكرَ الحمار الذي يرمي بنفسه على الأسد إذا شمّ ريحه] .

ولما أنشد أبو تمام أبا دُلَفَ العجلي قصيدته البائية المشهورة التي أولها[2] :

على مِثلِهـــا منْ أربُعٍ ومَلاعِبِ أُذيلَتْ مَصوناتُ الدُّموعِ السَّواكِبِ

استحسنها وأعطاه خمسين ألف درهم وقال له : والله إنها لدون شعرك ، ثم قال له : والله ما مثل هذا القول في الحسن إلا ما رثيتَ به محمد بن حميد الطوسي ، فقال أبو تمام : وأيّ ذلك أراد الأمير ؟ قال : قصيدتك الرائية التي أولها :

كذا فليَجلّ الخطْبُ وليَفدَحِ الأمر[3] فليسَ لِعَيْنٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ

وددت والله أنها لك فيّ ، فقال : بل أفدي الأمير بنفسي وأهلي وأكون المقدم قبله ، فقال : إنه لم يمت من رُثي بهذا الشعر .

وقال العلماء : خرج من قبيلة طيىء ثلاثة ، كل واحد مجيد في بابه : حاتم الطائي في جوده ، وداود بن نصير الطائي في زهده ، وأبو تمام حبيب بن أوس في شعره .

وأخباره كثيرة[4] ورأيت الناس مطبقين على أنه مدح الخليفة بقصيدته

١ يبدو أن المؤلف هنا ينقل عن شرح الصولي لشعر أبي تمام ، فهذا التعليق لم يرد في كتابه « أخبار أبي تمام » ؛ وانظر : المصايد والمطارد : ٤٦ ففيه النص والخبر عن التهاجي بين أبي تمام وعبد الصمد بن المعذل وتعليق عبد الصمد على أبيات أبي تمام ؛ ولم يرد في م ر قوله « وقال الصولي » .

٢ ديوانه ١ : ٢٠٥ ، والخبر في الصولي : ١٢١ - ١٢٥ .

٣ ر : الدهر .

٤ وأخباره كثيرة : سقطت من ص .

السينية[1] ، فلما انتهى فيها إلى قوله :

إقدامُ عمرو في سمـــاحةِ حاتم   في حـلم أحنَفَ في ذكاءِ إياس

قال له الوزير : أتشبه أمير المؤمنين بأجلاف العرب ؟ فأطرق ساعة ، ثم رفع رأسه وأنشد :

لا تنكروا ضَرْبي لهُ مَن دونهُ   مثلاً شَروداً في النّدى والباسِ
فالله قد ضرَبَ الأقلّ لِنورهِ   مثلاً مِنَ المِشكاةِ والنّـبراسِ

فقال الوزير للخليفة : أيّ شيء طلبه فأعطـــه ، فإنه لا يعيش أكثر من أربعين يوماً ، لأنه قد ظهر في عينيه الدم من شدة الفكرة ، وصـــاحب هذا لا يعيش إلا هذا القدر ، فقال له الخليفة : ما تشتهي ؟ قال : أريد الموصل ، فأعطاه إياها ، فتوجه إليها ، وبقي هذه المدة ومات ؛ وهذه القصة لا صحـة لها أصلاً .

وقد ذكر أبو بكر الصولي في كتاب « أخبار أبي تمام »[2] أنه لما أنشد هذه القصيدة لأحمد بن المعتصم وانتهى إلى قوله « إقدام عمرو – البيت المذكور » قال له [أبو يوسف يعقوب بن الصباح][3] الكندي الفيلسوف ، وكان حاضراً : الأمير فوق مَن وصفت ، فأطرق قليلاً ثم زاد البيتين الآخرين ، ولما أُخذت القصيدة من يده لم يجدوا فيها هذين البيتين ، فعجبوا من سرعته وفطنته .

ولما خرج قال أبو يوسف ، وكان فيلسوف العرب : هذا الفتى يموت قريباً .

ثم قال بعد ذلك : وقد روي هذا على خلاف ما ذكرته ، وليس بشيء ، والصحيح هو هذا .

وقد تتبعتها وحققت صورة ولايتـــه للموصل ، فلم أجد سوى أن الحسن

---

١ مطلع هذه القصيدة (ديوانه ٢ : ٢٤٢) :
ما في وقوفك ساعة من باس   نقضي ذمام الأربع الادراس
٢ أخبار أبي تمام : ٢٣١ - ٢٣٢ .
٣ لم يرد في المسودة .

ابن وهب ولاه بريد الموصل ، فأقام بها أقلّ من سنتين ثم مات بها . والذي يدل على أن القضيّة ليست صحيحة أن هذه القصيدة ما هي في أحد من الخلفاء ، بل مدح بها أحمد بن المعتصم ، وقيل أحمد بن المأمون ، ولم يل واحد منهما الخلافة ، والحيص بيص ذكر في رقاعه السبع اللاتي كتبها إلى الإمام المسترشد يطلب منه بايعقوبا أنّ الموصل كانت إجازة لشاعر طائي ، فإما أنه بنى الأمر على ما قاله الناسُ من غير تحقيق ، أو قصد أن يجعل هذا ذريعةً لحصول بايعقوبا له ، والله أعلم [وتابعه في الغلط ابن دحية في كتاب « النبراس »][1] .

[وذكر الصولي[2] أن أبا تمام لما مدح محمد بن عبد الملك الزيات الوزير بقصيدته التي منها قوله :

دِيمَةٌ سَمْحَةُ القيادِ سَكوبُ   مستغيثٌ بها الثرى المكروبُ
لو سعَتْ بُقعة لإعظام أخرى   لسعى نحوها المكانُ الجديبُ

قال له ابن الزيات : يا أبا تمام ، إنك لتحلي شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك ما يزيد حسناً على بهيّ الجواهر في أجياد الكواعب ، وما يُدّخر لك شيء من جزيل المكافأة إلا ويقصر عن شعرك في الموازاة . وكان بحضرته فيلسوف ، فقال له : إن هذا الفتى يموت شاباً ، فقيل له : ومن أين حكمت عليه بذلك ؟ فقال : رأيتُ فيه من الحِدّة والذكاء والفطنة مع لطافة الحسّ وجودة الخاطر ما علمتُ به أن النفس الروحانية تأكل جسمه كما يأكل السيفُ المهند غِمْدَهُ ، وكذا كان ، لأنه مات وقد نيّف على ثلاثين سنة .

قلت : وهذا يخالف ما سيأتي في تاريخ مولده ووفاته بعد هذا إن شاء الله تعالى][3] .

١ ما بين معقفين سقط من س ص والمسودة .
٢ لم يرد هذا الخبر في كتاب أخبار أبي تمام ؛ وفي الديوان (١ : ٢٩٦) ان القصيدة في مدح محمد بن الهيثم بن شبانة .
٣ هذا النص لم يرد في ص والمسودة .

ولم يزل شعره[1] غير مرتب حتى جمعه أبو بكر الصولي، ورتبه على الحروف، ثم جمعه عليّ بن حمزة الأصبهاني، ولم يرتبه على الحروف، بل على الأنواع.

وكانت ولادة أبي تمام سنة تسعين ومائة، وقيل: سنة ثمان وثمانين ومائة، وقيل: سنة اثنتين وسبعين[2] ومائة بجاسم، وهي قرية من بلد الجيدور[3] من أعمال دمشق بين دمشق وطبرية، ونشأ بمصر، قيل إنه كان يسقي الناس ماء بالجرة في جامع مصر، وقيل كان يخدم حائكاً ويعمل عنده [بدمشق وكان أبوه خماراً بها، وكان أبو تمام أسمر طويلاً فصيحاً حلو الكلام فيه تمتمة يسيرة] ثم اشتغل وتنقل إلى أن صار منه ما صار.

وتوفي بالموصل – على ما تقدم – في سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وقيل إنه توفي في ذي القعدة، وقيل في جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين، وقيل تسع وعشرين ومائتين، وقيل في المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، رحمه الله تعالى.

[قال[4] البحتري: وبنى عليه أبو نهشل ابن حميد الطوسي قبة، قلت: ورأيت قبره بالموصل خارج باب الميدان، على حافة الخندق، والعامة تقول: هذا قبر تمام الشاعر.

وحكى لي الشيخ عفيفُ الدين أبو الحسن علي بن عدلان الموصلي النحوي المترجم[5]، قال: سألت شرف الدين أبا المحاسن محمد بن عنين الشاعر – الآتي ذكره في هذا الكتاب في حرف الميم إن شاء الله تعالى – عن معنى قوله:

سَقى الله دوحَ الغُوطَتين ولا ارتوتْ … من المَوْصل الحدْباء إلا قُبورها

لم حرمها وخص قبورها؟ فقال: لأجل أبي تمام.

---

1 هذا عن الفهرست: ١٦٥.
2 كذا في المسودة وص، وفي سائر النسخ: وتسعين.
3 أ: الجولان؛ د: حلوان.
4 ما بين معقفين سقط من ص س والمسودة.
5 ولد سنة ٥٨٣ وكان ماهراً بحل المترجم والألغاز ولذلك لقب المترجم، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٦٦ (انظر الفوات ٢: ١٢١ وبغية الوعاة: ٣٤٣ والنجوم الزاهرة ٧: ٢٢٦).

وهذا البيت من قصيدة لابن عنين المذكور يمدح بهـــا السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل بن أيوب – وسيأتي ذكره في حرف العين إن شاء الله تعالى – أولها [1] :

أشاقَكَ من عليا دِمشقَ قُصورُها ووِلدانُ أرض النيربين وحُورُها

وهي من أحسن قصائده] .
ورثاه الحسن بن وهب بقوله [2] :

فُجعَ القريضُ بخـــاتم الشُعَراءِ وغدير روضتهـا حبيب الطائي
ماتا معاً فتجـــاوَرا في حُفرَة وكذاك كانا قبلُ في الأحيـــاء

وقيل : إن هذين البيتين لديك الجن رثى بهما أبا تمام ، والله أعلم .
[ورثاه الحسن أيضاً بقوله من قصيدة :

سقى بالمَوصلِ القبرَ الغريبـــا سحائِبُ يَنتحبْنَ له نحيبـــا
إذا أظللنـــه فيه شَعيبَ المزنِ يتبعهـــا شَعيبا
ولطّمْنَ البروق بـه خدوداً وشقّقن الرعـــود به جُيوبا
فإنّ ترابَ ذاك القبر يحوي حبيباً كان يُدْعى لي حبيبا] [3]

ورثاه محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم بقوله وهو يومئذ وزير، وقيل إنها لأبي الزبرقان عبد الله بن الزبرقان الكاتب مولى بني أمية :

نبأ أتى من أعظمِ الأنباءِ لمّا ألمّ مُقَلقِـــلُ الأحشاءِ
قالوا حبيبٌ قد ثوى فأجبتهم ناشدتكم لا تجعلوه الطـائي

---

١ انظر ديوان ابن عنين : ١٥ .
٢ وردت هذه المراثي في أخبار الصولي : ٢٧٦ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ .
٣ ما بين معقفين سقط من ص والمسودة .

[[1] ولأبي تمام المذكور :

لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه لظل يلثم منه موطىء القدم

وللبحتري أيضاً في هذا المعنى :

ولو أن مشتاقاً تكلف فوق ما في وسعه لسعى إليك المنبر

ولما سار المأمون إلى بلاد الشام يريد غزو الروم مدحه أبو تمام بقصيدتين فلم يجد من يوصلها إليه وذلك قبل قدوم أبي تمام العراق ، ثم صار إلى العراق في خلافة المعتصم ، فمن ذلك قوله في المأمون قصيدة قال فيها :

ثم انبرت أيامُ هجرٍ أردفت نحوي أسًى فكأنها أعوامُ

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلامُ

فأخذها حتى بلغ فيها :

اتضعضعت عبرات عينك أن دعت ورقاء حين تضعضع الإظلام

لا تشجيَنّ لها فإنّ بكاءها ضحكٌ وإنّ بكاءك استغرام

هُنّ الحَمام فإن كسرت عيافةً من حائهن فإنهُنّ حِمام

حكي عن يموت بن المزرع قال[2] : كان أحمد بن المدبر إذا مدحه شاعر ولم يرض شعره أمر غلمانه أن يمضوا به إلى المسجد فلا يفارقوه أو يصلي مائة ركعة ، فكان هذا دأبه ؛ قال : فتحاماه الشعراء إلا الأفراد المجيدون فأتاه أبو عبد الله الحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجمل فاستأذنه في النشيد فقال له : عرفت الشرط ؟ قال : نعم ، فأنشده :

أردنا في أبي حسنٍ مديحاً كما بالمدح تنتجع الولاةُ

١ انفردت نسختا ر د بهذا النص الطويل الذي أثبتناه بين معقفين ولم تشترك معها نسخة ص إلا في جزء يسير منه وقعت أجزاؤه مختلفة في ترتيبها عما هي عليه في النسختين المذكورتين .

٢ انظر تهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٠٦ - ٣٠٧ .

فقلنـــا أكرم الثقَلين طـُرّاً　ومن كفيه دجـــلة والفرات
فقالوا يقبل المدحـــات لكن　جـوايزه عليهنّ الصـــلاة
فقلت لهم وما يغني عيـــالي　صلاتي إنمـــا الشأن الزكاة
فيأمرني بكسر الصـــاد منه　فتصبح لي الصلاة هي الصِلات

فضحك ابن المدبر وقال : من أين أخذت هذا ومن أين وقع لك ؟ فقال : أخذته من قول أبي تمام :

هُنّ الحَمامُ فإن كسرت عيافةً

قال : فأعجبه صدقـُهُ ووصله .
ومن قصيدته الأخرى التي مدح بها المأمون التي أولها :

كشف الغطاء فأوقدي أو أخمدي

ويقول فيها :

أوليّ أمّةِ أحمـــدٍ ما أحمد　بضيعٍ ما أوليتَ أمةَ أحمدِ
أما الهدى فقد اقتدحت بزنده　للعـــالمين فويل من لا يهتدي

حدث الصولي عن محمد بن يحيى قال : حدثني يحيى بن علي قال : كان محمد ابن القاسم بن مهرويه يقدم دعبلاً على أبي تمام ، فقلت له : بأيّ شيء قدمته ؟ فلم يأت بمقنع ، فجعلت أنشده محاسنها فإذا محاسن أبي تمام أكثر وأطرز وإذا عيوب دعبل أعظم وأفحش ، فأقام على رأيه وتعصبه لدعبل فقلت :

يا أبا جعفرٍ أتحكم في الشعـ　ـرِ وما فيك آلة الحـُكـّـامِ
إنّ نقد الدينار إلا على الصيـ　ـرف صعب فكيف نقد الكلام
قد رأيناك ليس تفرق في الأشـ　ـعار بين الأرواح والأجسام
إنمـــا يعرف العتيق من المحـ　ـدث قيْنٌ في وقت عرض الحسام
لا تقس دعبـــلاً إذن بحبيبٍ　ليس خُفـّ البعير مثل السنام

قال عبد الله بن المعتز : جاءني محمد بن يزيد النحوي فجرى ذكر أبي تمام فلم يوفه حقه ، فقال له رجلٌ من الكتّاب كان في المجلس ، ما رأيت أحداً أحفظ لشعر أبي تمام منه : يا أبا العباس ، ضع يدك على من شئت من الشعراء ثم انظر أيحسن أن يقول مثل ما قاله أبو تمـــام لأبي المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي يعتذر إليه :

لعمري لقد أقوت مغانيكمُ بعدي وحمت كما محت وشائع من بردِ
وأنجدتمُ من بعد إتهـــام داركم فيا دمع أنجدني على ساكني نجدِ

ثم مرّ فيها حتى بلغ إلى قوله في الاعتذار :

أتاني مع الركبـــان ظن ظننته لففتُ له رأسي حياءً من المجدِ
كريم متى أمدحه أمدحه والورى معي ومتى ما لمته لمته وحدي

حدث الصولي قال : كان أبو تمام إذا كلمه إنسان أجابه قبل انقضاء كلامه كأنه قد علم ما يقول فأعد جوابه ، فقال له رجـل : يا أبا تمام لم لا تقول من الشعر ما يُعرَف ؟ فقال : وأنت لم لا تعرف من الشعر ما يقال ؟ فأفحمـه . وكان الذي قال له هذا أبو سعيد الضرير بخراسان ، وكان هذا من علماء الناس ، وكان متصلاً بالطاهرية .

قال علي بن محمد بن عبد الكريم : لما صار إلينا أبو تمام مقدمه من مصر عمل قصيدته التي أولها :

أرامة كنت مألف كل ريم

فاتصل خبرها بعتبة بن عُصيم الذي يهجوه أبو تمام ، وهو كلبي من قضاعة ، وكان أديباً شاعراً ، فأحب أن يسمع هذه القصيدة من أبي تمام فقال لمن حضر : ايتوني به ، فجاءوا به فأنشده إياها ، فلما فرغ قال : أحسنت يا غلام على صغر سنك ، فسكت أبو تمام وقال : يا عم أنشدني من شعرك ، فأنشده قصيدة ، فلما فرغ قال : يا عم ما أحسنت على كبر سنك ، فقال عتبة لبني عبد الكريم : أخرجوا هذا من بلدنا فليس يَصلح أن يقيم في بلدنا .

قال الصولي : ومن باب الجود قول أبي تمام :

بيُمن أبي إسحاق طالت يد الهدى ... وقامتْ قناةُ الدين واشتد كاهله
هو البحر من أيِّ النواحي أتيته ... فلجّتُهُ المعروف والجود ساحله
تعوّد بسط الكف حتى لو أنّه ... دعاهـا لقبضٍ لم تجبه أنامله

وللبحتري في هذا المعنى :

لا يتعب النائل المبذول همّتَهُ ... وكيف يُتعِبُ عينَ الناظر النظرُ

وهذان البيتان لا غاية وراءهما .

قال[1] ابن أبي دواد لأبي تمام : إن لك أبياتاً أُنشدتها فلو قلتها زاهداً أو معتبراً أو حاثاً على طاعة الله تعالى لكنت قد أحسنت وبالغت ، فأنشدنيها ، قال : ما هي ؟ قال : التي قافيتها « فأدخلها » ، فأنشده :

ما لي أرى الحجرة الفيحاء مقفلةً ... عني وقد طال ما استفتحت مقفلها
كأنها جنةُ الفردوس معرضـة ... وليس لي عملٌ زاكٍ فأدخلهـا

حدث الصولي قال : دخل أبو تمام على أحمد بن أبي دواد فقال له : مـا أحسن هذا فمن أين أخذته ؟ قال : من قول الحاذق في الفضل بن الربيـع :

وليس لله بمستنكـر ... أن يجمع العالم في واحد

وحدث الصولي عن الحسن بن وهب قال : لمـا أُدخل المازيار على المعتصم وكان عليه شديد الغيظ قيل له : لا تعجل عليه فإن عنده أموالاً جمة ، فأنشد بيت أبي تمام :

إن الأسُود أُسود الغاب همتهـا ... يوم الكريهة في المسلوب لا السَّلَبِ

ثم قتله ؛ وكذلك جمال الدين بن رشيق أفتى ببيت المتنبي في النصراني الذي سب

---

[1] أخبار أبي تمام : ١٤٦ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما ولي الملك الصالح مصر وهو :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى   حتى يراق على جوانبه الدم

فعمل بمقتضاه .

وحدث علي بن يحيى بن علي بن مهدي قال : كان المنجمون حكموا لما خرج المعتصم إلى الروم بأنه لا يرجع من وجهه ، فلما فتح ما فتح وخرب عمورية في شهر رمضان سنة ٢٢٣ وانصرف سالماً ، قال أبو تمام :

السيف أصدق انباءً من الكتبِ   في حدّه الحدّ بين الجدّ واللعبِ
بيض الصفائح لا سود الصحائف في   متونهن جلاء الشك والرّيَب
والعلمُ في شُهُبِ الأرماح لامعةً   بين الخميسين لا في السبعة الشُهْب

وقيل إنه كرر إنشاد هذه القصيدة ثلاثة أيام فقال له المعتصم : لمَ تجلو علينا عجوزك ؟ قال : حتى أستوفي مهرها يا أمير المؤمنين ، فأمر له بمائة وسبعين ألف درهم عن كل بيت منها ألف .

قال الحسن بن وهب : دخل أبو تمام على محمد بن عبد الملك الزيات فأنشده قصيدته التي أولها :

لهان علينا أن نقول وتفعلا

فلما بلغ إلى قوله :

والله لا آتيك إلاّ فريضةً   وآتي جميع العالمين تنفُّلا
وليس امرءاً في الناس كنت سلاحه   عشية يلقى الحادثات بأعزلا

فقال : أما والله ما أحب بمدحك مدح غيرك لتجويدك وإبداعك ولكن تنقص مدحك ببذلك له لغير مستحقه ، فقال : لسان العذر معقول وإن كان فصيحاً ، ومرّ في القصيدة فأمر له بخمسة آلاف درهم وكتب إليه بعد ذلك :

رأيتك سهل البيع سمحاً وإنما   يغالي إذا ما ضن بالشيء بايعه

فأمـا الذي هانت بضائع بيعه فيوشك أن تبقى عليه بضـــايعه

فأجابه أبو تمام :

أبا جعفرٍ إن كنت أصبحت تاجراً أساهل في بيعي له من أبايعـــه
فقد كنتَ قبلي شاعراً تاجراً به تساهل من عادت عليك منافعه

قال الصولي : لما كلم خالد بن يزيد ابن أبي دواد في أمر أبي تمام قـــال أبو تمام يشكره :

لأشكرنك إن لم أُوتَ من أجلي شكراً يوافيك عني آخر الأبدِ
وإن توردتُ من بحر البحور ندًى فلم أنل منه إلا غرفـــةً بيدي

قال محمد بن يزيد النحوي[1] : خرج أبو تمام إلى خالد بن يزيد وهو بأرمينية فامتدحه فأمر له بعشرة آلاف درهم ونفقة لسفَره وأمره أن لا يقيم إن كان عازماً على الخروج ، فودعه ومضت عليه أيام فركب يزيد ليتصيد فرآه تحت شجرة وقدامه زكرة فيها نبيذ وغلام بيده طنبور فقال : حبيب ؟ قـــال : خادمُكَ وعبدُكَ ، فقال له : ما فعل المال ؟ فقال :

علـّمني جودك السماح فمـــا أبقيتُ شيئاً لديَّ من صلتك
ما مرّ شهرٌ حتى سمحت به كأنّ لي قـــدرةً كمقدرتك
تنفق في اليوم بالهبـــات وفي الساعة مـا تجتبيه في سنتك
فلست أدري من أين تنفق لو لا أنّ ربّي يمـــد في هبتك

فأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى فأخذها وانصرف .

ولأبي تمام وقد اعتل الياس صاحب عبد الله بن طاهر :

فإن يكن وصَبٌ قاسيتَ سَورَتَهُ فالورِدُ حلفٌ لليث الغابةِ الأضمِ[2]

---

[1] أخبار أبي تمام : ١٥٨ ومن هنا تلتقي النسخة ص بالنسختين ر د .
[2] الورد : الحمى ، الأضم : الغضبان .

إنّ الرياح إذا ما أعصفت قصفت عيدان نجدٍ ولم يَعْبأنَ بالرَّتم
بنات نعشٍ ونعشٌ لا كُسوفَ لها والشمسُ والبدرُ منها الدهر في الرقم[1]
فليهنك الأجر والنعمى التي سبغت حتى جلتْ صدأ الصمصامةِ الخذم
قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتـلي الله بعض القوم بالنّعم

قال محمد بن هبيرة النحوي : حُجب أبو تمام عن إسحـاق بن إبراهيم المصعبي فقال :

يا أيهـا الملك المرجوُّ نائلهُ وجودُهُ لمراعي جوده كثب
ليس الحجاب بمقصٍ عنك آملهُ إنّ السماء تُرجّى حين تحتجب

وقيل لأبي تمام[2] : قد هجاك مخلّد الموصلي فلو هجوتَهُ ، قال : الهجـاء يَرفَعُ منه إذ ليس هو شاعراً ؛ لو كان شاعراً لم يكن من الموصل ، يعني ان الموصل لا يخرج منها شاعر ، وكان مخلد قد هجاه بقوله :

يا نبيَّ الله في الشعـ ـر ويا عيسى بن مريم
أنت من أشعر خلق الله ـه مـا لم تتكلم

وكان لأبي تمام حبسة إذا تكلم . قرأت في كتاب « المستنير » أن أبا تمام والخثعمي اجتمعا في مجلس أنسٍ ، فقام أبو تمام إلى الخلاء فقـال له الخثعمي : ندخلك ؟ قال : نعم وأخرجك ، فتعجب الحاضرون من هذا الابتداء البديع والجواب العجيب .

وكان لأبي تمام صديق قليل البضاعة في الشرب يسكر من قدحين، فكتب إليه يوماً يدعوه : إن رأيت أن تنام عندنا فافعل .

ودخل على جعفر بن سليمان يعزّيه بأخيه محمد بن سليمان وقد كان جزع عليه جزعاً عظيماً ، فقال جعفر حين رآه : إن يكن عند أحد فرجٌ فعند حبيب ،

---

١ الرقم : الداهية .
٢ أخبار أبي تمام : ٢٣٤ .

فلما سلّم قال : أيها الأمير التمس ثواب الله بحسن الجزاء والتسليم لأمر الله ، واذكر مصيبتك في نفسك تُنسِك مصيبتك في غيرك والسلام] .

ومحاسن حبيب كثيرة .

وجاسم : بفتح الجيم وبعد الألف سين مهملة مكسورة ثم ميم .

وأما النسب فهو مشهور فلا حاجة إلى ضبطه .

والجَيْدورُ – بفتح الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الدال المهملة وسكون الواو وبعدها راء – وهو إقليم من عمل دمشق يجاور الجولان .

والطائي : منسوب إلى طيىء القبيلة المشهورة ، وهذه النسبة على خلاف القياس ، فإن قياسها طيئيّ لكن باب النسب يحتمل التغيير، كما قالوا في النسبة إلى الدّهر دُهري وإلى سَهل سُهلي – بضم أولها – وكذلك غيرهما .

١٤٨

حاتم الأصم

حاتم بن عنوان الأصم من أهل بلخ ؛ كان أوحد من عُرف بالزهد والتقلل واشتهر بالورع والتقشف ، وله كلام يُدَوّن في الزهد والحكم . واسند الحديث عن شقيق البلخي وشداد بن حكيم البلخي أيضاً ، وروى عنه حمدان بن ذي النون ومحمد بن فارس البلخيّان . وقدم حاتم بغداد في أيام أبي عبد الله أحمد بن حنبل واجتمع معه ؛ قيل لما دخل حاتم بغداد في أيام أبي عبد الله أحمد بن حنبل اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا : يا أبا عبد الرحمن ، أنت رجل أعجمي

---

١٤٨ - اختلف في اسم أبيه فقيل : هو حاتم بن عنوان أو حاتم بن يوسف أو حاتم بن عنوان بن يوسف ؛ وكان من أصحاب شقيق البلخي، زاهداً صاحب مواعظ وحكم، ولد بخراسان، وتوفي سنة ٢٣٧ (انظر أخباره في حلية الأولياء ٨ : ٧٣ وطبقات السلمي : ٩١ وشذرات الذهب ٢ : ٨٧ وعبر الذهبي ١ : ٤٢٤ وصفة الصفوة ٤ : ١٣٤ وتاريخ بغداد ٨ : ٢٤١) ؛ قلت : وهذه الترجمة انفردت بها النسخة ر ، ووردت في ص بعد ترجمة حرملة بن يحيى .

وليس يكلمك أحد إلا قطعته لأيّ معنى ؟ فقال حاتم : معي ثلاث خصال بها أظهر على خصمي ، قالوا : أيّ شيء هي ؟ قال : أفرح إذا أصاب خصمي ، وأحزن له إذا أخطأ ، وأخفض نفسي لا تتجاهل عليـــه ، فبلغ ذلك أحمد بن حنبل ، فقال : سبحان الله ما أعقله من رجل !

وقال أبو جعفر الهروي : كنت مع حاتم كرّة وقد أراد الحج ، فلما وصل إلى بغداد قال : يا أبا جعفر ، أحب أن ألقى أحمد بن حنبل ، فسألنا عن منزله ومضينا إليه فطرقت عليه الباب فلما خرج قلت : يا أبا عبد الله أخوك حاتم ؛ قال : فسلم عليه ورحب به وقال بعد بشاشته به : أخبرني يا حاتم فيمَ أتخلص من الناس ؟ قال : يا أبا عبد الله في ثلاث خصال ، قال : ومـــا هي ؟ [قال :] أن تعطيهم مالك ولا تأخذ من مالهم شيئاً ؛ قال : وتقضي حقوقهم ولا تستقضي منهم حقاً ؛ قال : وتحمل مكروههم ولا تـكره واحداً منهم على شيء ؛ قال : فأطرق أحمد ينكت بإصبعه الأرض ثم رفع رأسه وقال : يا حاتم ، إنها لشديدة ، فقال له حاتم : وليتك تسلم وليتك تسلم وليتك تسلم .

وقال رجل لحاتم : على أي شيء بنيت أمرك ؟ قال : على أربع خصال : على أن لا أخرج من الدنيا حتى أستكمل رزقي وعلى أن رزقي لا يأكله غيري ، وعلى أنّ أجَلي لا أدري متى هو ، وعلى أن لا أغيب عن الله طرفة عين ، وقال : لو ان صاحب خبر جلس إليك ليكتب كلامك لاحترزت منه ، وكلامك يعرض على الله فلا تحترز منه .

وقال رجل لحاتم الأصم : بلغني أنك تجوز المفاوز من غير زاد ، فقـــال حاتم : بل أجوزها بالزاد وإنما زادي فيها أربعة أشياء ، قال : ومـــا هي ؟ قال : أرى الدنيا كلها ملكاً لله ، وأرى الخلق كلهم عباد الله وعياله ، والأسباب والأرزاق بيد الله ، وأرى قضاء الله نافذاً في كل أرض لله ؛ فقال له الرجل : نعم الزاد زادك يا حاتم ؛ أنت تجوز به مفاوز الآخرة .

وقال حاتم : جعلت على نفسي إنْ قدمتُ مكة أن أطوف حتى أنقطع ، وأصلـّي حتى أنقطع ، وأتصدق بجميع ما معي ، فلما قدمت مكة صليت حتى انقطعت وطفت كذلك فقويت على هاتين الخصلتين ولم أقـْوَ عـــلى الأخرى ؛

قال : كنت أخرج من هاهنا ويجيء من هاهنا .

وقال حاتم : وقع الثلج ببلخ فمكثت في بيتي ثلاثة ومعي أصحابي فقلت : يخبرني كل رجل منكم بهمته ؛ قال : فأخبروني فإذا ليس فيهم أحد لا يريد إلا أن يتوب من تلك الهمة ؛ قال : فقالوا لي : همتك أنت يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : قلت : ما همتي إلا شفقة على إنسان يريد أن يحمل رزقي في هذا الطين ؛ قال : وإذا رجل قد جاء ومعه جراب خبز وقد زلق فابتلّت ثيابه بطين ، وقال : يا [أبا] عبد الرحمن ، خذ هذا الخبز .

قال حاتم : خرجت في سفر ومعي زاد فنفد زادي في وسط البرية فكان قلبي في السفر والحضر واحداً .

قيل لحاتم : من [أين] تأكل ؟ فقال : ﴿ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون﴾ (المنافقون : ٧) .

وقال : لي أربع نسوة وتسعة من الأولاد ، فما طمع الشيطان أن يوسوس إلي في شيء من أرزاقهم .

وقال حاتم : لقينا الترك فكان بيننا جولة فرماني تركي بوهق فأقلبني عن فرسي ونزل عن دابته وقعد على صدري وأخذ بلحيتي هذه الوافرة وأخرج من خفه سكيناً ليذبحني بها ، فوحقّ سيدي ما كان قلبي عنده ولا عند سكينه إنما كان قلبي عند سيدي فأنظر ماذا ينزل به القضاء ، فقلت : يا سيدي قضيتَ عليَّ أن يذبحني هذا فعلى الرأس والعين أنا لك وملكك . فبينما أنا أخاطب سيدي وهو قاعد على صدري آخذ بلحيتي إذ رماه المسلمون بسهم فما أخطأ حلقه ، فسقط عني فقمت أنا إليه وأخذت السكين من يده وذبحته ، فما هو إلا أن تكون قلوبكم عند السيد حتى تروا من عجائب لطفه ما لم تروا من الآباء والأمهات .

وقال أبو بكر الوراق : حاتم الأصم لقمان هذه الأمة ؛ قيل : جاءت امرأة فسألت حاتماً عن مسألة ، فاتفق أن خرج منها في تلك الحالة صوت فخجلت ، فقال لها حاتم : ارفعي صوتك ، وأرى من نفسه أنه أصمّ ، فسرّت المرأة بذلك وقالت : لم يسمع الصوت ، فغلب عليه اسم الصمم .

وجاء إليه رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن أي شيء رأس الزهد ووسط

الزهد وآخر الزهد ؟ فقال حاتم : رأس الزهد الثقة بالله ووسطه الصبر وآخره الخلاص ؛ رحمه الله تعالى .

١٤٩

الحجاج بن يوسف

أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن مُعَتِّب ابن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسيّ — وهو ثقيف — [ذكره ابن الكلبي في « جمهرة النسب » وقال : فولّد منبه بن النبيت قسيّاً ، وهو ثقيف فيما يقال والله أعلم ، فمن ينسب ثقيفاً إلى إياد فهذا هو نسبهم ، ومن نسبهم إلى قيس فيقول : قسي بن منبه بن بكر بن هوازن ، ويقولون : كانت أم قسي أميمة بنت سعد بن هذيل عند منبه بن النبيت ، فتزوجها منبه بن بكر ، فجاءت بقسي معها من الإيادي والله أعلم][1] الثقفي عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان ، فلما توفي عبد الملك وتولى الوليد أبقاه على ما بيده .

وقال المسعودي في كتاب « مروج الذهب »[2] : إن أم الحجاج الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي ، كانت تحت الحارث بن كلدة الثقفي الطائفي حكيم العرب ، فدخل عليها مرة سحراً فوجدها تتخلّل ، فبعث إليها بطلاقها ، فقالت : لم بعثت إلي بطلاقي ؟ هل لشيء رابك مني ؟ قال : نعم ،

---

١٤٩ - أخباره في كتب التاريخ كالطبري وابن الأثير واليعقوبي والامامة والسياسة والعيون والحدائق ومروج الذهب ؛ وفي العقد ٥ : ١٣ قطعة من أخباره .

١ ما بين معقفين انفردت به ر .

٢ انظر مروج الذهب ٣ : ١٣٢ .

دخلت عليك في السحر وأنت تتخللين، فإن كنت بادَرْتِ[1] الغداء فأنت شرهة، وإن كنتِ بتّ والطعام بين أسنانك فأنت قذرة، فقالت: كل ذلك لم يكن، لكني تخللت من شظايا السواك[2]؛ فتزوجها بعده يوسف بن أبي عقيل الثقفي، فولدت له الحجاج مشوهاً لا دُبُر له، فنقب عن دبره، وأبى أن يقبل ثدي أمه أو غيرها، فأعياهم أمره، فيقال: إن الشيطـــان تصور لهم في صورة الحارث بن كلدة المقدم ذكره، فقال: ما خبركم؟ قالوا: بُنَيّ ولد ليوسف من الفارعة، وقد أبى أن يقبل ثدي أمه، فقال: اذبحوا جدياً أسود وأولِغُوه دمه، فإذا كان في اليوم الثاني فافعلوا به كذلك، فإذا كان اليوم الثـالث فاذبحوا له تيساً أسود وأولغوه دمه، ثم اذبحوا له أسوَد سالخاً فأولغوه دمه، واطلوا به وجهه، فإنه يقبل الثدي في اليوم الرابع، قال: ففعلوا به ذلك؛ فكان لا يصبر عن سفك الدماء لما كان منه في أول أمره، وكان الحجاج يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يُقدِم عليها غيره.

وذكر ابن عبد ربه في «العقد»[3] أن الفارعة المذكورة كانت زوجة المغيرة ابن شعبة، وأنه هو الذي طلقها لأجل الحكاية المذكورة في التخلل؛ وذكر أيضاً أن الحجاج وأباه كانا يُعَلِّمان الصبيان بالطائف، ثم لحق الحجاج برَوح بن زنباع الجُذامي وزير عبد الملك بن مروان، فكان في عديد شرطته إلى أن رأى عبد الملك انحلال عسكره، وأن الناس لا يرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله، فشكا ذلك إلى روح بن زنباع، فقال له: إن في شرطتي رجلاً لو قلّده أمير المؤمنين أمر عسكره لأرحلَ الناسَ برحيله وأنزلهم بنزوله يقال له الحجاج ابن يوسف، قال: فإنا قد قلدناه ذلك، فكان لا يقدر أحد أن يتخلّفَ عن الرحيل والنزول إلا أعوان روح بن زنباع، فوقف عليهم يوماً وقد أرحـــل الناس وهم على طعام يأكلون فقال لهم: مـــا منعكم أن ترحلوا برحيل أمير المؤمنين؟ قالوا له: انزل يا ابن اللّخْناء فكل معنا، قال لهم: هيهـات،

[1] س: باكرت.
[2] زاد في ص هنا قال: كنت فبنت، فقالت: والله ما فرحنا إذ كنا ولا حزنا إذ بنا؛ وهي من قصة أخرى، ولا حاجة لإيرادها بعد قوله في صدر القصة «فبعث إليها بطلاقها».
[3] انظر العقد ٥: ١٣ - ١٤.

ذهب ما هنالك ، ثم أمر بهم فجلدوا بالسياط وطوفهم في العسكر وأمر بفَساطيط روح فأحرقت بالنار ، فدخل روح على عبد الملك باكياً ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إن الحجاج الذي كان في شرطتي ضرب غلماني وأحرق فساطيطي ، قال : عليّ به ، فلما دخل عليه قال له : ما حملك على ما فعلت ؟ قال : أنا ما فعلتُ ، قال : ومَنْ فعل ؟ قال : أنت فعلت ، إنما يدي يدك ، وسوطي سوطك ، وما على أمير المؤمنين أن يخلف لروح عوض الفسطاط فسطاطين ، وعوض الغلام غلامين ولا يكسرني فيما قدمني له ، فأخلف لروح ما ذهب له ، وتقدم الحجاج في منزلته ، وكان ذلك أول ما عرف من كفايته .

وكان للحجاج في القتل وسَفك الدماء والعقوبات غرائب لم يُسمَع بمثلها ، ويقال : إن زياد ابن أبيه أراد أن يتشبه بأمير المؤمنين عُمَر بن الخطاب رضي الله عنه في ضبط الأمور والحزم والصّرامة وإقامة السياسات إلا أنه أسرف وتجاوز الحد ، وأراد الحجاج أن يتشبه بزياد فأهلك ودمَّر[1] .

وخطب يوماً فقال في أثناء كلامه : أيها الناس ، إن الصبر عن محارم الله أيسرُ من الصبر على عذاب الله ، فقام إليه رجل فقال : ويحك يا حجاج ، ما أصفق وجهك وأقل حياءك ! فأمر به فحبس ، فلما نزل عن المنبر دعا به فقال له : لقد اجترأت علي ، فقال له : أتجترىء على الله فلا ننكره ، ونجترىء عليك فتنكره ؟ فخلى سبيله .

وذكر أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه « تلقيح فهوم أهل الأثر » أن الفارعة أم الحجاج هي المتمنية ، ولما تمنت كانت تحت المغيرة بن شعبة ، وقصّ قصتها ، ونذكرها مختصرة ، وهي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه طاف ليلةً في المدينة فسمع امرأة تنشد في خِدْرها :

هل من سبيلٍ إلى خَمرٍ فأشرَبَها   أم من سبيل إلى نَصر بن حجّاج

فقال عمر رضي الله عنه : لا أرى معي في المدينة رجلا تهتف به العواتق في خدورهن ؛ عليّ بنصر بن حجاج ، فأتي به ، فإذا هو أحسن الناس وجهاً

[1] وكان للحجاج ... ودمر : سقط من ر س .

وأحسنهم شَعْراً ، فقال عمر رضي الله عنه : عزيمة من أمير المؤمنين لتأخذَنّ من شعرك ، فأخذ من شعره فخرج له وجنَتان كأنهما شُقّتا قمر ، فقال : اعتم ، فاعتم ففتن الناس بعَينيه ، فقال عمر رضي الله عنه : والله لا تساكنني ببلدة أنا فيها ، قال : يا أمير المؤمنين ، ما ذنبي ؟ قال : هو ما أقول لك ، وسيَّره إلى البصرة ؛ هذه خلاصة القصة ، وبقيتها لا حاجة إلى ذكره .

ونصرٌ المذكور ابن حجاج بن عِلاط السلمي ، وأبوه صحابي رضي الله عنه ، وقيل : إن المتمنية هي جدة الحجاج أم أبيه ، وهي كنانية .

وحكى أبو أحمد العسكري في كتاب « التصحيف »[1] أن الناس غبروا يقرؤون في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه نيِّفاً وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان ، ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ، ففزع الحجّاج بن يوسف الثقفي إلى كتّابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات ، فيقال : إن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط أفراداً وأزواجاً وخالف بين أماكنها ، فغبر الناس بذلك زماناً لا يكتبون إلا منقوطاً ، فكان مع استعمال النقط أيضاً يقع التصحيف ، فأحدثوا الإعجام ، فكانوا يتبعون النقط الإعجام ، فإذا أغفل الاستقصاء عن الكلمة فلم توفَّ حقوقها اعترى التصحيف ، فالتمسوا حيلة ، فلم يقدروا فيها إلا على الأخذ من أفواه الرجال بالتلقين .

[حكى القاضي أبو الفرج المعافى في كتاب « الجليس والأنيس » قال : لما أراد الحجاج بن يوسف الخروج من البصرة إلى مكة شرّفها الله تعالى خطب الناس فقال : يا أهل البصرة ، إني أريد الخروج إلى مكة ، وقد استخلفت عليكم محمداً ابني وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأنصار ، فإنه أوصى أن يُقبَل من محسنهم ويُتجاوَزَ عن مسيئهم ، ألا وإني قد أوصيته فيكم أن لا يَقبل من محسنكم ولا يَتجاوز عن مُسيئكم ؛ ألا وإنكم قائلون بعدي كلمة ليس يمنعكم من إظهارها إلا الخوف : لا أحسنَ اللهُ له الصحابة ، واني معجّل لكم الجواب : لا أحسن الله عليكم الخلافة][2] .

[1] التصحيف : ١٣ .
[2] هذه الفقرة من ص ر .

[قال أبو العباس المبرد[1] في إسناد ذكره آخره عبد الملك بن عمير الليثي قال : بينا نحن في المسجد الجامع بالكوفة وأهل الكوفة يومئذ ذوو حال حسنة يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه إذ أتانا آت فقال : هذا الحجاج ابن يوسف قد قدم أميراً على العراق ، فإذا به قد دخل المسجد متعمماً بعمامة غطى بها أكثر وجهه متقلداً سيفاً متنكباً قوساً يؤمّ المنبر، فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم ، فقال الناس بعضهم لبعض : قبّح الله بني أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق ، قال عمير بن ضابىء البرجمي : ألا أحصبه لكم ؟ فقالوا : أمهل حتى ننظر، فلما رأى عيون الناس إليه حسر اللثام عن فيه ونهض فقال :

أنا ابن جلا وطلاع الثنـــايا متى أضع العمامـــة تعرفوني

ثم قال : والله يا أهل الكوفة والعراق إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها ، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى ، وإن أمير المؤمنين نثر كنانته فعجم عيدانها فوجدني أمرّها عوداً وأصلبهـــا مكسراً ، فرماكم بي لأنكم طال ما أوضعتم في الفتنة واضطجعتم في مراقد الضلال ، والله لأحزمنكم حزم السَّلَمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل، فإنكم لكأهل ﴿قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباسَ الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ (النحل : ١١٢). والله إني ما أقول إلا وفيت ولا اهم إلا أمضيت ولا أخلق إلا فريت، وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة ، وإني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه ؛ يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين ، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين، سلام عليكم، فلم يقل أحد شيئاً ، فقال الحجاج : اكفف يا غلام ، ثم أقبل على الناس فقال : يسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئاً؟ هذا أدبُ ابن نهية ، أما والله لأؤدبنكم

[1] الكامل ١ : ٣٨٠ .

غير هذا الأدب أو لتستقيمن ، اقرأ عليهم يا غلام كتاب أمير المؤمنين ، فلما بلغ إلى قوله : سلام عليكم ، لم يبق أحد في المسجد إلا قال : وعلى أمير المؤمنين السلام ، ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يرعش كبراً فقال : أيها الأمير إني من الضعف على ما ترى ولي ابن هو أقوى على الأسفار مني أفتقبله بدلاً مني ؟ فقال الحجاج : نفعل أيها الشيخ ، فلما ولى قال له قائل : اتدري من هذا أيها الأمير ؟ قال: لا ، قال : هذا عمير بن ضابىء البرجمي الذي يقول أبوه في عثمان بن عفان :

همت ولم أفعل وكدت وليتني   تركت على عثمان تبكي حلائله

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولاً فوطىء بطنه فكسر ضلعين من أضلاعه ؛ فقال : ردوه ، فلما رُدّ قال له الحجاج : أيها الشيخ هلا بعثت إلى أمير المؤمنين عثمان رحمه الله تعالى بديلاً يوم الدار ؛ إن في قتلك أيها الشيخ لصلاحاً للمسلمين ، يا حرسي اضربنْ عنقه ؛ فجعل الرجل يضيق عليه أمره فيرتحل ويأمر وليه أن يلحقه بزاده ، ففي ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأسدي :

تجهز فإما أن تزور ابن ضابىء   عميراً وإما أن تزور المهلبا

وكان من قصة عمير بن ضابىء أن أباه ضابىء بن الحارث البرجمي وجب عليه حبس عند عثمان بن عفان رضي الله عنه وأدب ، وذلك انه كان استعار كلباً من قوم فأعاروه إياه ثم طلبوه منه وكان فحاشاً فرمى أمهم به ، فقال في بعض كلامه :

فأمكم لا تتركوها وكلبكم   فإن عقوق الوالدات كبير

فاضطغن على عثمان رضي الله عنه ما فعل، فلما دعي ليؤدَّب شد سكيناً في ساقه ليقتل بها عثمان رحمه الله فعثر عليه فأحسن أدبه ، ففي ذلك يقول : همت ولم أفعل][1] .

---

[1] انفردت النسخة د بالقطعة كلها الواقعة بين معقفين .

[ولما أسرف[1] الحجاج في قتل أسارى دير الجماجم وإعطاء الأموال ، بلغ ذلك عبد الملك فكتب إليه : أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك في الدماء وتبذير الأموال ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين لأحدٍ من الناس ، وقد حكم عليك في الدماء في الخطإ بالدية وفي العمد بالقود وفي الأموال بردّها إلى موضعها ثم العمل فيها برأيه ، وإنما أمير المؤمنين أمين الله وسيان عنده منع حق وإعطاء باطل ، فإن كنت أردت الناس لك فما أغناهم عنك وإن كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم ، وسيأتيك من أمير المؤمنين لين وشدة ، فلا يؤنسنك إلا الطاعة ولا يوحشنك إلا المعصية ، وظن بأمير المؤمنين كل شيء إلا احتمالك على الخطأ ، وإذا أعطاك الله الظفر بقوم فلا تقتلن جانحاً ولا أسيراً؛ وكتب في أسفل كتابه :

إذا أنت لم تترك أموراً كرهتها ... طلبت رضاي بالذي أنت طالبه
وتخشى الذي يخشاه مثلك هارباً ... إليّ فما قد ضيع الدّرّ حالبه
وإن ترَ مني غفلةً قرشيةً ... فيا ربما قد غصّ بالماء شاربه
وإن ترَ مني وثبةً أموية ... فهذا وهذا كله أنا صاحبه
فلا تأمنني والحوادثُ جمة ... فإنك مُجْزى بالذي أنت كاسبه
ولا تعدُ ما يأتيك مني وإن تعد ... يقوم بها يوم عليك نوادبه
ولا ترفعنْ للناس حقاً علمته ... ولا تفضبنْ ، فاللين للناسِ جانبه

فأجابه الحجاج : أما بعد ، فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفي في الدماء وتبذيري للأموال، ولعمري ما بلغت في عقوبة أهل المعصية ما هم أهله وما قضيت في أهل الطاعة ما استحقوه، فإن كان قتلي اولئك العصاة سرفاً وإعطائي اولئك المطيعين تبذيراً فليسوغني أمير المؤمنين ما سلف وليحدّ لي حدّاً أنتهي إليه إن شاء الله تعالى، ولا قوة إلا بالله، ووالله ما سلبت نعمة إلا بكفرها ولا تمت إلا بشكرها ، ولا أصبت القوم خطأ فأديهم ولا ظلمتهم فأقاد بهم ، ولا أعطيت إلا لك ولا قتلت إلا فيك ، وأما ما أتاني من أمريك فأبينهما عزة أعظمها محنة ،

... ...

[1] قارن بما في تهذيب ابن عساكر ٤ : ٦٧ ؛ وهذه القطعة واردة في د ص ر مع بعض اختلاف بينها.

وقد عبأت للعزة الجلاد وللمحنة الصبر ؛ وكتب في أسفل كتابه[1] :

إذا أنا لم أبغِ رضاك وأتقي أذاك فيومي لا تزولُ كواكبُهْ
وما لامرئٍ بعد الخليفة جُنَّةٌ تقيه من الأمر الذي هو كاسبه
أُسالمُ مَنْ سالمتَ من ذي هوادةٍ ومن لم تسالمه فإني محاربه
إذا قارف الحجاجُ منك خطيئةً فقامتْ عليه في الصباح نوادبه
إذا أنا لم أُدن الشفيق لصنعه وأُقصِ الذي تسري إليَّ عقاربه
فقف لي على حدّ الرضى لا أجوزُهُ مدى الدهر حتى يرجع الدَّرّ حالبه
وإلا فدعني والأمورَ فإنني شفيقٌ رقيق أحكَمته تجاربه

فلما قرأ عبد الملك كتابه قال : خاف أبو محمد صولتي ولن أعود إلى ما يكره] .

[وذكر حماد الراوية أن الحجاج سهر ليلة بالكوفة فقال لحرسه : ايتني بمحدث من المسجد ، فأتاه بسبرة بن الجعد ، فدخل وسلَّم بلسان ذلق وقلب شديد ، فقال له الحجاج : ممن الرجل ؟ قال : من بني شيبان ، قال : ما اسمك ؟ قال : سبرة بن الجعد ، قال : يا سبرة ، قرأت القرآن ؟ قال : قد جمعتُه في صدري ، فإن عملتُ به فقد حفظته وإن خالفتُه فقد ضيعته ، فاتخذه الحجاج سميراً ، فما كان يتطلب شيئاً من الحديث إلا وجد عنده منه . وكان يرى رأي الخوارج ، وكان من أصحاب قطري بن الفجاءة المزني التميمي ، والفجاءة أمه ، وكانت من بني شيبان ، وإنما هو رجل من تميم . وكان قطري يومئذ يحارب المهلب ، فبلغ قطرياً ما كان من سبرة مع الحجاج ، فكتب إليه من جملة قصيدة :

لشتّان ما بين ابن جعد وبيننا

فلما قرأ كتابه بكى وركب فرسه وأخذ سلاحه ولحق بقطري ؛ وطلبه الحجاج فلم يقدر عليه ولم يرع الحجاج إلا وكتاب فيه شعر قطري الذي كان كتب به

. . . .

[1] هذه الأبيات لم ترد إلا في النسخة ر .

إليه وفي أسفل الكتاب أبيات من جملتها :

فمن مبلغ الحجاج أن سميره   قلى كل دين غير دين الخوارج

فطرح الكتاب إلى عنبسة بن سعيد وقال : هذا من سميري الشيباني وهو [خارجي] ولا نعلم به .

قال القاضي أبو الفرج المعافى : حدث العتبي قال : كانت امرأة من الخوارج يقال لها فراشة ، وكانت ذات نية في رأي الخوارج تجهز أصحاب البصائر ولم يظفر بها ، وكان الحجاج يدعو الله أن يمكنه منها أو من بعض من جهزته فراشة ، فمكث ما شاء الله ثم جيء برجل فقيل له : هذا ممن جهزته فراشة ، فخر ساجداً ثم رفع رأسه فقال : يا عدو الله ، قال : أنت أولى بها يا حجاج ، قال : أين فراشة ؟ قال : مرت تطير منذ ثلاث ، قال : أين تطير ؟ قال : ما بين السماء والأرض، قال : أعَنْ تلك سألتُك عليك لعنة الله ؟ قال : عن تلك أخبرتُك عليك غضب [الله] ، قال : سألتك عن المرأة التي جهزتك وأصحابك، قال : وما تصنع بها ؟ قال : أضرب عنقها ، قال : ويلك يا حجاج ما أجهلك، أدلك وأنت عدو الله على من هو ولي الله ؟ لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين، قال : فما رأيك في أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : على ذلك الفاسق لعنة الله ولعنة اللاعنين ، قال : ولمَ ، لا أمَّ لك ؟ قال : إنه أخطأ خطيئة طبقت ما بين السماء والأرض ، قال : وما هي ؟ قال : استعماله إياك على رقاب المسلمين ، فقال لجلسائه : ما رأيكم فيه ؟ قالوا : نرى أن تقتله قتلة لم يُقتل مثلها أحد ، قال : ويحك يا حجاج ، جلساء أخيك أحسن مجالسة من جلسائك ، قال : وأي أخويّ تريد ؟ قال : فرعون حين شاور في موسى فقالوا : ارجئه وأخاه، وأشار هؤلاء عليك بقتلي ، قال : فهل جمعت القرآن ؟ قال : ما كان مفرقاً فأجمعه ، قال : أقرأته ظاهراً ؟ قال : معاذ الله بل قرأته وأنا أنظر إليه ، قال : فكيف تراك تلقى الله إن قتلتك ؟ قال : ألقاه بعملي وتلقاه بدمي ، قال : إذن أعجلك إلى النار ، قال : لو علمت أن ذلك إليك أحسنت عبادتك واتقيت عذابك ولم أبغِ خلافك ومناقضتك ، قال : إني قاتلك ، قال : إذن

أخاصمك لأن الحكم يومئذ إلى غيرك ، قال : نقمعك عن الكـــلام السيء ؛ يا حَرَسيّ اضرب عنقه ، وأومأ إلى السياف ألا تقتله ، فجعل يأتيه من بين يديه ومن خلفه ويروعه بالسيف ، فلما طال ذلك رشح جبينه ، قال : جزعت من الموت يا عدو الله ؟ قال : لا يا فاسق ولكن أبطأت علي بما فيه راحــة ؛ قال : يا حرسي، أوجب جرحه ، فلما أحس بالسيف قال : لا إله إلا الله ، والله لقد أتمها ورأسه في الأرض .

وقال القاضي[1] : لما حمل الأسرى إلى الحجاج وهو حينئـذ بواسط القصب قبل أن يبني مدينة واسط قال لحاجبه : قدم إلي سيدهم فيروز بن الحصين ، فقال له الحجاج : أبا عثمان ما أخرجك مع هؤلاء ؟ قال : فتنة عمت الناس ، فقال : اكتب لي أموالك ، قال: ثمّ ماذا ؟ قال: اكتبها أولاً ، قال: ثم أنا آمن على دمي؟ قال : اكتبها ثم أنظر ، قال : اكتب يا غلام ، ألف ألفي ألف ، حتى ذكر مالاً كثيراً ، فقال الحجاج : أين هي وعند من هي ؟ قـــال : لا والله لا جمعت بين مالي ودمي ، فأمر الحجاج فعذب بأنواع العذاب ، وكان من جملة ما عذب به أن يشد عليه القصب الفارسي المشقوق ثم يجر حتى يجرّح جســده ثم ينضح عليه الخلّ والملح ؛ فلما احس بالموت قال : إن النـــاس لا تشكنّ أني قُتلت ولي ودائع وأموال عند الناس لا تؤدى إليكم أبداً ، فأظهروني للنـــاس ليعلموا أني حي فيؤدوا المال ، فأخْرج فصاح في الناس : من عرفني فقد عرفني؛ أنا فيروز ، إن لي عند أقوام مالاً فمن كان لي عنده شيء فهو له وهو منـه في حل فلا يؤدين أحد منه درهماً ، ليُبلغِ الشاهد الغائب؛ فأمر به الحجاج فقـُتل.

وجلس الحجاج يوماً لقتل أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس، فقام رجل منهم فقال : أصلح الله الأمير، إن لي عليك حقاً ، قال : وما حقك ؟ قال : سبّك عبد الرحمن يوماً فرددت عليه ، فقال : من يعلم ذلك ؟ قـــال : أنشد الله رجلاً سمع ذلك إلا شهد به ، فقام رجل من الأسرى فقال : قد كان ذاك أيها الأمير ، قال : خلوا عنه ، ثم قال للشاهد : فما منعك أن تنكر كما أنكر ؟ قال : لقديم بغضي إياك ، قال : ولنخلّ عنه لصدقه .

[1] أوردت نسخة ر قبل هذه القصة حديث الحجاج مع الغضبان بن القبعثري .

قال أبو الحسن المدائني : لما ظفر الحجاج بأصحاب ابن الأشعث ، جلس لضرب أعناقهم عامة النهار، فأتي آخرهم برجل من بني تميم قال له : والله يا حجاج لئن كنا قد اسأنا في الذنب لَما أحسنتَ في العقوبة ، فقال الحجاج : أُف لهذه الجيف أما فيها رجل يحسن مثل هذا ؟ وعفا عنه[1] .

ولما حضر الشعبي بين يدي الحجاج سلم بالإمرة ثم قال : أيها الأمير ، إن الناس قد أمروني أن أعتذر إليك لغير ما يعلم الله أنه الحق ، وايم الله لا أقول في هذا المقام إلا حقاً ، قد والله خرجنا عليك واجتهدنا كل الجهد فما ألَوْنا فما كنا بالفجرة الأقوياء ولا البررة الأتقياء ، ولقد نصرك الله علينا وظفّرك بنا ، فإن سطوت فبذنوبنا وما جرت إلينا أيدينا، وإن عفوتَ عنا فبحلمك وبعد الحجة لك علينا ، فقال له الحجاج : أنت والله أحب إليَّ ممن يدخل علي يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول ما فعلتُ وما شهدتُ ؛ قد أمنتَ عندنا يا شعبي، فانصرف[2].

وقال الشعبي : سمعت الحجاج تكلم بكلام ما سبقه إليه أحد ، يقول : أما بعد ، فإن الله كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ، فلا يغرّنّك شاهد الدنيا عن غائب الآخرة واقهروا طول الأمل بقصر الأجل .

وكان إبراهيم النخعي هارباً من الحجاج مدة أيامه ثم ظهر بعده فقيل له : أين كنت ؟ قال : بحيث يقول الشاعر :

عوى الذئبُ فاستأنستُ بالذئب إذ عوى وصوّتَ إنسانٌ فكدتُ أطيرُ

وذكر الحسن بن محمد بن هلال الصابىء أن الحجاج انفرد يوماً عن عسكره فمر برجل يسقي ضيعة له ، فقال له : كيف حالكم مع أميركم ؟ فقال : لعنه

---

١ ورد بعد هذا الموضع في النسخة ر : وأتي الحجاج بامرأة من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه، فقيل: الأمير يكلمك وأنت لا تنظرين إليه ، قالت : إني أستحيي أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه .

٢ وردت هذه القصة عن الشعبي في النسخة د على نحو مغاير وهي هنالك متفقة مع ما جاء في تهذيب ابن عساكر ٧ : ١٥٠ - ١٥١ .

الله ، المبيد المبير الحقود ، عجل الله الانتقام منه ، فقال له : تعرفني ؟ قال : لا والله ، قال : أنا الحجاج ، فرأى الرجل أن دمه قد طاح فرفع عصاً كانت معه وقال : أتعرفني ؟ أنا أبو ثور المجنون ، وهذا يوم صرعي ، وأزبد وأرغى وهاج وأراد أن يضرب رأسه بالعصا ، فضحك منه وانصرف .

وكان الحجاج كثيراً ما يسأل القراء ، فدخل عليه يوماً رجل فقال له : ما قبل قوله تعالى ﴿ أمّن هو قانت آناء الليل ﴾ (الزمر : ٩) فقال : ﴿ قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار ﴾ قال : فما سأل أحداً بعدها .

وخطب في يوم جمعة فأطال الخطبة ، فقام إليه رجل فقال : إن الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك ، فأمر به إلى الحبس ، فأتاه آل الرجل فقالوا : إنه مجنون ، فقال : إن أقر على نفسه بما ذكرتم خليت سبيله ، فقال الرجل : لا والله لا أزعم انه ابتلاني وقد عافاني .

وممن هرب من الحجاج محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي ، وكان يشبب بزينب بنت يوسف أخت الحجاج وهو الذي يقول :

تضوَّع مسكاً بطن نعمان أن مشت ... به زينب في نسوةٍ عطرات

فلما أُتي به الحجاج قال : والله أيها الأمير إن قلتُ إلا خيراً ، إنما قلت :

يخضّبن أطرافَ البَنان من التُّقى ... ويخرجن شَطرَ الليل معتجرات

قال : فأخبرني عن قولك :

ولما رأت ركبَ النميريّ أعرضتْ ... وكنَّ منَ أن يَلقَينَه حذرات

ما كنتم ؟ قال : كنت على حمار هزيل ومعي صاحب على اتان مثله ، فعفا عنه .

ولما قتل الحجـــاج عبدَ الله بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء والعويل ، فأمر الحجاج بالناس فجُمعوا إلى المسجد ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل مكة ، بلغني بكاؤكم واستفظاعكم قتلَ عبد الله بن الزبير ، ألا وإن ابن الزبير كان من أحبار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة ونازع فيها أهلهـا وخلع

طاعة الله واستكنّ إلى حرم الله ، ولو كان شيء مانعاً للقضاء لمنعت آدمَ حرمةُ الجنة لأن الله تعالى خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته واباحه جَنَّتَه ، فلما كان منه ما كان أخرجه من الجنة بخطيئته ، وآدمُ أكرم على الله من ابن الزبير ، والجنة أعظم حرمة من الكعبة ، فاذكروا الله يذكركم ، ونزل .

قال مالك بن دينار : ربما سمعت الحجاج يذكر ما صنع به أهل العراق وما صنع بهم فوقع في نفسي أنهم يظلمونه لبيانه وحسن تخلصه للحجج .

قال القاضي المعافى بن زكريا في كتاب « الجليس والأنيس » : حدث الزبير ابن بكار عن الزهري قال : لما ولي الحجاج بن يوسف الحرمين بعد قتل عبد الله ابن الزبير استحضر إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقرّبه في المنزلة ، فلم يزل على حاله عنده حتى خرج إلى عبد الملك زائراً له فخرج معه فعادله لا يترك في بره وإجلاله وتعظيمه شيئاً ، فلما حضر باب عبد الملك حضر به معه ، فلما دخل على عبد الملك لم يبدأ بشيء بعد السلام إلا أن قال : قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز لم أدع له والله فيها نظيراً في كمال المروءة والأدب والرئاسة والديانة والستر وحسن المذهب والطاعة والنصيحة مع القرابة ووجوب الحق ، إبراهيم ابن طلحة بن عبيد الله ، وقد أحضرته بابك ليسهل عليه إذنك وتلقاه ببشرك وتفعل به ما يُفعل بمثله ممن كانت مذاهبه مثل مذاهبه ، فقال عبد الملك : ذكرتنا حقاً واجباً ورحماً قريبة ؛ يا غلام ايذن لإبراهيم بن طلحة ، فلما دخل قرّبه حتى أجلسه على فراشه ثم قال له : يا ابن طلحة إن أبا محمد أذكرنا ما لم نزل نعرفك به من الفضل والأدب وحسن المذهب مع قرابة الرحم ووجوب الحق ، فلا تدعنَّ حاجة من خاصّ أمرك ولا عامه إلا ذكرتها ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن أولى الامور أن تفتح بها الحوائج وترجى بها الزلف ما كان لله عز وجل رضًى ولحقّ نبيّه صلى الله عليه وسلم أداء ولك فيه ولجماعة المسلمين نصيحة ، وان عندي نصيحة لا أجد بدّاً من ذكرها ولا يكون البوح بها إلا وأنا خالٍ فأخلِني تردْ عليك نصيحتي ، قال : دون أبي محمد ؟ قال : نعم . قال : قم يا حجاج ، فلما جاوز الستر قال : قل يا ابن طلحة نصيحتك ، قال : الله يا أمير المؤمنين ، قال : الله ، قال : إنك عمدت إلى الحجاج مع تغطرسه وتعجرفه

وبعده عن الحق وركونه إلى الباطل فوليته الحرمين وفيهما من فيهما وبهما من بهما من المهاجرين والأنصار والموالي المنتسبة الأخيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبناء الصحابة يسومهم الخسف ويقودهم العسف ويحكم فيهم بغير السنّة ويطؤهم بطغام من أهل الشام ورعاع لا رويّة لهم في إقامة حق ولا إزاحة باطل ، ثم ظننت أن ذلك فيما بينك وبين الله ينجيك وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلصك إذا جاثاك للخصومة في أمته ؟ أما والله لا تنجو هناك إلا بحجة تضمن لك النجاة فأبق على نفسك أو دَعْ ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته ، فاستوى عبد الملك جالساً وكان متكئاً فقال : كذبت لعمر الله ومنت ولؤمت فيما جئت به ، قد ظن بك الحجاج ما لم يجده فيك وربما ظن الخير لغير أهله ، قم فأنت الكاذب المائن الحاسد ، قال : فقمت والله ما أبصر طريقاً ؛ فلما خلفت الستر لحقني لاحقٌ من قبله فقال للحاجب : احبس هذا الرجل وأدخل أبا محمد الحجاج ، فلبثت ملياً وأنا لا أشك أنهما في أمري ، ثم خرج الآذن فقال : قم يا ابن طلحة فادخل ، فلما كشف لي الستر لقيني الحجاج وأنا داخل وهو خارج ، فاعتنقني وقبّل ما بين عينيّ ثم قال : إذا جزى الله المتآخيين بفضل تواصلهما فجزاك الله أفضل ما جزى به أخاً ، فوالله لئن سلمت لك لأرفعنّ ناظرك ولأعلين كعبك ولأتبعن الرجال غبار قدميك ، قال : فقلت : يهزأ بي ، فلما وصلت إلى عبد الملك أدناني حتى أجلسني في مجلسي الأول ثم قال : يا ابن طلحة لعلّ أحداً من الناس شاركك في نصيحتك ، قال : قلت : لا والله ولا أعلم أحداً كان أظهر عندي معروفاً ولا أوضح يداً من الحجاج ، ولو كنت محابياً أحداً بديني لكان هو ولكني آثرت الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، ولو أردت الدنيا لكان لي في الحجاج أمل ، فقال : قد علمت ذلك ، وقد أزلت الحجاج عن الحرمين لما كرهت من ولايته عليهما وأعلمته أنك استنزلتني له عنهما استصغاراً ووليته العراقين لما هناك من الأمور التي لا يرحضها إلا مثله وأعلمته أنك استدعيتني إلى التولية له عليهما استزادة له ليلزمه من ذمامك ما يؤدي به عني إليك أجر نصيحتك ، فاخرج معه فإنك غير ذامٍّ صحبته مع تقريظه إياك ويدك عنده ، قال :

فخرجت على هذه الجملة] .

[وروي عن محمد بن المنتشر بن الأجدع الهمداني قال: دفع إلي الحجاج ازارمرد ابن الهربذ وأمرني أن أستخرج منه وأغلظ عليه ، فلما انطلقت به قال لي : يا محمد إن لك شرفاً وديناً وإني لا أعطي على القسر شيئاً وارفق بي ، قال : ففعلت ، فأدى إليّ في أسبوع خمسمائة ألف ؛ قال : فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه فانتزعه من يدي ودفعه إلى رجل كان يتولى له العذاب فدقّ يديه ورجليه فلم يعطهم شيئاً ؛ قال محمد بن المنتشر : فإني لأمرّ يوماً في السوق فإذا به معروضاً على حمار مدقوق اليدين والرجلين ، فخفت الحجاج إن أتيته وتذممت فملت إليه فقال لي : إنك وليت مني ما ولي هؤلاء فأحسبت وإنهم صنعوا بي ما ترى ولم أعطهم شيئاً ، وهاهنا خمسمائة ألف درهم عند فلان فخذها فهي لك ، قال : فقلت : ما كنت لآخذ منك على معروفي أجراً ولا لأرزأك على هذه الحال شيئاً، قال : فأما إذ أتيت فاستمع أحدثك ؛ حدّثني بعض أهل دينك عن نبيك صلى الله عليه وسلم قال : إذا رضي الله عن قوم أمطرهم المطر في حينه ، وجعل المال عند سمحائهم واستعمل عليهم خيارهم ، وإذا سخط عليهم استعمل عليهم شرارهم ، وجعل المال عند بخلائهم وأمطرهم المطر في غير حينه ؛ قال : فانصرفت فما وضعت ثوبي حتى أتاني رسول الحجاج فأمرني بالمصير إليه ، فألفيته جالساً على فرشه والسيف منتضى بين يديه ، فقال : ادنُ ، فدنوتُ شيئاً ، ثم قال : ادنُ ، فدنوت شيئاً ، ثم صاح الثالثة : ادنُ لا ابا لك ، فقلت : والله ما بي إلى الدنوّ من حاجة وفي يد الأمير ما أرى ، فأضحك الله سنه وأغمد عني سيفه فقال لي : اجلس ، ما كان من حديث الأمس ؟ فقلت : والله أيها الأمير ما غششتك منذ استنصحتني ولا كذبتك منذ استخبرتني ولا خنتك منذ ائتمنتني ، ثم حدثته الحديث ، فلما صرت إلى ذكر الرجل الذي عنده المال أعرض عني بوجهه وأومأ إليّ بيده ثم قال : لا تتمه ، ثم قال : إن للخبيث نفساً وقد سمع الأحاديث .

ويقال : كان الحجاج إذا استغرب ضاحكاً والى بين الاستغفار ، وإذا صعد المنبر تلفع بمطرفه ثم تكلم رويداً فلا يكاد يُسمع ثم يتزيد في الكلام حتى يخرج

يده من مطرفه ويزجر الزجرة فيفزع بها من في أقصى المسجد ؛ وكان يطعم كل يوم على ألف مائدة على كل مائدة ثريد وطرف من شواء وسمكة طرية ويطاف به في محفة على تلك الموائد ليتفقد أمور الناس ، وعلى كل مائدة عشرة ، ثم يقول : يا أهل الشام اكسروا الخبز لئلا يعود عليكم ؛ وكان له ساقيان أحدهما يسقي الماء والعسل والآخر يسقي اللبن .

ولما دخل الحجاج إلى مكة اعتذر إلى أهلها لقلة ما وصلهم به ، فقال قائل منهم : إنا والله لا نعذرك وأنت أمير العراقين وابن عظيم القريتين ، وذلك أن عروة بن مسعود ولده من قِبَل أمه ، والقريتان مكة والطائف .

أمر الحجاج ابن القِرِّيّة أن يأتي هند بنت أسماء فيطلقها بكلمتين ويمتعها بعشرة آلاف درهم ، فأتاها فقال لها : إن الحجاج يقول لك كنت فبنت ، وهذه عشرة آلاف درهم متعة لك ، فقالت : قل له كنا فما حمدنا وبنّا فما ندمنا ، وهذه الدراهم مشاركتك إياي بطلاقي[1]] .

[ووفد الحجاج على الوليد بن عبد الملك في خلافته فوجده في بعض نزهه فاستقبله ، فلما رآه ترجل له وقبّل يده وجعل يمشي وعليه درع وكنانة وقوس عربية ، فقال له الوليد : اركب أبا محمد ، فقال : يا أمير المؤمنين دعني أستكثر من الجهاد في خدمتك فإن ابن الزبير وابن الأشعث شغلاني عنه ، فعزم عليه الوليد حتى ركب . ودخل الوليد داره فتغلل في غلالة ثم أذن للحجاج فدخل في حاله تلك وأطال الجلوس عنده إذ جاءت جارية فساررته وانصرفت ، فقال الوليد للحجاج : أتدري ما هذا أبا محمد ؟ قال : لا والله ، قال : بعثت ابنة عمي أم البنين بنت عبد العزيز تقول : ما مجالستك هذا الأعرابي المستلئم في السلاح وأنت في غلالة ، فأرسل إليها إنه الحجاج ، فراعها ذلك وقالت : والله ما أُحب أن يخلو بك وقد قتل الخلق ، فقال الحجاج : يا أمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول ، فإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ، فلا تطلعهن على سرك ولا مكايدة عدوك ولا تطمعهن في غير أنفسهن ولا تشغلهن بأكثر من

[1] قوله : وروي عن محمد بن المنتشر حتى قوله « بطلاقي » : انفردت بهذا النص كله النسخة د .

زينتهن وإياك ومشاورتهن ، وأكثَرَ من ذلك . ثم نهض الحجاج فخرج ودخل الوليد على أم البنين فأخبرها بمقالة الحجاج فقالت : أُحب أن تأمره غـــداً بالتسليم علي ، قال : أفعل . فلما غدا الحجاج على الوليد قال له : يا أبا محمد صر إلى أم البنين فسلـّم عليها ، فقال : اعفني من ذلك يا أمير المؤمنين ، قال : لا بدَّ منه ؛ فمضى الحجاج إليها فحجبته طويلاً ثم أذنت له وتركته قائماً ولم تأذن له في الجلوس ثم قالت : إيه يا حجاج ، أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الأشعث ؟ أما والله لولا أن الله علم أنك أهون خليقته مـــا ابتلاك برمي الكعبة وقتل ابن ذات النطاقين ؛ فأما ابن الأشعث فقد والله والى عليك الهزائم حتى لذت بأمير المؤمنين عبد الملك فأغاثك بأهل الشام وأنت في أضيق من القرن فأظلتك رماحهم ولطالما نفض نساء أمير المؤمنين المسك عن غـَدائرهن وبعنه في الأسواق حتى أخرج في أرزاق البعوث إليك ، ولولا ذلك لكنت أذل من البقة ، وأما ما أشرت به على أمير المؤمنين من ترك لذاته والامتناع عن بلوغ أوطاره من نسائه فإنه غير قابل منك ولا مصغٍ إلى نصيحتك ، فإن كنّ يفرجن عن مثلك فما أولاه بالقبول منك ؛ ثم قالت لجواريها : أخرجوه عني ، فدخل على الوليد من فوره فقال : يا أبا محمد ، ما كنت فيه ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما سكتت حتى كان بطن الأرض أحب إلي من ظهرها ، فضحك الوليد حتى فحص برجليه ثم قال : يا أبا محمد انها ابنة عبد العزيز .

وقيل إن أم البنين المذكورة كانت تهوى وضاح اليمن الشاعر ، وكان جميلاً ، وكانت ترسل إليه فيدخل إليها ويقيم عندها ، وإذا خافت وارته في صندوق عندها وأقفلت عليه ؛ وهو القائل :

حتّامَ نكتم حزننـا حتـّاما وعلامَ نستبقي الدموع علاما

يا ربّ أمتعني بطول بقائهـــا واجبر بها الأرمال والأيتامـا

قد أصبحت أم البنين مريضة تخشى وتشفق أن يكون حِماما

فدخل الخادم إليها مفاجأة فرأى وضاحاً عندها فأدخلتـــه الصندوق وأقفلت عليه ، فطلب منها الخادم حجراً نفيساً كان يعرفه عندها فمنعته إياه بخلاً به ،

فمضى وأخبر الوليد بالحال ، فقالت له : كذبت يا ابن الفاعلة ، ثم جاء الوليد إلى أم البنين فدخل وهي جالسة في ذلك البيت تمشط رأسها ، وكان الخادم قد وصف له الصندوق، فجلس الوليد فوقه ثم قال : يا أم البنين ما أحب هذا البيت إليك دون البيوت ، فلمَ اخترته ؟ قالت : لأنه يجمع حوائجي كلها فأنا أتناولها منه من قريب ، فقال : هبي لي صندوقاً من هذه الصناديق ، فقالت : كلها بحكمك يا أمير المؤمنين ، فقال : إنما أريد واحداً منها ، فقالت : خذ أيها شئت ، فقال : هذا الصندوق الذي تحتي ، فقالت : غيره أحب إليك منه فإن لي فيه أشياء أحتاج إليها ، فقال : ما اريد سواه ، فقالت : خذه ، فدعا بالخدم وأمرهم بحمله حتى انتهى إلى مجلس فوضعه فيه ثم دعا عبيداً له عجماً وأمرهم بحفر بئر في المجلس فحفرت إلى الماء ، ثم دعا بالصندوق فوضعه على شفير البئر ودنا منه وقال : يا صاحب الصندوق إنه بلغنا شيء إن كان حقاً فقد دفنّاك ودفنّا ذكرك إلى آخر الدهر ، وإن كان باطلاً فإنما دفنّا الخشب وما أهون ذلك . ثم قذف به في البئر وهيل عليه التراب وسويت الأرض ورد البساط عليه ، فما رُؤي الوضاح بعد ذلك اليوم ولا أبصرت أم البنين في وجه الوليد غضباً حتى فرق الموت بينهما .

وقيل : حضر بساط الحجاج رجل تعيّن عليه القتل وحضر أهل القود بحضوره ، فلما فرش النطع وسل السيف اتفق أن ملأ عينه في حاله تلك فرأى بريق السيف ولمعان برق فاستنظر ثم أنشد مرتجلا :

تألّق البرق من نجد فقلت له   يا أيها البرق إني عنك مشغول
يكفيك ما قد ترى من ثائر حنق   في كفه كصبيب الماء مسلول

فلما رأى الحجاج ما كان من حضور ذهنه وجودة شعره عطف عليه إشفاقاً له وعرض على طالبيه أن يؤدي عنه ديته ، فجعلوا يأبون وجعل يتولج في تحليل القصة ويتدرج في تنفيس الدية حتى بذل لهم دية ملك ، فلما أبوا وعتوا قال لحرسه : فكوا قيده وخلوا سبيله فإن من لم ينسَ أحبته في هذا المقام لجدير أن لا يُقتل .

وقيل : أخذ الحجاج أعرابياً سَرَق فأمر بضربه فضُرب ، فكلما ضربه بالسوط قال : اللهم شكراً ، فأتاه ابن عم له وقال : والله ما دعا الأمير إلى التمادي في ضربك إلا لكثرة شكرك لأن الله تعالى يقول : ﴿ ولئن شكرتم لأزيدنّكم ﴾ (إبراهيم : ٧) فأمر بإطلاقه .

وحدث[1] محمد بن القاسم الأنباري عن المدائني عن مولى لعنبسة بن سعيد بن العاص قال : كنت أدخل مع عنبسة إذا دخل على الحجاج ، فدخل يوماً ودخلت معه وليس عند الحجاج أحد غير عنبسة فقعدت ، فجيء الحجاج بطبق رطب فأخذ الخادم منه شيئاً فجاءني به ، ثم جيء بطبق آخر فأتاني الخادم منه بشيء ، ثم جيء بطبق آخر حتى كثرت الأطباق ، وجعل لا يأتون بشيء إلا جاءني منه بشيء حتى ظننت أن ما بين يديّ أكثر مما عندهم ؛ ثم جاء الحاجب فقال : امرأة بالباب ، فقال الحجاج : أدخلها ، فدخلت ، فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننت أن ذقنه قد أصاب الأرض ، فجاءت حتى قعدت بين يديه ، فنظرتُ فإذا امرأة حسنة الخلق ومعها جاريتان لها فإذا هي ليلى الأخيلية ، فسألها الحجاج عن نسبها فانتسبت له ، فقال لها : يا ليلى ما الذي أتى بك ؟ قالت : إخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد وكنتَ لنا بعد الله الرفد ، فقال لها : صفي لنا الفجاج ، فقالت : الفجاج مغبرّة والأرض مقشعرّة والمبرك معتلّ وذو العيال مختلّ والهالك للقلّ والناس مسنتون ، رحمةَ الله يرجون ، قد أصابتنا سنون مجحفة مبلطة لم تدع لنا هُبَعاً ولا رُبَعاً ولا عافطة ولا نافطة ، أذهبت الأموال ومزقت الرجال وأهلكت العيال ؛ ثم قالت : إني قلت في الأمير قولاً ، قال : هاتي ، فأنشأت تقول :

أحجاج لا يفلل سلاحك إنما الـ ... منايا بكفّ الله حيث يراها
أحجاجِ لا تعطي العداة مُناهمُ ... ولا الله يعطي للعداة مُناها
إذا نزل الحجاج أرضاً مريضة ... تَتَبّعَ أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها ... غلام إذا هزّ القناة سقاها

[1] انظر أمالي القالي ١ : ٨٥ .

سقاها فرو‌اهــا بشرب سجاله دماء رجال حيث مال حشاها
إذا سمع الحجاج ذكر كتيبــة أعدّ لهــا قبل النزول قراها
أعدّ لهــا مسمومة فارسية بأيدي رجــال يحلبون صراها
فما ولد الأبكار والعون مثله ببحرٍ ولا أرض يجف ثراهــا

قال : فلما قالت هذا البيت قال الحجاج : قاتلها الله ، والله ما أصاب صفتي شاعر منذ دخلت العراق غيرها ، ثم التفت إلى عنبسة بن سعيد فقال : والله إني لأعدّ للأمر عسى أن لا يكون أبداً ، ثم التفت إليها فقال : حسبك ويحك ، ثم قال : يا فلان ، اذهب بها إلى فلان فقل له : اقطع لسانها ، فأمر بإحضار حجّام ، فقالت : ثكلتك أمك ، أما سمعت ما قال ؟ إنما أمرك بقطع لساني بالبر والصلة، فبعث إليه فاستشاط الحجاج غضباً وهمّ بقطع لسانه فقال: ارددها، فلما دخلت عليه قالت : كاد والله أيها الأمير يقطع مقولي ، ثم أنشأت تقول :

حجاج أنت الذي ما فوقه أحدُ إلا الخليفــة والمستغفَر الصمدُ
حجاج أنت شهاب الحرب إن لقحت وأنت للناس نور في الدجى يقدُ

ثم أقبل الحجاج على جلسائه فقال : أتدرون من هذه ؟ قالوا : لا والله أيها الأمير ، إلا أننا لم نرَ امرأة قط أفصح منها لساناً ولا أحسن محاورة ولا أملح وجهاً ولا أرصن شعراً منها ، قال : هذه ليلى الأخيلية التي مات توبة الخفاجي من حبها ، ثم التفت إليها فقال : أنشدينا يا ليلى بعض ما قال فيكِ توبة ، فقالت : نعم أيها الأمير ؛ هو الذي يقول :

حمامــةَ بطنِ الواديين ترنّمي سقاكِ من الغرّ الغوادي مطيرها
أبيني لنا لا زال ريشكِ ناعمــاً ولا زلتِ في خضراء غضٍّ نضيرها
وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى تبرقعت فقد رابني منها الغداةَ سفورها
يقول رجالٌ : لا يَضيرك نأيُها بلى، كلُّ ما شفّ النفوسَ يضيرها
بلى قد يضير العينَ أن تُكثرَ البكا ويُمنَعَ منها نومهــا وسرورها
وقــد زعمت ليلى بأنيَ فاجرٌ لنفسي تُقاها أو عليهــا فجورها

فقال الحجاج : يا ليلى ما رابه من سفورك ؟ قالت : أيها الأمير كان يلم بي كثيراً فأرسل إلي : آتيكِ ، ففطن الحي به فترصدوا له ، فلما أتاني سفرت ، فعلم أن ذلك لشر فلم يزد على التسليم والرجوع ، فقال : لله دركِ هل رأيتِ منه شيئاً تكرهينه ؟ قالت : لا والذي أسأله أن يصلحك ، غير أنه قال لي مرة قولاً ظننت أنه قد خضع لبعض الأمر فأنشأت أقول :

وذي حاجةٍ قلنا له لا تبح بها فليس إليها ما حييتَ سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونَهُ وأنت لأخرى صاحبٌ وخليلُ

لا والله الذي أسأله أن يصلحك ما رأيت منه شيئاً حتى فرق الموت بيننا ؛ قال : ثم مه ؟ قالت : ثم لم يلبث أن خرج في غزاة فأوصى ابن عمه : إذا أتيتَ الحاضر من بني عبادة فنادِ بأعلى صوتك :

عفا الله عنها هل أبيتنَّ ليلةً من الدهر لا يسري إليَّ خيالها

فخرجت وأنا أقول :

وعنه عفا ربي وأحسن حالَهُ فعزَّ علينا حاجةٌ لا ينالها

قال : ثم مه ؟ قالت : ثم لم يلبث ان مات ، فأتى ناعيه ؛ قال : فأنشدينا بعضَ مراثيكِ فيه ، فأنشدته :

لِتَبكِ العذارى من خفاجةَ نسوة بماء شؤونِ العبرةِ المتحدرِ

قال : فأنشدينا قولك فيه :

كأنّ فتى الفتيان توبةَ لم يُنِخْ قلائصَ يفحصن الحصى بالكراكرِ

فأنشدته ؛ فلما فرغت من القصيدة قال محصن الفقعسي — وكان من جلساء الحجاج — : من هذا الذي يقال هذا فيه ؟ فوالله إني لأظنها كاذبة ، فنظرت إليه ثم قالت : والله أيها الأمير إن هذا القائل لو رأى توبة لسره ألا يكون في داره عذراء إلا وهي حامل منه ، فقال الحجاج : هذا وأبيكَ الجواب وقد

كنتَ عنه غنياً ؛ ثم قال لها : سلي يا ليلى تعطَي، قالت : أعطِ فمثلك أعطى فأحسن ، قال : لك عشرون ، قالت : زِدْ فمثلك زاد فأجمل ، قال : لك أربعون ، قالت : زد فمثلك زاد فأفضل ، قال : لك ستون ، قالت : زد فمثلك زاد فأكمل ، قال : لك ثمانون ، قالت : زدْ فمثلك زاد فتمّم ، قال : لك مائة واعلمي يا ليلى أنها غنم ، قالت : معاذ الله أيها الأمير ، أنت أجود جوداً وأمجد مجداً وأورى زنداً من أن تجعلها غنماً ، قال : فما هي ويحك يا ليلى ؟ قالت : مائة ناقة برعائها ، فأمر لها بها ، ثم قال : ألك حاجة بعدها ؟ قالت : نعم أيها الأمير ، تدفع إليّ النابغة الجعدي في قيد ، قال : قد فعلت ، وقد كان يهجوها وتهجوه ، فبلغ ذلك النابغة فخرج هارباً عائذاً بعبد الملك بن مروان فاتبعته إلى الشام فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان فاتبعته على البريد بكتاب الحجاج إلى قتيبة فماتت بقومس ، وقيل بحلوان .

وكان الحجاج إذا سمع بنوح في دار هدمها ، فلما مات ابنه وأخوه حنّ إلى النوح ، وكان يعجبه أن يسمعه ، وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت :

هل ابنكِ إلا ابنٌ من الناس فاصبري ... فلن يُرْجِعَ الموتى حنينُ المآتم

وكان يتمثل بهذا البيت أيضاً وهو :

فإن تحتسب تؤجرْ وإن تبكه تكن ... كباكيةٍ لم يُحْيِ مَيْتاً بكاؤها][1]

وبالجملة فأخبار الحجاج كثيرة ، وشرحها يطول . وهو الذي بنى مدينة واسط وكان شروعه في بنائها في سنة أربع وثمانين للهجرة وفرغ منها في سنة ست وثمانين ، وإنما سماها واسط لأنها بين البصرة والكوفة فكأنها توسطت بين هذين المصرين؛ وذكر ابن الجوزي في كتاب « شذور العقود » المرتب على السنين أنه فرغ من بنائها في سنة ثمان وسبعين ، وكان قد ابتدأ من سنة خمس وسبعين، والله أعلم .

ولما حضرته الوفاة أحضر منجّماً فقال له : هل ترى في علمك ملكاً يموت ؟

[1] إلى هنا ينتهي هذا النص الطويل الذي انفردت به ص ر وشاركت في بعضه النسخة د .

قال : نعم ، ولستَ هو ، فقال : وكيف ذلك ؟ قال المنجّم : لأن الذي يموت اسمه كُلَيب ، فقال الحجاج : أنا هو والله ، بذلك كانت سمتني أُمي ، فأوصى عند ذلك .

ويشبه هذا[1] قول الداعي علي بن محمد بن علي الصليحي[2] – وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى – وهو الذي كان داعياً باليمن وملك البلاد اليمنية كلها وقهر ملوكها ، حتى قدّر الله انقضاء مدته ، فخرج من صنعاء إلى مكة على عزم الحج في سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة[3] ، حتى إذا كان بالمهجم ونزل بظاهرها بضيعة يقال لها أُم الدهيم وبئر أُم معبد أدركه فيها على حين غفلة سعيد بن نجاح الأحول الذي كان أبوه صاحب تهامة ، وقتله الصليحي وأخذ مملكته ، وهرب منه أولادُه سعيدٌ المذكور وإخوته ، وكان سعيد في قُلٍّ ممن تابعه حتى دخل مُخَيَّمَ الصليحي ، والناس يعتقدون أنه من جملة العسكر وحواشيه ، فلم يشعر بأمرهم إلا عبد الله بن محمد أخو الصليحي ، فركب وقال لأخيه : يا مولانا اركب ، فهو والله الأحول بن نجاحٍ ، والعدد الذي جاءنا به كتاب أسعد بن شهاب البارحة من زبيد ، فقال الصليحي لأخيه : طِبْ نفساً فإني لا أموت إلا بالدهيم وبئر أم معبد ، معتقداً أنها أُم معبد الخزاعية التي نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر ومعه أبو بكر رضي الله عنه – وهي بين مكة والمدينة مما يلي مكة بالقرب من الجُحفَة – فقال له بعض أصحابه : قاتل عن نفسك ، فوالله هذا هو بئر الدهيم بن عيسى ، وهذا المسجد موضع خيمة أُم معبد بن الحارث العبسي ، فأدركه لما سمع ذلك زَمَعُ اليأس من الحياة ، فلم يَرِمْ مكانه ، وقتل لوقته هو وأخوه وأهله ، وملك سعيد الأحول عسكره وملكه[4] .

(14) وهذا سعيد الأحول هو أخو الملك جياش المشهور الفاضل ، وأبوه نجاح

---

١ هذا الاستطراد لم يرد في المخطوطات التي اعتمدناها ، وإنما ثبت في المطبوعات، وسيذكر المؤلف طرفاً منه في ترجمة الصليحي فيما بعد .

٢ تجد تفصيلاً لأخباره في كتاب « الصليحيون » للهمداني وحسن محمود ٦٢ – ١١٢ .

٣ رجح مؤلفا كتاب « الصليحيون » أن وفاته كانت سنة ٤٥٩ ، وانظر تاريخ عمارة اليمني: ٥٥ .

٤ وردت هذه القصة في تاريخ عمارة : ٩٣ – ٩٤ .

الملك كان عبداً لمرجان الملك ، وكان عبداً لحسين بن سلامة مولى الأستاذ رشد الحبشي ، وكان الحسين ورشد قبله كل منهما هو صاحب الأمر والملك في المعنى وفي الصورة كالوزير عن آخر ملوك بني زياد باليمن وهو طفل من أولاد أبي الجيش إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن زياد يقال له عبد الله ، وقيل إبراهيم ، وقيل زياد ، وهو الذي انقرضت دولتهم به على يد عبد يقال له قيس مولى مرجان المذكور، وسببه أن الطفل المذكور لما مات أبوه أبو الجيش كفَلَه مولاه مرجان المذكور وعمة للطفل، وكان لمرجان عبدان أحدهما نجاح أبو سعيد والآخر قيس[1]، فغلبا على أمره ، وكان قيس يحكم بالحضرة ونجاح يتولى أعمال الكدراء والمهجم وأعمالاً أخرى غيرها ، ووقع التنافس بين قيس ونجاح على وزارة الحضرة ، وكان قيس غشوماً ظالماً ونجاح رؤوفاً عادلاً ، فاتهم قيس عمة ابن زياد بالميل عليه إلى نجاح ، فقبض عليها وعلى ابن أخيها مرجانٌ مولاه لأجل شكوى قيس إليه منهما وسلمهما إلى قيس ، فبنى عليهما حائطين ، وهما قائمان بالحياة يناشدانه الله أن لا يفعل ، فهلكا سنة سبع وأربعمائة ، ونمي ذلك إلى نجاح ، فسار للأخذ بثأرهما ، وحارب قيساً وجرت بينهما أمور أسفرت عن ظفر نجاح بقيس وملكه الحضرة . وقتل قيس في بعض الوقائع على باب زبيد ، ولما فتح نجاح زبيد وهي حضرة الملك يومئذ في سنة اثنتي عشرة وأربعمائة ، قال لمرجان مولاه : ما فعل مواليك وموالينا ؟ قال : هم في ذلك الحائط ، فأخرجهما وصلّى عليهما ودفنهما في مَشْهَدٍ بناه لهما وجعل مرجاناً موضعهما ، وبنى عليه الحائط حتى هلك. ومات نجاح المذكور بالسم بحيلة تمت عليه مع جارية أهداها له الصليحي المذكور في الكدراء سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة . ولما مات نجاح كتب الصليحي في سنة ثلاث وخمسين إلى المستنصر صاحب مصر يستأمره في إظهار الدعوة لهم فأمره فخرج وكان منه ما كان ، والله أعلم .

وكان الحجاج ينشد في مرض موته هذين البيتين، وهما لعبيد بن سفيان العُكْلي[2]:

---

[1] في تاريخ عمارة (١٣٦) : نفيس ، وفي أصل النسخة «قيس» . وشرح الخبر كله في المصدر المذكور .

[2] انظر تهذيب ابن عساكر ٤ : ٨٢ .

يا ربُّ قد حلفَ الأعداءُ واجتهدُوا أيمانَهُمْ أنني من ساكني النّارِ
أيَحلِفُونَ على عميـاءِ ويحَهُمُ ما ظَنُّهم بقديمِ العَفْوِ غَفّارِ

وكتب إلى الوليد بن عبد الملك كتاباً يخبره فيه بمرضه ، وكتب في آخره :

إذا ما لقيتُ اللهَ عَنّيَ راضياً فإنّ سرورَ النفس فيما هنالك
فحسبي حياةُ الله مِنْ كل ميِّتٍ وحسبي بقاء الله من كل هالك
لقد ذاقَ هذا الموتَ مَن كان قَبْلَنا ونحنُ نذوق الموت من بعد ذلك

وكان مرضه بالأكَلة وقعت في بطنه ، ودعا بالطبيب لينظر إليها ، فأخذ لحماً وعلقه في خيط وسَرَّحه في حلقه وتركه ساعة ثم أخرجه وقد لصِقَ به دود كثير . وسلط الله تعالى عليه الزمهرير ، فكانت الكوانين تجعل حوله مملوءة ناراً وتدنى منه حتى تحرق جلده وهو لا يحس بها ؛ وشكا ما يجده إلى الحسن البصري رضي الله عنه فقال له : قد كنتُ نهيتُكَ ألاّ تتعرض إلى الصالحين فلججت ، فقال له : يا حسن ، لا أسألك أن تسأل الله أن يفرج عني ، ولكني أسألك أن تسأله أن يعجل قَبْضَ روحي ولا يطيل عذابي ، فبكى الحسن بكاء شديداً . وأقام الحجاج على هذه الحالة بهذه العلة خمسة عشر يوماً ، وتوفي في شهر رمضان ، وقيل في شوال سنة خمس وتسعين للهجرة وعمره ثلاث ، وقيل أربع وخمسون سنة ، وهو الأصح .

وقال الطبري في تاريخه الكبير : توفي الحجاج يوم الجمعة لتسع بقين من شهر رمضان سنة خمس وتسعين ، وقال غير الطبري[1] : لما جاء موت الحجاج إلى حسن البصري سجد لله تعالى شكراً ، وقال : اللهم إنك قد أمتّه فأمت عنا سُنّتَه .

وكانت وفاته بمدينة واسط ودفن بها ، وعُفّي قبره وأجري عليه الماء ، رحمه الله تعالى وسامحه .

وكان قد رأى في منامه أن عينيه قُلعتا ، وكانت تحته هند بنت المهلب بن أبي صُفرة الأزدي – وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى – وهند بنت أسماء بن

١ خبر سجود الحسن عند موت الحجاج ورد في العقد ٥ : ٤٩ .

خارجة ، فطلق الهندين اعتقاداً منه أن رؤياه تتأول بهما ، فلم يلبث أن جاءه نعيُ أخيه محمد من اليمن في اليوم الذي مات فيه ابنه محمد ، فقال : والله هذا تأويل رؤياي ، محمد ومحمد في يوم واحد ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم قال : مَنْ يقول شعراً يُسْليني به ؟ فقال الفرزدق[1] :

إن الرَّزيَّةَ لا رزيّةَ مثلها فِقدانُ مثـلِ محمدٍ ومُحَمَّدِ
مَلَكان قد خَلَتِ المنابر منهما أخـذ الحِمامُ عليهما بالمرصدِ

(15) وكانت وفاة أخيه محمد لليال خلت من رجب سنة إحدى وتسعين للهجرة ، وهو والي اليمن ، فكتب الوليد بن عبد الملك إلى الحجاج يعزيه ، فكتب الحجاج جوابه : « يا أمير المؤمنين ، ما التقيت أنا ومحمد منذ كذا وكذا سنة إلا عاماً واحداً ، وما غاب عني غيبة أنا لقرب اللقاء فيها أرجى من غيبته هذه في دار لا يتفرق فيها مؤمنان » .

ومُعَتِّب : بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد التاء المثناة من فوقها وكسرها وبعدها الباء الموحدة .

والثقفي – بفتح الثاء المثلثة والقاف وبعدها الفاء – هذه النسبة إلى ثقيف ، وهي قبيلة كبيرة مشهورة بالطائف .

١٥٠

حجاج بن أرطاة

حجاج بن أرطاة أبو أرطاة النخعي الكوفي ؛ سمع عطاء بن أبي رباح وغيره ، وروى عنه الثوري وشعبة وحماد بن زيد وهشيم وابن المبارك وزيد بن هارون ،

[1] انظر العقد ٤ : ٤٨ وفيه شعر آخر للفرزدق .

١٥٠ – ترجمة حجاج بن أرطاة في شذرات الذهب ١ : ٢٢٩ ، قال أحمد : لا يحتج به ؛ خرج له =

وكان من حُفّاظ الحديث ومن الفقهاء ، واستفتي وهو ابن ست عشرة سنة ، وولي القضاء بالبصرة إلا أنه كان مدلساً عمّن لم يلقه فيرسل تارة عن مجاهد وتارة عن الزهري ولم يلقهما. قال أبو العباس المبرد في «الكامل»[1] [وغيره] : وخبرت أن قاصّاً كان يكثر الحديث عن هرم بن حيان، فاتفق هرم معه مرة في المسجد وهو يقول : حدثنا هرم بن حيان ، فقال له : يا هذا أتعرفني ؟ أنا هرم بن حيان ما حدثتك من هذا بشيء قط ، قال له القاص : وهذا من عجائبك أيضاً؛ إنه ليصلي معنا في مسجدنا خمسة عشر رجلاً اسم كل رجل منهم هرم بن حيان ، فكيف توهمت أنه ليس في الدنيا هرم بن حيان غيرك ؟ ويقرب من هذا أنه كان في الرقة قاص يكنى أبا عقيل يكثر من التحدث عن بني إسرائيل فنظن به الكذب ، فقال له يوماً الحجاج بن حنتمة : ما كان اسم بقرة بني إسرائيل ؟ قال : حنتمة ، فقال له رجل من ولد أبي موسى الأشعري : في أي الكتب وجدت هذا ؟ قال : في كتاب عمرو بن العاص ؛ انتهى كلام المبرد .

وكان الحجاج بن أرطاة المذكور مع المنصور في وقت بناء مدينته وتولى خطها ونصب قبلة مسجدها ، وهو أول من ولي القضاء لبني العباس بالبصرة ، وكان فيه تيه كثير خارج عن الحد ؛ جاء يوماً إلى حلقة البتّي فجلس في عرض الحلقة ، فقيل له : ارتفع إلى الصدر ، فقال : أنا صدر حيث كنت ؛ وقال أبو يوسف : كان الحجاج بن أرطاة لا يشهد جمعة ولا جماعة ويقول : أكره مزاحمة الأنذال .

وقال عبد الملك بن عبد الحميد : حدثني أبي غير مرة قال : مكث الحجاج ابن أرطاة يتعيش من غزل أمة له كذا وكذا سنة ، وكأنه قال ستين سنة ، ثم أخرجه أبو جعفر المنصور مع ابنه المهدي إلى خراسان فقدم بسبعين مملوكاً . وقال : ربما رأيته - يعني الحجاج - يضع يده على رأسه ويقول : قتلني حب الشرف.

= مسلم مقروناً بغيره ؛ وقد خرج له الاربعة وابن حبان . وانظر تذكرة الحفاظ : ١٨٦ وقال: لم يخرج له البخاري، وقال : مات ظناً سنة تسع وأربعين ومائة؛ وميزان الاعتدال ١ : ٤٥٨ ؛ واتهمه الأصمعي بقبول الرشوة ، وذكر الذهبي أن وفاته كانت سنة ١٤٥ هـ ؛ وتاريخ بغداد ٨ : ٢٣٠ ؛ قلت : وقد انفردت بهذه الترجمة النسخ د ر ص .

[1] الكامل ٢ : ٢٠٩ .

وكان حجاج بن أرطاة يقع في أبي حنيفة رضي الله عنه ويقول : إن أبا حنيفة لا يعقل لله عقلةً . وكان في أصحاب أبي جعفر وضمه إلى المهدي فلم يزل معه حتى توفي في سنة خمسين ومائة بالري ، رحمه الله تعالى ، والمهدي بها يومئذ في خلافة أبي جعفر . وكان ضعيفاً في الحديث .

١٥١

ابن مسكين

أبو عمر الحارث بن مسكين المصري مولى محمد بن زياد بن عبد العزيز بن مروان ؛ رأى الليث بن سعد وسأله وسمع سفيان بن عيينة الهلالي وعبد الرحمن ابن القاسم العتقي وعبد الله بن وهب القرشي وروى عنه كافة المصريين . وكان فقيهاً على مذهب مالك بن أنس رضي الله عنه ، وكان ثقة في الحديث ثبتاً ، حمله المأمون إلى بغداد في أيام المحنة وسجنه لأنه لم يجب إلى القول بخلق القرآن، فلم يزل ببغداد محبوساً إلى أن ولي جعفر المتوكل فأطلقه وأطلق جميع من كان في السجن .

حدث الحارث ببغداد ورجع إلى مصر وكتب إليه المتوكل بعهده على قضاء مصر فلم يزل يتولاه من سنة سبع وثلاثين ومائتين إلى أن صرف في سنة خمس وأربعين . ولما خرج الحارث من بغداد إلى مصر اغتم عليه أبو علي ابن الجروي غمّاً شديداً ، فكتب إلى سعدان بن يزيد وهو مقيم بمصر يشكو ما نزل به من غم لفقد الحارث بن مسكين ، وكان كتب في أسفل كتابه :

من كان يسليه نأيٌ عن أخي ثقةٍ ... فإنني غيرُ سالٍ آخرَ الأبدِ

١٥١ - انفردت نسختا ص ر بهذه الترجمة . قلت : وانظر ترجمة الحارث بن مسكين في الكندي : ٤٦٧ - ٤٧٦ ورفع الاصر ١ : ١٦٧ - ١٨٢ وطبقات السبكي ١ : ٢٤٩ وطبقات الشيرازي، الورقة : ٥ ؛ وتذكرة الحفاظ : ٥١٤ والشذرات ٢ : ١٢١ وتاريخ بغداد ٨ : ٢١٦ .

ففرقتْ بيننا الأقدارُ واضطربتْ بالوجد والشوقِ نارُ الحزنِ في الكبدِ

فأجابه سعدان بن يزيد :

أيهـــا الشاكي إلينا وحشةً من حبيبٍ نأيُــــهُ عنه بعدْ
حسبـــكَ الله أنيســـاً فبه يأنسُ المرءُ إذا المرءُ سعـد
كل أنسٍ بســواه زائـــلٌ وأنيسُ الله في عزّ الأبـــد

وكانت ولادة الحارث بن مسكين في سنة أربع وخمسين ومائة ، وتوفي لثلاث بقين من ربيع الأول سنة خمسين ومائتين ، وصلى عليه يزيد بن عبد الله — أمير كان على مصر — وكبر عليه خمساً ، رحمه الله تعالى .

١٥٢

المحـــاسبي

أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري الأصل الزاهد المشهور ؛ أحد رجال الحقيقة[١] ، وهو ممن اجتمع له علم الظاهر والباطن ، وله كتب في الزهد والأصول وكتاب « الرعاية » له ، وكان قد ورث من أبيه سبعين ألف درهم ، فلم يأخذ منها شيئاً ، قيل : لأن أباه كان يقول بالقدر ، فرأى من الورع أن لا يأخذ ميراثه ، وقال : صحت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يتوارث أهل ملتين شتّى » ، ومات وهو محتاج إلى درهم .

١٥٢ - ترجمة الحارث المحاسبي في تهذيب التهذيب ٢ : ١٣٤ وصفة الصفوة ٢ : ٢٠٧ وطبقات السلمي : ٥٦ وحلية الأولياء ١٠ : ٧٣ وميزان الاعتدال ١ : ٤٣٠ وتاريخ بغداد ٨ : ٢١١ وطبقات السبكي ٢ : ٣٧ ؛ وللحارث عدا الرعاية عدة مؤلفات منها : شرح المعرفة والمسائل في الزهد وغيره وآداب النفوس والبعث والنشور .

١ ر : الطريقة .

ويحكى عنه أنه كان إذا مدّ يده إلى طعام فيه شُبهة تحرك على إصبعه عِرْقٌ ، فكان يمتنع منه . وسُئل عن العقل ما هو ، فقال : نور الغريزة مع التجارب ، يزيد ويقوى بالعلم والحلم . وكان يقول : فقدنا ثلاثة أشياء : حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن القول مع الأمانة ، وحسن الإخاء مع الوفاء[1] .

وتوفي في سنة ثلاث وأربعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

والمحاسبي : بضم الميم وفتح الحاء المهملة وبعد الألف سين مهملة مكسورة وبعدها باء موحدة . قال السمعاني[2] : وعرف بهذه النسبة ، لأنه كان يُحاسب نفسه ، وقال : كان أحمد بن حنبل رضي الله عنه يكرهه لنظره في علم الكلام وتصنيفه فيه ، وهَجَره فاستخفى من العامة ، فلما مات لم يصلّ عليه إلا أربعة نفر . وله مع الجنيد بن محمد حكايات مشهورة .

١٥٣

أبو فراس ابن حمدان

أبو فِراسٍ الحارثُ بن أبي العلاء سعيد بن حَمدان بن حَمدون الحمداني ابن عم ناصر الدولة وسيف الدولة ابنَيْ حمدان – وسيأتي تتمة نسبه عند ذكرهما إن شاء الله تعالى – ؛ قال الثعالبي في وصفه[3] : « كان فَرْدَ[4] دهره ، وشمس

١ في اللمع : ٢٤٦ : ثلاث اذا وجدت متع بهن وقد فقدناهن : حسن القول مع الديانة ، وحسن الوجه مع الصيانة ، وحسن الاخاء مع الوفاء .
٢ انظر اللباب ٣ : ١٠٣ .
١٥٣ – ترجمة أبي فراس الحمداني في اليتيمة ١ : ٤٨ – ١٠٣ والمنتظم ٧ : ٦٨ وتهذيب ابن عساكر ٣ : ٤٣٩ وزبدة الحلب ١ : ١٥٧ وشذرات الذهب ٣ : ٢٤ ؛ وانظر ديوانه : ٤٦٠ – ٤٧٩ حيث جمع المحقق ترجمات له من مصادر مختلفة .
٣ د : في كتاب اليتيمة .
٤ ج هـ : فريد .

عصره ، أدباً وفضلاً ، وكرماً ومجداً ، وبلاغة وبراعة ، وفروسية وشجاعة ، وشعره مشهور سائر[1] ، بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة ، ومعه رُواء الطبع وسِمَة الظَّرف وعزة الملك ، ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبد الله بن المعتز . وأبو فراس يُعَدُّ أشعر منه عند أهل الصنعة ونقَدَةِ الكلام . وكان الصاحبُ بن عبـــاد يقول : بدىء الشعر بملك وخُتم بملك ، يعني امرأ القيس وأبا فراس . وكان المتنبي يَشهد له بالتقدم والتبريز ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجترىء على مجاراته ، وإنمـــا لم يمدحه ومدح مَن دونه من آل حمدانَ تهيباً له وإجلالاً ، لا إغفالاً وإخلالاً . وكان سيف الدولة يُعجَبُ جداً بمحاسن أبي فراس ويُمَيِّزه بالإكرام على سائر قومه ويستصحبه في غزَواته ويستخلفه في أعماله » .

وكانت الروم[2] قد أسرته في بعض وقائعها ، وهو جريح قد أصابه سهم بقي نصلهُ في فخذه ، ونقلته إلى خَرْشَنَة ، ثم منها إلى قسطنطينية ، وذلك في سنة ثمان وأربعين وثلثمائة ، وفداه سيف الدولة في سنة خمس وخمسين .

قلت : هكذا قال أبو الحسن علي بن الزراد الديلمي ، وقد نسبوه في ذلك إلى الغلط ، وقالوا : أُسر أبو فراس مرتين ، فالمرة الأولى بمَغارة الكحل في سنة ثمان وأربعين وثلثمائة ، وما تعدَّوا به خرشنة ، وهي قلعة ببـــلاد الروم والفرات يجري من تحتها ، وفيها يقـــال : إنه ركب فرسه وركضه برجله ، فأهوى به من أعلى الحصن إلى الفرات ، والله أعلم ، والمرة الثانية أسره الروم على مَنْبِج في شوال سنة إحدى وخمسين ، وحملوه إلى قسطنطينية . وأقام في الأسر أربع سنين ، وله في الأسر أشعار كثيرة مثبتة في ديوانه . وكانت مدينة منبج إقطاعاً له ، ومن شعره[3] :

قد كنتَ عُدَّتيَ التي أسْطو بها   ويَدي إذا اشتَدَّ الزمانُ وساعِدي

١ أ : شائع .
٢ انظر اليتيمة : ٧٥ .
٣ ديوانه : ٧٣ وهي مما كتبه لسيف الدولة حين سار هذا إلى ديار بكر وتخلف أبو فراس بالشام .

فرُميتُ مِنكَ بضدّ ما أمّلتُهُ والمَرءُ يَشْرَقُ بالزلالِ البارِد
فصبرْتُ كالولد التقي لـبرِه أغضى على ألـمٍ لضَرْبِ الوالِد

وله أيضاً[1] :

أساء فزادتهُ الإساءة حُظوةً حبيبٌ على ما كان منه حبيبُ
يَعُدُّ علـيَّ الواشيانِ[2] ذنوبَهُ ومِن أينَ للوَجه الجميل[3] ذنوبُ

وله أيضاً[4] :

سكرْتُ منْ لحظهِ لا منْ مُدامتَهِ ومـالَ بالنوْمِ عَنْ عيني تمايلهُ
فما السُّلاف دَهتني بلْ سَوالِفُهُ ولا الشَّمولُ ازدَهتني بَلْ شمائله
ألوَى بعَزْميَ[5] أصداغٌ لُوينَ لهُ وغـالَ قلبي بما[6] تحوي غلائله

ومحاسن شعره كثيرة .

وقتل في واقعة جرت بينه وبين موالي أُسرته في سنة سبع وخمسين وثلثمائة .
ورأيت في ديوانه أنه لما حضرته الوفاة كان ينشد مخاطباً ابنته[7] :

أبُنَيَّـتي لا تَجزَعي[8] كلُّ الأنامِ إلى ذَهابِ
نُوحِي عَـليّ بحسْرَةٍ من خلف سِترِكِ والحجاب
قولي إذا كلمتِـني فعَيِيتُ عن رَدّ الجواب
زَينُ الشبـابِ أبو فِرا سٍ لم يُمَتَّعْ بالشباب

١ ديوانه : ٣٩ .
٢ الديوان : العاذلون .
٣ الديوان : المليح .
٤ ديوانه : ٣٠٢ .
٥ ج : بصبري .
٦ ج : وغال عزمي ما .
٧ ديوانه : ٤٧ .
٨ الديوان : لا تحزني .

وهذا يدل على أنه لم يُقتل ، أو يكون قد جُرح وتأخر موته ، ثم مات منَ الجراحة .

[وقيل إن هذا الشعر قاله وهو أسير في أيدي الروم ، وكان قد جرح ثم أسر ثم خلص من الأسر، فداه سيف الدولة مع من فودي من أسرى المسلمين].

قال ابن خالويه : لمـــا مات سيف الدولة عزم أبو فراس على التغلب على حمص ، فاتصل خبره بأبي المعالي بن سيف الدولة وغلام أبيه قَرْغُوَيه ، فأنفذ إليه مَن قاتله ، فأخِذ وقد ضرب ضربات فمات[1] في الطريق .

وقرأت في بعض التعاليق : أن أبا فراس قتل يوم الأربعاء لثمان خلون من شهر ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وثلثمائة ، في ضيعة تُعرف بصَدَد .

وذكر ثابت بن سنان الصابىء في تاريخه[2] ، قال : في يوم السبت لليلتـــين خلَتا من جمادى الأولى من سنة سبع وخمسين وثلثمائة ، جرت حربٌ بين أبي فراس ، وكان مقيماً بحمص ، وبين أبي المعالي بن سيف الدولة ، واستظهر عليه أبو المعالي وقتله في الحرب وأُخذ رأسه وبقيت جثته مطروحة في البرية إلى أن جاءه بعضُ الأعراب فكفنه ودفنه .

قال غيره : وكان أبو فراس خالَ أبي المعالي ، وقلعت أُمه سخينة عينهـــا لما بلغها وفاته ، وقيل إنها لطمت وجهها فقلعت عينهـــا . وقيل لما قتله قرغويه لم يعلم به أبو المعالي ، فلما بلغه الخبر شقّ عليه .

ويقال : إن مولده كان في سنة عشرين وثلثمائة ، والله أعلم . وقيل : سنة إحدى وعشرين .

(16) وقُتِل أبوه سعيد في رجب سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، قتله ابن أخيه ناصر الدولة بالموصل ، عَصَر مذاكيره حتى مات لقصة يطول شرحها ، وحاصلها أنه شرع في ضمان الموصل وديار ربيعة من جهة الراضي بالله ، ففعل ذلك سرّاً ، ومضى إليها في خمسين غلاماً ، فقبض ناصرُ الدولة عليه حين وصل

١ ب هـ : ثم مات .
٢ انظر الجزء الأول : ٣١٥ والحاشية رقم : ١ .

إليها ثم قتله ، فأنكر ذلك الراضي حين بلغه ، رحمهم الله تعالى .

[وحكى ابن خالويه أيضاً[1] قال : كتب أبو فراس إلى سيف الدولة وقد شخص من حضرته إلى منزله بمنبج كتاباً صدره : كتابي أطال الله بقاء مولانا من المنزل وقد وردته ورود السالم الغانم مثقل الظهر والظهر وفراً وشكراً ، فاستحسن سيف الدولة بلاغته ووصف براعته ، وبلغ ذلك أبا فراس فكتب إليه :

هل للفصاحـة والسما حة والعلا عنّي محيدُ
إذ أنت سيديَ الذي ربيتني وأبي سعيـد
في كلّ يوم أستفيـ ـد من العلاء وأستزيد
ويزيد فيّ إذا رأيـ ـتك للندى خلق جديد

وكان سيف الدولة قلّما ينشط لمجلس الأنس لاشتغاله عنه بتدبير الجيوش وملابسة الخطوب وممارسة الحروب ، فوافت حضرته إحدى المحسنات من قيان بغداد ، فتاقت نفسُ أبي فراس إلى سماعها ولم يرَ أن يبدأ باستدعائها قبل سيف الدولة ، فكتب إليه يستحثه على استحضارها :

محلّـك الجوزاءُ أو أرفعُ وصدرك الدهناء أو أوسعُ
وقلبك الرّحبُ الذي لم يزل للجدّ والهزل بـه موضع
رفّه بقرع العود سيفاً غدا قَرع العوالي جل ما يسمع

فبلغت هذه الأبيات الوزير المهلبي فأمر القيان والقوالين بتحفظها وتلحينهـا ، وصار لا يشرب إلا عليها .

وأهدى الناس إلى سيف الدولة فأكثروا ، فكتب إليه أبو فراس :

نفسي فداؤك قـد بعثـ ـت بعهدتي بيد الرسول
أهديتُ نفسي إنمـا يُهْـ ـدى الجليل إلى الجليل

---

[1] اليتيمة ١ : ٤٩ .

وجعلت ما ملكت يدي صلةَ المبشّر بالقبول

وعزم سيف الدولة على غزو واستخلاف أبي فراس على الشام فكتب إليه قصيدة منها :

قالوا المسير فهز الرمح عامله وارتاح في جفنه الصمصامةُ الخذمُ
حقّاً لقد ساءني أمر ذكرت له لولا فراقك لم يوجد له ألم
لا تشغلن بأمر الشام تحرسه إن الشآم على من حلّهُ حرم
وإن للثغر سوراً من مهابته صخوره من أعادي أهله القمم
لا يحرمنّيَ سيف الدين صحبتَهُ فهي الحياة التي تحيا بها النسم
وما اعترضتُ عليه في أوامره لكن سألت ومن عاداته نعم

وكتب إليه يعزيه :

لا بدّ من فقدٍ ومن فـاقدِ هيهات ما في الناس من خالدِ
كن المعزّى لا المعزّى بـه إن كان لا بد من الواحـدِ

وله أيضاً :

المرءُ نصب مصايبٍ ما تنقضي حتى يوارى جسمه في رمسه
فمؤجَّلٌ يلقى الردى في أهله ومعجّل يلقى الردى في نفسه

وله أيضاً وقد سمع حمامةً تنوح بقربه على شجرةٍ عاليةٍ وهو في الأسر فقال :

أقول وقد ناحت بقربي حمامةٌ أيا جارتا هل بات حالك حالي
معاذ الهوى ما ذقت طارقة ألنوى ولا خطرت منك الهموم ببال
أتحمل محزونَ الفؤاد قوادمٌ على غصن نائي المسافة عالي
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا تعالي أقاسمك الهموم تعالي
تعالي ترَيْ روحاً لديَّ ضعيفةً تردّدُ في جسمٍ يُعَذّبُ بالي

أيضحك مأسورٌ وتبكي طليقة ويسكت محزون ويندب سالي
لقد كنتُ أولى منك بالدمع مقلةً ولكنّ دمعي في الحوادث غالي][1]

وخَرْشَنَة – بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح الشين المثلثة والنون – وهي بلدة بالشام على الساحل ، وهي للروم[2] .

وقسطنطينية – بضم القاف وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وسكون النون وكسر الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون – من أعظم مدائن الرُّوم بناها قسطنطين ، وهو أول من تنصَّر من ملوك الروم .

١٥٤

حرملة

أبو حفص وأبو عبد الله حَرْملة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة بن عمران بن قُراد مولى سلمة بن مخرَمة التجيبي[3] الزُّمَيلي المصري صاحبُ الإمام الشافعي رضي الله عنه ؛ كان أكثر أصحابه اختلافاً إليه واقتباساً منه ، وكان حافظاً للحديث ، وصنف « المبسوط » و « المختصر » . وروى عنه مسلم بن الحجاج فأكثر في

١ ما بين معقفين ورد في ص د فقط .

٢ على هامش ب : سبحان الله ، قد ذكر في هذه الترجمة أن خرشنة من بلاد الروم والفرات يجري تحتها وفيها أسر أبو فراس ويقال انه طاح منها بفرسه إلى الفرات ثم أعقب ذلك بقوله عن خرشنة المذكورة : بلدة بالشام على الساحل !

١٥٤ - ترجمة حرملة صاحب الشافعي في طبقات الشيرازي، الورقة ٢٧ وطبقات السبكي ١ : ٢٥٧ وتهذيب التهذيب ٢ : ٢٢٩ وميزان الاعتدال ١ : ٤٧٢ ؛ وكان حرملة أكثر الناس تحديثاً عن ابن وهب لأن ابن وهب استخفى في منزله سنة وأشهراً لما طلب ليتولى القضاء ، وقد أثنى عليه ابن معين وضعفه غيره ، وقيل إنه لكثرة ما روى انفرد بغرائب .

٣ س : التجيبي بالولاء .

صحيحه من ذكره [روى عن محمد بن وهب المصري وغيره][1] ، ومولده في سنة ست وستين ومائة ، وتوفي ليلة الخميس لتسع بقين من شوال سنة ثلاث وأربعين ومائتين بمصر ، وقيل أربع وأربعين ، رحمه الله تعالى .

والتُّجيبيُّ - بضم التاء المثناة من فوقها وكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها باء موحدة - هذه النسبة إلى تُجيب ، وهو اسم امرأة نسب إليها أولادُها .

وقُراد - بضم القاف وفتح الراء المهملة وبعد الألف دال مهملة .

والزُّمَيْليُّ - بضم الزاي وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام - هذه النسبة إلى بني زُمَيْل ، وهو بطن من تُجِيبَ .

(17) وتوفي حرملة بن عمران ، جدُّ حرملة المذكور ، في صفر سنة ستين ومائة ، ومولده سنة ثمانين للهجرة ، رحمه الله تعالى .

١٥٥

الحسن بن علي بن أبي طالب

أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأُمه فاطمة صلوات الله عليها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ بويع له يوم مات أبوه رضي الله عنه ، وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقام بالكوفة إلى شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، وقتل عبد الرحمن بن ملجم ، يقال إنه ضربه

---

١ زيادة من ص .

١٥٥ - أخباره في كتب التاريخ كالطبري وابن الأثير والمسعودي واليعقوبي ومقاتل الطالبيين ، وانظر تهذيب التهذيب ٢ : ٢٩٥ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ١٩٩ وحلية الأولياء ٢ : ٣٥ وصفة الصفوة ١ : ٣١٩ ؛ الأئمة الاثنا عشر ص ٦٣ والصفحة المقابلة حيث مصادر ترجمته . وقد انفردت النسخة ص بهذه الترجمة .

بالسيف فاتقاه بيده فندرت وقتله ، ثم سار إلى معاوية فالتقيا بمسكن من أرض الكوفة ، فاصطلحا وسلم إليه الأمر وبايعه لخمس بقين من شهر ربيع الأول ، ويقال إنه أعطاه خمسة آلاف ألف درهم ورجع إلى المدينة ، وقال قوم انه صالحه بأذرح في جمادى الأولى وأخذ مائة ألف دينار، روى ذلك كله الدولابي . وكانت خلافته ستة أشهر وخمسة أيام ؛ روى الشعبي قال : أنا شهدت خطبة الحسن – يعني حين سلم الأمر إلى معاوية – : قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، إن أكيس الكيس التقى وأحمق الحمق الفجور ، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إنما هو حق لامرىء كان أحق بحقه مني أو حق لي تركته لمعاوية إرادة لصلاح الأمة وحقناً لدمائهم ، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين .

روى سفينة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الخلافة بعدي ثلاثون عاماً ثم تكون ملكاً أو ملوكاً . وكان آخر ولاية الحسن رضي الله عنه تمام ثلاثين سنة وثلاثة عشر يوماً من أول خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه . ولم يزل الحسن بالمدينة إلى أن مات بها في شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وله سبع وأربعون سنة ، وقيل مات سنة خمسين ، وهو أشبه بالصواب ، وصلى عليه سعيد بن العاص ودفن بالبقيع ، ويقال إنه دفن مع أمه صلوات الله عليها . وقال القتبي : يقال ان امرأته جعدة بنت الأشعث سمّته ومكث شهرين ، وانه ليرفع من تحته كل يوم كذا وكذا طست من دم . وكان يقول : سقيت السم مراراً ما أصابني ما أصابني في هذه المرة . وخلف عليها رجل من قريش فأولدها غلاماً ، فكان الصبيان يقولون له : يا ابن مسمّة الأزواج.

ولما كتب مروان إلى معاوية بشكاته كتب إليه ان أقبل المطي إلي بخبر الحسن ؛ ولما بلغه موته سمع تكبيراً من الخضر، فكبّر أهل الشام لذلك التكبير فقالت فاختة زوجة معاوية : أقر الله عينك يا أمير المؤمنين ، ما الذي كبرت له ؟ قال : مات الحسن ، قالت : أعلى موت ابن فاطمة تكبر ؟ قال : والله ما كبرت شماتة بموته ولكن استراح قلبي . وكان ابن عباس بالشام ، فدخل عليه فقال: يا ابن عباس، هل تدري ما حدث في أهل بيتك ؟ قال:لا أدري ما حدث

إلا أني أراك مستبشراً وقد بلغني تكبيرك وسجودك ، قال : مات الحسن، قال : إنا لله ، يرحم الله أبا محمد ، ثلاثاً ؛ ثم قال : والله يا معاوية لا تسد حفرته حفرتك ولا يزيد نقص عمره في يومك ، وإن كنا أصبنا بالحسن لقد أُصبنا بإمام المتقين وخاتم النبيين ، فسكن الله تلك العبرة وجبر تلك المصيبة وكان الله الخلف علينا من بعده .

وكان أوصى لأخيه الإمام الحسين : إذا أنا متّ فادفنّي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إن وجدت إلى ذلك سبيلاً ، وإن منعوك فادفني ببقيع الغرقد ، فلبس الحسين ومواليه السلاح وخرجوا ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج مروان بن الحكم في بني أمية فمنعوهم من ذلك .

وقيل : لما احتضر الحسن رضي الله عنه قال : أخرجوني إلى الصحراء لعلي أنظر في ملكوت السموات ، يعني الآيات ؛ فلما أُخرج قال : اللهم إني أحتسب نفسي عندك فإنها أعز الأنفس علي ، فكان مما صنع الله له انه احتسب نفسه .

ومن طريف أخباره ما ذكره أبو العباس المبرد[1] أن مروان بن الحكم قال يوماً : إني مشغوف ببغلة الحسن ، فقال له ابن أبي عتيق : إن دفعتها إليك أتقضي لي ثلاثين حاجة ؟ قال : نعم ، قال : فإذا اجتمع الناس عندك العشية فإني آخذ في مآثر قريش ثم أمسك عن الحسن ، فلمني على ذلك ؛ فلما أخذ القوم مجالسهم أفاض في أولية قريش ؛ قال له مروان : ألا تذكر أولية أبي محمد وله في هذا ما ليس لأحد ؟ قال : إنما كنا في ذكر الأشراف ولو كنا في ذكر الأنبياء لقدمنا ما لأبي محمد ؛ فلما خرج ليركب تبعه ابن أبي عتيق فقال له الحسن وتبسم : ألك حاجة ؟ قال : نعم ، البغلة ، فنزل عنها ودفعها إليه .

وذكر ابن عائشة أن رجلاً من أهل الشام قال : دخلت المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فرأيت رجلاً راكباً على بغلة لم أر أحسن وجهاً ولا سمتاً ولا ثوباً ولا دابة منه ، فمال قلبي إليه فسألت عنه فقيل : هذا الحسن بن علي ابن أبي طالب ، فامتلأ قلبي له بغضاً وحسدت علياً أن يكون له ابن مثله ،

---

[1] الكامل ٢ : ٢٣٧ .

فصرت إليه وقلت له : أأنت ابن علي بن أبي طالب ؟ قال : أنا ابنه ، قلت : فعل بك وبأبيك — أسبّهما ؛ فلما انقضى كلامي قال لي : أحسبك غريباً ؟ قلت : أجل ، قال : مل بنا ، فإن احتجت إلى منزل أنزلناك أو إلى مال آسيناك أو إلى حاجة عاوناك ؛ قال : فانصرفت عنه وما على الأرض أحبّ إليّ منه وما فكرت فيما صنع وصنعت إلا شكرته وخزيت نفسي .

وحكى صاحب « العقد » قال[1] : بينما معاوية جالس في أصحابه إذ قيل له : الحسن بالباب ، فقال معاوية : إنه إنْ دخَلَ علينا أفسد ما نحنْ فيه ، فقال له مروان بن الحكم : ايذن له فإني اسأله عما ليس عنده فيه جواب ، قال معاوية : لا تفعل فإنهم قوم أُلهموا الكلام، وأذن له ، فلما دخل وجلس قال له مروان : أسرع الشيب إلى شاربك يا حسن ، إن ذلك من الخوف ، قال الحسن : ليس كما بلغك ولكنّا معشر بني هاشم طيبة أفواهنا ، عذبة شفاهنا ، فنساؤنا يُقبِلْنَ علينا بأنفاسهن وقبلهن ، وأنتم معشر بني أمية فيكم بخر شديد ، فنساؤكم يصرفن أفواههن وأنفاسهن عنكم إلى أصداغكم ، فإنما يشيب منكم موضع العذار من أجل ذلك ؛ قال مروان : أما إن فيكم يا بني هاشم خصلة سوء ، قال : ما هي ؟ قال : الغلمة ، قال : أجل ، نزعت الغلمة من نسائنا ووضعت في رجالنا ونزعت الغلمة من رجالكم ووضعت في نسائكم ، فما قام لأموية إلا هاشمي ؛ فغضب معاوية وقال : قد كنت أخبرتكم فأبيتم حتى سمعتم ما أظلم عليكم بيتكم وأفسد مجلسكم ؛ فخرج الحسن رضوان الله عليه وهو يقول :

ومارست هذا الدهر خمسين حجة ... وخمساً أرجّي قابلا بعد قابل
فما أنا في الدنيا بلغت جسيمها ... ولا في الذي أهوى كدحت بطائل
وقد أشرعت فيّ المنايا أكفّها ... وأيقنت أني رهن موت معاجل

قال الحسن رضي الله عنه لحبيب بن مسلمة الفهري[2] : رب مسير لك في غير

١ العقد ٤ : ٢٠ .

٢ العقد ٤ : ٢١ .

طاعة الله ، قال : أما مسيري إلى أبيك فلا ، قال : بلى ، ولكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة ، فلئن كان قام بك في دنياك لقد قعد بك في آخرتك ، فلو كنت إذ فعلت شراً قلت خيراً كنت كما قال الله تعالى : ﴿ خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ﴾ (التوبة : ١٠٢) ولكنك كما قال الله تعالى : ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ (المطففون : ١٤) .

وقيل : دار بين الحسن والحسين كلام فتقاطعا فقيل للحسين : لو أتيت أخاك فهو أكبر سناً منك ، فقال : إن الفضل للمبتدىء وأنا أكره أن يكون لي الفضل على أخي ، فبلغ ذلك الحسن فأتاه .

وكان الحسن إذا فرغ من الوضوء تغير لونه ، فقيل له في ذلك فقال : حق على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغير لونه .

١٥٦

الحسن البصري

أبو سعيدٍ الحسنُ بن أبي الحسن يَسار البصري ؛ كان من سادات التابعين وكبرائهم ، وجمَعَ كل فنّ من علم وزهد ووَرَع وعبادة . وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ، وأمه خيرة مولاة أم سلَمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ورُبما غابت في حاجة فيبكي فتعطيه أم سلمة ، رضي الله عنها ، ثديها[1] تعلله به إلى أن تجيء أمه ، فدرّ عليه ثديُها فشربه ، فيَرَوْن أن تلك

١٥٦ - ترجمة الحسن البصري في طبقات ابن سعد ٧ : ١٥٦ وتهذيب التهذيب ٢ : ٢٦٣ وميزان الاعتدال ١ : ٥٢٧ وتذكرة الحفاظ : ٧١ وحلية الأولياء ٢ : ١٣١ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٤ وأقواله وأخباره منثورة في البيان والتبيين وأمالي المرتضى وقد جمع ابن الجوزي في سيرته كتاباً ؛ ودرسه احسان عباس دراسة نقدية في كتاب بعنوان « الحسن البصري » وأشار إلى مصادر أخرى عنه (دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٥٢) .

[1] أ : لبنها .

الحكمة والفصاحة من بركة ذلك .

قال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصحَ من الحسن البصري ومن الحجاج ابن يوسف الثقفي ، فقيل له : فأيهما كان أفصح ؟ قال : الحسن .

ونشأ الحسن بوادي القرى ، وكان من أجمل أهل البصرة ، حتى سقط عن دابته فحدث بأنفه ما حدث .

وحكى الأصمعي عن أبيه قال : ما رأيتُ أعرَضَ زنداً من الحسن ، كان عرضهُ شبراً .

[وكان الحسن يقص في الحج ، فمر به علي بن الحسين عليهما السلام ، فقال له : يا شيخ أترضى نفسك للموت ؟ قال : لا ، قال : فلله في أرضه معاد غير هذا البيت ؟ قال : لا ، قال : فثم دار للعمل غير هذه الدار ؟ قال : لا ، قال: فعملك للحساب ؟ قال : لا ، قال : فلم تشغل الناس عن طواف البيت ؟ قال : فما قصّ الحسن بعدها .

وقيل إن رجلاً أتى الحسن فقال : يا أبا سعيد إني حلفت بالطلاق ان الحجاج في النار فما تقول ؟ أقيم مع امرأتي أم أعتزلها ؟ فقال له : قد كان الحجـــاج فاجراً فاسقاً وما أدري ما أقول لك ، إن رحمة الله وسعت كل شيء ؛ وإن الرجل أتى محمد بن سيرين فأخبره بما حلف فردّ عليه شبيهاً بما قاله الحسن؛ وإنه أتى عمرو بن عبيد فقال له : أقم مع زوجتك فإن الله تعالى إن غفر للحجاج لم يضرك الزنا ، ذكر ذلك المختار في تاريخه .

وكان في جنازة وفيها نوائح ومعه رجل فهمّ الرجل بالرجوع فقال له الحسن: يا أخي إن كنت كلما رأيت قبيحاً تركت له حسناً أسرع ذلك في دينك .

وقيل له : ألا ترى كثرة الوباء ؟ فقال: انفق ممسك واقلع مذنب ، واتعظ جاحد .

ونظر إلى جنازة قد ازدحم الناس عليها فقال : ما لكم تزدحمون ؟ ها تلك هي ساريته في المسجد ، اقعدوا تحتها حتى تكونوا مثله ؛ وحدث الحسن بحديث فقال له رجل : يا أبا سعيد عن من ؟ فقال : وما تصنع بعمن ؟ أما أنت فقد نالتك موعظته وقامت عليك حجته ؛ وقـــال له رجل : أنا أزهد منك

[وأفصح] ، قال أما أفصح فلا ، قال : فخذ عليَّ كلمة واحدة ، قال : هذه ؛
وقال لفرقد بن يعقوب : بلغني أنك [لا تأكل] الفالوذج ، فقال : يا أبا سعيد
أخاف ألا اؤدّي شكره ، قال الحسن : يا لكع هل تقدر تؤدي شكر الماء
البارد الذي تشربه ؟ وقيل للحسن : إن فلاناً اغتابك ، فبعث إليه طبق حلوى
وقال : بلغني أنك أهديت إليّ حسناتك فكافأتك ؛ وقريب من هـذا قول
سُفيان بن الحسين ، قال : كنت جالساً عند إياس بن معاوية فنلت من إنسان
فقال : هل غزوت العام الترك والروم ولم يسلم منك أخوك المسلم ؟

وسمع رجلاً يشكو عليه إلى آخر فقال : اما إنك تشكو من يرحمك إلى من
لا يرحمك][1] .

ومن كلامه : ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه إلا الموت[2].
ولما ولي عمر بن هُبيرة الفزاري العراق وأضيفت إليه خراسان ، وذلك في أيام
يزيد بن عبد الملك ، استدعى الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشعبي وذلك في
سنة ثلاث ومائة فقال لهم : إن يزيد خليفة الله استخلفه على عباده ، وأخـذ
عليهم الميثاق بطاعته ، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة ، وقد ولاني ما ترون
فيكتب إلي بالأمر من أمره فأقلده ما تقلده من ذلك الأمر ، فما ترون ؟ فقال
ابن سيرين والشعبي قولاً فيه تَقيَّةٌ ، فقال ابن هبيرة : مـا تقول يا حسن ؟
فقال : يا ابنَ هُبيرة خَفِ الله في يزيد ولا تخف يزيدَ في الله ، إن الله يمنعك
من يزيد ، وإن يزيد لا يمنعك من الله ، وأوشك أن يبعث إليك مَلَكاً فيزيلك
عن سريرك ويخرجك من سَعَة قصرك إلى ضيق قبرك ، ثم لا ينجيك إلا عملك؛
يا ابن هبيرة إن تَعْصِ الله فإنما جعل الله هذا السلطان ناصراً لدين الله وعباده فلا
تركبنّ دينَ الله وعباده بسلطان الله ، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ؛

---

١ زيادة انفردت بها النسخة د .

٢ بعد هذا الموضع جاءت هذه الزيادة في النسخة أ :
وكان يقول : إذا أشرب القلب حب الدنيا لم تنجع فيه المواعظ ، كالجسد إذا استحكم فيه الداء لم ينجع الدواء . وقال إبراهيم بن عيسى اليشكري : ما رأيت أطول حزناً من الحسن ، ما رأيته قط إلا حسبته حديث عهد بمصيبة .

فأجازهم ابن هبيرة وأضعف جائزة الحسن ، فقال الشعبي لابن سيرين : سَفسَفْنا له فسفسف لنا [1] .

ورأى الحسن يوماً رجلاً وسيماً حسن الهيئة ، فسأل عنه فقيل : إنه يسخر الملوك ويحبونه ، فقال : لله أبوه ، ما رأيت أحداً طلب الدنيا بما يشبههـا إلا هذا .

وكانت أمه تَقُصُّ للنساء ، ودخل عليها يوماً وفي يدها كراثة تأكلهـا ، فقال لها : يا أماه ، ألقي هذه البقلة الخبيثة من يدك ، فقـالت : يا بني إنك شيخ قد كبرت وخرفت ، فقال : يا أماه ، أيّنا أكبر [2] ؟ وأكثر كلامه حِكم وبلاغة . وكان أبوه من سَبي مَيسان ، وهو صُقع بالعراق .

ومولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة ، ويقال إنه ولد على الرق ، وتوفي بالبصرة مُستهَلّ رجب سنة عشر ومائة ، رضي الله عنه ، وكانت جنازته مشهودة ؛ قال حميد الطويل : توفي الحسن عشية الخميس ، وأصبحنا يوم الجمعة ففرغنا من أمره ، وحملناه بعد صلاة الجمعـة ، ودفَنّاه فتبع الناس كلهم جنازته واشتغلوا به ، فلم تقم صلاة العصر بالجامع ، ولا أعلم أنها تركت منذ كان الإسلام إلا يومئذ ، لأنهم تبعوا كلهم الجنازة حتى لم يبق بالمسجد مَنْ يصلي العصر .

وأغمي على الحسن عند موته ، ثم أفاق فقال : لقد نبهتموني من جنات وعيُون ومقام كريم .

وقال رجل قبل موت الحسن لابن سيرين : رأيت كأن طائراً أخذ أحسن حصاة بالمسجد ، فقال : إن صدقت رؤياك مات الحسن ، فلم يكن إلا قليلاً حتى مات الحسن [3] .

---

١ وردت في أ بعد هذا الموضع الزيادة الآتية :
وقال لمطرف بن عبد الله بن الشخير : يا مطرف غلظ أصحابك، فقال مطرف: إني أخاف أن أقول ما لا أفعل ، فقال الحسن : رحمك الله وأينا يفعل ما يقول ؟ لودّ الشيطان أنه ظفر بهذا منكم فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر .

٢ وكانت أمه ... أكبر : لم يرد في المسودة .

٣ وكانت جنازته ... مات الحسن : لم يرد في المسودة ، وهاهنا أيضاً زيادة من النسخة أ : =

ولم يشهد ابن سيرين جنازته لشيء كان بينهما ، ثم توفي بعده بمائة يوم ، كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى .

ومَيْسان – بفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وبعد الألف نون – قال السمعاني : هي بليدة بأسفل البصرة .

١٥٧

الزعفراني

أبو علي الحسن بن محمد بن الصَّباح الزعفراني صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنه ؛ برع في الفقه والحديث وصنّف فيهما كتباً ، وسار ذكره في الآفاق ، ولزم الشافعي حتى تبَحّر ، وكان يقول : أصحاب الأحاديث كانوا رقوداً حتى أيقظهم الشافعي ، وما حمل أحد مِحْبرة إلا وللشافعي عليه مِنّة . وكان يتولى قراءة كتب الشافعي عليه ، وسمع من سُفيان بن عُيَينَة ومَن في طبقته مثل وكيع ابن الجراح وعمرو بن الهيثم ويزيد بن هارون وغيرهم ، وهو أحد رواة الأقوال القديمة عن الشافعي[1] رضي الله عنه ، ورواتها أربعة : هو وأبو ثور وأحمد بن حنبل والكرابيسي ، ورواة الأقوال الجديدة ستة : المزني والربيع بن سليمان

= وحكى المعافى بن زكريا في كتاب « الجليس والأنيس » عن الأصمعي قال : حدثنا مبارك ابن فضالة عن ثابت البناني قال : انصرفت من جنازة الحسن فقلت لبنتي : والله ما رأيت جنازة قط اجتمع فيها من الناس مثلما اجتمع فيها وإن كان الحسن لأهلاً لذلك، فقالت لي بنتي: يا أبه، ما ذلك إلا لستر الله ، فحجزت والله نفسي .

١٥٧ – ترجمة الزعفراني في الفهرست : ٢١١ وتاريخ بغداد ٧ : ٤٠٧ وتهذيب التهذيب ٢:٣١٨ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٨ وطبقات السبكي ١ : ٢٥٠ وتذكرة الحفاظ : ٥٢٥ ؛ وقد أخطأ الذهبي بقوله انه منسوب إلى درب الزعفران ونبه السبكي على هذا الخطأ ، إذ الدرب منسوب إليه .

١ يعني آراءه الفقهية في العراق قبل رحيله إلى مصر ، وبمصر أصبحت للشافعي أقوال جديدة .

الجيزي والربيع بن سليمان المرادي والبُوَيطي وحرملة ويونس بن عبد الأعلى – وقد تقدم ذكر بعضهم والباقي سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى – وروى عنه البخاري في صحيحه وأبو داود السجستاني والترمذي وغيرهم .

وتوفي سَلْخ شعبان – وقال ابن قانع : في شهر رمضان – سنة ستين ومائتين ، وذكر السمعاني في كتاب « الأنساب »[1] انه توفي في شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

والزّعفَراني – بفتح الزاي وسكون العين المهملة وفتح الفاء والراء وبعد الألف نون – هذه النسبة إلى الزّعْفَرانيّة ، وهي قرية بقرب بغداد ، والمحلة التي ببغداد تسمى درب الزعفراني منسوبة إلى هذا الإمام لأنه أقام بها . قال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في « طبقات الفقهاء » : وفيه مسجد الشافعي رضي الله عنه ، وهو المسجد الذي كنت أدرس فيه بدرب الزعفراني ، ولله الحمد والمنّة .

١٥٨

أبو سعيد الإصطخري

أبو سعيد الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى بن الفضل الإصطخري الفقيه الشافعي ؛ كان من نُظراء أبي العباس ابن سُرَيج وأقران أبي علي ابن أبي هريرة، وله مصنفات حسنة في الفقه منها كتاب « الأقضية »، وكان قاضي قُم،

١ انظر الأنساب ٦ : ٢٩٨ .

١٥٨ – ترجمة أبي سعيد الاصطخري في طبقات الشيرازي، الورقة : ٣١ وطبقات السبكي ٢: ١٩٣ والمنتظم ٦ : ٣٠٢ وأنساب السمعاني ١ : ٢٨٦ والفهرست : ٢١٣ ومن كتبه كتاب الفرائض الكبير وكتاب الشروط والوثائق والمحاضر والسجلات ، وقد سقطت هذه الترجمة من النسخة م .

وتولى حِسْبة بغداد ، وكان ورعاً[1] متقللاً ، واستقضاه المقتدر على سجستان فسار إليها فنظر في مناكحاتهم[2] فوجد معظمها على غير اعتبار الولي ، فأنكرها وأبطلها عن آخرها .

وكانت ولادته في سنة أربع وأربعين ومائتين ، وتوفي في جمادي الآخرة يوم الجمعة ثاني عشرهِ ، وقيل رابع عشرهِ ، وقيل مات في شعبان سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

والإصطخري – بكسر الهمزة وسكون الصاد المهملة وفتح الطـاء المهملة وسكون الخاء المعجمة وبعدها راء – هذه النسبة إلى إصطَخْرَ ، وهي من بلاد فارس ، خرج منها جماعة من العلماء[3] رحمهم الله تعالى ، وقد قالوا في النسبة إلى إصطخر « إصْطَخرزي » أيضاً بزيادة الزاي ، كما زادوها في النسبة إلى مرو والري فقالوا مَرْوزي ورازي .

١٥٩

أبو علي ابن أبي هريرة

أبو علي الحسنُ بن الحسين بن أبي هُرَيرة الفقيه الشافعي ؛ أخذ الفقـه عن أبي العباس ابن سُرَيج وأبي إسحاق المروزي ، وشرح « مختصر المزني » وعلق عنه الشرح أبو علي الطبري ، وله مسائل في الفروع ، ودرّس ببغـداد وتخرّج عليه خلقٌ كثير ، وانتهت إليه إمامة العراقيين ، وكان معظّماً عند السلاطين والرعايا إلى أن توفي في رجب سنة خمس وأربعين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

١ ■ : متورعاً .
٢ أ : مناكحتهم .
٣ أ : الاكابر العلماء .

١٥٩ – ترجمة ابن أبي هريرة في طبقات السبكي ٢ : ٢٠٦ والفهرست : ٢١٥ وتاريخ بغداد ٧ : ٢٩٨ .

١٦٠

أبو علي الطبري

أبو علي الحسن بن القاسم الطَّبَري الفقيه الشافعي ؛ أخذ الفقه عن أبي علي ابن أبي هريرة المقدم ذكره، وعلق عنه التعليقة المشهورة المنسوبة إليه ، وسكن ببغداد ودرّس بها بعد أستاذه أبي علي المذكور ، وصنف كتاب « المحرر » في النظر ، وهو أول كتاب صُنِّفَ في الخلاف المجرد ، وصنف أيضاً كتاب « الافصاح » في الفقه ، وكتاب « العدة » وهو كبير يدخل في عشرة أجزاء ، وصنف كتاباً في الجدل ، وكتاباً في أصول الفقه . وتوفي ببغداد سنة خمس وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

والطَّبَريُّ – بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وبعدها راء – هذه النسبة إلى طبَرسْتانَ – بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وبعدها راء والسين المهملة الساكنة والتاء المثناة من فوقها المفتوحة وبعد الألف نون – وهي ولاية كبيرة تشتمل على بلاد كثيرة أكبرها آمل ، خرج منها جماعة من العلماء ، والنسبة إلى طبرية الشام « طبَراني » – على ما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى – ورأيت في عدة كتب من طبقات الفقهاء أن اسمه الحسن كما هو هاهنا ، ورأيت الخطيب في « تاريخ بغداد » قد عَدَّه في جملة مَن اسمه الحسين [والله أعلم بالصواب].

١٦٠ – ترجمة أبي علي الطبري الشافعي في طبقات الشيرازي، الورقة : ٣٢ وطبقات السبكي ٢ : ٢١٧ وسماه « الحسين » والفهرست : ٢١٤ ولم يذكر من مؤلفاته إلا مختصر مسائل الخلاف ؛ وانظر تاريخ بغداد ٨ : ٨٧ (باسم الحسين) .

١٦١

أبو علي الفارقي

أبو علي الحسن بن إبراهيم بن علي بن بَرْهون الفارقي الفقيه الشافعي ؛ كان مبدأ اشتغاله بمَيّافارقين على أبي عبد الله محمد الكازروني ، فلما توفي انتقل إلى بغداد واشتغل على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي صاحب « المهذب » وعلى أبي نصر ابن الصباغ صاحب « الشامل » ، وتولى القضاء بمدينة واسط .

حكى الحافظ أبو طاهر السلَفي ، رحمه الله تعالى ، قال : سألت الحافظ أبا الكرم خميس بن علي بن أحمد الحوزي[١] بواسط عن جماعة منهم القاضي أبو علي الفارقي المذكور ، فقال : هو متقدم في الفقه ، وقضى بواسط بعد أبي تغلب فظهر من عقله وعدله وحسن سيرته ما زاد على الظن به . وسمع الحديث من الخطيب أبي بكر ومَنْ في طبقته ، وكان زاهداً متورعاً . له كتاب « الفوائد » على « المهذب » وعنه أخذ القاضي[٢] أبو سعد عبد الله بن أبي عصرون – كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى – وكان يلازم ذكر الدرس من « الشامل » إلى أن توفي . وكانت وفاته يوم الأربعاء الثاني والعشرين من المحرم سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بواسط ؛ ومولده سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة بمَيّافارقين في شهر ربيع الآخر ؛ ودفن في مدرسته ، رحمه الله تعالى .

وبَرْهون : بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وضم الهاء وبعد الواو الساكنة نون ؛ والفارقي : معروف فلا حاجة إلى ضبطه .

---

١٦١ – ترجمة أبي علي الفارقي في طبقات السبكي ٤ : ٢٠٩ .

١ محدث واسط ، وكان السلفي يثني عليه ، والحوز المنسوب إليها قرية شرقي واسط ، توفي سنة ٥١٠ (تذكرة الحفاظ : ١٢٦٢) ؛ وفي أ ج : الجويزي .

٢ أ ج : الشيخ .

١٦٢

السيرافي

أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المَرزُبان السيرافي النحوي المعروف بالقاضي؛ سكن بغداد وتولى القضاء بها نيابة عن أبي محمد ابن معروف ، وكان من أعلم الناس بنحو البصريين ، وشرح كتاب سيبويه فأجاد فيه ، وله كتاب « ألفات الوصل والقطع » وكتاب « أخبار النحويين البصريين » وكتاب « الوقف والابتداء» وكتاب « صنعة الشعر والبلاغة » و « شرح مقصورة ابن دريد » ، وقرأ القرآن الكريم على أبي بكر ابن مجاهد ، واللغة على ابن دريد ، والنحوَ على أبي بكر ابن السّرّاج النحوي ، وكان الناس يشتغلون عليه بعدة فنون : القرآن الكريم والقراءات[١] وعلوم القرآن والنحو واللغة والفقه والفرائض والحساب والكلام والشعر والعروض والقوافي . وكان نزهاً عفيفاً جميل الأمر حسن الأخلاق ، وكان معتزلياً ، ولم يظهر منه شيء[٢] ، وكان لا يأكل إلا من كَسب يده ، ينسخ ويأكل منه ، وكان أبوه مجوسياً اسمه بهزاد[٣] فأسلم فسماه ابنه أبو سعيد المذكور عبدَ الله ، وكان كثيراً ما ينشد في مجالسه :

اسكُنْ إلى سَكَنٍ تُسَرُّ به ذهَبَ الزمانُ وأنتَ مُنفَرِدُ
ترجو غداً وغَدٌ كحاملةٍ في الحيّ لا يَدْرُونَ ما تلدُ

---

١٦٢ - ترجمة السيرافي النحوي في الفهرست : ٦٢ - ٦٣ وتاريخ بغداد ٧ : ٣٤١ والجواهر المضية ١ : ١٩٦ وطبقات الزبيدي : ١٢٩ والانباه ١ : ٣١٣ ومعجم الادباء ٨ : ١٤٥ ومعجم البلدان (سيراف) ونزهة الالباء : ٢١١ وفي مؤلفات التوحيدي أخبار كثيرة عنه كما صنف القفطي في أخباره مؤلفاً مستقلا ، وقد طبع كتابه أخبار النحويين البصريين بعناية الزيني وخفاجي (القاهرة ١٩٥٥) بعد طبعة بيروت ١٣٣٦ .

١ أ : والقراءات السبع .

٢ يقول القفطي : وكان يذكر عنه الاعتزال ولم يكن يظهر ذلك .

٣ هـ : نهراذ .

وكان بينه وبين أبي الفرج الأصبهاني صاحب كتاب « الأغاني » ما جرَت العادة بمثله بين الفضلاء من التنافس ، فعمل فيه أبو الفرج[1] :

لستَ صَدْراً ولا قرأتَ على صَدْ ... رٍ ولا علمــك البكيُّ بشافِ
لعَنَ الله كلَّ نحــوٍ وشِعْرٍ ... وعَرُوضٍ يجيءُ مــن سِيرافِ

وتوفي يوم الاثنين ثاني رجب سنة ثمان وستين وثلثمائة ببغداد ، وعمره أربع وثمانون سنة ، ودفن بمقبرة الخَيْزُران ، رحمه الله تعالى ، وقيل انه توفي سنة أربع وستين ، وقيل سنة خمس وستين ، والصحيح هو الأول والله أعلم .

وقال ولده أبو محمد يوسف[2] : أصل أبي من سيراف ، وبها ولد وبها ابتدأ بطلب العلم ، وخرج منها قبل العشرين ومضى إلى عمان وتفقه بها ، ثم عـاد إلى سيراف ، ومضى إلى عسكر مكرم فأقام بها عند أبي محمد ابن عمر المتكلم ، وكان يقدمه ويفضله على جميع أصحابه ، ودخل بغداد ، وخَلَفَ القاضي أبا محمد ابن معروف على قضاء الجانب الشرقي ثم الجانبين .

والسيرافي — بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتهـا وفتح الراء وبعد الألف فاء — هذه النسبة إلى مدينــة سيراف ، وهي من بلاد فارس على ساحل البحر مما يلي كرمان ، خرج منها جماعة[3] من العلماء ، رحمهم الله تعالى ؛ وسيأتي في ترجمة ولده يوسف تتمة الكلام على سيراف ، إن شاء الله تعالى .

---

١ معجم الأدباء : ٨ : ١٤٨ .
٢ قارن بما في انباه الرواة : ١ : ٣١٤ .
٣ هـ : طائفة .

١٦٣

أبو علي الفارسي

أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبانَ الفارسي النحوي ؛ ولد بمدينة فَسا واشتغل ببغداد ، ودخل إليها سنة سبع وثلثمائة ، وكان إمام وقته في علم النحو ، ودار البلاد ، وأقام بحلب عند سيف الدولة بن حمْدان مدة ، وكان قدومه عليه في سنة إحدى وأربعين وثلثمائة ، وجرت بينه وبين أبي الطيب المتنبي مجالس ، ثم انتقل إلى بلاد فارس وصحب عَضُد الدولة ابن بُوَيه وتقدم عنده وعلت منزلته حتى قال عضد الدولة : أنا غلام أبي علي الفَسَويّ في النحو ، وصنف له كتاب « الإيضاح » و « التكملة » في النحو ، وقصته فيه مشهورة .

ويحكى أنه كان يوماً في مَيدان شيراز يُساير عضد الدولة ، فقال له : لِمَ انتصب المستثنى في قولنا « قام القوم إلا زيداً » ؟ فقال الشيخ : بفعل مقدر ، فقال له : كيف تقديره[1] ؟ فقال : أستثني زيداً ، فقال له عضد الدولة : هلا رفعته وقدرت الفعل امتنع زيد ؟ فانقطع الشيخ ، وقال له : هذا الجواب مَيْداني . ثم إنه لما رجع إلى منزله وضع في ذلك كلاماً حسناً وحمله إليه فاستحسنه ، وذكر في كتاب « الإيضاح » أنه انتصب بالفعل المتقدم بتقوية إلا .

وحكى أبو القاسم ابن أحمد الأندلسي قال[2] : جرى ذكر الشعر بحضرة أبي علي وأنا حاضر ، فقال : إني لأغبطكم على قول الشعر ، فإن خاطري لا يوافقني على قوله مع تحقيقي العلوم التي هي من مواده ، فقال له رجل : فما قلت قط

---

١٦٣ - ترجمة أبي علي الفارسي في الفهرست : ٦٤ وتاريخ بغداد ٧ : ٢٧٥ وغاية النهاية ١ : ٢٠٦ ولسان الميزان ٢ : ١٩٥ ومعجم الأدباء ٧ : ٢٣٢ ونزهة الألباء : ٢١٧ وانباه الرواة ١ : ٢٧٣ .

١ هـ : كيف تقدره .

٢ قارن بما في الانباه : ٢٧٥ .

شيئاً منه ؟ قال : ما أعلم أن لي شعراً إلا ثلاثة أبيات في الشيب ، وهي قولي :

خَضَبْتُ الشيب لمّا كان عَيباً وخَضْبُ الشيب أولى أن يُعابا
ولم أخْضب مخافةَ هَجْرِ خِلٍّ ولا عَيباً خشيتُ ولا عتابا
ولكنَّ المشيبَ بدا ذميماً فصيرتُ الخضابَ له عقابا

ويقال إن السبب في استشهاده في باب كان من كتاب « الإيضاح » ببيت أبي تمام الطائي وهو قوله[1] :

مَنْ كان مَرْعى عَزْمِهِ وهُمُومِهِ رَوْضَ الأماني لم يزل مَهْزولا

لم يكن ذلك لأن أبا تمام ممن يستشهد بشعره ، لكن عضد الدولة كان يُحِب هذا البيت وينشده كثيراً ، فلهذا استشهد به في كتابه .

ومن تصانيفه كتاب « التذكرة » وهو كبير ، وكتاب « المقصور والممدود » ، وكتاب « الحجة » في القراءات ، وكتاب « الاغفال » فيما أغفله الزجاج من المعاني ، وكتاب « العوامل المائة » وكتاب « المسائل الحلبيات » وكتاب « المسائل البغداديات » وكتاب « المسائل الشيرازيات » وكتاب « المسائل القصريات » وكتاب « المسائل العسكرية » وكتاب « المسائل البصرية » وكتاب « المسائل المجلسيات » وغير ذلك[2] .

وكنت رأيت في المنام في سنة ثمان وأربعين وستمائة وأنا يومئذ بمدينة القاهرة كأنني قد خرجت إلى قليوب ودخلت إلى مشهد بها فوُجدته شعثاً ، وهو عمارة قديمة ، ورأيت به ثلاثة أشخاص مقيمين مجاورين ، فسألتهم عن المشهد وأنا متعجب لحسن بنائه وإتقان تشييده : ترى هذا عمارة من ؟ فقالوا : لا نعلم ، ثم قال أحدهم : إن الشيخ أبا علي الفارسي جاوَرَ في هذا المشهد سنين عديدة ،

---

[1] من قصيدة له في مدح نوح بن عمرو السكسكي ، انظر ديوانه ٣ : ٦٧ ، قال شارح الديوان : هذا البيت ذكره أبو علي الفارسي في كتابه المعروف بالعضدي وإنما ذكره على سبيل التمثيل لا أنه يستشهد به ... وقد أنكر ذلك على أبي علي لأن طبقته لم تجر عادتهم به .
[2] سقط من النسخة س ذكر أسماء مصنفات أبي علي ؛ وانظر مزيداً منها في معجم الأدباء .

وتفاوضنا في حديثه ، فقال : وله مع فضائله شعر حسن ، فقلت : ما وقفت له على شعر ، فقال : أنا أنشدك من شعره ، ثم أنشد بصوت رقيق طيب إلى غاية ثلاثة أبيات ، فاستيقظت في أثر الإنشاد ولذة صوته في سمعي ، وعلق على خاطري منها البيت الأخير وهو :

النّاسُ في الخير لا يَرْضَوْن عن أحد فكيف ظَنُّكَ سِيمُوا الشرَّ أو ساموا

وبالجملة فهو أشهر من أن يُذكر فضله ويعدد ، وكان متهماً بالاعتزال[1] . وكانت ولادته في سنة ثمان وثمانين ومائتين. وتوفي يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر ، وقيل ربيع الأول ، سنة سبع وسبعين وثلثمائة رحمه الله تعالى ببغداد ، ودفن بالشونيزي .

والفارسي : لا حاجة إلى ضبطه لشهرته .

ويقال له أيضاً أبو علي الفَسَوي – بفتح الفاء والسين المهملة وبعدها واو – هذه النسبة إلى مدينة فَسا[2] من أعمال فارس ، وقد تقدم ذكرها في ترجمة البساسيري .

وقليوب – بفتح القاف وسكون اللام وضم الياء المثناة من تحتها وسكون الواو وبعدها باء موحدة – وهي بليدة صغيرة بينها وبين القاهرة مقدار فرسخين أو ثلاثة ذات بساتين كثيرة .

---

١ انظر طبقات المعتزلة : ١٣١ .

٢ في طبقات المعتزلة أن هذا الاسم بضم الفاء ، وقارن بما في اللباب « الفسوي » .

١٦٤

أبو أحمد العسكري

أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري ؛ أحد الأئمة في الآداب والحفظ ، وهو صاحب أخبار ونوادر ، وله رواية متسعة ، وله التصانيف المفيدة : منها كتابُ « التصحيف » الذي جمع فيه فأوعب وغير ذلك ، وكان[١] الصاحبُ بن عَبّاد يود الاجتماع به ولا يجد إليه سبيلاً ، فقال لمخدومه مؤيد الدولة بن بُوَيه : إن عسكر مكرم قد اختلّتْ أحوالها ، وأحتاج إلى كشفها بنفسي ، فأذن له في ذلك ، فلما أتاها توقع أن يزوره أبو أحمد المذكور فلم يزره، فكتب الصاحب إليه :

ولمّا أبيتُمْ أن تزوروا وقلتمُ ضَعُفْنا فلم نقدر على الوَخَدانِ
أتيناكمُ من بُعْدِ أرضٍ نَزُورُكم وكم منزلٍ بكر لنا وعَوَان
نسائلكم هل مِنْ قِرًى لنزيلكم[٢] بملء جُفونٍ لا بملء جِفَانِ

وكتب مع هذه الأبيات شيئاً من النثر، فجاوبه أبو أحمد عن النثر بنثر مثله، وعن هذه الأبيات بالبيت المشهور ، وهو :

أهُمُّ بأمر الحزم لو أستطيعُهُ وقد حِيلَ بين العَيْرِ والنزَوانِ

فلما وقف الصاحب على الجواب عجب من اتفاق هذا البيت له ، وقال : والله

---

١٦٤ ـ ترجمة أبي أحمد العسكري في معجم الأدباء ٨ : ٢٣٣ ومعجم البلدان (عسكر مكرم) وانباه الرواة ١ : ٣١٠ وبغية الوعاة : ٢٢١ والخزانة ١ : ٩٧ واللباب ٢ : ١٣٦ وابن كثير ١١ : ٣٢٠ وكتابه «التصحيف » مطبوع (القاهرة : ١٩٦٣) .

١ هذه القصة سقطت من س .

٢ أ : لنزوركم .

لو علمت أنه يقع له هذا البيت لما كتبت إليه على هذا الروي .

وهذا البيت لصخر بن عمرو بن الشّريد أخي الخَنساء[1] ، وهو من جملة أبيات مشهورة ، وكان صخر المذكور قد حضر مُحاربة بني أسد، فطعنه ربيعة ابن ثور الأسدي فأدخل بعض حلقات الدرع في جنبه وبقي مدة حولٍ في أشد ما يكون من المرض ، وأمه وزوجته سليمى تمرضانه[2] ، فضجرت زوجته منه ، فمرت بها امرأة فسألتها عن حاله ، فقالت : لا هو حيٌّ فيرجى ، ولا ميت فينسى[3] ، فسمعها صخر فأنشد :

أرى أمَّ صخر لا تملُّ عيادتي ... وملّتْ سليمى مَوضعي[4] ومكاني
وما كنتُ أخشى أن أكون جنازة ... عليك ، ومَنْ يَغْترّ بالحَدَثان
لعَمْري لقد نَبَّهْتِ من كان نائماً ... وأسمَعْتِ من كانت له أُذنان
وأيُّ امرىءٍ ساوى بأمٍّ حليلةً ... فلا عاش إلا في شقاً وهَوان
أهمُّ بأمر الحزم لو أستَطيعُهُ ... وقد حيل بين العَيْر والنَّزوان
فللموتُ خيرٌ من حياة كأنها ... مُعَرَّس يعْسُوبٍ برأس سنان

وكانت ولادته يوم الخميس لستَّ عشرَةَ ليلةً خلت من شوال سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وتوفي يوم الجمعة لسبع خلوْنَ من ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

وأخذ عن أبي بكر ابن دُرَيد؛ وله من التصانيف كتاب « المختلف والمؤتلف » وكتاب « علم المنطق »[5] وكتاب « الحِكم والأمثال » وكتاب « الزواجر » وغير ذلك .

والعَسْكري – بفتح العين المهملة وسكون السين المهملة وفتح الكاف وبعدها

١ انظر الخبر والأبيات في الأغاني ١٥ : ٦٣ .
٢ ر : تعللانه .
٣ الأغاني : فينعى .
٤ ر : مضجعي .
٥ كذا سماه هنا ووقع عند القفطي « علم النظم » ويقابله عند ياقوت « كتاب صناعة الشعر » .

راء – هذه النسبة إلى عدة مواضع ، فأشهرها عَسكر مُكرَم ، وهي مدينة من كور الأهواز ، ومكرم الذي تنسب إليه مكرم البـاهلي ، وهو أول من اختطها فنُسبت إليه ، وأبو أحمد المذكور من هذه المدينة ، وسيأتي العسكري منسوباً إلى شيء آخر إن شاء الله تعالى .

١٦٥

ابن رشيق القيرواني

أبو علي الحسن بن رَشيق المعروفُ بالقَيرَواني ؛ أحد الأفاضل البلغـاء ، له التصانيف المليحة منها : كتاب « العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه » ، وكتاب « الأنموذج » والرسائل الفائقة والنظم الجيد .

قال ابن بسام في كتاب « الذخيرة » : بلغني أنه ولد بالمَسيلَة وتأدَّب بها قليلاً ، ثم ارتحل إلى القيروان سنة ست وأربعمائة . وقال غيره : ولد بالمهدية سنة تسعين وثلثمائة ، وأبوه مملوك رومي من موالي الأزد ، وتوفي سنـة ثلاث وستين وأربعمائة . وكانت صنعة أبيه في بلده – وهي المحمدية – الصيـاغة ، فعلمه أبوه صنعته ، وقرأ الأدب بالمحمدية ، وقال الشعر ، وتاقت نفسه إلى التزيد منه وملاقاة أهل الأدب ، فرحل إلى القيروان واشتهر بها ومدح صاحبها واتصل بخدمته ، ولم يزل بها إلى أن هاجم العربُ القيروان وقتلوا أهلها وأخرَبوها ، فانتقل إلى جزيرة صقلية ، وأقام بمازر إلى أن مات[١] .

---

١٦٥ – ترجمة ابن رشيق في انباه الرواة ١ : ٢٩٨ ومعجم الأدباء ٨ : ١١٠ وشذرات الذهب ٣ : ٢٩٧ وبغية الوعاة : ٢٢٠ وعنوان الأريب : ٥٢ ، وقد جمع الاستاذ الميمني شعره في كتاب سماه « النتف من شعر ابن رشيق وابن شرف » ثم قام الدكتور عبد الرحمن ياغي بجمعه وزاد فيه (دار الثقافة – بيروت : ١٩٦٢) .

١ ذكر القفطي ان ابن رشيق لما حل بصقلية نزل على ابن مطكود أمير مازر فأكرمه واختصه =

ورأيت بخط بعض الفضلاء أنه توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة بمازر ، والأول أصح ، رحمه الله تعالى ، وهي قرية بجزيرة صقلية - وسيأتي ذكرها في ترجمة المازري إن شاء الله تعالى - وقيل إنه توفي ليلة السبت غرة ذي القعدة سنة ست وخمسين وأربعمائة بمازر ، والله أعلم .

[وكانت بينه وبين ابن شرف القيرواني وقائع وماجريات وهما أديبا بلاد المغرب وشاعراها . وكان ابن شرف أعور ؛ قيل : مر يوماً وبيده كتاب فقال له ابن رشيق : ما في كتابك ؟ قال : الدريدية ، يعرّض بقول ابن دريد فيها :

والعبد لا يردعه إلا العصا

يشير إلى أنه مولى ، فقال له ابن رشيق :

أمّا أبي فرشيقٌ لستُ أنكره ... قل لي أبوك وصوّره من الخشب

ومن شعره أيضاً وقد غاب المعز بن باديس عن حضرته وكان العيد ماطراً :

تجهم العيد وانهلت بوادرُهُ ... وكنتُ أعهدُ منه البشر والضحكا
كأنه جاءَ يطوي الأرض من بُعُدٍ ... شوقاً إليك فلما لم يجدك بكى

وقال أيضاً وقد أمره المعز بوصف أُترجة مصبعة كانت بين يديه بديهاً :

أترجة سبطة الأطراف ناعمة ... تلقى العيون بحسنٍ غير منحوسِ
كأنها بسطت كفاً لخالقها ... تدعو بطول بقاءٍ لابن باديسِ

ومن شعره أيضاً :

لو أورقت من دم الأبطال سُمْرُ قنا ... لأورقت عنده سُمْرُ القنا الذبل
إذا توجّه في أولى كتائبه ... لم تفرق العين بين السهل والجبل

= وقرأ عليه كتبه؛ قال : ومن جملة ما رأيته من قراءاته عليه كتاب العمدة في صنعة الشعر... ولم يزل عنده إلى أن مات بمازر في حدود سنة خمسين وأربعمائة .

فالجيش ينفض حوليـــه أسنّته   نفض العُقاب جناحيها من البلل

هذا البيت من فرائده وهو ملتقط من قول أبي صخر الهذلي :

وإني لتعروني لذكرك فـترةٌ   كما انتفض العصفورُ بلّله القَطْرُ

ولابن رشيق المذكور رحمه الله تعالى :

ومن حسنات الدهر عندي ليلةٌ   من العلم لم تترك لأيامها ذنبـــا
خلونا بها ننفي الكرى عن جفوننا   بلؤلؤةٍ مملوءة ذهبـــاً سكبا
ومِلْنا لتقبيل الخدود ولثمهـــا   مميل جياع الطير تلتقط الحبّا

ومن شعره أيضاً :

صنمٌ من الكافور بات معانقي   في حُلّتين تعفّفٍ وتكرُّمِ
فكّـرت ليلةَ وصله في صدّهِ   فجرت بقـايا أدمعي كالعندم
فطفقت أمسحُ ناظري في نحرِهِ   إذْ شيمةُ الكافور إمساك الدم

ومن شعره رحمه الله :

قالوا رأينـــا فلاناً ليس يوجعهُ   ما يوجعُ الناسَ من هجوٍ به قذفا
فقلت لو أنه حيّ لأوجعــــه   لكنّه مات من جهل وما عرفا
ومـــا هجوت فلاناً غير تجربةٍ   وذو الرماية لا يستشعر الهدفا][1]

ومن شعره[2] :

أُحِبُّ أخي وإنْ أعرَضتُ عنهُ   وقَلَّ على مسامِعِـــه كلامي
ولي في وجهِهِ تقطيبُ راضٍ   كما قطّبْتَ في وَجـهِ المُدام
ورُبَّ تقطُّبٍ مِنْ غَيرِ بُغْضٍ   وبُغضٍ كامن تحتَ ابتســـام

١ ما بين معقفين زيادة من د ص ر على اختلاف في الترتيب .
٢ هذه المقطعات في ديوانه : ١٧١ ، ٧١ ، ١٤٢ ، ٢٠٠ ، ١٧٢ .

ومن شعره :

يا رَبِّ لا أقوى على دَفع[1] الأذى ... وبكَ استعنتُ على الضعيفِ الموذي
ما لي بعثتَ إليَّ ألفَ بَعوضَةٍ ... وبَعَثتَ واحــدةً إلى نمروذِ ؟

ومن شعره على ما حكاه ابن بسام في « الذخيرة »[2] :

أسلَمَــني حبُّ سُليمانكم ... إلى هَـوًى أيْسرُهُ القَتــلُ
قالتْ لنــا جُنْدُ مَلاحاتِهِ ... لمــا بَدا مــا قالَتِ النمل
قُوموا ادخلوا مَسْكَنَكم قبل أن ... تحطمكم أعينُــهُ النُّجــل

وله وقد كبر وضعف مشيه ، وهو معنى غريب :

إذا مــا خففتُ كعهد الصبا ... أبت ذلــك الخمسُ والأرْبعُونا
ومــا ثَقُلَتْ كبراً وطأتي ... ولكنْ أجُرُّ ورائي السِّنينــا

وله أيضاً :

وقائِلَةٍ ما ذا الشحوبُ وذا الضَّنى ... فقلتُ لها قَوْلَ المشُوقِ المتيَّمِ
هَواكِ أتاني وهْوَ ضَيفٌ أعِزُّهُ ... فأطعَمْتُهُ لَحْمي وأسقَيتُهُ دَمي

ومن تصانيفه أيضاً : « قراضة الذهب » وهو لطيف الجرم[3] كبير الفائدة ، وله كتاب « الشذوذ » في اللغة ، يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة في بابها . [وكتــاب « طراز الأدب » وكتاب « المادح والمذام » وكتــاب « متفق التصحيف » وكتاب « تحرير الموازنة » وكتاب « الاتصال » وكتــاب « المن والفداء » وكتاب « غريب الأوصاف ولطائف التشبيهات لما انفرد به المحدثون » وكتاب « أرواح الكتب » وكتاب « شعراء الكتّاب » وكتاب « المعونة » في

---

١ أ : حمل .
٢ في المسودة : في الخريدة ، وهو وهم .
٣ ج : الحجم .

الرخص والضرورات وكتاب « الرياحين » وكتاب « صدق المدائح » وكتاب « الأسماء المعربة » وكتاب « إثبات المنازعة » وكتاب « معالم التاريخ » وكتاب « التوسع في مضايق القول » وكتاب « الحيلة والاحتراس »][1] .

[وكانت بينه وبين أبي عبد الله محمد بن أبي سعيد بن أحمد المعروف بابن شرف القيرواني وقائع وماجريات يطول شرحها ، وقصدنا الاختصار][2] .

ورَشيق : بفتح الراء وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها قاف .

والمسيلة : قد تقدم ذكرها فلا حاجة إلى إعادته .

١٦٦

ابن أبي الشخباء

الشيخ المجيد أبو علي الحسن بن عبد الصمد بن أبي الشَّخْبَاء العَسقلاني صاحب الخطب المشهورة والرسائل المحبّرَة ؛ كان من فرسان النثر ، وله فيه اليد الطولى . ويقال : إن القاضي الفاضل ، رحمه الله تعالى ، كان جلُّ اعتماده على حفظ كلامه وإنه كان يَستحضر أكثره . وذكره عماد الدين الأصبهاني في « الخريدة » فقال : « المجيد مجيد كنَعْته ، قادر على ابتداع الكلام ونَحْته ، له الخطب البديعة والملح الصنيعة » ، وذكره ابن بَسّام في « الذخيرة » وسَرَدَ له جملة من الرسائل ، وذكر هذا المقطوع من نظمه ، وهو من بعض قصيد :

١ زيادة من ر د .

٢ تكرر ما بين معقفين لتداخل الترجمات من النسخ المختلفة ، وهذا موضع العبارة في المسودة .

١٦٦ - ترجمة ابن أبي الشخباء في الخريدة (قسم العسقلانيين) ومعجم الأدباء ٩ : ١٥٢ وفيه الحسن ابن محمد بن عبد الصمد والذخيرة (القسم الرابع - وهو الجزء الخاص بغير الاندلسيين) وأورد له صاحب الريحان والريعان جملة من رسائله وخطبه ، ولعله اعتمد في ذلك على الذخيرة .

ما زالَ يختـــار الزمانُ ملوكَهُ حتى أصـابَ المصطفى المتخيرا
قل للأُلى ساسوا الورى وتقدمُوا قـُدُمـاً هلموا شاهِدوا المتأخرا
تجدوه أوسع في السياسة منكمُ صَدْراً وأحمد في العواقب مَصْدَرا
إن كانَ رَأيٌ شاوروهُ أحنَفاً أو كانَ بأس نازلُــوهُ عنترا
قد صامَ والحَسنات مِلء كتابهِ وعلى مِثال صِيامِهِ قد أفطَرا
ولقَدْ تخوَّفكَ العَـدوُّ بجَهْدِهِ لو كانَ يَقدِرُ أنْ يَرُدَّ مُقَدَّرا
إنْ أنتَ لم تَبْعَثْ إليه ضُمَّراً جُرْداً بَعَثتَ إليه كَيداً مُضْمَرا
يَسْري وما حمَلتْ رجال أبيضاً فيهِ ولا ادَّرَعَتْ كُماة أسمَرا
خطروا إليكَ فخاطرُوا بنفوسهم وأمرتَ سيفَكَ فيهمُ أنْ يخطرا
عَجِبُوا لحلمكَ أنْ تحَوَّلَ سَطوَةً وزُلالِ خُلْقِكَ كيفَ عادَ مكدَّرا
لا تَعجَبوا مِنْ رِقَّةٍ وقَساوَةٍ فالنارُ تُقْدَحُ مِنْ[1] قضيبٍ أخضَرا

وقد اقتصرتُ منها على هذا القدر خوفاً من التطويل[2] .
ومن المنسوب إلى ابن أبي الشخباء أيضاً قوله :

يا سيفَ نصري والمُهَنَّدُ يانِـعٌ ورَبيعَ أرضي والسَّحابُ مُصاف
أخلاقُكَ الغرّ النميرة ما لهــا حمَلَتْ قَذى الواشِينَ وهيَ سُلاف
والإفكُ في مرآة رَأيكَ مــا له يَخْفى وأنتَ الجوْهَرُ الشَّفّاف

ورأيت في ديوانه البيتين المشهورين :

حِجابٌ وإعجابٌ وفَرطُ تَصَلُّفٍ ومَدُّ يَدٍ نحو العُلا بتَكَلُّفِ
ولَوْ كانَ هَذا مِنْ وَراءِ كِفايَةٍ عَذَرْنا ولكنْ مِنْ وراءِ تخَلُّفِ

[ومن شعره أيضاً :

يجود بالماء غيث السُّحب منقطعاً وغيث كفك بالأموال متصــل

[1] المسودة : في .　　[2] أ د : الإطالة .

جارى نداك ولم يظفر ببغيتـه   فحمرة البرق في حافاته خجل

ومن شعره :

ومهفهف علق السقـــام بطرفه   وسرى فخيّم في معاقد خصره
مزقت أثواب الظـــلام بثغره   ثم انثنيت أحوكها من شعره][1]

وذكر أنه توفي مقتولاً بخزانة البنود ، وهي سجن بمدينة القاهرة المعزية ، سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

والشَّخْباء : بفتح الشين المثلثة وسكون الخاء المعجمة وبعد الباء الموحدة ألف ممدودة .

والعَسقلاني : نسبة إلى مدينة عَسْقَلان وهي مشهورة على الساحل .

١٦٧

ابن زولاق

أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي بن خالد[2] بن راشد بن عبد الله بن سليمان بن زُولاق الليثي مولاهم[3] المصري، كان فاضلاً في التاريخ،وله فيه مصنف جيد ، وله كتاب في خِطَط مصر استقصى فيه ، وكتاب « أخبار قضاة مصر »جعله ذيلاً على كتاب أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي الذي ألفه في

١ البيتان الأولان في د وهامش س والتاليان في د وحدها .

١٦٧ - ترجمة المؤرخ ابن زولاق في ابن كثير ١١ : ٣٢١ وتاريخ ابن الوردي ١ : ٣٥١ ولسان الميزان ٢ : ١٩١، ومن كتابه « سيرة الاخشيد » احتفظ ابن سعيد في المغرب بقطعة وافرة. وله أيضاً سيرة ابن طولون وسيرة خمارويه (انظر تاريخ بروكلمان ١ : ١٢٩) .

٢ س : خلف .

٣ مولاهم : سقطت من س .

أخبار قضاة مصر وانتهى فيه إلى سنة ست وأربعين ومائتين ، فكمله ابن زولاق المذكور ، وابتدأ بذكر القاضي بكار بن قتيبة ، وختمه بذكر محمد بن النعمان ، وتكلم على أحواله إلى رجب سنة ست وثمانين وثلثمائة ؛ وكان جده الحسن بن علي من العلماء المشاهير .

وكانت وفاته – أعني أبا محمد – يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثمانين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

ورأيت في كتابه الذي صنفه في أخبار قضاة مصر ، في ترجمة القاضي أبي عبيد ، أن الفقيه منصور بن إسماعيل الضرير توفي في جمادى الأولى سنة ست وثلثمائة ، ثم قال : قبل مولدي بثلاثة أشهر ، فعلى هذا التقدير تكون ولادة ابن زولاق المذكور في شعبان سنة ست وثلثمائة . وروى عن الطحاوي .

وزولاق : بضم الزاي وسكون الواو وبعد اللام ألف قاف .

والليثي – بفتح اللام وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها ثاء مثلثة – هذه النسبة إلى ليث بن كنانة ، وهي قبيلة كبيرة .

قال ابن يونس المصري : هو ليثي بالولاء .

١٦٨

ملك النحاة

أبو نزار الحسن بن أبي الحسن صافي بن عبد الله بن نِزار بن أبي الحسن النحوي المعروف بملك النحاة ؛ ذكره العماد الكاتب في « الخريدة » فقال : كان من الفضلاء المبرّزين ، وحكى ما جرى بينهما من المكاتبات بدمشق ، وبرع في

---

١٦٨ – ترجمة ملك النحاة في تهذيب ابن عساكر ٤ : ١٦٦ وانباه الرواة ١ : ٣٠٥ ومرآة الزمان : ٢٩٥ وابن الدبيثي : ٢٨١ ومعجم الأدباء ٨ : ١٢٢ وطبقات السبكي ٤ : ٢١٠ وابن كثير ١٢ : ٢٧٢ وبغية الوعاة : ٢٢٠ والخريدة (قسم العراق) .

النحو حتى صار أنحى أهل طبقته[1] ، وكان فهماً فصيحاً ذكياً إلا أنه كان عنده عُجْبٌ بنفسه وتِيهٌ ، لقب نفسه مَلِكَ النحاة ، وكان يسخط على من يخاطبه بغير ذلك . وخرج عن بغداد بعد العشرين[2] وخمسمائة ، وسكن واسط مدة ، وأخذ عنه جماعة من أهلها أدباً كثيراً ، واتفقوا على فضله ومعرفته .

وذكره أبو البركات ابن المستوفي في « تاريخ إربل » فقال : ورد إربل وتوجه إلى بغداد وسمع بها الحديث ، وقرأ مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه وأصول الدين على أبي عبد الله القيرواني ، والخلاف على أسْعد الميهني ، وأصول الفقه على أبي الفتح ابن برهان صاحب « الوجيز » و « الوسيط » في أصول الفقه ، وقرأ النحو على الفصيحي ، وكان الفصيحي قد قرأ على عبد القاهر الجرجاني صاحب « الجمل الصغرى[3] » . ثم سافر إلى خراسان وكِرْمان وغَزْنة ، ثم رحل إلى الشام واستوطن دمشق ، وتوفي بها يوم الثلاثاء ثامن شوّال ، ودفن يوم الأربعاء تاسعه سنة ثمان وستين وخمسمائة وقد ناهزَ الثمانين ، ودفن بمقبرة باب الصغير ، رحمه الله تعالى .

[ثم ظفرت بمولده في سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، بالجانب الغربي من بغداد بشارع دار الرقيق] [4] .

وله مصنفات كثيرة في الفقه والأصلين والنحو[5] ، وله ديوان شعر ، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة[6] ، ومن شعره :

سَلَوْتُ بحمدِ اللهِ عنها فأصبَحَتْ ... دَواعي الهوى مِن نحوِها لا أُجيبها

---

١ ر : زمانه .

٢ ص : بعد العشر .

٣ س : الصغير .

٤ ما بين معقفين انفردت به س .

٥ من مصنفاته : الحاوي والعمد والمنتخب وكلها في النحو ، وله أيضاً المقتصد في التصريف وأسلوب الحق في القراءات والتذكرة السفرية والحاكم في فقه الشافعي ومختصر في أصول الفقه ومختصر في أصول الدين .

٦ ص : بقصائد .

على أنني لا شامِتٌ إن أصابها بلاء ، ولا راضٍ بواشٍ يَعيبها

وله أشياء حسنة ، وكان مجموع فضائل .

١٦٩
أبو محمد العسكري

أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ؛ أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية ، وهو والد المنتظر صاحب السرداب ويُعرف بالعسكري ، وأبوه علي يُعرف أيضاً بهذه النسبة – وسيأتي ذكره وذكر بقية الأئمة إن شاء الله تعالى – .

وكانت ولادة الحسن المذكور يوم الخميس في بعض شهور سنة إحدى وثلاثين ومائتين وقيل سادس شهر ربيع الأول، وقيل الآخر، سنة اثنتين وثلاثين ومائتين[1] . وتوفي يوم الجمعة ، وقيل يوم الأربعاء لثماني ليال خلون من شهر ربيع الأول ، وقيل جمادى الأولى سنة ستين ومائتين بِسُرّ مَن رأى ، ودفن بجنب[2] قبر أبيه ، رحمهما الله تعالى .

والعَسكري – بفتح العين المهملة وسكون السين المهملة وفتح الكاف وبعدها راء – هذه النسبة إلى سُرَّ من رأى . ولما بناها المعتصم وانتقل إليها بعسكره

١٦٩ – ترجمة أبي محمد العسكري في الأئمة الاثني عشر : ١١٣ ، وراجع الصفحة المقابلة في مصادر ترجمته وانظر مصادر أخرى في حاشية الأعلام للزركلي ٢ : ٢١٦ .

١ وقيل سادس ... ومائتين ، سقط من س م ر .

٢ ص : إلى جانب .

قيل لها العسكر[1] ، وإنما نسب الحسن المذكور إليها لأن المتوكل أشخص أباه علياً إليها[2] وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر ، فنسب هو وولده إليها .

١٧٠

أبو نواس

أبو علي الحسن بن هانىء بن عبد الأول بن الصبـــاح المعروف بأبي نـُوَاس الحكَمي الشاعر المشهور ؛ كان جَــدُّه مولى الجراح بن عبدِ اللهِ الحكمي والي خراسان ، ونسبته إليه .

ذكر محمد بن داود بن الجراح في كتاب « الورقة »[3] أن أبا نواس ولد بالبصرة ونشأ بها ، ثم خرج إلى الكوفة مع والبةَ بن الحباب ، ثم صار إلى بغداد. وقال غيره : إنه ولد بالأهواز ونقل منها وعمره سنتان . وأمه أهوازية اسمها جُلـْبان، وكان أبوه من جند مَروانَ بن محمد ، آخر ملوك بني أمية ، وكان من أهـل دمشق ، وانتقل إلى الأهواز للرباط فتزوج جلبان وأولدها عدة أولاد منهم : أبو نواس وأبو معاذ ؛ فأما أبو نواس فأسلمته أمه إلى بعض العطارين ، فرآه أبو أسامة والِبةُ بن الحباب ، فاستَحلاه[4] ، فقال له : إني أرى فيك مَخـايل ،

---

١ س : العسكرية .

٢ أ : أباه عاملاً عليها .

١٧٠ – ترجمة أبي نواس في الأغاني ٢٠ : ٣ وتاريخ بغداد ٧ : ٤٣٦ والشعر والشعراء : ٦٨٠ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٢٥٤ وطبقات ابن المعتز : ١٩٣ والموشح : ٢٦٣ ونزهة الالباء : ٢٤٩ ، ولابن منظور كتاب مفرد في أخباره وكذلك لأبي هفان ، وانظر بروكلمان ٢ : ٢٤ (من الترجمة العربية) .

٣ لم يرد هذا في كتاب الورقة المطبوع ، وهذا القسم الذي طبع لا يمثل كتاب الورقة لأنه أخل بترجمات كثيرة .

٤ ر : فاستحسنه .

أرى لك أن لا تضيعها ، وستقول الشعر ، فاصحَبْني أُخرِّجْكَ[١] ، فقال له : ومن أنت ؟ فقال : أنا أبو أُسامة والبةُ بن الحباب ، فقال : نعم ، أنا والله في طلبك ، ولقد أردتُ الخروج إلى الكوفة بسببك لآخذ عنك وأسمع منك شعرك ؛ فصار أبو نواس معه وقدم به بغداد ، فكان أول ما قاله من الشعر ، وهو صبي[٢] :

حامِلُ الهوَى تَعِبُ يَسْتَخِفُّهُ[٣] الطَّرَبُ
إنْ بكى يَحِقُّ له[٤] ليسَ ما بهِ لَعِب
تضْحكينَ لاهيةً والمحِبُّ ينتحب
تَعجبينَ منْ سَقَمي صِحَّتي هِيَ العَجَب

وهي أبيات مشهورة .

وروي أن الخصيب صاحب ديوان الخراج بمصر سأل أبا نواس عن نسبه فقال : أغناني أدبي عن نسبي ، فأمسك عنه .

وقال إسماعيل بن نوبخت : ما رأيت قط أوسعَ علماً من أبي نواس ، ولا أحفظ منه مع قلة كتبه ، ولقد فتَّشْنا منزله بعد موته فما وجدنا له إلا قِمَطراً فيه جُزاز مشتمل على غريب ونحو لا غير .

وهو في الطبقة الأولى من المولَّدين ، وشعره عشرة أنواع ، وهو مجيد في العشرة ، وقد اعتنى بجمع شعره جماعة من الفضلاء : منهم أبو بكر الصولي وعلي بن حمزة وإبراهيم بن أحمد بن محمد الطبري المعروف بتُوزُون ، فلهذا يوجد ديوانه مختلفاً ، ومع شهرة ديوانه لا حاجة إلى ذكر شيء منه .

[وكان أبو نواس قويّ البديهة والارتجال ؛ روي أن الخصيب قال له مرة

١ أخرّجك : سقطت من س .
٢ ديوانه : ٣٦٦ ؛ ولم يرد في س من هذه الأبيات غير بيت واحد .
٣ ر س : يستفزه .
٤ الديوان : فحق له .

وهو بالمسجد الجامع : أنت غير مدافع في الشعر ولكنك لا تخطب ، فقام من فوره فقال مرتجلاً :

نحلتكمُ يا أهل مصر نصيحتي ألا فخذوا من ناصحٍ بنصيب
رماكم أمير المؤمنين بحيّةٍ أكول لحيّات البلاد شروب
فإن يكُ باقي إثم فرعون فيكمُ فإن عصا موسى بكف خصيب

ثم التفت إليه وقال : والله لا يأتي بمثلها خطيب مصقع فكيف رأيت ؟ فاعتذر إليه وحلف : ما كنت إلا مازحاً][1] .

ورأيت في بعض الكتب أن المأمون كان يقول : لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول أبي نواس[2] :

ألا كل حيّ هالكٌ[3] وابنُ هالكٍ وذو نسَبٍ في الهالكين عريقِ
إذا امتَحَنَ الدنيا لبيبٌ تكشّفت له عن عَدُوٍّ في ثيابِ صديقِ

والبيت الأول ينظر إلى قول امرىء القيس[4] :

فبَعضَ اللوم عاذلتي فإني سيكفيني التجاربُ وانتِسابي
إلى عِرق الثّرى وشجَت عُروقي وهذا الموتُ يسلبني شَبابي

وقد سبق في ترجمة الحسن البصري نظير هذا المعنى .

وما أحسن ظنه بربه عز وجل حيث يقول[5] :

[تكثّر ما استطعت من الخطايا إذا كان القدوم على كريم

وقال وهي من رواية أخرى :][1]

١ زيادة من د .
٢ ديوانه : ١٩٢ .
٣ الديوان : أرى كل حي هالكا .
٤ ديوان امرىء القيس : ٩٧ – ٩٨ .
٥ لم ترد في باب الزهد من ديوانه .

تَكَثَّرْ ما استطَعتَ من الخطايا   فإنك بالـــغٌ ربّاً غَـفُورا
ستبصرُ إن ورَدْتَ عليه عَفْواً   وتلقى سيداً ملكـاً كبـيرا
تَعَضُّ ندامةً كَفَـيْكَ مـمـا   تركتَ مخافَةَ النار الشُّرورا[1]

وهذا من أحسن المعاني وأغربها ؛ وأخباره كثيرة .

ومن شعره الفائق المشهور قصيدته الميمية التي حسده عليها أبو تمـام حبيب المقدم ذكره ووازنها بقوله[2] :

دمَنٌ ألَـمَّ بها فقال سَلامُ   كم حل عُقدَةَ صبره الإلمامُ

وأول قصيدة أبي نواس المشار إليها ، وهي مما مدح به الأمين محمد بن هارون الرشيد أيام خلافته[3] :

يا دارُ ما صنَعَتْ[4] بكِ الأيامُ   لم يَبقَ فيكِ بَشاشةٌ تُستامُ[5]

يقول من جملتها في صفة ناقته :

وتجشَّمَتْ بي هَوْلَ كل تَنوفَـةٍ   هَوْجاء فيهـا جُرأةٌ إقدامُ
تَذَر المطيَّ وراءها فكأنهـــا   صفٌ تَقَدَّمُهُنَّ وهي إمـــام
وإذا المطيُّ بنا بَلَغْنَ محمداً   فظهورهُنَّ على الرجال حَرام

وهذا البيت له حكاية سيأتي ذكرها في ترجمة ذي الرمـــة غيلان الشاعر المشهور .

(18) وقد أذكرني هذا البيت واقعةً جرت لي مع صاحبنا جمال الدين محمود

---

١ أ د : الشرورا .
٢ ديوان أبي تمام ٣ : ١٥٠ .
٣ ديوان أبي نواس : ٦٣ .
٤ الديوان : فعلت .
٥ الديوان : ضامتك والأيام ليس تضام .

ابن عبد الله الإربلي الأديب المجيد في صناعة الألحان وغير ذلك ، فإنه جاءني إلى مجلس الحكم العزيز بالقاهرة المحروسة في بعض شهور سنة خمس وأربعين وستمائة وقعد عندي ساعة ، وكان الناس يزدحمون[1] لكثرة أشغالهم حينئذ ، ثم نهض وخرج ، فلم أشعر إلا وقد حضر غلامه وعلى يده رقعة مكتوب فيها هذه الأبيات:

يا أيها المَوْلى الذي بوُجوده ... أبدت محاسِنَها لنا الأيامُ
إني حججتُ إلى مقامك حجّةً الـ ... أشواق لا ما يوجبُ الإسلام
وأنخْتُ بالحَرَم الشريف مطيّتي ... فتَسَرَّبت واسْتاقها الأقوام
فظللت أنشِدُ عند نِشْداني لها ... بيتاً لمن هو في القريض إمام
«وإذا المطيُّ بنا بلغن محمداً ... فظهورُهُنَّ على الرجال حَرام»

فوقفت عليها وقلت لغلامه : ما الخبر ؟ فذكر أنه لما قام من عندي وجد مَداسه قد سُرق ، فاستحسنت منه هذا التضمين . والعرب يشبهون النعل بالراحلة ، وقد جاء هذا في شعر المتقدمين والمتأخرين ، واستعمله المتنبي في مواضع من شعره .

ثم جاءني من بعد جمال الدين المذكور ، وجرى ذكر هذه الأبيات ، فقلت له : ولكن أنا اسمي أحمد ، لا محمد ، فقال : علمت ذلك ، ولكن أحمد ومحمد سواء ، وهذا التضمين حسن ولو كان الاسم أي شيء كان .

وكان محمد الأمين المقدّم ذكره قد سخط على أبي نواس لقضية جرت له معه ، فتهدّده بالقتل وحبسه ، فكتب إليه من السجن[2] :

بِـكَ أستجير من الردى ... مُتَعَوِّذاً من سَطوِ باسِكْ
وحَيَاةِ رأسك لا أعُو ... دُ لمثلها ، وحياةِ راسِكْ
مَنْ ذا يكونُ أبا نُوا ... سِكَ إن قتلتَ أبا نواسِك[3]

---

[1] هـ : مزدحمين .
[2] ديوانه : ١٠٧ .
[3] قوله : ومن شعره الفائق حتى هذا الموضع لم يرد في المسودة ، وعند موضعه علامة تحويل .

وله معه وقائع كثيرة .

[حدث أحمد بن معاوية الباهلي عن عطاء الملك قال : دخلنا المسجد الجامع فإذا على السارية – مكتوب بخط جليل – التي إليها أبو عبيدة يجلس :

صلى الإله على لوطٍ وشيعته أبا عبيدة قل بالله آمينا

قال : فقال لي أبو عبيدة : امحه ، قلت : لا أناله ، فركع وارتفعت على ظهره حتى محوته فقلت : لم يبقَ إلا الطاء ، فقال : الطامة في الطاء ، فمحوتها ، فلما جلس قال : والله ما أتهم بهذا إلا الخبيث الماجن المتهتك – يعني أبا نواس – ؛ قال : فبلغ قوله أبا نواس ، فحلف أنه لم يفعل ذلك ، فقبل يمينه .

وكان أبو عبيدة يحب أبا نواس ويقدمه لظرفه وأدبه ، وكان أبو نواس يتعلم من أبي عبيدة ويشنأ الأصمعي ويهجوه ، فقيل له : ما تقول في الأصمعي ؟ فقال : بلبل في قفص ؛ قيل : فما تقول في خلف الأحمر ؟ قال : جمع العلم وفهمه ؛ قيل : فما تقول في أبي عبيدة ؟ قال : ذاك أديم طوي على علم][1] .

[وكان بمصر رجل يُعرف بالحسن بن عمر الأجهري يقول الشعر الضعيف ، وكان ناقص العقل، فقيل له : إن أردت أن يعلو شأنك في الشعر فاهجُ أبا نواس، فأتاه وهو جالس في المجلس والناس حوله فأنشده :

ألا قل للنواسي الضـ ـعيف الحال والقدر
خبرنا منك أحوالاً فلم نحمدك في الخبر
وما روعت بالمنظـ ـر لكن رعت بالكدر

قال : وكان هذا الشاعر من أوحش الناس صورة ، فنظر إليه أبو نواس وقال : بمَ أهجوك وبأي شيء أصفك وقد سبقني الله تعالى إلى توحُّش منظرك وتقبيح مخبرك ؟ وهل أكون إن قلت شيئاً إلا سارقاً من ربي ومتكلفاً

[1] زيادة من ر ص .

على ما قد كفاني ؟ فقال له بعض من معه : اهجه على حال لا نقول إنه أفحمك ، فقال من وزن شعره :

بما أهجـــوك لا أدري لساني فيـــك لا يجري
إذا فكــرت في هجــو ك أبقيت عــلى شعري

قال : فقاموا على أبي نواس فقبلوا رأسه وصفـقوا الأيدي جهراً][1] .

[حدث الصولي عن عبد الله بن محمد بن حفص قال : غلست يوماً إلى المسجد فإذا بأبي نواس يكلم امرأة عند باب المسجد ، وكنت أعرفه في مجالس الحديث والآداب ، فقلت له : مثلك يقف هذا الموقف بحق أو باطل ! فاعتذر ثم كتب إليّ ذلك اليوم هذه الأبيات :

إن الـتي أبصرتهـــا سَحَراً تكلمني رسول
دسّــت إلي رســـالة كادت لهـا نفسي تزول
من واضح الخــدين يقـ صر خطوه ردف ثقيل
متنكب قوس الصبــا يرمي وليس له رسيل
فلو ان أُذنك عندنا حتى تسمّع مـا تقــول
لرأيت ما استقبحت من أمري لديك هو الجميل ..][2]

[وحكى الصولي عن إسماعيل بن نصر أخي محمد بن نصر الذي يقول فيه أبو نواس من جملة قصيد :

فصلى هــذه في وقت هــذي فكل صلاته أبداً قضــاء
وذاك محمــد تفديــه نفسي وحق له وقــلّ له الفــداء

قال : رأيت أبا نواس وقد صلى الظهر وقام يتطوع فقلت له : ما بدا لك في

---

١ زيادة انفردت بها ر .

٢ زيادة من ص ر وقد استطردت النسختان بعد ذلك إلى ذكر حكاية طويلة قليلة الاهمية في ترجمة أبي نواس ، لا نظن أن المؤلف يتورط في إيراد أمثالها ، ولذلك لم نثبتها .

هذا ؟ قال : ليصعد إلى السماء اليوم خبر ظريف .

حكى الصولي عن أبي العتاهية قال : لقيت أبا نواس في المسجد الجامع فعذلته وقلت له : أما آن لك أن ترعوي ؟ أما حان لك أن تزدجر ؟ فرفع رأسه إلي وقال :

أتراني يا عتاهي تاركاً تلك الملاهي
أتراني مفسداً بالنسـ ـكِ عند القوم جاهي

قال : فلما ألححت عليه بالعذل أنشأ يقول :

لن ترجع الأنفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

قال : فوددت اني قلت هذا البيت بكل شيء قلته .

وقال أبو العتاهية : قد قلت عشرين ألف بيت في الزهد وددت أن لي مكانها الأبيات الثلاثة التي قالها أبو نواس وهي :

يا نواسي توقّر وتعزّ وتصبّر
إن يكن ساءك دهرٌ فلما سرّك أكثر
يا كبير الذنب عفو الله عن ذنبك أكبر

وأشيع عن أبي نواس انه رجع عما كان عليه من البطالة وشرب الخمر وزهد في اللذات ، فاجتمع أصحابه وأقبلوا عليه يهنئونه بذلك ، فوضع بين يديه باطية وجعل لا يدخل عليه أحد يهنئه إلا شرب بين يديه رطلاً وأنشد :

قالوا نزعت ولمّا يعلموا وطري في كل أغيد ساجي الطرف مياسِ
كيف النزوع وقلبي قد تقسّمه لحظ العيون وقرع السن بالكاسِ

قال محمد بن نافع : كان أبو نواس لي صديقاً ، فوقع بيني وبينه هجرة في آخر عمره ، ثم بلغتني وفاته فتضاعف علي الحزن ؛ فبينا أنا بين النائم واليقظان إذ رأيته فقلت : أبا نواس ؟ قال : لات حين كنية ، قلت : الحسن بن هانيء ؟

قال : نعم ، قلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي بأبيات قلتها في علتي قبل موتي وهي تحت الوسادة ؛ فأتيت أهله فلما رأوني أجهشوا بالبكاء فقلت لهم : قال أخي شعراً قبل موته ، قالوا : لا نعلم إلا أنه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئاً لا ندري ما هو ، قلت : ايذنوا لي أدخل ؛ قال : فدخلت إلى مرقده فإذا ثيابه لم تحرك بعد ، فرفعت وسادة فلم أر شيئاً ثم رفعت أخرى فإذا أنا برقعة فيها مكتوب :

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يدعوك إلا محسنٌ ... فمن الذي يرجو ويدعو المجرم
أدعوكَ ربِّ كما أمرتَ تضرعاً ... فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
ما لي إليك وسيلة إلا الرجا ... وجميل عفوك ثم أني مسلم][1]

وقد سبق في ترجمة أبي عمر أحمد بن دَرّاج القَسطَلّي ذكرُ بعض قصيدة أبي نواس الرائية[2] .

وذكره الخطيب أبو بكر في « تاريخ بغداد » وقال : وُلد في سنة خمس وأربعين وقيل سنة ست وثلاثين ومائة ، وتوفي في سنة خمس ، وقيل ست ، وقيل ثمان وتسعين ومائة ببغداد ، ودفن في مقابر الشونيزي ، رحمه الله تعالى .

وإنما قيل له أبو نواس لذؤابتين كانتا له تَنوسان على عاتقيه .

والحَكَمي – بفتح الحاء المهملة والكاف وبعدها ميم – هذه النسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة ، قبيلة كبيرة باليمن منها الجراح بن عبد الله الحكمي ، وكان أمير خراسان ، وقد تقدم أن أبا نواس من مواليه فنسب إليه . وقد تقدم الكلام على سعد العشيرة في ترجمة المتنبي في حرف الهمزة .

وأما الصولي فتأتي ترجمته في المحمدين ، وعلي بن حمزة لم أقف له على ترجمة[3]

---

١ زيادة من ص ر .
٢ انظر الجزء الأول ص : ١٣٥ : ١٨٨ .
٣ قد صرح ابن النديم (الفهرست : ١٦٠) أن علي بن حمزة الاصفهاني عمل ديوان أبي نواس على الحروف ، وقد ترجم ياقوت (معجم الأدباء ١٣ : ٢٠٣) لعلي بن حمزة الاصفهاني هذا ويؤخذ من ترجمته أنه من رجال القرن الثالث .

(19) وتوزون أخذ الأدب عن أبي عمر الزاهد وبرع فيه ، وكان يسكن بغداد، وتوفي في جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

۱۷۱

ابن وكيع التنيسي

أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد الضبي المعروف بابن وكيع التنيسي الشاعر المشهور ؛ أصله من بغداد ومولده بتِنِّيس . ذكره أبو منصور الثعالبي في « يتيمة الدهر » ، وقال في حقه : « شاعر بارع ، وعالم جامع ، قد برع على أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحد في أوانه ، وله كل بديعة تسحر[1] الأوهام ، وتستعبد الأفهام » ، وذكر مزدوجته المربعة[2] ، وهي من جيد النظم ، وأورد له غيرها ، وله ديوان شعر جيد ، وله كتاب بيَّن فيه سرقات أبي الطيب المتنبي سماه « المنصف »[3] ، وكان في لسانه عجمة ، ويقال له العاطس ، ومن شعره[4] :

سلا عن حُبِّكَ القلبِ المَشُوقُ فما يَصبُو إليك ولا يَتُوقُ
جَفاؤكَ كان عَنكَ لنا عَزاءً وقد يُسْلِي عن الولدِ العُقوقُ

وله أيضاً :

۱۷۱ - ترجمة ابن وكيع التنيسي في اليتيمة ۱ : ۳۷۲ - ٤۰۰ .

۱ أ ج : نظم يسحر .

۲ قصيدة كل أربعة أشطار منها على قافية وأولها :

رسالة من كلف عميد حياته في قبضة الصدود
بلغه الشوق مدى المجهود ما فوق ما يلقاه من مزيد

۳ من هذا الكتاب قطعة تمثل الجزء الأول (جامعة ييل : ١٦٧) .

٤ هذه القطعة والتي تليها في اليتيمة : ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

[كأنها في الكؤوس إذ جُليت من عسجد رقّ لونه وصفا
أغضبها الماء حين مازجها وأزبدت في كؤوسها أنَفا
در حباب يودّ مبصره لو كان يوماً لأذنه شنفا

وله أيضاً :][1]

إن كان قد بَعُدَ اللقاءُ فَوُدُّنا دانٍ، ونحنُ على النّوى أحبابُ
كم قاطعٍ للوَصْلِ يُؤْمَنُ ودُّهُ ومُواصِلٍ بوداده يُرْتابُ

وله أيضاً :

لقَدْ شَمِتُّ بقلبي لا فرّجَ الله عَنهُ
كم لُمته في هَواه فقال لا بُدّ منهُ

ولقد ألمّ به بعضُهم فقال :

لا رعى اللهُ عَزْمةً ضَمِنَتْ لي سَلْوَةَ القَلبِ والتّصبُّرَ عَنْهُ
ما وفَتْ غيرَ ساعةٍ ثمّ عادتْ مثلَ قلبي تقولُ لا بُدّ مِنْهُ

ومثله قول أسامة بن مُنقِذٍ الشيزري المقدم ذكره[2] :

لا تَستَعِرْ جلَداً على هِجرانهم فقُواك تَضْعُفُ عن صدودٍ دائمِ
واعلم بأنك إنْ رَجَعتَ إليهمُ طوعاً، وإلا عُدتَ عَودَةَ راغمِ

وقال بعض الفقهاء : أنشدت الشيخ مرتضى الدين أبا الفتح نصر بن محمد بن مقلد القضاعي الشيزري المدرس كان بتربة الإمام الشافعي رضى الله عنه بالقرافة لابن وكيع المذكور :

لقد قنِعَتْ همتي بالخمول وصَدّتْ عن الرتب العاليه

---

[1] زيادة من ر .
[2] ديوان أسامة : ٤٢ .

وما جهلت طيب طعم العلا ولكنها تؤثر العافيه

فأنشدني لنفسه على البديهة :

بقدر الصعود يكون الهبوط فإياك والرتبَ العاليَه
وكن في مكان إذا ما سقَطْتَ تقومُ ورِجلاك في عافيه

وله أيضاً – أعني ابن وكيع[1] – :

أبصَرَهُ عاذلي عليه ولم يكُنْ قبل ذا رآهُ
فقال لي لو هَويتَ هذا ما لامَكَ الناسُ في هَواه
قل لي إلى مَن عَدَلتَ عنهُ فليسَ أهلَ الهوى سِواه
فظلَّ من حيث ليس يدْري يأمُرُ بالحبِّ مَنْ نهاه

وكنت أنشدت هذه الأبيات لصاحبنا الفقيه شهاب الدين محمد ولد الشيخ تقي الدين عبد المنعم المعروف بالخيمي فأنشدني لنفسه في المعنى :

لو رأى وجْهَ حبيبي عاذلي لتَفاصَلنا على وجهٍ جميلِ

وهذا البيت من جملة أبيات ، ولقد أجاد فيه وأحسن في التورية .

وله كل معنى حسن .

وكانت وفاة ابن وكيع المذكور يوم الثلاثاء لسبع بقين من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة بمدينة تِنِّيسَ ، ودفن في المقبُرة الكبرى في القبة التي بنيت له بها ، رحمه الله تعالى .

(20) ووكيع[2] – بفتح الواو وكسر الكاف وسكون الياء المثناة من تحتها

---

١ اليتيمة : ٣٩٦ .

٢ انظر ترجمة وكيع «محمد بن خلف» في الفهرست : ١١٤ حيث ورد باسم أبي محمد بكر بن محمد بن خلف (وهو خطأ فيما يبدو) والوافي ٣ : ٤٣ والمنتظم ٦ : ١٥٢ وابن كثير ١١ : ١٣٠ وغاية النهاية ٢ : ١٣٧ ، ومن كتبه المطبوعة «أخبار القضاة وتواريخهم». وله سوى ما ذكره ابن خلكان : كتاب الغرر (أو الغرة) وكتاب المسافر وكتاب التصرف والنقد والسكة وكتاب البحث .

وبعدها عين مهملة — وهو لقب جده أبي بكر محمد بن خلف ، وكان نائباً في الحكم بالأهواز لعبدان الجواليقي . وكان فاضلاً نبيلاً فصيحاً من أهل القرآن والفقه والنحو والسير وأيام الناس وأخبارهم ، وله مصنفات كثيرة ، فمنها : كتاب « الطريق »[1] وكتاب « الشريف »[2] وكتاب « عدد آي القرآن والاختلاف فيه » وكتاب « الرمي والنضال » وكتاب « المكاييل والموازين » وغير ذلك ، وله شعر كشعر العلماء . وتوفي يوم الأحد لست بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلثمائة ببغداد .

وقال ابن قانع : توفي عَبْدان الأهوازي سنة سبع وثلثمائة بعسكر مكرم ، رحمه الله تعالى .

والتِّنِّيسي — بكسر التاء المثناة من فوقها وكسر النون المشددة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة — نسبة إلى تِنِّيسَ مدينة بديار مصر بالقرب من دمياط ، بناها تنيس بن حام بن نوح عليه السلام فسميت باسمه .

(21) وتوفي المرتضى الشيزري المذكور في سنة ثمان وتسعين وخمسمائة بمصر ، ودفن بسفح المقطم ، رحمه الله تعالى .

١٧٢

ابن العلاف الشاعر

أبو بكر الحسن بن علي بن أحمد بن بشار بن زياد المعروف بابن العلاف الضرير النهرواني الشاعر المشهور ؛ كان من الشعراء المجيدين ، وحدث عن أبي عمر

١ هذا الكتاب يسمى أيضاً كتاب « النواحي » ويحتوي على أخبار البلدان ومسالك الطرق ولم يتمه.
٢ هو على مثال كتاب المعارف لابن قتيبة .

١٧٢ - انظر ترجمة ابن العلاف الشاعر في نكت الهميان : ١٣٩ ، وقد أورد قصيدته في رثاء الهر ، والمنتظم ٦ : ٢٣٧ .

الدوري المقرىء وحميد بن مسعدة البصري ونصر بن علي الجَهْضَمي ومحمد بن إسماعيل الحسّاني ، وروى عنه عبد الله بن الحسن بن النخاس وأبو الحسن الخراجي القاضي وأبو حفص ابن شاهين وغيرهم[1] ، وكان ينادم الإمام المعتضد بالله .

وقال[2] : بت ليلة في دار المعتضد مع جماعة من ندمائه ، فأتانا خـادم ليلاً فقال : أمير المؤمنين يقول : أرقت الليلة بعد انصرافكم فقلت :

ولما انتبَهْنا للخيال الذي سَرى إذا الدار قَفرٌ والمزار بعيدُ

وقد أُرْتِجَ عليّ تمامه ، فمن أجازه بما يوافق غرضي أمرت له بجائزة ، قال: فأرتج على الجماعة وكلهم شاعر فاضل ، فابتدرت وقلت :

فقلت لعيني عاودي النومَ واهجعي لعلّ خيالاً طارقـاً سَيعُودُ

فرجع الخادم إليه ثم عاد فقال : أمير المؤمنين يقول : قد أحسنت ، وقد أمر لك بجائزة .

وكان لأبي بكر المذكور هِرٌ يأنس به ، وكان يدخل أبراج الحمام التي لجيرانه ويأكل فراخها ، وكثر ذلك منه ، فأمسكه أربابها فذبحوه ، فرثاه بهذه القصيدة وقد قيل : إنه رثى بها عبد الله بن المعتز – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى – وخشي من الإمام المقتدر أن يتظاهر بها لأنه هو الذي قتله ، فنسبهـا إلى الهر وعَرّضَ به في أبيات منها ، وكانت بينهما صحبة أكيدة .

وذكر محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه الصغير الذي سماه « المعارف المتأخرة » في ترجمة الوزير أبي الحسن علي بن الفرات ما مثاله : قال الصاحب أبو القاسم ابن عباد : أنشدني أبو الحسن ابن أبي بكر العلاف وهو الأكول المقدم في الأكل في مجالس الرؤساء والملوك قصائد أبيه في الهر ، وقال : إنما كنى بالهر عن المحسن بن الفرات أيام محنته لأنه لم يجسر أن يذكره ويرثيه .

قلت أنا : وهذا المحسن ولد الوزير المذكور ، وسيأتي خبر ذلك في ترجمة

---

١ وحدث عن ... وغيرهم : سقط من س .

٢ انظر المنتظم : ٢٣٧ .

أبيه أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات إن شاء الله تعالى .

وذكر صاعد اللغوي في كتاب « الفصوص » قال : حدثني أبو الحسن المرزباني قال : هويَتْ جارية لعلي بن عيسى غلاماً لأبي بكر ابن العلاف الضرير ، ففطن بهما فقُتلا جميعاً وسُلخا وحُشيت جلودهما تبناً ، فقال أبو بكر مولاه هذه القصيدة يرثيه بها وكنى عنه بالهر ، والله أعلم .

وهي من أحسن الشعر وأبدعه ، وعددها خمسة وستون بيتاً ، وطولها يمنع من الإتيان بجميعها فنأتي بمحاسنها ، وفيها أبيات مشتملة على حِكم فنأتي بها ، وأولها :

يا هرُّ فارقتَنا ولم تَعُدِ ... وكنتَ عِندي بمنزل الولدِ
فكيف ننفكُّ عن هَواك وقد ... كنتَ لنا عُدَّةً من العُدَد
تطرد عنّا الأذى وتَحْرسنا ... بالغيب من حَيَّةٍ ومن جُرَد
وتخرج الفأرَ من مَكامنها ... ما بين مفتوحِها إلى السَّدَد
يَلقاك في البيت منهمُ مددٌ ... وأنت تلقاهُمُ بلا مدَد
لا عدد كان منك مُنفلِتاً[1] ... منهُمْ ولا واحدٌ من العَدَد
لا ترهب الصيف عند هاجرَةٍ ... ولا تهابُ[2] الشتاء في الجَمَد
وكان يَجْري ولا سدادَ لهم ... أمرُكَ في بيتنا على سَدَد
حتى اعتقدْتَ الأذى لجيرتِنا ... ولم تكن للأذى بمُعتقِد
وحُمْتَ حولَ الردى بظلمِهِمُ ... ومن يَحُمْ حول حوضِهِ يرِد
وكان قلبي عليك مُرْتعِداً ... وأنت تنسابُ غير مُرْتَعِد
تدخل بُرْجَ الحمام متَّئداً ... وتبلَعُ الفَرخَ غير متَّئِد
وتطرح الريش في الطريق لهم ... وتبلَعُ اللحم بلعَ مُزدَرِد
أطعمكَ الغيُّ لحمَها فرأى ... قَتلَكَ أربابُها[3] من الرَّشَد

[1] د : منقلباً .
[2] د : تخاف .
[3] النكت : أصحابها .

حتى إذا داوَموك واجتَهَدوا   وساعـــد النصرُ كيدَ مجتهد
كادوك دهراً فما وقَعْتَ وكم   أفلَتَّ من كيدهم ولم تكَد
فحين أخفرت وانهمَكت وكا   شفت وأسرَفتَ غير مُقتصد
صادوك غيظاً عليك وانتقموا   منك وزادوا ومن يَصِدْ يُصَد
ثم شفوا بالحديدِ أنفُسَهُمْ   منك ولم يَرْعَوا على أحد

ومنها :

فلم تزل للحَمامِ مُرتَصِداً   حتى سُقيتَ الحِمامَ بالرصَد
لم يرحَموا صوتك الضعيف كما   لم ترثِ منها لصوتِها الغرد
أذاقـــك الموتَ ربُّهُنَّ كما   أذقت أفراخَـــهُ يداً بيَد

ومنها :

كأنَّ حبلاً حوى بجَوْدتِه   جيدك للخَنقِ كان من مَسَد
كأنَّ عيـني تراك مُضطرباً   فيه وفي فيكَ رغوةُ الزَّبَد
وقد طلبْتَ الخلاصَ منه فلم   تقدِرْ على حيلةٍ ولم تَجِد
فجدتَ بالنفس والبخيلُ بها   أنت ومن لم يجد بهـا يجد
فما سمعنا بمثـل موتك إذ   متَّ ولا مثل عيشك النكد
عشتَ حريصاً يقوده طمَعٌ   ومُتَّ ذا قاتل بـــلا قود

ومنها :

يا مَنْ لذيذُ الفراخ أوقعَهُ   ويحَكَ هلاَّ قنعْتَ بالغدد
ألم تخَفْ وثبة الزمان كما   وثبتَ في البُرْج وثبة الأسد
عاقبةُ الظلم لا تنام وإن   تأخرَتْ مـدة من المُدَد
أردتَ أن تأكل الفِراخ ولا   يأكلك الدَّهرُ أكْلَ مضطهد
هذا بعيد من القياس وما   أعـزه في الدنو والبُعُـد
لا باركَ الله في الطَّعام إذا   كان هلاك النفوس في المعد

كم دَخَلَتْ لقمةٌ حشا شَرِهٍ   فأخرجَتْ روحَهُ من الجسَد
ما كان أغناكَ عن تسوّرك الـ   ـبرج ولو كان جنّةَ الخلد
قد كنتَ في نعمة وفي دَعَةٍ   من العزيز المهيمن الصمَد
تأكل من فأر بيتِنا رَغَداً   وأين بالشاكرين للرغد
وكنتَ بَدّدْتَ شملَهُمْ زمناً   فاجتمعوا بعد ذلك البَدَد
فلم يُبقُّوا لنا على سبَدٍ   في جوف أبياتنا ولا لَبَد
وفرّغوا قَعْرَها وما تركوا   ما علّقتهُ يدٌ على وتد
وفتّتوا الخبز في السلال فكم   تفتّتَتْ للعيال من كَبِد
ومزّقوا من ثيابنا جُدُداً   فكلّنا في المصائب الجدد

ونقتصر من هذه القصيدة على هذا القدر فهو زبدتها .

وكانت وفاته سنة ثماني عشرة ، وقيل تسع عشرة وثلثمائة ، وعمره مائة سنة ، رحمه الله تعالى .

والنَّهْرَوانيُّ – بفتح النون وسكون الهاء وفتح الراء والواو وبعد الألف نون – هذه النسبة إلى النهْرَوان ، وهي بليدة قديمة بالقرب من بغداد ، وقال السمعاني : هي بضم الراء ، وليس بصحيح .

١٧٣

أبو الجوائز الواسطي

أبو الجوائز الحسن بن علي بن محمد بن باري الكاتب الواسطي ؛ كان من الفضلاء ، سكن بغداد دهراً طويلاً ، وذكره الخطيب في تاريخه فقال : وعلقت

١٧٣ – ترجمة أبي الجوائز الواسطي في تاريخ بغداد ٧ : ٣٩٣ .

عنه أخباراً وحكايات وأناشيد وأمالي عن ابن سكرة الهاشمي وغيره ، ولم يكن ثقة ، فإنه ذكر لي أنه سمع من ابن سكرة وكان يصغر عن ذلك . وكان أديباً شاعراً حسن الشعر في المديح والأوصاف وغير ذلك ، فمما أنشدنيه لنفسه قوله:

دع الناس طُرّاً واصرف الودَّ عَنهُمُ إذا كنت في أخلاقهم لا تسامحُ
ولا تبغ من دهر تظاهرَ رَنْقُهُ صفاء بنيهِ فالطباعُ جوامح
وشيئان معدومان في الأرض: درهَمٌ حلالٌ وخلٌّ في الحقيقة ناصح

انتهى قول الخطيب .

وله تواليف حسان وخط جيد وأشعار رائقة ، وقفت له على مقاطيع كثيرة ولم أر له ديواناً ولا أعلم هل دُوّنَ شعره أم لا . ومن أشعاره السائرة قوله :

برَاني الهوى بَرْيَ المدى وأذابني صُدودك حتى صرت أنحَلَ منأمس
فلستُ أُرى حتى أراك وإنما يبين هباءُ الذرّ في ألَقِ الشمس

[ومن شعره :

أقول وجرس الحلي يمنع وصلها وقد عاد ذاك القرب وهو بعادُ
هبي كل ذي نطق يغار عليكمُ فكيف يغار الحلي وهو جمادُ][1]

ومن شعره أيضاً وفيه لزوم ما لا يلزم :

واحَزَني من قولها خان عهودي ولهَا
وحقٍّ من صيَّرني وقفاً عليها ولهَا
ما خطَرَت بخاطري إلا كستني ولهَا

وكانت وفاته سنة ستين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى . وقال الخطيب :

[1] زيادة من ص د .

سمعت أبا الجوائز يقول : ولدت في سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة ، وغاب عني خبره في سنة ستين وأربعمائة ، انتهى كلام الخطيب .

قلت : وقد صح أن وفاته كانت في سنة ستين كما ذكرته أولاً ، والله أعلم ، وإن كان الخطيب لم يصرح به بل اقتصر على انقطاع خبره لا غير .

١٧٤

العلم الشاتاني

أبو علي الحسن بن سعيد بن عبد الله بن بُنْدار بن إبراهيم الشاتاني الملقب علم الدين ؛ كان فقيهاً غلب عليه الشعر وأجاد فيه واشتهر به ، وكان قد ترك بلده ونزل الموصل واستوطنها [١] ، وكان يتردد منها إلى بغداد ، وكان الوزير أبو المظفر ابن هُبَيرة كثير الإقبال عليه والإكرام له .

وذكره العماد الكاتب في « الخريدة » [وأثنى عليه] وأورد له أشعاراً ، وقال : مدح صلاح الدين بقصيدة أولها :

أرى النّصر معقوداً برايتِكَ الصفرا   فسرْ وافتَحِ [٢] الدنيا فأنتَ بها أحرى

ومنها :

١٧٤ - ترجمة الشاتاني في مختصر الدبيثي : ٢٧٩ وطبقات السبكي ٤ : ٢١٠ ومعجم البلدان « شاتان » وتهذيب ابن عساكر ٤ : ١٧٧ وقال : قدم دمشق في سنة ٥٣١ ، وعقد مجلس الوعظ وعاد إلى وطنه ثم انتقل إلى الموصل وخدم دولة أتابك زنكي وولده محمود الملقب نور الدين وروسل إلى الخليفة المقتفي وإلى عدة أطراف وعاد إلى دمشق سنة ٥٦٨ ، وانظر أيضاً معجم الألقاب ٤/١ : ٥٧٥ ، ولقبه علم الدين ، وكان يعرف بقاع ؛ قال العماد : « وكان إذا قيل له يا علم الدين قاع، جرى عليه من ذلك أمر عظيم »، وكان يحفظ جل أشعاره ويوردها من خاطره حتى كأنما يقرأها من كتاب .

١ ه : واستوطن بها .

٢ ه : واملك .

يمينك فيها اليُمن واليُسر في اليُسرى   فبُشرى لمن يرجو النَّدى بها بُشرى

وكان مولده في سنة عشر وخمسمائة وتوفي في شعبان سنة تسع وتسعين وخمسمائة بالموصل ، رحمه الله تعالى .

وذكره ابن الدُّبَيْثي في ذيله ، وأثنى عليه .

وشاتان – بفتح الشين المعجمة وبعد الألف تاء مثناة من فوقها وبعد الألف الثانية نون – وهي بلد بنواحي ديار بكر[1] .

١٧٥

ناصر الدولة ابن حمدان

أبو محمد الحسن الملقب ناصر الدولة ابن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون ابن الحارث بن لقمان بن راشد بن المُثنَّى بن رافع بن الحارث بن غطيف بن محربة بن حارثة بن مالك بن عبيد بن عدي بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، التغلبي ؛ كان صاحب الموصل وما والاها ، وتنقلت به الأحوال تارات إلى أن ملك الموصل بعد أن كان نائباً بها عن أبيه ، ثم لقبه الخليفة المتقي لله « ناصر الدولة » وذلك في مُستَهَلّ شعبان سنة ثلاثين وثلثمائة ، ولقب أخاه « سيف الدولة » في ذلك اليوم أيضاً ، وعظم شأنهما . وكان الخليفة المكتفي بالله قد وَلَّى أباهما عبد الله بن حمدان الموصل وأعمالها في سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، فسار إليها ودخلها في أول سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وكان ناصر الدولة أكبر سناً من أخيه سيف الدولة وأقدم منزلة عند

---

١ أ : بديار بكر من نواحيه .

١٧٥ - أخبار ناصر الدولة في تجارب الأمم وتاريخ ابن الاثير (صفحات كثيرة من الجزء الثامن) .

الخلفاء ، وكان كثير التأدب معه ؛ وجرت بينهما يوماً وَحشَة ، فكتب إليه سيف الدولة :

لستُ أجفو وإن جُفيتُ ولا أتـ ـركُ حقاً عليَّ في كلِّ حال
إنما أنت والدٌ والأب الجا في يُجزى بالصَّبر والإحتمال

[[1] حكى هلال بن المحسن عن معز الدولة ابن بويه وكان منازلاً لناصر الدولة أبي محمد بن حمدان ، فجاءه غلام فقال : إن اغتلت ابن حمدان وقتلته ما يكون لي عليك ؟ قال : اقتراحك ؛ ووعده وعداً ملأ به صدره ، فمضى واختلط بعسكر ناصر الدولة وتوصل إلى أن عرف موضع منامه ليلاً من خيمته ، ثم جاء وقد اشتمل على دشنة فدخل الخيمة من تحت الطنب وقد تفرق النـــاس ونام الحراس فوجد ناصر الدولة نائماً على سرير وفي جانب الخيمة شمعة وعلى بعد منه جماعة ، فتأمل موضع رأسه من رجليه ثم أطفأ الشمعة لئلا يصيح إذا جرحه فينذر به ويؤخذ ، وجاءه يريد الموضع الذي فيه رأسه ، فاتفق أن ناصر الدولة تقلب من جنب إلى جنب فزال عن مكانه وجاء الغلام يريد موضعه فغرز الدشنـــة غرزاً استقصى فيه وظن أنه قد بلغ المراد ، فأحسّ ناصر الدولة بعدوه فانتبه فرأى الشمعة وقد أطفئت وأطناب الخيمة مرفوعة ، فصاح بالغلمان فبادروا وجاءوا بضوء وشاهدوا الصورة فجزع ، وأمر بالزيادة في الاحتراس ولم يعـلم كيف جرى الأمر ، وعاد الرجل فأخبر معز الدولة أنه قد قتل ناصر الدولة فلم يعطه ما وعده به لكنه أطلق له شيئاً وقال لأبي جعفر الصيمري : من يُقدم على الملوك مثل إقدام هذا لا يجوز استبقاؤه فضلاً أن يوثق بمكانه ، ومـا الذي يؤمننا أن يبذل لأعدائنا مثل ما بذل لنا ؟ فأرحني منه كيف شئت ، فأخـذه الصيمري فغرقه] .

وكتب إليه مرة أخرى وذكرها الثعالبي في « اليتيمة »[2] :

١ ما بين معقفين زيادة من د ، وقارن تجارب الأمم ٢ : ٩٤ .
٢ اليتيمة ١ : ٤٦ وابن الأثير ٨ : ٥٨٠ .

رضيتُ لك العَليا وقد كنت أهلها ... وقلتُ لهم بيني وبين أخي فرقُ
ولم يكُ بي[1] عنها نكول وإنما ... تجافيت[2] عن حقي فتم لك الحقُّ
ولا بُدّ لي من أن أكون مُصَلّياً ... إذا كنتُ أرضى أن يكون لك السبْقُ

[وأورد له أيضاً قوله :

قد جرى في دمعه دمه ... فإلى كم أنت تظلمه
ردّ عنه الطرف منك فقد ... خرقته منك أسهمه
كيف يسطيع التجلد من ... خطرات الوهم تؤلمه][3]

وكان ناصر الدولة شديد المحبة لأخيه سيف الدولة ، فلما توفي سيف الدولة – في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى – تغيرت أحوال ناصر الدولة وساءت أخلاقه وضعف عقله، إلى أن لم يبق له حرمة عند أولاده وجماعته، فقبض عليه ولده أبو تغلب فضل الله الملقب عدة الدولة المعروف بالغضنفر بمدينة الموصل باتفاق من إخوته ، وسَيَّره إلى قلعة أردمَشْتَ[4] في حصن السلامة ، وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه أن هذه القلعة هي التي تسمى الآن قلعة كواشى، وذلك في يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ست وخمسين وثلثمائة، ولم يزل محبوساً بها إلى أن توفي يوم الجمعة وقت العصر ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، ونقل إلى الموصل ودفن بتل توبة شرقي الموصل ؛ وقيل إنه توفي سنة سبع وخمسين .

وقال محمد بن عبد الملك الهمذاني في كتاب « عنوان السير » في آخر ترجمة ناصر الدولة ما مثاله : ولم يزل – يعني ناصر الدولة – مستولياً على ديار الموصل وغيرها حتى قبض عليه ابنُه الغضنفر في سنة ست وخمسين وثلثمائة ، وكانت

---

١ د : وما كان لي .
٢ د : تجاوزت .
٣ زيادة من د .
٤ هـ : اودمست ؛ أ : ازدمشت .

إمارته هناك اثنتين وثلاثين سنة ، وتوفي يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين وثلثمائة[1] ، رحمه الله تعالى، وقتل أبوه ببغداد وهو يدافع عن الإمام القاهر بالله – وقصته مشهورة – لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة سبع عشرة وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

(22) وأما الغضنفر[2] بن ناصر الدولة فإنه جرت له مع عضد الدولة ابن بُوَيه لما ملك بغداد بعد قتله بختَيار ابن عمه المقدم ذكره – وقد كان معه في الواقعة التي قتل فيها – قضايا يطول شرحها ، وحاصلها أن عضد الدولة قصده بالموصل فهَرَب منه إلى الشام ونزل بظاهر دمشق، والمستولي عليها قسّام العيّار، فكتب إلى العزيز بن المعز صاحب مصر يسأله تولية الشام ، فأجابه إلى ذلك ظاهراً ومنعه باطناً . فتوجه إلى الرملة في المحرم سنة سبع وستين ، وبها المفرج بن الجراح البدوي الطائي ، فهرب منه ثم جمع له جموعاً وعاد إليه ، فالتقيا على بابها في يوم الاثنين لليلة خلت من صفر من السنة ، فانهزم أصحابه وأُسر وقتل يوم الثلاثاء ثاني صفر المذكور ، ومولده يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلَت من ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وثلثمائة[3] .

ونقلت نسبهم على هذه الصورة من كتاب « أدب الخواص » للوزير أبي القاسم الحسين ابن المغربي ، وقال محمد بن أحمد[4] الأسدي النسابة : اسم تغلب دثار ، وإنما سمي تغلب لأن أباه وائلاً قصدته اليمن في داره لتَسبيَ أهله ، فصرخ في أهله وعشيرته، فنُصر على اليمن، وكان تغلب طفلاً ، فتبرك به وقال : هذا تغلب ، فسمي به[5] .

---

١ وقال محمد بن عبد الملك ... وثلثمائة : سقط من س .
٢ انظر تاريخ ابن الأثير ٨ : ٦٩٢ .
٣ وأما الغضنفر ... وثلثمائة : سقط من س .
٤ ص : أحمد بن محمد .
٥ وقال محمد ... فسمي به : سقط من س .

١٧٦

ركن الدولة ابن بويه

أبو علي الحسن بن بُوَيه بن فَنّاخُسْرو الدَّيلَمي الملقب ركن الدولة ؛ وقد تقدمت تتمة نسبه في حرف الهمزة عند ذكر أخيه معز الدولة أحمد . وكان ركن الدولة المذكور صاحب أصبهان والري وهمذان وجميع عراق العجم ، وهو والد عضُد الدولة فنّاخسرو ومؤيد الدولة أبي منصور بُوَيه وفخر الدولة أبي الحسن علي ، وكان ملكاً جليل القدر عالي الهمة ، وكان أبو الفضل ابن العميد – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى – وزيره ، ولما توفي استوزر ولده أبا الفتح علياً ؛ وكان الصاحب بن عباد وزير ولده مؤيد الدولة ، ولما توفي وزَرَ لفخر الدولة – وقد تقدم ذلك في حرف الهمزة في ترجمة الصاحب – . وكان مسعوداً ورزق السعادة في أولاده الثلاثة ، وقسم عليهم الممالك فقاموا بها أحسن قيام . وكان ركن الدولة المذكور أوسط الاخوة الثلاثة ، وهم عماد الدولة أبو الحسن علي وركن الدولة المذكور ومعز الدولة أبو الحسين أحمد – وقد سبق ذكره – وكان عماد الدولة أكبرهم ، ومعز الدولة أصغرهم .

[ولما كان في سنة ٣٣٩ سار الخراسانيون منصور بن قراتكين ومن معه إلى الريّ ، وكان ركن الدولة ببلاد فارس ، فلما وصل جرت بينه وبينهم حروب عدة ، وضاقت الميرة على الطائفتين وذبحوا دوابهم ، ولو أمكن ركن الدولة الانهزام لفَعَل، فاستشار وزيره أبا الفضل ابن العميد في بعض الليالي في الهرب ، فقال : لا ملجأ لك إلا إلى الله تعالى، فانوِ للمسلمين خيراً وصمم العزم على حسن السيرة والإحسان فإن الحيل البشرية كلها تقطعت بنا وإن انهزمنا تبعونا وأهلكونا وهم أكثر منا فلا يفلت منا أحدٌ ، فقال له : قد سبقتك إلى هذا ،

...

١٧٦ – أخبار ركن الدولة ابن بويه في ابن الأثير وتجارب الأمم وتاريخ ابن خلدون والمنتظم ؛ وراجع آدم متز ١ : ٣٠ .

فلما كان ثلث الليل الأخير أتاهم الخبر أن منصوراً وعسكره قد عادوا إلى الريّ وتركوا خيامهم ، وكان سبب ذلك أن الميرة والعلوفة ضاقت عليهم أيضاً إلا أن الديلم كانوا يصبرون ويقتنعون بالقليل من الطعام وكان الخراسانية بالضدّ منهم .

وحكى أبو الفضل ابن العميد[1] قال : استدعاني ركن الدولة تلك الليلة في الثلث الأخير وقال لي : قد رأيت الساعة في منامي كأني على دابتي فيروزٍ وقد انهزم عدونا وأنت تسير إلى جانبي وقد جاءنا الفرج من حيث لا نحتسب فمددت عيني فرأيت على الأرض خاتماً فأخذته وإذا فصه من فيروزج فجعلته في إصبعي فتبركت به وانتبهت وقد أيقنت بالظفر ، فإن الفيروزج معناه الظفر ، وكذلك لقب الدابة فيروز ، قال ابن العميد : فأتانا الخبر والبشارة بأنّ العدو قد رحل فما صدقنا حتى تواردت الأخبار ، فركبنا ولا نعرف سبب هزيتهم ، وسرنا حذرين من كمينٍ ، وسرت إلى جانب ركن الدولة وهو على فرسه فيروز ، فصاح ركن الدولة لغلام بين يديه : ناولني ذلك الخاتم ، فأخذ خاتماً من الأرض فناوله إياه فإذا هو من فيروزج فجعله في إصبعه وقال : هذا تأويل رؤياي ، وهذا الخاتم الذي رأيت من ساعةٍ ، وهذا من أحسن ما يحكى وأعجبه .

وكان ركن الدولة يقول : مثل خراسان في صعوبة فتحها ونزارة دخلها كابن آوى : يصعب صيده ولا يحصل خيره ؛ وهو معنى قول الشاعر :

إن ابن آوى لشديد المقتنص وهو إذا ما صيد ريحٌ في قفص][2]

وتوفي ركن الدولة ليلة السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ست وستين وثلثمائة بالريّ ، ودفن في مشهده . ومولده تقديراً في سنة أربع وثمانين ومائتين ، قاله أبو إسحاق الصابىء ، وملك أربعاً وأربعين سنة وشهراً وتسعة أيام ، وتولى بعده ولده مؤيد الدولة ، رحمه الله تعالى .

---

١ قارن بما في تجارب الأمم ٢ : ١٤١ .
٢ ما بين معقفين انفردت به النسخة د .

١٧٧

الحسن بن سهل

أبو محمد الحسن بن سَهْل بن عبد الله السَّرَخْسيُّ ؛ تولى وزارة المأمون بعد أخيه ذي الرياستين الفَضْل وحَظيَ عنده ، وقد تقدم في حرف الباء ذكر ابنته بُوران وصورة زواجها من المأمون والكلفة التي احتفل بها والدها الحسن فلا حاجة إلى إعادتها . وكان المأمون قد ولاه جميع البلاد التي فتحها طاهر بن الحسين – وقد ذكرته في ترجمته – وكان عالي الهمة كثير العطاء للشعراء وغيرهم، وقصده بعض الشعراء وأنشده :

تقولُ خَليلَتي لمّا رأتني أشُدُّ مطيتي من بَعدِ حَلٍّ
أبَعد الفضل تَرحلُ المطايا فقلتُ نعم إلى الحَسَنِ بن سَهْلِ

فأجزل عطيته . وخرج مع المأمون يوماً يُشَيِّعُهُ ، فلما عزم على مفارقته قال له المأمون : يا أبا محمد ، ألك حاجة ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين تحفظ عليَّ من قلبك ما لا أستطيع حفظه إلا بك . وقال بعضهم : حضرت مجلس الحسن ابن سهل وقد كتب لرجل كتاب شفاعة ، فجعل الرجل يشكره ، فقال الحسن : يا هذا ، عَلامَ تشكرنا ؟ إنا نرى الشفاعات زكاة مروءاتنا [ثم أنشأ يقول :

فرضت علي زكاة ما ملكت يدي وزكاة جاهي أن أعين وأشفعا
فإذا ملكت فجد فإن لم تستطع فاجهد بوسعك كله أن تنفعا][1]

١٧٧ – أخبار الحسن بن سهل في الطبري وابن الأثير وتاريخ بغداد لابن طيفور والوزراء والكتاب للجهشياري وتاريخ بغداد للخطيب ٧ : ٣٠٩ وتاريخ ابن الوردي ١ : ٢١٧ والفخري : ٢٠٣ ، وله أخبار وأقوال منثورة في كتب الأدب كعيون الأخبار والكامل والبيان وغيرها .

١ زيادة من ص .

قال الحاكي : وحضرته يوماً وهو يُمْلي كتاب شفاعة ، فكتب في آخره : إنه بلغني أن الرجل يُسأل عن فضل جاهه يوم القيامة ، كما يُسأل عن فضل ماله . وقال لبنيه : يا بَنيَّ تعلموا النطق ، فإن فضل الإنسان على سائر البهائم به ، وكلما كنتم بالنطق أحذق كنتم بالإنسانية أحق .

[وكان سهل والد الحسن المذكور يتقهرم[1] ليحيى بن خالد بن برمك ، وضم يحيى الحسن والفضل ابني سهل إلى ابنيه الفضل وجعفر يكونان معهما ، فضم جعفر بن سهل إلى المأمون وهو ولي عهد فغلب عليه ولم يزل معه إلى أن قتل بخراسان ، فكتب المأمون إلى الحسن بن سهل وهو ببغداد يعزيه بأخيه ويعلمه أنه قد استوزره وأجراه مجراه ، فلم يكن أحد من بني هاشم ولا من القواد يخالف للحسن أمراً ولا يخرج له من طاعة ، إلى أن بايع المأمون لعلي بن موسى الرضا بالعهد ، فغضب بنو العباس وخلعوا المأمون وبايعوا إبراهيم بن المهدي ، فحاربه الحسن بن سهل ، فضعف عنه ، فانحدر الحسن إلى فم الصلح فأقام به ، ووجّه من فم الصلح من حارب إبراهيم ، فضعف أمر إبراهيم واستتر ، وقد تقدم ذكر ذلك . ثم دخل المأمون بغداد وكتب إلى الحسن بن سهل فقدم عليه ، فزاد المأمون في كرامته وتشريفه عند تسليمه عليه وذلك في سنة أربع ومائتين.

قال ثعلب : قيل للحسن وقد كثر عطاؤه على اختلال حاله : ليس في السرف خير ، فقال : بل ليس في الخير سرف . فردّ اللفظ واستوفى المعنى .

ودخل على الحسن أعرابي مدحه بشعر استحسنه ، فلما فرغ منه قال له الحسن : اجلس واحتكم ، وهو يظن ان الأعرابي صغير الهمة ؛ فقال : ألف ناقة ، فوجم الحسن ولم تكن في وسعه يومئذ ، وكره أن يفتضح ، فأطرق إطراقة ثم قال : يا أعرابي ، ليس بلدنا بلد إبل ولكن كما قال امرؤ القيس[2] :

إذا ما لم تكن إبلاً فمعزى كأنَّ قرونَ جلّتها العصيُّ

قال : قد رضيت ، قال : فالحق يحيى بن خاقان يعطِك ألف شاة ، فصار إلى

---

١ يتقهرم : يعمل قهرماناً .
٢ ديوانه : ١٣٦ .

يحيى فأعطاه عن كل شاة ديناراً .

وكتب الحسن بن سهل إلى الحسن بن وهب وقد اصطبح في يوم غيم لم يمطر : أما ترى تكافؤ الطمع واليأس في يومنا هذا بقرب المطر وبعده كأنه قول كثير[1] :

وإني وتهيامي بعزةَ بعدما [تخليتُ مما بيننا] وتخلَّتِ
لكالمرتجي ظلَّ الغمامة كلما تبوأ منها للمقيلِ اضمحلَّتِ

وما أمنيتي إلا في لقائك ، ورقعتي هذه الأبيات ، وقد أدرت زجاجات أخذت من عقلي ولم تتحيفه ، وبعثت نشاطاً حركني على الكتاب إليك ، فرأيك في إمطاري سروراً بسارّ خبرك ، إذ حرمت السرور بالمطر في هذا اليوم ، موفقاً إن شاء الله تعالى . فأجابه الحسن بن وهب : وصل كتاب الأمير أيده الله ويدي عاملة وفمي طاعم ، فلذلك تأخر الجواب قليلاً ، وقد رأيت تكافؤ إحسان هذا اليوم وإساءته وما استحق ذماً لأنه إن أشمس حكى ضياءك وحسنك ، وإن أمطر أشبه سخاءك وجودك ، وإن أغام فلم يشمس ولم يمطر فقد أشبه طيب ظللك ولذة فِنائك ؛ وسؤال الأمير أيده الله عني نعمة من الله أعفـّي بها آثار الزمان المسيء ، وأنا كما يحبُّ الامير ، صرف الله الحوادث عنه وعن حظي منه .

ووقع الحسن بن سهل في رقعة : قد أمرنا لك بشيء هو دون قدرك إلى استحقاق وفوق الكفاية مع الاقتصار .

وتعرض إليه رجل فقال له : من أنت ؟ قال : أنا الذي أحسنت إليّ عام كذا ، فقال : مرحباً بمن توسل إلينا بنا .

وافتعل رجل على الحسن كتاباً إلى إبراهيم الرازي – وكان أمير الأهواز – فقال له : والله لئن كنت صادقاً فما في ملكي ما يفي بحق الوزير ، وإن كنت مفتعلاً فما في قدرتي ما يفي بعقوبتك ، فحبسه وبعث يستعلم أمر الكتاب ، وبلغ ذلك الحسن فأمر أن يكتب إليه : أما كان في صغير ما أنعمنا به عليك ما تصدق به مخيلةَ رجل توسل بنا إن كان مبطلاً فكيف وهو محق ؟

[1] من تائيته التي أوردها القالي في أماليه ٢ : ١٠٥ .

وكان الحسن بن سهل يقول : عجبت لمن يرجو مَن فوقه كيف يحرم مَن دونه .

ونظر يوماً إلى رجل في مجلسه يعبس في كأسه فقال : ما أنصفتها : تضحك في وجهك وتعبس في وجهها .

وكان يقول : من أدمن شم النرجس في الشتاء أمن البرسام في الصيف][1] .

ولم يزل على وزارة المأمون إلى أن ثارت عليه المِرَّةُ السوداء ، وكان سببها كثرة جزعه على أخيه الفضل لما قُتِل – وسيأتي خبره في حرف الفاء إن شاء الله تعالى – واستولت عليه حتى حبس في بيته ومنعته من التصرف . وذكر الطبري في تاريخه أن الحسن بن سهل في سنة ثلاث ومائتين غلبت عليه السوداء ، وكان سببها أنه مرض مرضاً شديداً فهاج به من مرضه تغير عقله حتى شد في الحديد وحبس في بيت ، فاستوزر المأمون أحمد بن أبي خالد . وكانت وفاته سنة ست وثلاثين في مستهل ذي الحجة ، وقيل خمس وثلاثين ومائتين ، بمدينة سَرَخْسَ ، رحمه الله تعالى . ومدحه يوسف الجوهري بقوله :

لو أن عَيْنَ زُهَيرٍ عايَنَتْ حَسَناً ... وكيف يَصنَعُ في أمواله الكَرَمُ
إذاً لقال زهيرٌ حِينَ يُبصِرُهُ ... هذا الجَوادُ على العلاتِ ، لا هَرِمُ

قلت : وحديث زهير وهرم بن سنان مذكور في آخر هذا الكتاب في ترجمة يحيى بن عيسى المعروف بابن مطروح فليكشف منه ؛ وللحسن بن سهل في ترجمة أبي بكر محمد الخوارزمي الشاعر ذكر فلينظر هناك .

والسَّرَخْسي – بفتح السين والراء المهملتين وسكون الخاء المعجمة وبعدها سين مهملة – هذه النسبة إلى سَرَخْسَ وهي من بلاد خراسان .

[1] زيادة من ص ، لم ترد في المسودة وسائر النسخ .

١٧٨

الوزير المهلبي

أبو محمد الحسن بن محمد بن هارون بن إبراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلَّب بن أبي صُفْرَةَ الأزدي المهلبي الوزير ؛ كان وزير مُعِز الدولة أبي الحسين أحمد بن بُوَيْــه الدَّيلمي — المقدم ذكره في حرف الهمزة — تولى وزارته يوم الاثنين لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة. وكان من ارتفاع القدر واتساع الصدر وعلو الهمة وفَيْضِ الكف على ما هو مشهور به ، وكان غاية في الأدب والمحبة لأهله . وكان قبل اتصاله بمعز الدولة في شدة عظيمة من الضرورة والضائقة ، وكان قد سافر مرة ولقي في سفره مشقة صعبة واشتهى اللحم فلم يقدر عليه فقال ارتجالاً[١] :

ألا مَوْتٌ يُباعُ فأشتريــهِ فهذا العيشُ ما لا خيرَ فيهِ

ألا مَوْتٌ لذيذُ الطعم يأتي يُخَلِّصُني من العيش الكريه

إذا أبْصَرتُ قبراً من بعيــدٍ وددتُ لوَ انني ممــا يليه

ألا رحِمَ المهيمِنُ نفْسَ[٢] حُرٍّ تَصَدَّقَ بالوفـــاة على أخيه

وكان معه رفيق يقال له : أبو عبد الله الصوفي ، وقيل أبو الحسين العسقلاني ، فلما سمع الأبيات اشترى له بدرهم لحماً وطبخه وأطعمه ، وتفارقـــا . وتنقلت بالمهلبي الأحوال ، وتولى الوزارة ببغداد لمعز الدولة المذكور ، وضاقت الحال

---

١٧٨ ـ ترجمة الوزير المهلبي وأخباره في كتب التاريخ العامة ، وانظر المنتظم ٧ : ٩ واليتيمة ٢ : ٢٢٤ والفوات ١ : ٢٥٦ وورودها في الفوات وهو استدراك على ابن خلكان مما يحسن التوقف عنده ، وشذرات الذهب ٣ : ٩ ومعجم الأدباء ٩ : ١١٨ .

١ اليتيمة : ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

٢ د : روح .

برفيقه في السفر الذي اشترى له اللحم[1] ، وبلغه وزارة المهلبي فقصده وكتب إليه:

ألا قُلْ للوزير فَدَتهُ نفسي   مَقالة مُذْكِرٍ[2] ما قد نَسيهِ
أتذكر إذ تقول لضَنْكِ عيشٍ[3]   « ألا موت يباع فأشتريهِ »

فلما وقف عليه تذكره وهَزَّته أرْيَحِيَّةُ الكرم ، فأمر له في الحال بسبعمائة درهم ووقَّع في رقعته[4] ﴿مثلُ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء﴾ ثم دعا به فخلع عليه وقلده عملاً يرتفق به .

ولما ولي المهلبي الوزارة بعد تلك الإضاقة عمل :

رَقَّ الزمانُ لفاقتي   ورَثى لطول تحرُّقي
فأنالني ما أرتجيهِ   وحادَ عمَّا[5] أتَّقي
فلأصْفَحَنْ عما أتا   هُ[6] من الذنوبِ السُّبَّق
حتى جنايتهُ بما   صنَعَ المشيبُ بمفرقي

وله أيضاً[7] :

قال لي مَنْ أُحبُّ والبينُ قد جـ   ـدّ وفي مُهْجتي لهيبُ الحريقِ[8]
ما الذي في الطريق تَصْنع بعدي   قلت أبكي عليكَ طولَ الطريقِ

ومن المنسوب إليه في وقت الإضاقة من الشعر ما كتبه إلى بعض الرؤساء،

---

١ أ ج : في السفرة التي اشترى له فيها اللحم .
٢ أ واليتيمة : مقال مذكر .
٣ أ : لضيق ؛ ج : حال .
٤ د : قصته .
٥ اليتيمة : ما أرتجي وأجار مما .
٦ ج : فلأغفرن له الكثير .
٧ اليتيمة : ٢٣٩ والفوات : ٢٥٨ .
٨ اليتيمة : والبين قد بدد دمعي مواصلاً للشهيق .

وقيل إنها لأبي نواس :

ولو أني استزدتك فوق ما بي من البَلوَى لأعوزك المزيدُ
ولو عُرِضَتْ على المَوْتى حَياة بعَيشٍ مِثلِ عَيشي لم يُريدوا

وقال أبو إسحاق الصابىء صاحب الرسائل : كنتُ يوماً عند الوزير المهلبي فأخذ ورقة وكتب ، فقلت بديهاً[1] :

لهُ يَدٌ بَرَعَتْ جُوداً بنائلهـا ومنطقٌ دُرّه في الطِّرْس ينتثرُ
فحاتمٌ كامنٌ في بطن راحَتهِ وفي أناملهـا سَحبان مُستترُ

وكان لمعز الدولة[2] مملوك تركي في غاية الجمال ، يدعى تكين الجامدار ، وكان شديد المحبة له ، فبعث سَريَّةً لمحاربة بعض بني حَمْدان وجعل المملوك[3] المذكور مقدم الجيش ، وكان الوزير المهلبي يستحسنه ويرى أنه من أهل الهوى لا مدد الوغى ، فعمل فيه :

طفل يرقّ المـاء في وجَناته ويرفُّ عُودُهْ
ويكاد من شبه العذا رى فيه أن تبدو نهُودُه
ناطوا بمعقد خَصرهِ سيفاً ومنطقَةً تؤودُه
جعَلوهُ قـائدَ عسكرٍ ضاعَ الرعيلُ ومن يقودُه

وكذا كان ، فإنه ما أنجح في تلك الحركة ، وكانت الكرَّة عليهم .
ومن شعره النادر في الرقة قوله[4] :

تَصارَمَتِ الأجفانُ لما صَرَمْتَني فما تَلتَقي إلا على عَبرَةٍ تجري

١ الفوات : ٢٥٩ .
٢ اليتيمة : ٢٢٦ .
٣ ص : تكين .
٤ اليتيمة ٢ : ٢٣٩ والفوات : ٢٦٠ .

ومحاسن الوزير المهلبي كثيرة .

وكانت ولادته ليلة الثلاثاء لأربع بقين من المحرم سنة إحدى وتسعين ومائتين بالبصرة . وتوفي يوم السبت لثلاث بقين من شعبان[1] سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة في طريق واسط ، وحمل إلى بغداد ، فوصل إليها ليلة الأربعاء لخمس خلون من شهر رمضان من السنة المذكورة ، ودفن في مقابر قريش في مقبرة النوبختية ، رحمه الله تعالى .

والمُهَلَّبيُّ – بضم الميم وفتح الهاء وتشديد اللام المفتوحة وبعدها باء موحدة – هذه النسبة إلى المهلب المذكور أولاً ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

ولما مات الوزير المذكور رثاه أبو عبد الله الحسين بن الحجاج الشاعر المشهور[2] – وسيأتي ذكره – بقوله :

يا مَعشرَ الشعراءِ دَعْوَةَ مُوجَعٍ ... لا يُرْتجى فرَجُ السلوّ لدَيهِ

عَزُّوا القَوافيَ بالوَزيرِ فإنها ... تبكي دَماً بَعدَ الدُّمُوعِ عَليه

ماتَ الذي أمسى الثناءُ وراءه ... والعَفْو عَفْو الله[3] بَيْنَ يَدَيْه

هَدَمَ الزمانُ بمَوْته الحصنَ الذي ... كُنا نفرّ مِنَ الزمانِ إليه

فَليَعْلمَنّ بَنو بوَيه أنهُ ... فُجعت بهِ أيامُ آلِ بُوَيه

---

١ ر : لثلاث بقين من المحرم .

٢ معجم الأدباء ٩ : ١٣٨ .

٣ ياقوت : وجميل عفو الله .

١٧٩

الوزير نظام الملك

أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الملقب نظام الملك قوام الدين الطوسي ؛ ذكر السمعاني ، في كتاب « الأنساب » في ترجمة الرّاذَكان ، أنها بليدة صغيرة بنواحي طوس ، قيل إن نظام الملك كان من نواحيها[1] ، وكان من أولاد الدّهاقين ، واشتغل بالحديث والفقه ، ثم اتصل بخدمة علي بن شاذان المعتمد عليه بمدينة بَلْخَ – وكان يكتب له – فكان يصادره في كل سنة ، فهرب منه وقصد داود بن ميكائيل بن سلجوق ، والد السلطان ألبَ أرْسِلان فظهر له منه النصح والمحبة ، فسلمه إلى ولده ألب أرسلان وقال له : اتخذه والداً ولا تخالفه فيما يشير به ، فلما ملك ألب أرسلان – كما سيأتي في موضعه من حرف الميم إن شاء الله تعالى – دَبَّرَ أمره فأحسن التدبير ، وبقي في خدمته عشر سنين ، فلما مات ألب أرسلان وازدحم أولاده على الملك وطّدَ المملكة لولده ملك شاه فصار الأمر كله لنظام الملك ، وليس للسلطان إلا التخت والصيد ، وأقام على هذا عشرين سنة .

ودخل على الإمام المقتدي بالله ، فأذن له في الجلوس بين يديه ، وقال له : يا حَسَنُ ، رضي الله عنك برضاء أمير المؤمنين عنك .

وكان مجلسه عامراً بالفقهاء والصوفية ، وكان كثير الإنعام على الصوفية ، وسُئل عن سبب ذلك فقال : أتاني صوفي وأنا في خدمة بعض الأمراء فوعظني وقال : اخدُم من تنفعك خدمته ولا تشتغل بمن تأكله الكلاب غداً ، فلم أعلم

---

١٧٩ – أخبار نظام الملك في الكتب التاريخية العامة ، وانظر كتاب الروضتين ١ : ٢٥ وابن العبري: ١٩٢ – ١٩٥ وتاريخ الدولة السلجوقية: ٦٦ – ٧١ وطبقات السبكي ٣: ١٣٥ – ١٤٥ وشذرات الذهب ٣ : ٣٧٣ .

[1] ذكر السمعاني ... نواحيها : سقط من س .

معنى قوله ، فشرب ذلك الأمير من الغد [إلى الليل] وكانت له كلاب كالسباع تفترس الغرباء بالليل ، فغلبه السكر فخرج وحده فلم تعرفه الكلاب فمزقته ، فعلمت أن الرجل كوشف بذلك ، فأنا أخدم الصوفية لعلي أظفر بمثل ذلك .

وكان إذا سمع الأذان أمسك عن جميع ما هو فيه . وكان إذا قدم عليه إمام الحرمين أبو المعالي وأبو القاسم القشيري صاحبُ الرسالة بالغ في إكرامهما وأجلسهما في مُسنده . وبنى المدارس والرُّبُطَ والمساجد في البلاد[1] ، وهو أول من أنشأ المدارس فاقتدى به الناس . وشرع في عمارة مدرسته ببغداد سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، وفي سنة تسع وخمسين جمع الناس على طبقاتهم ليدرس بها الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ، رحمه الله تعالى ، فلم يحضر ، فذكر الدرس أبو نصر ابن الصباغ ، صاحب « الشامل » ، عشرين يوماً ، ثم جلس الشيخ أبو إسحاق بعد ذلك. وهذا الفصل قد استقصيته في ترجمة أبي نصر عبد السيد بن الصباغ صاحب « الشامل » فليُنظر هناكَ . وكان الشيخ أبو إسحاق إذا حضر وقتُ الصلاة خرج منها وصلى في بعض المساجد ، وكان يقول : بلغني أن أكثر آلاتها غصب[2].

وسمع نظام الملك الحديثَ وأسمعه ، وكان يقول : إني لأعلم أني لست أهلاً لذلك ، ولكني أريد أربط[3] نفسي في قطار[4] النَّقَلَةِ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويروى له من الشعر قوله :

بعدَ الثمانينَ ليسَ قُوَّه قدْ ذَهَبَتْ شِرَّةُ الصَّبوَّهْ
كأنني والعصا بكفِّي مُوسى ولكن بِلا نُبوَّهْ

وقيل : إن هذين البيتين لأبي الحسن محمد بن أبي الصقر الواسطي - وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى - .

١ انظر المدارس التي بناها في السبكي : ١٣٧ .
٢ ص : مغصوبة .
٣ ج : أريد ربط .
٤ ه : كتاب .

[ويروى له أيضاً – أعني نظام الملك – :

تقوّس بعد طول العمر ظهري وداستني الليـــالي أيَّ دوس
فأمشي والعصا تمشي أمـــامي كأن قوامهـــا وتر بقوس][1]

وكانت ولادة نظام الملك يوم الجمعة الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ثمان وأربعمائة بنُوقانَ ، إحدى مدينتي طوس ، وتوجّه صُحبة ملك شاه إلى أصبهان ، فلما كانت ليلة السبت عاشر شهر رمضان سنة خمس وثمانين وأربعمائة أفطر وركب في محفته[2] ، فلما بلغ إلى قرية قريبة من نهاوَندَ يقال لها سَحنَة[3] ، قال : هذا الموضع قـُتِلَ فيه خلق كثير من الصحابة زمَنَ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنهم أجمعين ، فطوبى لمن كان معهم ، فاعترضه في تلك الليلة صبيّ ديلمي على هيئة الصوفية مَعهُ قصة ، فدعا له وسأله تناولها ، فمدّ يده ليأخذها فضربه بسكين في فؤاده ، فحُمل إلى مضربه فمات ، وقتل القاتل في الحال بعد أن هرب ، فعثر في طُنُب خيمة فوقع ، وركب السلطان إلى معسكره ، فسكّنهم وعزّاهم ، وحمل إلى أصبهان ودفن بها .

وقيل : إن السلطان دَسّ عليه من قتَله فإنه سئم طول حياته ، واستكثر ما بيده من الاقطاعات ، ولم يعش السلطان بعده سوى خمسة وثلاثين يوماً ، فرحمه الله تعالى لقد كان من حسنات الدهر .

ورثاه شبل الدولة أبو الهَيجاء مقاتل بن عطية بن مقاتل البكري – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى – وكان خَتَنَه فإن نظام الملك زوّجَهُ ابنته – فقال[4] :

كان الوزيرُ نظامُ الملك لؤلؤةً نفيسة صاغها الرّحمنُ من شرفِ
عزّت فلم تعرف الأيامُ قيمتهـــا فردّها غيرةً منه إلى الصّدفِ

١ زيادة من ص س .
٢ أ ج هـ : محفة .
٣ سحنة : إلى الشمال الغربي من نهاوند ولا تزال تعرف بهذا الاسم إلى اليوم .
٤ أخبار الدولة السلجوقية : ٧١ .

وقد قيل : إنه قتل بسبب تاج الملك أبي الغنائم المرزبان بن خسروفيروز المعروف بابن دارست[1] ، فإنه كان عدو نظام الملك ، وكان كبير المنزلة عند مخدومه ملك شاه ، فلما قتل رتَّبه موضعه في الوزارة ، ثم إن غلمان نظام الملك وثَبوا عليه فقتلوه وقطعوه إرْباً إرْباً في ليلة الثلاثاء ثاني عشر المحرم من سنة ست وثمانين وأربعمائة ، وعمره سبع وأربعون سنة ، وهو الذي بنى على قبر الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، رحمه الله تعالى .

١٨٠

فخر الكتّاب الجويني

أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الملقب فخر الكُتّاب الجويني الأصل البغدادي الكاتب المشهور ؛ كتب كثيراً ، ونسخ كتباً توجد في أيدي الناس بأوفر الأثمان لجودة خطها ورغبتهم فيه ، وذكره العماد الكاتب في « الخريدة » وبالغ في الثناء عليه ، وقال : كان من ندماء أتابك زَنْكي بالشام ، وأقام بعده عند ولده نور الدين محمود في ظل الإكرام، ثم سافر إلى مصر في أيام ابن رُزّيك، وتوطَّنَ بها إلى هذه الايام ، وليس بمصر الآن مَن يكتب مثله ، وأورد له مقطوع[2] شعر كتبه إلى القاضي الفاضل ، ولولا أنه طويل لذكرته .

وتوفي سنة أربع وثمانين ، وقيل : ست وثمانين وخمسمائة ، بالقاهرة ، رحمه الله تعالى[3] .

---

١ انظر شرح هذا في أخبار الدولة السلجوقية : ٦٧ .

١٨٠ - ترجمة فخر الكتّاب الجويني في معجم الأدباء ٩ : ٤٣ ومعجم الالقاب ٤/٣ : ١٤٣ .

٢ أ : مقاطيع .

٣ هامش س : الصحيح أنه توفي سنة ست وثمانين لأني رأيت جزءاً بخطه ذكر أنه كتبه في سنة خمس وثمانين وأن عمره حينئذ احدى وثمانون سنة ونصف .

والجُوَيني – بضم الجيم وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون – هذه النسبة إلى جُوَين ، وهي ناحية كبيرة من نواحي نيسابور ، ينسب إليها جماعة كثيرة من العلماء .

وكان[1] كثيراً ما ينشد لبعض العراقيين[2] :

يندَمُ المرء على ما فاتهُ من لُبانات إذا لم يَقضِها
وتراه فَرِحاً مُستبْشِراً بالتي أمضى كأن لم يمضِها
إنها عِندي وأحلام[3] الكرى لَقَريبٌ بعضُها مِن بعضِها

١٨١

الكرابيسي صاحب الشافعي

أبو علي الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي البغدادي ؛ صاحب الإمام الشافعي ، رضي الله عنهما ، وأشهرهم بانتياب مجلسه وأحفظهم لمذهبه ، وله تصانيف كثيرة في أصول الفقه وفروعه . وكان متكلماً عارفاً بالحديث ، وصنف أيضاً في الجَرْح والتعديل وغيره ، وأخذ عنه الفقه خلق كثير .

---

١ من هنا حتى آخر الترجمة سقط من س .
٢ نسبت هذه الأبيات لعمران بن حطان (انظر مجموع شعر الخوارج : ١٩ وديوان المعاني : ٤) .
٣ ه : كأحلام .

١٨١ – ترجمة الكرابيسي في تاريخ بغداد ٨ : ٦٤ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٨ وتهذيب التهذيب ٢ : ٣٥٩ وطبقات الشافعية ١ : ٢٥١ والفهرست : ١٨١ . وانظر « الكرابيسي » في الأنساب واللباب .

وكان الكرابيسي أولاً على مذهب أهل الرأي ثم تفقه للشافعي ، وقد اختلف مع أحمد بن حنبل في بعض المسائل ، وكان من متكلمي أهل السنة وله كتاب في المقالات عول عليه من بعده في فهم مذاهب الخوارج وأهل الأهواء ، وله كتاب المدلسين في الحديث وكتاب « الامامة » .

وتوفي سنة خمس وأربعين ، وقيل : سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وهو أشبه بالصواب ، رحمه الله تعالى .

والكرابيسي – بفتح الكاف والراء وبعد الألف باء موحدة مكسورة ثم ياء مثناة من تحتها ساكنة وبعدها سين مهملة – هذه النسبة إلى الكرابيس ، وهي الثياب الغليظة ، واحدها كِرْباس – بكسر الكاف – وهو لفظ فارسي[1] عُرِّب وكان أبو علي المذكور يبيعها فنسب إليها .

١٨٢

ابن خيران

أبو علي الحسين بن صالح بن خَيْران الفقيه الشافعي ؛ كان من جلّة الفقهاء المتورّعين وأفاضل الشيوخ ، وعُرِض عليه القضاء ببغداد في خلافة المقتدر فلم يفعل ، فوَكَّلَ الوزير أبو الحسن علي بن عيسى بداره مترسماً ، فخوطب في ذلك فقال : إنما قصدت ذلك ليقال كان في زماننا من وكل بداره ليتقلّد القضاء فلم يفعل ، وكان يُعاتب أبا العباس ابن سُرَيج على توليته ، ويقول : هذا الأمر لم يكن فينا ، وإنما كان في أصحاب أبي حنيفة ، رضي الله عنه .

[ومثل هذا : دعا عثمان رضي الله عنه عبد الله بن عمر فقال : اذهب ، كن قاضياً . قال : أوَتعفيني يا أمير المؤمنين؟ قال : لا ، اذهب كن قاضياً ، قال: لا تعجل يا أمير المؤمنين ، ألم تسمع رسول الله (ص) يقول : من عاذ بالله فقد عاذ بمعاذ ؟ قال : بلى ، قال : فإني أعوذ بالله أن أكون قاضياً ، قال : وما يمنعك من ذلك وأبوك كان يقضي بين الناس ؟ قال : يمنعني قول النبي

١ ر س : عجمي .

١٨٢ – ترجمة ابن خيران في طبقات الشيرازي ، الورقة : ٣١ وطبقات السبكي ٢ : ٢١٣ وتاريخ بغداد ٨ : ٥٣ والمنتظم ٦ : ٢٤٤ .

(ص) : من كان قاضياً بين المسلمين فقضى بجهل فهو في النار ، ومن كان قاضياً بحق أو بعدل سأل أن ينفلت كفافاً، فما أرجو من القضاء بعد هذا ؟][1].

وكانت وفاته يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة عشرين وثلثمائة ، قاله أبو العلاء ابن العسكري ، وقال الحافظ أبو الحسن الدارقطني : توفي في حدود سنة عشر وثلثمائة ، وصوبه الحافظ أبو بكر الخطيب في ذلك ، وقال : وهِمَ أبو العلاء العسكري[2] ، رحمه الله تعالى .

وخَيْران : بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعد الألف نون .

١٨٣

القاضي حسين

أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد المرْوَروذي الفقيه الشافعي المعروف بالقاضي صاحب التعليقة في الفقه ؛ كان إماماً كبيراً صاحبَ وجوهٍ غريبة في المذهب ، وكلّما قال إمام الحرمين في كتاب « نهاية المطلب » والغزالي في « الوسيط والبسيط » : « وقال القاضي » فهو المراد بالذكر لا سواه . أخذ الفقه عن أبي بكر القفّال المرْوَزي – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في العبادلة – وصنّف في الأصول والفروع والخلاف ، ولم يزل يحكم بين الناس ويُدرّس ويفتي ، وأخذ عنه الفقه جماعة من الأعيان ، منهم أبو محمد الحسين بن مسعود الفرّاء البغوي صاحب كتاب « التهذيب » وكتاب « شرح السنّة » وغيرهما .

---

١ ما بين معقفين زيادة من د .

٢ الصواب أن أبا عبد الله (لا أبو العلاء) الحسين بن محمد بن عبيد العسكري ينقل عن أبي العلاء محمد الواسطي تاريخ وفاة ابن خيران ، فالذي وقع في الوهم هو الواسطي .

١٨٣ – ترجمة القاضي حسين المروروذي في طبقات السبكي ٣ : ١٥٥ .

وتوفي في سنة اثنتين وستين وأربعمائة بمَرْوَرُّوذ ، رحمه الله تعالى .
وقد تقدم الكلام على مروروذ في حرف الهمزة .

١٨٤

أبو علي السنجي

أبو علي الحسين بن شعَيب بن محمد السِّنْجي الفقيه الشافعي ؛ أحدُ الأئمة المتقنين[١] ، أخذ الفقه بخراسان عن أبي بكر عبد الله القَفَّال المرْوَزيّ هو والقاضي حسين الذي تقدم ذكره والشيخ أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين – وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى – وشَرَح الفروع التي لأبي بكر ابن الحداد المصري[٢] شرْحاً لم يُقاربه فيه أحد ، مع كثرة شروحها ، فإن القفال شيخه شرحها ، والقاضي أبو الطيب الطبري شرحها ، وغيرهما ، وشرح أيضاً كتاب « التلخيص »[٣] لأبي العباس ابن القاص شرحاً كبيراً ، وهو قليل الوجود ، وله كتاب « المجموع » وقد نقل منه أبو حامد الغزالي في كتاب « الوسيط » وهو أول من جمع بين طريقتي العراق وخراسان ، وكان فقيه أهل مَرْوَ في عصره .

وكان يقال في عصره : الأئمة بخراسان ثلاثة : مكثر محقق ومقلّ محقق ومكثر غير محقق، فالمكثر المحقق أبو علي السنجي والمُقل المحقق أبو محمد الجويني ...

١٨٤ – ترجمة السنجي في طبقات السبكي ٣ : ١٥٠ .

١ ج : المتقين ، وفي سائر النسخ : المتقدمين ، وأثبتنا ما في مسودة المؤلف .

٢ توفي أبو بكر ابن الحداد سنة ٣٤٥ وكتابه الفروع في مذهب الشافعي صغير الحجم إلا أنه حقق المسائل فيه غاية التدقيق ، ومن شراحها عدا من ذكره المؤلف أبو إسحاق الاسفرايني (٤١٨) وأبو القاسم الفوراني (٤٦١) وأبو بكر الصيدلاني .

٣ هو التلخيص في الفروع لأبي العباس أحمد بن محمد بن يعقوب ابن القاص الطبري (–٣٣٥) . وممن شرحه القفال والاستراباذي محمد بن الحسن (–٣٨٦) .

والمكثر غير المحقق ناصر المروزي[1] .

وكانت وفاته في سنة نيّفٍ وثلاثين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

والسِّنْجي – بكسر السين المهملة وسكون النون وبعدها جيم – نسبة إلى سنج ، وهي قرية كبيرة من قرى مَرْوَ .

١٨٥

الفراء البغوي

أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد، المعروف بالفَرّاء ، البَغَوي[٥] الملقب ظهير الدين[٢] الفقيه الشافعي المحدث المفسر ؛ كان بحراً في العلوم ، وأخذ الفقه عن القاضي حسين بن محمد – كما تقدم في ترجمته – وصنف في تفسير كلام الله تعالى، وأوضح المشكلات من قول النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى الحديث ودَرَّسَ ، وكان لا يُلقي الدرس إلا على الطهارة ، وصنف كتباً كثيرة ، منها كتاب « التهذيب » في الفقه ، وكتاب « شرح السنّة » في الحديث ، و « معالم التنزيل» في تفسير القرآن الكريم ، وكتاب « المصابيح » و « الجمع بين الصحيحين » وغير ذلك .

توفي في شوال سنة عشر وخمسمائة[٣] بمرورود ، ودفن عند شيخه القاضي حسين بمقبرة الطالقان ، وقبره مشهور هنالك ، رحمه الله تعالى .

ورأيت في كتاب « الفوائد السفرية » التي جمعها الشيخ الحافظ زكي الدين

١ وكان يقال ... المروزي : ثبت في مسودة المؤلف ونسخة ص وحدهما .

١٨٥ – ترجمة الفراء البغوي في طبقات السبكي ٤ : ٢١٤ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٤٥ (استطراداً لا من أصل التاريخ) .

٢ الملقب ظهير الدين : من ص ومسودة المؤلف وحدهما .

٣ س : ست عشرة وخمسمائة ؛ ص : عشرين .

عبد العظيم المنذري أنه توفي في سنة ست عشرة وخمسمائة[1] ، ومن خطه نقلت هذا ، والله أعلم . ونقلت عنه أيضاً أنه ماتت له زوجة فلم يأخذ من ميراثها شيئاً ، وأنه كان يأكل الخبز البَحْتَ ، فعُذِل في ذلك ، فصار يأكل الخبز مع الزبيب[2] .

والفَرّاء : نسبة إلى عمل الفِراء وبيعها .

والبَغَوي — بفتح الباء الموحدة والغين المعجمة وبعدها واو — هذه النسبة إلى بلدة بخراسان بين مرو وهراة يقال لها بغ وبغشور بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة وضم الشين وبعدها واو ساكنة ثم راء — وهذه النسبة شاذة على خلاف الأصل ، هكذا قال السمعاني في كتاب « الأنساب » .

١٨٦

الحليمي

أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حَليم الفقيه الشافعي المعروف بالحليمي الجرجاني؛ ولد بجُرْجان[3] سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة، وحمِل إلى بُخارى، وكتب الحديث عن أبي بكر محمد بن أحمد بن حبيب وغيره ، وتفقه على أبي بكر الأودني[4] وأبي بكر القَفّال ، ثم صار إماماً معظماً مرجوعاً إليه بما وراء

١ كذا ورد أيضاً في طبقات السبكي .

٢ قوله : ورأيت ... الزبيب : سقط من س ؛ ص ر : بالزبيب .

١٨٦ - ترجمة الحليمي في طبقات السبكي ٣ : ١٤٧ والأنساب واللباب : « الحليمي » .

٣ ج : بخراسان .

٤ أ : الازدي ، والأودني بضم الألف وسكون الواو وفتح الدال المهملة والنون نسبة إلى أودنة وهي من قرى بخارى .

النهر ، وله في المذهب وجوه حسنة ، وحدث بنيسابور وروى عنه الحافظ الحاكم وغيره .

وتوفي في جمادى الاولى – وقيل في شهر ربيع الأول – سنة ثلاث وأربعمائة، رحمه الله تعالى ، ونسبته إلى جده حليم المذكور .

١٨٧

الوني الحاسب

أبو عبد الله الحسين بن محمد الونّيُّ الفَرَضِيُّ الحاسب ؛ كان إماماً في الفرائض وله فيها تصانيف كبيرة مليحة أجاد فيها ، وسمع الحديث من أصحاب أبي علي الصفّار وغيرهم ، وسمع منه أبو حَكيم عبد الله بن إبراهيم الخَبْري صاحب « التلخيص » في الحساب والخطيب التبريزي وغيرهما، وهو شيخ الخبري في علم الحساب والفرائض ، وانتفع به وبكتبه خلق كثير .

وتوفي شهيداً ببغداد في ذي الحجة سنة إحدى وخمسين وأربعمائة في فتنة البساسيري المقدم ذكره .

والوَنّيُّ – بفتح الواو وتشديد النون – هذه النسبة إلى وَنّ ، وهي قرية من أعمال قُهُستان أظنه منها .

١٨٧ – ترجمة الوني في طبقات السبكي ٣ : ١٦٣ والأنساب واللباب « وني ».ونكت الهميان: ١٤٥ .

١٨٨

ابن خميس الكعبي

أبو عبد الله[١] الحسين بن نصر بن محمد بن الحسين بن القاسم بن خَميس بن عامر المعروف بابن خميس الكعبي الموصلي الجهني الملقب تاج الإسلام مجد الدين الفقيه الشافعي ؛ أخذ الفقه عن أبي حامد الغزالي ببغداد وعن غيره ، وولي القضاء برَحبَة مالك بن طَوْق ، ثم رجع إلى الموصل وسكنها ، وصنف كتباً كثيرة ، منها « مناقب الأبرار »[٢] على أسلوب رسالة القُشَيري ، ومنها « مناسك الحج » و « أخبار المنامات » .

ذكره الحافظ أبو سعد السمعاني في تاريخه ، وأثنى عليه .

وكان يروي عن أبي إسحاق إبراهيم بن عثمان الكلبي الغزي الشاعر – المقدم ذكره – في وزير عميد الدولة ابن جهير ، قوله :

من آلة الدست لم يؤت الوزير سوى . . . . (البيتين)[٣]

وخميس جَدُّه الأعلى .

وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة[٤] ، رحمه الله تعالى .

والجُهَني – بضم الجيم وفتح الهاء وبعدها نون – هذه النسبة إلى جُهَيْنة ، وهي قرية قريبة من الموصل تُجاور القرية التي فيها العين المعروفة بعين القيارة

١٨٨ – ترجمة ابن خميس الكعبي في طبقات السبكي ٤ : ٢١٧ .

١ س : أبو عبد الرحمن .

٢ ذكر فيه أنه تتبع مسموعاته ومما جمعه العلماء من أخبار الصالحين كطبقات السلمي والحلية وبهجة الأسرار والرسالة القشيرية ، فجمع الجميع بحذف الأسانيد .

٣ انظر ج ١ : ٥٩ من هذا الكتاب .

٤ ولد الكعبي في ٢٠ محرم سنة ٤٦٦ بالموصل .

التي ينفع الاستحمام بمائها من الفالج والرياح الباردة ، وهي مشهورة ، وهما في برّ الموصل أسفل من الموصل ، وجهينة أقرب من عين القيارة ؛ والجُهَني أيضاً نسبة إلى جُهَينة وهي قبيلة كبيرة من قضاعة .

والكعبي — بفتح الكاف وسكون العين المهملة وبعدها باء موحدة — هذه النسبة إلى بني كعب ، وهم أربع قبائل ينسب إليها ، ولا أعلم المذكور إلى أيها ينتسب .

والموصلي معروف .

١٨٩

الحلاج

أبو مُغيث[١] الحسين بن منصور الحَلاّجُ الزاهد المشهور ؛ هو من أهل البَيْضاء وهي بلدة بفارس ، ونشأ بواسط والعراق ، وصحب أبا القاسم الجُنَيد وغيره ، والناس في أمره مختلفون : فمنهم مَن يبالغ في تعظيمه ، ومنهم من يكفره . ورأيت في كتاب « مشكاة الأنوار » تأليف أبي حامد الغزالي فصلاً طويلاً في حاله ، وقد اعتذر عن الألفاظ التي كانت تصدر عنه مثل قوله « أنا الحقّ » وقوله « ما في الجبة إلا الله » وهذه الإطلاقات التي ينبو السمع عنها وعن ذكرها

. . . . .

١٨٩ – ترجمة الحلاج وأخباره في الفهرست : ١٩٠ – ١٩٢ وطبقات السلمي : ٣٠٧ ولسان الميزان ٢ : ٣١٤ وميزان الاعتدال ١ : ٥٤٨ وتاريخ بغداد ٨ : ١١٢ ومرآة الجنان ٢ : ٢٥٣ وتاريخ ابن الأثير ٨ : ١٢٦ والمنتظم ٦ : ١٦٠ والفخري : ٢٣٤ وابن كثير ١١ : ١٣٢ وتجارب الأمم ١ : ٧٦ وصلة عريب : ٨٦ ، وانظر أخبار الحلاج من جمع ماسينيون (باريس ١٩٥٧) وديوانه (جمع ماسينيون ، المجلة الاسيوية ، باريس ١٩٣١) وقد نشر ماسينيون أيضاً « الأصول الأربعة » وتتعلق بسيرة الحلاج (باريس ١٩١٤) وألف فيه رسالة بعنوان : La Passion d'al-Hosayn-ibn-Mansour al-Hallaj (Paris 1922) .

١ كنيته في بعض المصادر تختلف عما أثبته المؤلف .

وحمَلَها كلها على محامل حسنة ، وأوَّلَها ، وقال : هذا من فرط المحبة وشدة الوَجْد ، وجعل هذا مثل قول القائل[1] :

أنا مَنْ أهْوَى ومَنْ أهْوى أنا   نحنُ رُوحان حَلَلنا بَدَنا
فإذا أبصَرْتَني أبصَرتَهُ   وإذا أبصَرتَهُ أبصَرتَنا

[وكان ابتداء حاله على ما ذكره عز الدين ابن الأثير في تاريخه انه كان يظهر الزهد والتصوف والكرامات ويخرج للناس فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ويمد يده إلى الهواء ويعيدها مملوءة دراهم عليها مكتوب : قل هو الله أحد ، ويسميها دراهم القدرة ، ويخبر الناس بما يأكلون وما يصنعون في بيوتهم ، ويتكلم بما في ضمائر الناس، فافتتن به خلق كثير واعتقدوا فيه الحلول؛ وبالجملة فإن الناس اختلفوا فيه اختلافهم في المسيح عليه السلام ، فمن قائل إنه حل فيه جزء إلهيّ ويدعي فيه الربوبية ، ومن قائل إنه وليُّ الله تعالى وان الذي يظهر منه من جملة كرامات الصالحين ، ومن قائل انه ممخرق ومستغش وشاعر كذاب ومتكهن والجنّ تطيعه فتأتيه بالفاكهة بغير أوانها .

وكان قدم من خراسان إلى العراق وسار إلى مكة فأقام بها سنة في الحجر لا يستظل تحت سقفٍ شتاء ولا صيفاً ، وكان يصوم الدهر فإذا جاء العشاء أحضر له الخادم كوز ماء وقرصاً فيشربه ويعض من القرص ثلاث عضات من جوانبه ويترك الباقي ولا يأكل شيئاً آخر إلى آخر النهار . وكان شيخ الصوفية بمكة عبد الله المغربي يأخذ أصحابه إلى زيارة الحلاج فلم يجده في الحجر وقيل قد صعد إلى جبل أبي قبيس ، فصعد إليه فرآه على صخرة حافياً مكشوفَ الرأس والعرق يجري منه إلى الأرض ، فأخذ أصحابه وعاد ولم يكلمه وقال : هذا يتصبر ويتقوى على قضاء الله وسوف يبتليه الله بما يعجز عنه صبره وقدرته؛ وعاد الحسين إلى بغداد . انتهى كلام ابن الأثير][2] .

---

١ ديوان الحلاج : ٩٣ .

٢ زيادة من النسخة أ (قارن ابن الاثير ٨ : ١٢٦) .

[وكان في سنة ٢٩٩ ادعى للناس أنه إله وأنه يقول بحلول اللاهوت في الأشراف من الناس ، وانتشر له في الحاشية ذكر عظيم ، ووقع بينه وبين الشبليّ وغيره من مشايخ الصوفية ، فبعث به المقتدر إلى عيسى ليناظره ، فأحضر مجلسه وخاطبه خطاباً فيه غلظة ، فحكي انه تقدم إليه وقال له فيما بينه وبينه : قف من حيث انتهيت ولا تزد علي شيئاً وإلا خسفت الأرض من تحتك ، وكلاماً في هذا المعنى ، فتهيب عيسى مناظرته واستعفى منها فنقل في سنة ٣٠٩ إلى حامد بن العباس الوزير ، فحدث غلام لحامد كان موكلاً بالحلاج قال : دخلت عليه يوماً ومعي الطبق الذي عادتي أن أقدمه إليه كلّ يوم ، فوجدته قد ملأ البيت بنفسه وهو من سقفه إلى أرضه وجوانبه ليس فيه موضع ، فهالني ما رأيت منه ورميت الطبق من يدي وهربت ؛ وحمّ هذا الغلام من هول ما رأى وبقي مدة محموماً ، فكذبه حامد وشتمه وقال : ابعد عني ؛ وكان دخوله إلى بغداد مشهراً على جمل وحبس في دار المقتدر ، وأفتى العلماء بإباحة دمه .

وكان الحلاج قد أنفذ أحد أصحابه إلى بلد من بلدان الجبل ووافقه على حيلة يعملها ، فخرج الرجل فأقام عندهم سنتين يظهر النسك والعبادة وقراءة القرآن والصوم ، فغلب على البلد حتى إذا تمكن أظهر أنه عمي فكان يقاد إلى مسجده ويتعامى في كل أحد شهوراً ، ثم أظهر أنه زَمِنٌ فكان يحبو ويحمل إلى المسجد حتى مضت سنة وتقرر في النفوس عماه وزمانته فقال لهم بعد ذلك : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم يقول انه يطرق هذا البلد عبد صالح مجاب الدعوة تكون عافيتك على يديه ودعائه ، فاطلبوا لي كل من يجتاز من الفقراء أو من الصوفية لعل الله تعالى أن يفرج عني ، فتعلقت النفوس لورود العبد الصالح ، ومضى الأجل الذي بينه وبين الحلاج فقدم البلد ولبس الثياب الصوف الرقاق وتفرد في الجامع فقال الأعمى : احملوني إليه ، فلما حصل عنده وعلم أنه الحلاج قال له : يا عبد الله رأيت في النوم كذا وكذا فادعُ الله تعالى لي ، فقال : ومن أنا وما تحكي ؟ ثم دعا له ومسح يده عليه فقام مبصراً صحيحاً ، فانقلب البلد وكثر الناس على الحلاج ، فتركهم وخرج من البلد وأقام المتعامي المبرأ مما فيه

شهوراً ثم قال لهم: ان من حق الله عندي ورده جوارحي عليّ أن أنفرد بالعبادة انفراداً أكثر من هذا ، وأن يكون مقامي في الغزو ، وقد عملت على الخروج إلى طرسوس ، فمن كانت له حاجة يحملها ، فأخرج هذا ألف درهم وقال : اغز بهذه عني ، وأخرج هذا مائة دينار وقال : اخرج بها غزاة من هناك ، وأعطاه كل أحد شيئاً فاجتمع له ألوف دنانير ودراهم ، فلحق بالحلاج وقاسمه عليها .

وكان قد جرى منه كلام في مجلس حامد وزير المقتدر بحضرة القاضي أبي عمر وقد قرىء عليه رقعة بخطه أن الإنسان إذا أراد الحج ولم يمكنه افرد في داره شيئاً لا يلحقه نجاسة ولا يدخله أحد ومنع من يطرقه فإذا حضرت أيام الحج طاف حوله طوافَهُ بالبيت الحرام ، فإذا انقضى ذلك وقضى من المناسك ما يقضي بمكة مثله جمع ثلاثين يتيماً وعمل لهم ما يمكنه من الطعام وأحضرهم إلى ذلك البيت وقدم إليهم ذلك الطعام وتولى خدمتهم بنفسه ، فإذا أكلوا وغسلوا أيديهم كسا كلّ واحد منهم قميصاً ودفع إليه سبعة دراهم أو ثلاثة ، فإذا فعل ذلك قام له قيام الحج ، فلما فرغ منها التفت إليه أبو عمر القاضي وقال له : من أين لك هذا ؟ قال : من كتاب « الإخلاص » للحسن البصري ، فقال له أبو عمر : كذبت يا حلاج ، اللهم قد سمعنا كتاب « الإخلاص » للحسن بمكة وليس فيه شيء مما ذكرت][1] الخ .

ومن الشعر المنسوب إليه على اصطلاحهم وإشاراتهم قوله[2] :

لا كنتُ إن كنتُ أدري كيفَ كنتُ ، ولا
لا كنتُ إنْ كنت أدْري كيفَ لم أكُنِ

وقوله أيضاً على هذا الاصطلاح[3] :

ألقاهُ في اليمّ مكتوفاً وقال له إياكَ إياكَ أنْ تبتلّ بالمـــاءِ

---

١ زيادة من النسخة د .
٢ ديوانه : ١١٨ .
٣ ديوانه : ١٢٢ .

وغير ذلك مما يجري هذا المجرى وينبني على هذا الأسلوب .

وقال أبو بكر ابن ثوابة القصري : سمعت الحسين بن منصور وهو على الخشبة يقول :

طلبتُ المستقَرّ بكلّ أرضٍ فلم أرَ لي بأرضٍ مُستَقَرّا
أطعتُ مَطامعي فاستعبدَتْني ولو أني قنعتُ لكنتُ حرّا

والبيت الذي قبل قوله :

لا كنت إن كنت أدري . . .

أرْسَلتَ تسألُ عَنّي كيفَ كنتُ وما لاقَيتُ بعدَكَ مِن همٍّ ومِن حَزَنِ

وقيل : إن بعضهم كتب إلى أبي القاسم سمنون بن حمزة الزاهد يسأله عن حاله ، فكتب إليه هذين البيتين ، والله أعلم .

وبالجملة فحديثه طويل وقصته مشهورة والله يتولى السرائر .

وكان جدُّه مجوسياً وصحب هو أبا القاسم الجنيد ومَن في طبقته ، وأفتى أكثر علماء عصره بإباحة دمه .

ويقال : إن أبا العباس ابن سُرَيج كان إذا سئل عنه يقول : هذا رجل خفي عني حاله ، وما أقول فيه شيئاً[1] . وكان قد جرى منه كلام في مجلس حامد بن العباس وزير الإمام المقتدر بحضرة القاضي أبي عمر ، فأفتى بحل دمه وكتب خطه بذلك وكتب معه مَن حضر المجلس من الفقهاء ، فقال لهم الحلاج : ظَهْري حِمًى ودمي حرام ، وما يحلّ لكم أن تتأولوا عليّ بما يبيحه[2] ، وأنا اعتقادي الإسلام ومذهبي السنّة وتفضيل الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين وبقية العشرة من

---

١ عن إبراهيم بن شيبان قال : دخلت على ابن سريج يوم قتل الحلاج فقلت : يا أبا العباس ما تقول في فتوى هؤلاء في قتل هذا الرجل ؟ قال : لعلهم نسوا قول الله تعالى « أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله » . وقال الواسطي : قلت لابن سريج: ما تقول في الحلاج ؟ قال : أما أنا فأراه حافظاً للقرآن عالماً به ماهراً في الفقه عالماً بالحديث ... (أخبار الحلاج : ١٠٦) .

٢ أ : يبيحه الأئمة .

الصحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين ، ولي كتب في السنّة موجودة في الوراقين فالله الله في دمي ، ولم يزل يردد هذا القول وهم يكتبون خطوطهم إلى أن استكملوا ما احتاجوا إليه ونهضوا من المجلس ، وحُمِل الحلاج إلى السجن .

وكتب الوزير إلى المقتدر يخبره بما جرى في المجلس وسير الفتوى ، فعاد جواب المقتدر بأن القضاة إذا كانوا قد أفتَوْا بقتله فليُسَلَّم إلى صاحب الشرطة ، وليتقدم إليه بضربه ألف سوط ، فإن مات من الضرب وإلا ضَرَبه ألف سوط أخرى ، ثم تُضرب عنقه ، فسلمه الوزير إلى الشرطي وقال له ما رسم به المقتدر ، وقال : إن لم يتلف بالضرب فتقطع يده ثم رجله ثم يده ثم رجله ثم تحز رقبته وتحرق جثته ، وإن خدعك وقال لك : أنا أُجري الفرات ودجلة ذهباً وفضة ، فلا تقبل ذلك منه ولا ترفع العقوبة عنه ، فتسلمه الشرطي ليلاً ، وأصبح يوم الثلاثاء لسبع بقين ، وقيل لست بقين من ذي القعدة[1] ، سنة تسع وثلثمائة ، فأخرجه عند باب الطاق ، واجتمع من العامة خلق كثير لا يحصى عددهم ، وضربه الجلاد ألف سوط ، ولم يتأوّه بل قال للشرطي لما بلغ ستمائة : ادع بي إليك ، فإن لك عندي نصيحة تعدل فتح قسطنطينية[2] ، فقال له : قد قيل لي عنك إنك تقول هذا وأكثر منه وليس إلى أن أرفع الضرب عنك سبيل ، فلما فرغ من ضربه قطع أطرافه الأربعة ، ثم حزّ رأسه وأحرق جثته ، ولما صارت رماداً ألقاها في دجلة ، ونصب الرأس ببغداد على الجسر ، وجعل أصحابه يَعِدُون أنفسهم برجوعه بعد أربعين يوماً .

واتفق أن زادت دجلة في تلك السنة زيادة وافرة ، فادعى أصحابه أن ذلك بسبب إلقاء رماده فيها . وادّعى بعضُ أصحابه أنه لم يُقتل ، وإنما ألقى شبهه على عدوّ له .

[وادعى بعضهم أنه رآه في ذلك اليوم بعد الذي عاينوه من الحال التي جرت عليه وهو راكب على حمار في طريق النهروان وقال لهم : لعلكم مثل هؤلاء النفر الذين ظنوا أني هو المضروب والمقتول ؛ ومن شعره المنسوب إليه :

١ ج : ذي الحجة .   ٢ في المسودة : قسطنطينية .

متى سهرت عيني لغيرك أو بكت   فلا بلغت ما أمّلت وتمنّت
وإن أضمرت نفسي سواك فلا رعت   بأرض المنى من وجنتيك وجنّت][1]

وشرح حاله فيه طول ، وفيما ذكرناه كفاية .

والحلاّج : بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام وبعدها ألف ثم جيم . وإنما لقب بذلك لأنه جلس على حانوت حلاّج واستقضاه شغلاً ، فقال الحلاج : أنا مشتغل بالحلج ، فقال له : امض في شغلي حتى أحلج عنك ، فمضى الحلاج وتركه ، فلما عاد رأى قطنه جميعه محلوجاً . [وقيل إنه كان يتكلم قبل أن ينسب إليه على الأسرار ويخبر عنها ، فسمي بذلك حلاج الأسرار][1] .

والبيضاء : بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الضاد المعجمة وبعدها همزة ممدودة[2] .

قلت : وبعد انفراغ من هذه الترجمة ، وجدت في كتاب « الشامل » في أصول الدين ، تصنيف الشيخ العلامة إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد الجويني رحمهما الله تعالى – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى – فصلاً ينبغي ذكره ههنا والتنبيه على الوهم الذي وقع فيه ، فإنه قال ، وقد ذكر طائفة من الأثبات الثقات : إن هؤلاء الثلاثة تواصوا على قلب الدولة ، والتعرض لإفساد المملكة ، واستعطاف القلوب واستمالتها ، وارتاد كلٌّ واحد منهم قطراً : أما الجنّابيُّ فأكناف الأحساء ، وابن المقفع توغل في أطراف بلاد الترك ، وارتاد الحلاج قطر بغداد ، فحكم عليه صاحباه بالهلكة والقصور عن درك الأمنية لبعد أهل العراق عن الانخداع ؛ هذا آخر كلام إمام الحرمين ، رحمه الله .

قلت : وهذا كلام لا يستقيم عند أرباب التواريخ ، لعدم اجتماع الثلاثة المذكورين في وقت واحد : أما الحلاّج والجنّابي فيمكن اجتماعهما لأنهما كانا في عصر واحد ، ولكن لا أعلم هل اجتمعا أم لا . والمراد بالجنّابي هو أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام القرمطي ، رئيس القرامطة ،

[1] زيادة من د .
[2] إلى هنا انتهت الترجمة في س .

وحديثهم وحروبهم وخروجهم على الخلفاء والملوك مشهور فلا حاجة إلى الإطالة بشرحه في هذا المكان ، بل إن يسر الله تعالى تحرير **التاريخ الكبير** ، فسأذكر فيه حديثهم مستوفى ، إن شاء الله تعالى .

وبعد أن جرى ذكرهم ، فينبغي أن نذكر منه فصلاً مختصراً ههنا ، حتى لا يخلو هذا الكتاب من حديثهم ، فأقول :

إن شيخنا عز الدين أبا الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير ذكر في تاريخه الكبير الذي سماه « الكامل » أول أمرهم ، وأطال الحديث فيه ، وشرح في كل سنة ما كان يجري لهم فيها . فاخترت ههنا شيئاً من ذلك طلباً للإيجاز .

وأول ما شرع فيه في سنة ثمان وسبعين ومائتين ، فقال[1] : في هذه السنة تحرك قوم بسَواد الكوفة يُعرَفونَ بالقرامطة ، ثم بسط القول في ابتداء أمرهم ، وحاصله : أن رجلاً أظهر العبدة والزهد والتقشف ، وكان يسفّ الخوص ويأكل من كسبه ، وكان يدعو الناس إلى إمام من أهل البيت ، رضي الله عنهم ؛ وأقام على ذلك مدة . فاستجاب له خلق كثير . وجرت له أحوال أوجبَت له حسن الاعتقاد فيه ، وانتشر ذكرهم بسواد الكوفة .

(23) ثم قال شيخنا ابن الأثير بعد هذا في سنة ست وثمانين ومائتين[2] : وفي هذه السنة ظهر رجل من القرامطة يعرف بأبي سعيد الجَنّـابي بالبحرين ، واجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة وقوي أمره ، فقتل من حوله من أهل تلك القرى . وكان أبو سعيد المذكور يبيع للناس الطعام ، ويحسب لهم بيعهم ، ثم عظم أمرهم وقربوا من نواحي البصرة ، فجهز إليهم الخليفة المعتضدُ بالله جيشاً يقاتلهم مُقدّمهُ العبس بن عمرو الغَنَوي . فتواقعوا وقعة شديدة ، وانهزم أصحابُ العباس وأسر العباس ، وكان ذلك في آخر شعبان سنة سبع وثمانين فيما بين البصرة والبحرين . وقتَلَ أبو سعيد الأسرى وأحرقهم ، واستبقى

١ تاريخ ابن الأثير ٧ : ٤٤٤ .
٢ المصدر السابق : ٤٩٣ ، ٤٩٨ ، ٥١١ .

العباس ثم أطلقه بعد أيام وقال له : امض إلى صاحبك وعَرِّفهُ ما رأيت ، فدخل بغداد في شهر رمضان من السنة ، وحضر بين يدي المعتضد فخلع عليه .

ثم إن القرامطة دخلوا بلاد الشام في سنة تسع وثمانين ومائتين ، وجرت بين الطائفتين وقعات يطول شرحها .

ثم قُتل أبو سعيد المذكور في سنة إحدى وثلثمائة[1] ، قتله خادم له في الحمام وقام مقامه ولَدُهُ أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد ، ولما قُتل أبو سعيد كان قد استولى على هَجَرَ والقَطيفِ والطائف وسائر بلاد البحرين .

(24) وفي سنة إحدى عشرة وثلثمائة[2] في شهر ربيع الآخر منها ، قصد أبو طاهر وعسكره البصرة وملكوها بغير قتال ، بل صعدوا إليها ليلاً بسلالم الشَّعْر ، فلما حصلوا بها وأحسُّوا بهم ثاروا إليهم فقتلوا متولي البلاد ووضعوا السيف في الناس فهربوا منهم ، وأقام أبو طاهر سبعة عشر يوماً يحمل منها الأموال ، ثم عاد إلى بلده ، ولم يزالوا يعيثون في البلاد ويكثرون فيها الفساد من القتل والسبي والنهب والحريق إلى سنة سبع عشرة وثلثمائة ، فحج الناس فيها ، وسلموا في طريقهم .

ثم وافاهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية ، فنهبوا أموال الحجاج وقتلوهم حتى في المسجد الحرام وفي البيت نفسه ؛ وقلَع الحجر الأسود وأنفذه إلى هَجَر ، فخرج إليه أميرُ مكة في جماعة من الأشراف فقاتلوه فقتلهم أجمعين وقلع باب الكعبة ، وأصعد رجلاً ليقلع الميزاب فسقط فمات ، وطرح القتلى في بئر زمزم ودفن الباقين في المسجد الحرام من غير كفن ولا غسل ولا صلاة على أحد منهم . وأخذ كسوة البيت فقسمها بين أصحابه ، ونَهَبَ دور أهل مكة ، فلما بلغ ذلك المهدي عبيدَ الله صاحبَ إفريقية – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى – كتب إليه ينكر عليه ذلك ويلومه ويلعنه ويقيم عليه القيامة ، ويقول له : حققت على شيعتنا ودُعاة دولتنا الكفرَ واسمَ الإلحاد بما قد فعلت ، فإن لم

---

١ تاريخ ابن الاثير ٨ : ٨٣ .

٢ المصدر السابق : ١٤٣ ، ١٤٧ .

تردّ على أهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم مـــا قد أخذت منهم ، وترد الحجر الأسود إلى مكانه وترد كسوة الكعبة ، فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة . فلما وصله هذا الكتاب أعاد الحجر، واستعاد ما أمكنه من أموال أهل مكة فرده.
ثم ذكر شيخنا ابن الأثير في سنة تسع وثلاثين وثلثمائة أن القرامطة ردّوا الحجر إلى مكة وقالوا : أخذناه بأمرٍ وأعدناه بأمرٍ . وكان بَجْكَمُ التركي أمـــير بغداد والعراق قد بذل لهم في ردّه خمسين ألف دينار فلم يردّوه ، وردوه الآن. وقال غير شيخنا : إنهم رَدّوه إلى مكانه من الكعبة المعظمة لخمس خلون من ذي القعدة ، وقيل من ذي الحجة من السنة ، في خلافة المطيع لله ، وإنه لما أخذوه تفَسخ تحته ثلاثة جمال قوية من ثقله ، وحملوه لما أعادوه على جمل واحد ضعيف فوصل به سالماً .

قلت : وهذا الذي ذكره شيخنا – من كتاب المهدي إلى القرمطي في معنى الحجر ، وأنه رده لذلك – لا يستقيم ، لأن المهدي توفي سنـــة اثنتين وعشرين وثلثمائة ، وكان رد الحجر في سنة تسع وثلاثين ، فقد ردوه بعد موته بسبْعَ عشْرَةَ سنة ، والله أعلم .

ثم قال شيخنا عقيب هذا : ولما أرادوا رَدّه حملوه إلى الكوفة ، وعلّقوه بجامعها حتى رآه الناس ، ثم حملوه إلى مكة ، وكان مكثـــه عندهم اثنتين وعشرين سنة .

قلت : وقد ذكر غير شيخنـــا أن الذي رده هو ابن سَنبَر ، وكان من خواص أبي سعيد .

ثم ذكر شيخنا في سنة ستين وثلثمائة[1] أن القرامطة وصلوا إلى دمشق فملكوها وقتلوا جعفر بن فلاح نائب المصريين – وقد سبق في ترجمة جعفر المذكور طرَف من خبر هذه القضية – ثم بلغ عسكر القرامطة إلى عين شمس ، وهي على باب القاهرة ، وظهروا عليهم ، ثم انتصر أهل مصر عليهم فرجعوا عنهم .

قلت : وعلى الجملة فالذي فعلوه في الإسلام لم يفعله أحد قبلهم ولا بعدهم من

١ تاريخ ابن الأثير ٨ : ٦١٤ .

المسلمين ، وقد ملكوا كثيراً من بلاد العراق والحجز وبلاد الشرق والشام إلى باب مصر ، ولما أخذوا الحجر تركوه عندهم في هجَرَ ، وقُتل أبو طاهر المذكور في سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة .

والقِرْمِطي : بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة ؛ والقَرمَطَة في اللغة تقارب الشيء بعضه من بعض ، يقال : خط مُقَرمَط ، ومَشْيٌ مقرمط ، إذا كان كذلك . وكان أبو سعيد المذكور قصيراً مُجتَمِعَ الخلق أسمر كريه المنظر ، فلذلك قيل له قِرمِطيّ . وقد ذكر القاضي أبو بكر الباقلاني فصلاً طويلاً من أحوالهم في كتاب « كشف أسرار الباطنية » .

وأما الجَنّابيُّ : فإنه بفتح الجيم وتشديد النون وبعد الألف باء موحدة ، وهذه النسبة إلى جَنّابة ، وهي بلدة من أعمال فارس متصلة بالبحرين عند سِيرافَ ، والقرامطة منها ، فنسبوا إليها .

والأحساء – بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة وبعدها سين مهملة ثم همزة ممدودة – وهي كورة في تلك الناحية ، فيها بلاد كثيرة منها جنّابة المذكورة وهَجَرُ والقَطيفُ – وهي بفتح القاف وكسر الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها فاء – وغير ذلك من البلاد ؛ والأحساء : جمع حِسْي – بكسر الحاء وسكون السين المهملة – والحسي : ماءٌ تنشفه الأرض من الرمل ، فإذا صار إلى صلابة أمسكته فتحفر العرب عنه الرمل فتستخرجه . ولما كانت هذه الأرض كثيرة الأحساء سميت بهذا الاسم ، وصار علماً عليها لا تُعرف إلا به .

وأما البحرين فقد قال الجوهري في كتاب « الصحاح » : البحرين بلد ، والنسبة إليه بَحْراني ، وقال الأزهريّ : إنما ثَنَّوا البحرين لأن في ناحية قراها بحيرة على باب الأحساء وقرى هَجَر بينها وبين البحر الأخضر الأعظم عشرة فراسخ ، وقدرت البحيرة ثلاثة أميال في مثلها ، ولا يفيض ماؤها ، وهو راكد زُعاق ، وهذه النواحي كلها بلاد العرب ، وهي وراء البصرة تتصل بأطراف الحجاز وهي على ساحل البحر المتصل باليمن والهند ، بالقرب من جزيرة قيس ابن عميرة وهي التي تسميها العامة كيش ، وهي في وسط البحر بين عمان وبلاد فارس ، وفي تلك الناحية أيضاً رامَهرمز وغيرها من البلاد ، والله أعلم .

(25) وأما ابن المقفع[1] فهو عبد الله ابن المقَفَّع[2] الكاتب المشهور بالبلاغة ، صاحب الرسائل البديعة ، وهو من أهل فارس ، وكان مجوسياً فأسلم على يد عيسى بن علي عمّ السفاح والمنصور الخليفتين الأولين من خلفاءِ بني العباس ، ثم كتب له واختص به . ومن كلامه « شربت من الخُطَب رِيّا ، ولم أضبط لها رَوِيّا ، فغاضت ثم فاضت ، فلا هي هي نِظاما ، وليست غيرُها كلاما » . وقال الهيثم ابن عدي : جاء ابن المقفع إلى عيسى بن علي فقال له : قد دخل الإسلام في قلبي ، وأريد أن أُسلِم على يدك ، فقال له عيسى : ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه الناس ، فإذا كان الغد فاحضر ؛ ثم حضر طعام عيسى عشية ذلك اليوم ، فجلس ابن المقفع يأكل ويُزَمزم على عادة المجوس ، فقال له عيسى : أتزمزم وأنت على عزم الإسلام ؟ فقال : أكره أن أبيت على غير دين ، فلما أصبح أسلم على يده .

وكان ابن المقفع مع فضله يُتَّهَم بالزندقة ، فحكى الجاحظ أن ابن المقفع ومُطيع بن إياس ويحيى بن زياد كانوا يُتهمون في دينهم ؛ قال بعضهم : فكيف نسي الجاحظ نفسه ؟ وكان المهدي بن المنصور الخليفة يقول : ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع ؛ وقال الأصمعي : صنف ابن المقفع المصنفات الحسان منها « الدرة اليتيمة » التي لم يصنَّف في فنها مثلها ؛ وقال الأصمعي : قيل لابن المقفع : مَنْ أدَّبَكَ ؟ فقال : نفسي ، إذا رأيت من غيري حسناً أتيته وإن رأيت قبيحاً أبيته . واجتمع ابن المقفع بالخليل بن أحمد صاحب العروض ، فلما افترقا قيل للخليل : كيف رأيته ؟ فقال : علمه أكثر من عقله ، وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ فقال : عقله أكثر من علمه . ويقال : إن ابن

---

١ وضع وستنفيلد لهذه الترجمة رقماً .

٢ ترجمة ابن المقفع في الجهشياري : ١٠٩ والفهرست : ١١٨ وابن أبي أصيبعة ١ : ٣٠٨ ، وله ترجمة في أنساب الأشراف نشرها الدكتور محمد نجم بمجلة الأبحاث (بيروت ١٩٦٣) وقد كتبت عن ابن المقفع كتب عديدة منها لخليل مردم وعباس اقبال (بالفارسية) وعبد اللطيف حمزة وغفراني الخراساني ، وفي الجزء الاول من ضحى الإسلام فصل عنه وكذلك لجبرايلي بحث (مضمن في كتاب من تاريخ الالحاد في الاسلام) وبحث لكراوس (مضمن في كتاب التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية للدكتور عبد الرحمن بدوي) وانظر بروكلمان (٣ : ٩٢ - ١٠٢ من الترجمة العربية) .

المقفع هو الذي وضع كتاب « كليلة ودمنة »، وقيل : إنه لم يضعه وإنما كان باللغة الفارسية فعربه ونقله إلى العربية ، وإن الكلام الذي في أول هذا الكتاب من كلامه . وكان ابن المقفع يعبث بسفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صُفرة أمير البصرة وينال من أُمه ولا يسميه إلا بابن المغتلمة ، وكثر ذلك منه ، فقدم سليمان وعيسى ابنا علي البصرة – وهما عما المنصور – ليكتبا أمـــاناً لأخيهما عبد الله بن علي من المنصور ، وكان عبد الله المذكور قد خرج على ابن أخيـــه المنصور وطلب الخلافة لنفســه ، فأرسل إليه المنصور جيشاً مُقَدّمه أبو مسلم الخراساني ، فانتصر أبو مسلم عليه . وهرب عبد الله بن علي إلى أخوَيه سليمان وعيسى ، واستتر عندهما خوفاً على نفسه من المنصور ، فتوسّطا له عند المنصور ليرضى عنه ، ولا يُؤاخذه بما جرى منه ، فقبل شفاعتهما ، واتفقوا على أن يُكتَب له أمانٌ من المنصور ، وهذه الواقعة مشهورة في كتب التواريخ . وقد أتيت منها في هذا المكان بما تدعو الحاجة إليه لينبني الكلام بعضهُ على بعض . فلما أتيا البصرة قالا لعبد الله ابن المقفع : اكتبه أنت وبالغ في التأكيد كي لا يقتله المنصور . وقد ذكرت أن ابن المقفع كان كاتباً لعيسى بن علي ، فكتب ابن المقفع الأمان وشدّد فيه حتى قال في جملة فصوله : « ومتى غدَرَ أميرُ المؤمنين بعمه عبد الله بن علي ، فنساؤه طوالق، ودَوابه حُبُس ، وعبيده أحرار ، والمسلمون في حِلٍّ من بيعته » .

وكان ابن المقفع يتنوّق في الشروط ، فلما وقف عليه المنصور عَظُمَ ذلك عليه ، وقال : مَنْ كتب هذا ؟ فقالوا له : رجل يقـــال له عبد الله ابن المقفع يكتب لأعمامك ، فكتب إلى سُفيان متولي البصرة المقدم ذكره يأمره بقتله ، وكان سفيان شديد الحنق عليه للسبب الذي تقدم ذكره ، فاستأذن ابن المقفع يوماً على سفيان ، فأخر إذنه حتى خرج مَنْ كان عنده ، ثم أذن له فدخل ، فعدل به إلى حجرة فقُتِلَ فيها .

وقال المدائني : لما دخل ابن المقفع على سفيان ، قال له : أتذكر ما كنت تقول في أمي ؟ فقال : أنشدك الله أيها الأمير في نفسي ، فقال : أمي مغتلمة إن لم أقتلك قتلَـةً لم يقتل بها أحد ، وأمر بتَنّورٍ فسُجّر ، ثم أمر بابن المقفع

فقطعت أطرافه عضواً عضواً ، وهو يلقيها في التنور ، وهو ينظر ، حتى أتى على جميع جسده ، ثم أطبق عليه التنور ، وقال : ليس عليّ في المثلة بك حرَج لأنك زنديق وقد أفسدت الناس .

وسأل سليمان وعيسى عنه فقيل : إنه دخل دار سفيان سليماً ولم يخرج منها، فخاصماه إلى المنصور ، وأحضراه إليه مقيداً ، وحضر الشهود الذين شاهدوه وقد دخل داره ولم يخرج، فأقاموا الشهادة عند المنصور، فقال لهم المنصور : أنا أنظر في هذا الأمر ، ثم قال لهم : أرأيتم إن قتلت سفيان به ثم خرج ابن المقفع من هذا البيت —وأشار إلى باب خلفه — وخاطبكم ما تروني صانعاً بكم؟ أأقتلكم بسفيان ؟ ! فرجعوا كلهم عن الشهادة ، وأضرب عيسى وسليمان عن ذكره ، وعلموا أن قتله كان برضا المنصور . ويقال : إنه عاش ستاً وثلاثين سنة .

وذكر الهيثم بن عدي أن ابن المقفع كان يستخف بسفيان كثيراً ، وكان أنفُ سفيان كبيراً ، فكان إذا دخل عليه قال : السلام عليكما ، يعني نفسه وأنفه ؛ وقال له يوماً : ما تقول في شخص مات وخلّف زوْجاً وزوجة ؟ يسخَرُ به على رؤوس الناس، وقال سفيان يوماً : ما ندمت على سكوت قطّ، فقال له ابن المقفع : الخرسُ زينٌ لك فكيف تندم عليه ؟ ! وكان سفيان يقول: والله لأقطعنه إرْباً إرْباً وعيْنُه تنظر ، وعزم على أن يغتاله ، فجاءه كتاب المنصور بقتله فقتله .

وقال البلاذري : لما قدم عيسى بن علي البصرة في أمر أخيه عبد الله بن علي قال لابن المقفع : اذهب إلى سفيان في أمر كذا وكذا، فقال : ابعث إليه غيري، فإني أخاف منه ، فقال : اذهب فأنت في أماني ، فذهب إليه ففعل به ما ذكرناه ، وقيل : إنه ألقاه في بئر المخرج وردم عليه الحجارة ، وقيل أدخله حماماً وأغلق عليه بابه فاختنق .

قلت : ذكر صاحبنا شمس الدين أبو المظفر يوسف الواعظ سبط الشيخ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي الواعظ المشهور في تاريخه الكبير الذي سماه « مرآة الزمان » أخبار ابن المقفع وما جرى له وقتله في سنة خمس وأربعين ومائة،ومن عادته أن يذكر كل واقعة في السنة التي كانت فيها ، فيدل على أن قتله كان في

السنة المذكورة ، وفي كلام عمر بن شبة في كتاب « أخبار البصرة » ما يدل على أن ذلك كان في سنة اثنتين وأربعين ومائة أو ثلاث وأربعين .

ولا خلاف في أن سليمان بن علي المقدم ذكره مات في سنة اثنتين وأربعين ومائة ، وقد ذكرنا أنه قام مع أخيه عيسى بن علي في طلب ثأر ابن المقفع ، فيدل أيضاً على أنه قتل في هذه السنة ، والله أعلم .

وابن المقفع له شعر ، وهو مذكور في كتاب « الحماسة » ، وسيأتي في ترجمة أبي عمرو ابن العلاء المقرىء له مرثية فيه . وقد قيل : إنها لولده محمد بن عبد الله ابن المقفع على ما ذكرته هناك من الخلاف ، فلينظر فيه[1] . وكيفما كان ، فإن تاريخ قتله لم يكن بعد سنة خمس وأربعين ومائة وإنما كان فيها أو فيما قبلها ، وإذا كان كذلك ، فكيف يتصور أن يجتمع بالحلاج والجنـّابي – كما ذكره إمام الحرمين رحمه الله تعالى – ومن ها هنا حصل الغلط ، وأيضـاً فإن ابن المقفع لم يفارق العراق ، فكيف يقول : إنه توغل في بلاد الترك ، وإنمـا كان مقيماً بالبصرة ويتردد في بلاد العراق ، ولم تكن بغداد موجودة في زمنه ، فإن المنصور أنشأها في مدة خلافته : فاختَطـَّها في سنة أربعين ومائة ، واستتم بناءها ونزلها في سنة ست وأربعين ، وفي سنة تسع وأربعين تم جميع بنائهـا ، وهي بغداد القديمة التي كانت بالجانب الغربي على دجلة ، وهي بين الفرات ودجلة كما جاء في الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تنشأ مدينة في هذا المكان ، وهذا الحديث هو الذي ذكره الخطيب أبو بكر البغدادي في أول تاريخه الكبير وقد غاب عني الآن لفظه فلهذا لم أذكره . وبغداد في هذا الزمان هي الجديدة التي في الجانب الشرقي وفيها دُورُ الخلفاء ، وهي قاعدة الملك في هذا الوقت ، وكان السفاح وأخوه المنصور قد نزلا بالكوفة ، ثم بنى السفاح بليدة عند الأنبار سماها الهاشمية ، فانتقلا إليها ، ثم انتقلا إلى الأنبار ، وبها مـات السفاح وقبره ظاهر بها ، وأقام المنصور على ذلك إلى أن بنى بغداد فانتقل إليها .

[1] هي الحماسية : ٢٨٢ (شرح المرزوقي : ٨٦٣) في رثاء يحيى بن زياد وسيوردها المؤلف في ترجمة أبي عمرو ابن العلاء ؛ ولكن لعل الأرجح أن « أبا عمرو » المرثي في القصيدة ليس هو أبا عمرو ابن العلاء وتكون القصيدة صحيحة النسبة لعبد الله ابن المقفع ، قال ابن خلكان : « ولكنها مشهورة في أبي عمرو المذكور » وإذا كان الأمر كذلك فانها ليست لعبد الله بن المقفع .

والمُقَفَّعُ – بضم الميم وفتح القاف وتشديد الفاء وفتحها وبعدها عين مهملة – واسمه داذويه ، وكان الحجاج بن يوسف الثقفي في أيام ولايته العراق وبلاد فارس قد ولاّهُ خراج فارس فمد يده وأخذ الأموال ، فعذبه فتَقَفَّعَتْ يده فقيل له المقفع ، وقيل : بل ولاه خالد بن عبد الله القَسْري – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى – وعذبه يوسف بن عمر الثقفي الآتي ذكره لما تولى العراق بعد خالد ، والله أعلم أي ذلك كان .

وقال ابن مكي في كتاب « تثقيف اللسان » ويقولون : ابن المقفَّع والصواب ابن المقفِّع – بكسر الفاء – لأن أباه كان يعمل القِفاعَ ويبيعها .

قلت : والقِفاعُ بكسر القاف جمع قَفْعَة بفتح القاف ، وهي شيء يعمل من الخوص شبيه الزبيل لكنه بغير عُرْوة ، والقول الأول هو المشهور بين العلماء ، وهو فتح الفاء .

قلت : ولما وقفت على كلام إمام الحرمين – رحمه الله تعالى – ولم يمكن أن يكون ابن المقفع أحد الثلاثة المذكورين قلت : لعله أراد المقنَّع الخراساني الذي ادعى الربوبية ، وأظهر القمر – كما شرحته في ترجمته بعد هذا في حرف العين – فإن اسمه عطاء ، ويكون الناسخ قد حَرَّفَ كلام إمام الحرمين فأراد أن يكتب المقنَّع فكتب المقفَّع فإنه يقرب منه في الخط . فيكون الغلط والتحريف من الناسخ لا من الإمام ، ثم أفكرت في أنه لا يستقيم أيضاً ، لأن المقنع الخراساني قتل نفسه بالسم في سنة ثلاث وستين ومائة – كما ذكرناه في ترجمته – فما أدرك الحلاج والجنّابي أيضاً .

(26) وإذا أردنا تصحيح هذا القول وأن ثلاثةً اجتمعوا واتفقوا على الصورة التي ذكرها إمام الحرمين فما يمكن أن يكون الثالث إلا ابن الشَّلْمَغاني ، فإنه كان في عصر الحَلاّج والجَنّابي ، وأموره كلها مبنية على التمويهات ، وقد ذكره جماعة من أرباب التاريخ ، فقال شيخنا عز الدين بن الأثير في تاريخه الكبير في سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة فصلاً طويلاً اختصرته[1] ، وهو : وفي هذه

[1] تاريخ ابن الأثير ٨ : ٢٩٠ ومعجم الادباء ١ : ٢٣٤ (في ترجمة إبراهيم بن أبي عون) ومعجم البلدان « شلمغان » والانساب واللباب « الشلمغاني » .

السنة قتل أبو جعفر محمد بن علي الشَّلْمَغاني المعروف بابن أبي العزاقر، وسبب ذلك أنه أحدث مذهباً غالياً في التشيع والتناسخ وحلول الإلهية فيه ، إلى غير ذلك مما يحكيه ، وأظهر ذلك من فعله أبو القاسم الحسين بن روح الذي تسميه الامامية « الباب » فطُلِبَ ابن الشَّلْمغاني فاستتر وهرب إلى الموصل وأقام سنين ، ثم انحدر إلى بغداد وظهر عنه أنه يَدَّعي الربوبية ، وقيل : إنه تبعه على ذلك الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الذي وزر للمقتدر بالله وابنا بسطام وإبراهيم بن أحمد بن أبي عون وغيرهم ، وطُلبوا في أيام وزارة ابن مُقلَة للمقتدر فلم يوجدوا ، فلما كان في شوال سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ظهر ابن الشَّلمغاني، فقبض عليه ابن مقلة وحبسه وكبس داره ، فوجد فيها رِقاعاً وكتباً ممن يدعي أنه على مذهبه يخاطبونه بما لا يخاطب به البشر بعضهم بعضاً ، فعُرِضت على ابن الشَّلمغاني فأقرَّ أنها خطوطهم وأنكر مذهبه ، وأظهر الإسلام، وتبرأ مما يقال فيه . وأُحضر ابن أبي عون وابن عبدوس معه عند الخليفة، فأمِرا بصَفعِه فامتنعا ، فلما أُكرِها مدَّ ابنُ عبدوس يده فصفعه ، وأما ابن أبي عون فإنه مد يده إلى لحيته ورأسه، وارتعدت يده وقَبَّلَ لحية ابن الشلمغاني ورأسه وقال : إلهي وسيدي ورازقي ، فقال له الخليفة الراضي بالله : قد زعمتَ أنك لا تدعي الإلهية فما هذا ؟ فقال : وما عليَّ من قول ابن أبي عون ؟ والله يعلم أنني ما قلت له إنني إله قط ، فقال ابن عبدوس : إنه لم يدع إلهية ، إنما ادعى أنه الباب إلى الإمام المنتظر ، ثم أُحضروا مرات ومعهم الفقهاء والقضاة ، وفي آخر الأمر أفتى الفقهاء بإباحة دمه ، فأحرق بالنار في ذي القعدة من سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة .

(27) وذكره محب الدين بن النجار في « تاريخ بغداد » في ترجمة ابن أبي عون المذكور وقال : إن ابن أبي عون ضُربتْ عنقُه بعد أن ضُرب بالسياط ضرباً مبرحاً لمتابعته ابن الشلمغاني ، وصُلب ثم أُحرق بالنار ، وذلك في يوم الثلاثاء لليلة خلت من ذي القعدة من السنة المذكورة .

قلت : وابن أبي عون هو صاحب التصانيف المليحة منها « التشبيهات » و « الأجوبة المسكتة » وغير ذلك ، وكان من أعيان الكتّاب .

والشَّلْمغانيُّ – بفتح الشين المعجمة وسكون اللام وبعدها ميم ثم غين معجمة وبعد الألف نون – هذه النسبة إلى شَلْمغان، وهي قرية بنواحي واسط، وقد ذكره السمعاني في كتاب « الأنساب » أيضاً ، والله أعلم .

١٩٠

ابن سينا

الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الحكيم المشهور ؛ كان أبوهُ من أهل بَلْخ ، وانتقل منها إلى بُخارى ، وكان من العمال الكُفاة ، وتولّى العمل بقرية من ضياع بخارى يقال لها خرميثنا[١] من أمهات قُراها ، وولد الرئيس أبو علي وكذلك أخوه بها ، واسم أمه ستارة[٢] وهي من قرية يقال لها أفشنة بالقرب من خرميثنا . [ولما ولد أبو علي كان الطالع السرطان درجة شرف المشتري والقمر على شرف درجته والزهرة على درجة شرفها وسهم السعادة في تسع من السرطان وسهم الغيب في أول السرطان مع سهيل والشعرى اليمانية][٣]. ثم انتقلوا إلى بخارى ، وتنقل الرئيس بعد ذلك في البلاد ، واشتغل بالعلوم وحَصّلَ الفنون، [ولما بلغ[٤] عشر سنين من عمره كان قد أتقن علم القرآن العزيز والأدب وحفظ أشياء من أصول الدين وحساب الهندسة والجبر والمقابلة، ثم توجه

١٩٠ – ترجمة الشيخ الرئيس ابن سينا في تاريخ الحكماء : ٤١٣ وابن أبي أصيبعة : ٢٣٩ وابن العبري : ١٨٧ وخزانة الأدب ٤ : ٤٦٦ ولسان الميزان ٢ : ٢٩١ ، وانظر البحوث التي نشرت في كتاب المهرجان الألفي وكتاب مؤلفات ابن سينا وضع الأب جورج قنواتي (القاهرة ١٩٥٠) .

١ ﻫ : خرتمش .

٢ ر : سارة ؛ م : شادة .

٣ زيادة من ر .

٤ ولما بلغ ... وكان نادرة : سقط من س ص والمسودة .

نحوهم الحكيم أبو عبد الله الناتلي[1] ، فأنزله أبو الرئيس أبي علي عنده ، فابتدأ أبو علي يقرأ عليه كتاب إيساغوجي وأحكم عليه علم المنطق وإقليدس والمجسطي وفاقه أضعافاً كثيرة ، حتى أوضح له منهــا رموزاً وفهّمه إشكالات لم يكن للناتلي يدٌ بها ، وكان مع ذلك يختلف في الفقه إلى إسماعيل الزاهد ، يقرأ ويبحث ويناظر ، ولما توجه الناتلي نحو خُوارزم شاه مأمون بن محمد اشتغل أبو علي بتحصيل العلوم كالطبيعي والإلهي وغير ذلك، ونظر في النصوص والشروح وفتح الله عليه أبوابَ العلوم ، ثم رغب بعد ذلك في علم الطب وتأمل الكتب المصنفة فيه ، وعالج تأدباً لا تكسّباً ، وعلمه حتى فاق فيه الأوائل والأواخر في أقل مدة وأصبح فيه عديم القرين فقيد المِثْل ، واختلف إليه فضلاء هذا الفن وكبراؤه يقرؤون عليه أنواعه والمعالجات المقتبسة من التجربة ، وسنُّـه إذ ذاك نحو ست عشرة سنة . وفي مدة اشتغاله لم يَنَمْ ليلة واحدة بكمالها ولا اشتغل في النهار بسوى المطالعة ، وكان إذا أشكلت عليه مسألة توضأ وقصد المسجد الجامع ، وصلى ودعا الله عز وجل أن يسهلها عليه ويفتح مُغلقها له .

وذكِرَ عند الأمير نوح بن نصر الساماني[2] صاحب خراسان في مرض مرضه فأحضره وعالجه حتى برىء ، واتصل به وقرب منه ، ودخل إلى دار كتبـه وكانت عديمة المثل ، فيها من كل فن من الكتب المشهورة بأيدي الناس وغيرها مما لا يوجد في سواها ولا سمع باسمه فضلاً عن معرفته ، فظفر أبو علي فيهـا بكتب من علم الأوائل وغيرها وحَصَّلَ نُخَبَ فوائدها واطلـع على أكثر علومها ، واتفق بعد ذلك احتراق تلك الخزانة ، فتفرد أبو علي بما حصله من علومها ، وكان يقال : إن أبا علي توصل إلى إحراقها لينفرد بمعرفة ما حصله منها وينسبه إلى نفسه .

ولم يستكمل ثماني عشرة سنة من عمره إلا وقد فرغ من تحصيل العلوم بأسرها التي عاناها ، وتوفي أبوه وسنُّ أبي علي اثنتان وعشرون سنة ، وكان يتصرف

---

١ ب ه : البابلي .

٢ تولى حكم خراسان وما وراء النهر بعد أبيه نصر بن أحمد سنة ٣٣١ ولقب بالأمير الحميد، وبقي في الحكم حتى توفي سنة ٣٤٣ ، وكان حسن السيرة كريم الأخلاق .

هو ووالده في الأحوال ويتقلدان للسلطان الأعمال .

ولما اضطربت أمور الدولة السامانية خرج أبو علي من بُخارى إلى كُرْكانْجَ ، وهي قصبة خُوارزم ، واختلف إلى خوارزم شاه علي بن مأمون بن محمد ، وكان أبو علي على زي الفقهاء ويلبس الطَّيلَسان ، فقرروا له في كل شهر ما يقوم به . ثم انتقل إلى نَسا وأبيوَرد وطُوسَ وغيرها من البلاد ، وكان يقصد حضرة الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير في أثناء هذه الحال ، فلما أُخِذَ قابوس وحُبس في بعض القلاع حتى مات – كما سيأتي شرحه في ترجمته في حرف القاف من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى – ذهب أبو علي إلى دهستان ومرض بها مرضاً صعباً ، وعاد إلى جُرْجان ، وصنف بها الكتاب الأوسط – ولهذا يقال له « الأوسط الجرجاني » – واتصل به الفقيه أبو عبيد الجوزجاني ، واسمه عبد الواحد ، ثم انتقل إلى الري واتصل بالدولة ، ثم إلى قَزْوين ثم إلى هَمَذان ، وتولى الوزارة لشمس الدولة ، ثم تشوش العسكر عليه ، فأغاروا على داره ونهَبوها وقبضوا عليه وسألوا شمس الدولة قتله فامتنع ، ثم أُطلِق فتَوارى ، ثم مرض شمس الدولة بالقولنج فأحضره لمداواته واعتذر إليه وأعاده وزيراً ، ثم مات شمس الدولة وتولى تاج الدولة فلم يستوزره ، فتوجه إلى أصبهان وبها علاء الدولة أبو جعفر ابن كاكويه ، فأحسن إليه .

وكان أبو عليٍّ قويَّ المزاج ، وتغلب عليه قوة الجماع حتى أنهكته ملازمته وأضعفته ولم يكن يداوي مزاجه ، وعرض له قولنج ، فحقن نفسه في يوم واحد ثماني مرات فقرح بعض أمعائه وظهر له سحج ، واتفق سفره مع علاء الدولة ، فحصل له الصرع الحادث عقيب القولنج ، فأمر باتخاذ دانقين من كرفس في جملة ما يحقن به ، فجعل الطبيب الذي يعالجه فيه خمسة دراهم منه ، فازداد السحج به من حدة الكرفس فطرح بعض غلمانه في بعض أدويته شيئاً كثيراً من الأفيون ، وكان سببه أن غلمانه خانوه في شيء ، فخافوا عاقبة أمره عند برئه ؛ وكان مذ حصل له الألم يتحامل ويجلس مرة بعد أخرى ولا يحتمي ويجامع ، فكان يمرض أسبوعاً ويصلح أسبوعاً ، ثم قصد علاءُ الدولة همذانَ من أصبهان ومعه الرئيس أبو علي ، فحصل له القولنج في الطريق ووصل إلى همذان وقد

ضعف جداً وأشرفت قوته على السقوط ، فأهمل المداواة وقال : المدبر الذي في بدني قد عجز عن تدبيره فلا تنفعني المعالجة ، ثم اغتسل وتاب وتصدق بما معه على الفقراء ، وردّ المظالم على من عرفه وأعتق مماليكه وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمة ، ثم مات في التاريخ الذي يأتي في آخر ترجمته إن شاء الله تعالى][1] .

وكان نادرة عصره في علمه وذكائه وتصانيفه ، وصنف كتاب « الشفاء » في الحكمة ، و « النجاة » و « الإشارات » و « القانون » وغير ذلك مما يقارب مائة مصنف ما بين مطول ومختصر ورسالة في فنون شتى . وله رسائل بديعة : منها رسالة « حي بن يقظان » ورسالة « سلامان وابسال » ورسالة « الطير » وغيرها، وانتفع الناس بكتبه ، وهو أحد فلاسفة المسلمين .

وله شعر ، فمن ذلك قوله في النفس :

هبَطَتْ إليكَ من المحلّ الأرفعِ ... وَرْقاءُ ذات تعزُّز وتمَنُّعِ
محجوبَةٌ عن كل مقلة عارف ... وهيَ التي سَفَرَتْ فلم تَتَبَرْقَعِ
وصلَتْ على كَرْهٍ إليكَ وربما ... كرهت فراقَكَ وهي ذات تَفَجُّعِ
أنفت وما ألفت فلما واصلتْ ... ألفت مجاورة الخراب البَلْقَعِ
وأظُنُّها نسيَتْ عهوداً بالحمى ... ومنازلاً بفراقها لم تقنع
حتى إذا اتَّصَلَتْ بهاء هُبُوطها ... من ميم مَركزها بذات الأجرع
عَلِقَتْ بها ثاء الثقيل فأصبحت ... بين المعالم والطلول الخُضّع
تبكي وقد نسيتْ عهوداً بالحمى ... بمدامع تَهْمي ولَمّا تُقلع
حتى إذا قرب المسيرُ إلى الحمى ... ودنا الرحيلُ إلى الفضاء الأوسع
وغدت تغَرِّدُ فوقَ ذِرْوَةِ شاهقٍ ... والعلم يرفع كلَّ من لم يرفع
وتعود عالمة بكل خفية ... في العالمين فخَرْقُها لم يُرْقَع
فهبوطُها إذ كان ضَرْبَةَ لازمٍ[2] ... لتكون سامعةً لما لم تسمع
فلأيّ شيء أهبطت من شاهق ... سامٍ إلى قعر الحضيض الأوضع

١ انفردت به ر .   ٢ ج : لازب .

إن كان أهبطهـــا الإله لحكمة طـُويَت ْ عن الفطن اللبيب الأروع[1]
إذ عاقها الشـَّرَكُ الكثيف فصَدَّها قفص عن الأوْجِ الفسيح الأربع
فكأنهـــا برق تألـَّقَ بالحمى ثم انطوى فكأنه لم يلمـــع

ومن المنسوب إليه أيضاً ، ولا أتحققه ، قوله :

اجْعَلْ غِذاءكَ كلَّ يوم مرةً واحْذَرْ طعاماً قبل هَضْم طَعامِ
واحْفَظْ منيَّكَ ما استطعت فإنه مـــاءُ الحياة يُراق في الأرحامِ

وينسب إليه البيتان اللذان ذكرهما الشهرستاني في أوّل كتاب « نهـــاية الاقدام » وهما[2] :

لقَدْ طـُفتُ في تلك المعاهد كلـِّها وسَيَّرْتُ طرفي بين تلك المعالمِ
فلم أر إلا واضعاً كفَّ حائرٍ على ذقَنٍ أو قارعاً سِنَّ نادِمِ

[ومن شعره أيضاً :

هذب النفس بالعـلوم لترقى فترى الكلَّ فهي للكلّ بيت
إنمـــا النفس كالزجاجة والعلـ ـم سراج وحكمة الله زيـت
فهي إن أشرقت فإنك حيٌّ وهي إن أظلمت فإنك ميت][3]

وفضائله كثيرة ومشهورة .

وكانت ولادته في سنة سبعين وثلثمائة في شهر صفر ، وتوفي بهمذان يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ودفن بها . وحكى شيخنا عزّ الدين أبو الحسن علي بن الأثير في تاريخه الكبير[4] أنه توفي بأصبهان ، والأول أشهر ، رحمه الله تعالى .

....

١ ج : اللوذعي .
٢ انظر نهاية الاقدام : ٣ .
٣ زيادة من ص .
٤ تاريخ ابن الاثير ٩ : ٤٥٦ .

وكان الشيخ كمال الدين بن يونس[1] رحمه الله تعالى يقول : إن مخدومه سَخِط عليه واعتقله ، ومات في السجن ، وكان ينشد :

رأيتُ ابنَ سينا يُعادي الرّجالَ   وفي السِّجْن مات أخَسَّ المماتِ
فلمْ يَشْفِ مـا نابَهُ بالشّفا   ولم يَنجُ من موته بالنجـاةِ

وسينا : بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون وبعدها ألف ممدودة .

١٩١

الخليع الشاعر

أبو علي الحسينُ بن الضَّحّاك بن ياسر الشاعر البصري المعروف بالخليع ، مولى لولد سَلْمانَ بن ربيعة الباهِليّ الصحابي رضي الله عنه ، وأصله من خُراسان؛ وهو شاعر ماجن مطبوع حسن الافتنان في ضروب الشعر وأنواعه ، واتصل في مجالسة الخلفاء إلى ما لم يتصل إليه إلا إسحاق بن إبراهيم النديم الموصلي ، فإنه قارَبه في ذلك أو ساواه ، وأول من صحب منهم الأمين محمد بن هارون الرشيد ، وكان اتصاله به في سنة ثمان وتسعين ومائة وهي السنة التي قتل فيها الأمين ، ولم يزل مع الخلفاء بعده إلى أيام المستعين ، [ما عدا المأمون ، فإنه لم يدخـل

١ هو أبو عمران موسى بن يونس بن محمد بن منعة، كان حكيماً متزهداً يدرّس بالموصل وقد أجاب عن مسائل بعث بها الانبرور (فردريك الثاني) وله عدد من المؤلفات (انظر ابن أبي أصيبعة ١ : ٣٣٨) .

١٩١ - ترجمة الخليع في طبقات ابن المعتز : ٢٦٨ والأغاني ٧ : ١٤٣ وتاريخ بغداد ٨ : ٥٤ ومعجم الأدباء ٩ : ٥ وشذرات الذهب ٢ : ١٢٣ ، وقد جمع ديوانه الاستاذ عبد الستار فراج (دار الثقافة - بيروت : ١٩٦٠) .

عليه ولم يختلط به وذلك لأنه رثى الأمين فقال :

هلا بقيتَ لسدّ فاقتنـــا أبداً وكان لغـــيرك التلفُ
قد كان فيك لمن مضى خلفٌ فاليومَ أعوز بعدك الخلفُ

فلما ورد المأمون بغداد أمر أن يكتب من يصلح لمنادمته من أهـــل الأدب ، فأثبت له قوم وذكر فيهم الحسين بن الضحاك فقال : أليس القائل : وكان لغيرك التلف ؟ والله لا أرى وجهه على الطريق ؛ فلم يحظَ في أيام المأمون بشيء][1] .

[وقد كان وقت خدمته للمتوكل ضعف كبراً فكتب إليه يستعفيه من الخدمة بأبيات[2] :

سُلفت أسلافك من خدمتي في مدتي إحـــدى وستينا
كنت ابن عشرين وخمس وقد وفيتُ بضعـــاً وثمانينـــا
إني لمعروفٌ بضعفِ القوى وإن تجلدت أحايينـــا
فإن تحملتُ عـــلى كبرتي خدمـــةَ أبنـــاء الثلاثينا
هدّتْ قواي ووهتْ أعظمي وصرت في العلّـــة عزونا

وعزون هذا كان نديماً للمعتصم ثم للمتوكل][3] .

وهو في الطبقة الأولى من الشعراء المجيدين وبينه وبين أبي نواس ماجريات لطيفة ووقائع حلوة . وسمي بالخليع لكثرة مجونه وخلاعته . ذكره ابن المنجم في كتابه « البارع » وأبو الفرج الأصبهاني في « الأغاني » وكل منهما أورد طرفاً من محاسن شعره ، فمن ذلك قوله[4] :

١ زيادة من ر ليست في المسودة ؛ وانظر الشعر في ديوانه : ٧٩ .
٢ الابيات في ديوانه : ١٢١ .
٣ زيادة من د ر ليست في المسودة .
٤ وردت هذه المقطعات في ديوانه : ٥٨ ، ٥٤ ، ٧٦ ، ٤٥ ، ٣٠ .

صل بخدي خدَّيك تلقَ عجيباً	من معانٍ يحار فيها الضمير
فبخدَّيــــك للربيع رياضٌ	وبخديَّ للدمـــوعِ غدير

وله أيضاً :

أيا مَن طرفـه سحرُ	ويا من ريقــه خمـرُ
تجـــاسرتُ فكـــاشفته	كَ لمـــا غُلب الصبر
ومـــا أحسن في مثلـ	ـك أن ينهتـــك الستر
فإنـ عنفني النـــاس	ففي وجهـك لي عذر

ولـــه :

لا وحبّيك لا أصـــا	فحُ بالدمـع مدمعـــا
من بكى شجوه استرا	ح وإن كان موجعـــا
كبدي في هـواك أسـ	ـقم من أن تقطعـــا
لم تدعْ صورة الضنى	فيّ للسقـم موضعـــا

وذكر في كتاب « الأغاني » أن هذه الأبيات أوردها أبو العباس ثعلب النحوي – المقدم ذكره – للخليع المذكور وقال : ما بقي من يحسن أن يقول مثل هذا.

ولـــه :

إذا خُنتُمُ بالغيب عهدي فما لكم[1]	تُدِلـّون إدلالَ المقيم على العهدِ
صِلوا وافعلوا فعل المدلّ بوصله	وإلا فصدّوا وافعلوا فعل ذي الصدّ

وله من قصيدة :

سقى الله عصراً لم أبت فيه ليلة	من الدهر إلا من حبيبٍ على وعد

[وذكر أبو عبد الله ابن حمدون عن الحسين بن الضحاك قال : كان يألفني

[1] أ : عهد مودتي .

فتًى من أهل الشام عجيب الخلقة والشكل غليظ جلف جاف ، فكنت أحتمل ذلك منه وكان حظي التعجب منه ، وكان يأتيني بكتبٍ عشقيةٍ له ما رأيت كتباً أحلى منها ولا أظرف ولا أشكل من معانيها ، ويسألني أن أجيب عنها فأجهد نفسي في الجوابات وأصرف عنايتي إليها على علمي أن الشامي يجهله لا يميز بين الخطإ والصواب ، ولا يفرق بين الابتداء والجواب ، فلما طال ذلك عليّ حسدته وتنبهت على إفساد حاله عندها فسألته عن اسمها فقال : بصبص ، فكتبت إليها عنه في جواب كتابٍ منها كان جاءني به :

أرقصني حبك يا بصبصُ والحبُّ يا سيدتي يرقصُ
أرمصتُ أجفاني لطول البكا فما لأجفانك لا ترمُص
أوحشني وجهك ذاك الذي كأنه من حسنه عصعص

قال : فجاءني بعد ذلك فقال: يا أبا علي ما كان ذنبي إليك وما أردت بما صنعت بي ؟ فقلت له : وما ذاك عافاك الله ؟ فقال : ما هو إلا أن وصل إليها ذلك الكتاب حتى بعثت إلي : إني مشتاقة إليك والكتاب لا ينوب عن الرؤية ، فتعال إلى الروشن الذي بالقرب من بابنا ، فقف بحيالِه حتى أراك ؛ فتزينت بأحسن ما قدرت عليه وصرت إلى الموضع ، فبينا أنا واقف أنتظر مكلماً لي أو مشيراً إلي وإذا شيء قد صبّ علي فملأني من فرقي إلى قدمي فأفسد ثيابي وسرجي وصيّرني وجميع ما عليّ ودابتي في نهاية السواد والنتن والقذر ، وإذا هو ماءٌ قد خُلط ببولٍ وسواد وسرجين ، وانصرفت بخزي وكان ما مرّ بي من الصبيان وسائر من مررت به من الطنز والضحك والصياح أعظم مما جرى علي ولحقني من أهلي ومن منزلي، وشر من ذلك وأعظم من كل ما ذكرت أن رسلها انقطعت عني جملة ، قال : فجعلت أعتذر إليه وأقول : إن الآفة أنها لم تفهم الشعر لجودته ، وأنا أحمد الله على ما ناله وأُسر بالشماتة به][1] .

[حدث محمد بن جعفر بن قدامة عن محمد بن عبد الملك قال : كنا في مجلس

[1] زيادة من د ص لم ترد في المسودة ، وانظر ديوانه : ٦٩ .

ومعنا الحسين بن الضحاك ونحن على شراب وعندنا مغنية فعبث الخليع بالمغنية وجمشها فصاحت بالحسين واستخفت به ، فأنشأ الخليع يقول[1] :

لها في خدهــا عُكَـنُ وثلثا وجهها ذَقَـنُ
وأسنـان كريش البطّ بين أُصولها عَفَنُ

قال : فضحكنا وبكت المغنية حتى قلنا إنها عميت وما انتفعنا بها بقية يومنا ؛ وشاع هذان البيتان فكسدت من أجلها ، وكانت إذا حضرت في مجلس أنشدوا البيتين فتجن ؛ ثم إنها هربت من سر من رأى فما عرفنا لها بعد ذلك خبراً .

حدث الصولي عن أحمد بن حمدون قال : أمر المتوكل بأن ينادمه الحسين بن الضحاك ويلازمه فلم يطق ذلك لكبر سنه ، فقيل له : هو يطيق الذهاب إلى القرى والمواخير فيشرب فيها ويعجز عن خدمتك، فبلغه ذلك ؛ قال ابن حمدون: فدفع إليّ أبياتاً قالها فأوصلتها إلى المتوكل وهي قوله[2] :

أمـا في ثمانين وَفـيّتها عذيرٌ وإن أنا لم أعتذرْ
فكيف وقد جُزتها صاعداً مع الصاعدين بتسع أُخر
وقد رفع الله أقلامـه عن ابن ثمانين دون البشر
سوى من أصرّ على فتنةٍ وألحـد في دينه أو كفر
وإني لمـن أُسَـراء الإله في الأرض نصب صروف القدر
فإن يقضِ لي عمـلا صالحاً أثاب وإنْ يقضِ سوءاً غَفَر
وقد بسط الله لي عـذره فمن ذا يلوم إذا مـا عذر
ومـا للحسود وأشياعه وكذب بالوحي إلا حجر[3]

قال ابن حمدون : فلما أوصلتها شفعتها بكلام أعتذر وأقول : لو أطاق خدمة

١ ديوانه : ١٠٩ .
٢ ديوانه : ٥٢ .
٣ ديوانه : ومن كذب احق إلا حجر .

أمير المؤمنين لكان أسعد بها ، فقال المتوكل : صدقت ، خذ له عشرة آلاف درهم فاحملها إليه ، فأخذتها وحملتها[1] .

حدث أبو العيناء قال : حج الحسين بن الضحاك فمر في منصرفه على موضع يعرف بالقريتين، وإذا جارية كأنها القمر في ليلة التم تتطلع من تحت ثيابها وتنظر إلى حرها ثم تضربه بيدها وهي تقول : ما أضيعني وأضيعك ، فأنشأ الحسين يقول[2] :

مررت بالقريتين منصرفاً من حيث يقضي ذوو الهوى النسكا
إذا فتاة كأنها قمرٌ للتم لما توسط الفلكا
واضعة كفّها على حرها تقول واضيعتي وضيعتكا

قال : فلما سمعت قوله ضحكت وغطت وجهها وقالت : وافضيحتاه وقد سمعت ما قلت !

وقال الحسين بن الضحاك : كنت جالساً في داري في يوم شاتٍ وقد أفطر المأمون وأمر الناس بالإفطار فجاءتني رقعة الحسن بن رجاء يقول فيها[3] :

هززتُكَ للصَّبوح وقد نهاني أميرُ المؤمنين عن الصيامِ
وعندي من قيان الكرخ عشر يطيب بها مصافحة المدام
ومن أمثالهن إذا انتشينا تراانا نجتَني ثمر الحرام
فكن أنت الجوابَ فليس شيءٌ أحبَّ إليّ من حذف الكلام

فوردت رقعته وقد أرسل إلى محمد بن الحارث غلاماً له نظيف الوجه ومعه ثلاثة غلمان حسان ، ومعه رقعة منشورة قد ختم أسفلها مثل المناشير فيها[4] :

سر على اسم الله يا أحسنَ من غصنِ لجينِ

١ وردت بعد هذا الموضع حكاية تقدمت في ترجمة المتوكل ١ : ٣٥٣ ولذلك حذفناها .
٢ ديوانه : ٩١ .
٣ ديوانه : ١٠٢ .
٤ المصدر نفسه .

في ثلاثٍ من بني الروم إلى دار حسين
فاشخصِ الكهل إلى مولاك يا قُرَّةَ عيني
أره العنفَ إن استعصى وطالبه بدين
ودع اللفظ وكلِّمْهُ بغمز الحاجبين
واحذرِ الرجعةَ من وجهك في خُفَّيْ حنين

قال : فمضيت مع غلمان محمد بن الحارث وتركت الحسن][1] .

وكانت وفاته سنة خمسين ومائتين وقد قارب مائة سنة ، رحمه الله تعالى .

وقال الخطيب في « تاريخ بغداد » ، يقالُ : إنه وُلِدَ في سنة اثنتين وستين ومائة .

١٩٢

ابن الحجاج الشاعر

أبو عبد الله الحسينُ بن أحمد بن محمد بن جَعْفَر بن محمد بن الحجاج ؛ الكاتب الشاعر المشهور ذو المجون والخلاعة والسخف في شعره ، كان فَرْدَ زمانه في فَنّه ، فإنه لم يُسبق إلى تلك الطريقة ، مع عذوبة الألفاظ وسَلامَة شعره من التكلف ، ومَدَحَ الملوك والأمراء والوزراء والرؤساء ، وديوانه كبير ، أكثر ما يوجد في عشر مجلدات ، والغالب عليه الهزل ، وله في الجد أيضاً أشياء حسنة .

وتولى حِسْبَةَ بغداد وأقام بها مدة ، ويقال : إنه عُزِلَ بأبي سعيد

١ ما بين معقفين زيادة من ر د ص مع اختلاف بينها في الترتيب، ولم ترد هذه الزيادات في المسودة.

١٩٢ - ترجمة ابن الحجاج في تاريخ بغداد ١٤:٨ ويتيمة الدهر ٣ : ١٣٦ وابن كثير ٣٢٩:١١ ومطالع البدور ١ : ٣٩ والامتاع والمؤانسة ١ : ١٣٧ ومعجم الأدباء ٩ : ٢٠٦ .

الإصطخري الفقيه الشافعي ، وله في عزله أبيات مشهورة لا حاجة إلى إثباتها هاهنا .

ويقال : إنه في الشعر في درجة امرىء القيس ، وإنه لم يكن بينهما مثلها لأن كل واحد منهما مخترع طريقةٍ .

[وقد أفرد أبو الحسن الموسوي المعروف بالرضي من شعره في المديح والغزل وغيرهما ما جانب السخف، وكان شعراً متخيراً حسناً جيداً][1] ومن جيد شعره وجده هذه الأبيات :

يا صاحبيَّ استيقظا من رقدة تزري على عقل اللبيب الأكيَسِ
هذي المجرة والنجوم كأنها نهر تدفق في حديقة نرجس
وأرى الصَّبا قد غلَّسَت بنسيمها فعلامَ شرب الراح[2] غير مغلس
قُوما اسْقِياني قَهوَةً رُومِيّةً مِن عَهدِ قَيصَرَ دَنُّها لم يُمسَس
صِرْفاً تُضيفُ إذا تَسلّطَ حُكمُها مَوتَ العُقولِ إلى حَياةِ الأنفُس

[وأورد له أيضاً :

نَمَّت بسري في الهوى أدمعي ودلّت الواشي على موضعي
يا معشر العشاق إن كنتمُ مثلي وفي حالي فموتوا معي

وأورد له أيضاً :

يا من إليها من ظلمها الهربُ ردّي فؤادي فقلّ ما يجبُ
ردّي حياتي إن كنتِ منصفةً ثم إليكِ الرضا أو الغضب
طلبت قلبي فلم أفتْنْكَ به سبحان من لا يفوته الطلب][3]

ومن شعره :

[1] اليتيمة : ٦٩ ، وما بين معقفين زيادة من ر وحدها .
[2] اليتيمة : شربي الراح .
[3] زيادة من د لم ترد في المسودة .

قالَ قَومٌ لزمتَ حضرَةَ حَمْدٍ وتجنَّبْتَ سائرَ الرُّؤساءِ
قُلتُ ما قالهُ الذي أحرزَ المعْـ ـنى قديماً قبلي مِنَ الشعراء
«يسقُطُ الطيرُ حيثُ يُلتقَطُ الحبُّ وتُغشى منازلُ الكُرَماء»

وهذا البيت الثالث لبشار بن برد ، وقد ضمنه شعره .
[وأورد له أيضاً في الورد :

جنى من البستان لي وردةً أحسن من إنجازه وعدي
وقال والوردة في كفه من قدحٍ أذكى من النـدّ
اشرب هنيئاً لك يا عاشقي ريقيَ من كفي على خدّي

ودعي ابن الحجاج إلى دعوةٍ وتأخر عنه الطعام قليلاً فقال :

يا ذاهباً في داره جائياً بغير معنًى وبلا فائده
قد جنّ أضيافك من جوعهم فاقرأ عليهم سورة المائده][1]

[ومثل هذا ما ذكره أبو الفرج الأصبهاني في كتاب « الأغاني » قال : دعانا أبو محمد ابن الشاب يوماً ودعا جحظة البرمكي وأطال حبس الطعام جدّاً ، وجاع جحظة فأخذ دواة وقرطاساً وكتب :

ما لي وللشاب وأولاده لا قدس الوالد والوالده
قد حفظو القرآن واستعملوا ما فيه إلا سورة المائده

ورمى بها إلي فقرأتها ودفعتها إلى ابن الشاب فقرأها ووثب مسرعاً وقدم الطعام وأكلنا وانصرفنا وقطعه جحظة بعد ذلك ، فكان يجهد جهده في أن يجيبه فلا يفعل ، فإذا عاتبناه قال : حتى يحفظ تلك السورة][2] .

١ زيادة من د لم ترد في المسودة ، وانظر البيتين الاخيرين في اليتيمة ٣ : ٨٢ .
٢ زيادة من ص ر ولم ترد في المسودة كما لم ترد في الأغاني .

وكانت وفاة ابن الحجاج يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وثلثمائة بالنّيل ، وحُمل إلى بغداد ، رحمه الله تعالى، ودفن عند مشهد موسى بن جعفر ، رضي الله عنه . وأوصى أن يدفن عند رجليه ، وأن يكتب على قبره ﴿وكلبهمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بالوَصِيد﴾ .

وكان من كبار الشعراء الشيعة ، ورآه[1] بعد موته بعضُ أصحابه في المنام ، فسأله عن حاله ، فأنشد :

أفسَدَ سُـوءُ مَذْهبي ... في الشعر حُسنَ مذهبي

[وحملي الجدَّ على ... ظهر حصان اللعب]

لم يَرْضَ مَوْلايَ علي ... سبّي لأصحاب النبي

[وقال لي ويحك يا ... أحمق لمَ لمْ تتب

من سبّ قوم من رجا ... آلاءهم لم يخب

رمت الرضى جهلاً بما ... أصلاك نار اللهب][2]

ورثاه الشريف الرضي بقصيدة من جملتها[3] :

نَعَوهُ على حُسن ظني بهِ ... فلله ماذا نَعَى النّاعيانِ

رَضِيعَ ولاءٍ لهُ شعبة ... من القلب مثلَ رَضيع اللبان

وما كنت أحسب أن الزمان ... يَفُلُّ مضارب ذاكَ اللسان

بكيتك للشُّرَّدِ السائراتِ ... تُعْنِقُ ألفاظُها بالمعاني

ليبكِ الزمانُ طويلاً عليكَ ... فقد كنتَ خِفّةَ روح الزمان

والنِّيل – بكسر النون وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام – وهي بلدة على الفرات بين بغداد والكوفة خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم، والأصل

١ في د : ورآه أبو الفضل ابن الخازن في النوم .

٢ الأبيات بين معقفين زيادة من ر لم ترد في المسودة .

٣ ديوان الشريف الرضي ٢ : ٤٤١ .

فيه نهر حَفره الحجاج بن يوسف في هذا المكان ومخرجه من الفرات وسماه باسم نيل مصر ، وعليه قرى كثيرة .

١٩٣

الوزير المغربي

أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن محمد بن يوسف بن بحر بن بهْرام ابن المَـرْزُبان بن ماهان بن باذان بن ساسان بن الحرون بن بلاش بن جاماس ابن فيروزَ بن يَـزْدَجِـرْد بن بهرام جُورَ المعروف بالوزير المغـربي ؛ ورأيت جماعة من أهل الأدب يقولون : إن أبا علي هارونَ بن عبد العزيز الأوارِجيَّ الذي مدحه المتنبي بقصيدته التي أولها :

أمِنَ ازدِيارِكِ في الدجى الرقَباءُ إذ حَيثُ كنتِ منَ الظلامِ ضياءُ

خالـُهُ ، ثم إني كشفت عنه فوجدت المذكور خال أبيه ، وأما هو فأمه بنت محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني ، ذكره في « أدب الخواص » . وكانت وفاة الأوارجي المذكور في جُمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثلثمائة[١] .

والوزير أبو القاسم المغربي المذكور هو صاحب الديوان : الشعر والنثر ، وله « مختصر إصلاح المنطق »[٢] وكتاب « الإيناس » ، وهو مع صغر حجمه كثير الفائدة ويدل على كثرة اطلاعه ، وكتاب « أدب الخواص » وكتاب « المأثور في ملح الخدور » وغير ذلك .

١٩٣ - ترجمة الوزير المغربي في معجم الأدباء ٩ : ٧٩ ورجال النجاشي : ٥١ والشذرات ٣ : ٢١٠ ولسان الميزان ٢ : ٣٠١ ، وانظر الاشارة إلى من نال الوزارة : ٦٦ وصفحات متفرقة من ج : ٩ من تاريخ ابن الاثير .

١ ورأيت جماعة ... وثلثمائة : سقط النص من س .

٢ أهدى منه نسخة إلى المعري فكتب إليه أبو العلاء رسالته المعروفة برسالة الاغريض .

وجدت في بعض المجاميع ما صورته : وجد بخط والد الوزير المعروف بالمغربي على ظهر « مختصر إصلاح المنطق » الذي اختصره ولده الوزير ما مثاله: « وُلدَ - سلمه الله تعالى ، وبلغه مبالغ الصالحين - أول وقت طلوع الفجر من ليلةٍ صباحُها يوم الأحد الثالث عشر من ذي الحجة سنة سَبعين وثلثمائة ، واستظهر القرآن العزيز وعدة من الكتب المجردة في النحو واللغة ونحو خمسة عشر ألفَ بيتٍ من مختار الشعر القديم ، ونظم الشعر وتصرف في النثر وبلغ من الخط إلى ما يقصر عنه نظراؤه ، ومن حساب المولد والجبر والمقابلة إلى ما يستقل بدونه[1] الكاتب ، وذلك كله قبل استكماله أربع عشرة سنة . واختصر هذا الكتاب ، فتناهى في اختصاره وأوفى على جميع فوائده حتى لم يفته شيء من ألفاظه ، وغيّر من أبوابه ما أوجبَ التدبيرُ تغييرَه للحاجة إلى الاختصار ، وجمع كل نوع إلى ما يليق به . ثم ذكرت له نظمه بعد اختصاره فابتدأ به ، وعمل منه عدة أوراق في ليلة ، وكان جميع ذلك قبل استكماله سبع عشرة سنة ، وأرغب إلى الله سبحانه في بقائه ودوام سلامته » . انتهى كلام والده .

ومن شعر الوزير المذكور[2] :

أقولُ لها والعِيسُ تحْدَجُ لِلسُّرَى ... أعدّي لِفقَدي ما استَطَعتِ من الصبر
سأنفِقُ رَيعانَ الشبيبةِ آنِفاً ... عَلى طلَبِ العَلياءِ أو طلَبِ الأجْر
ألَيسَ مِنَ الخسْرانِ[3] أنّ لَيالِياً ... تمُرُّ بلا نَفْعٍ وتُحسَبُ مِنْ عُمري

ومن شعره أيضاً :

أرى الناسَ في الدُّنيا كَراعٍ تنكرت ... مراعيه حتى ليسَ فيهنّ مَرتَعُ
فماء بلا مَرعًى ومَرعًى بغير ما ... وحيثُ تَرى ماء ومَرعًى فمَسبَعُ

وله في غلام حسن الوجه حلَقَ شعره :

---

١ ه : به .

٢ هذه المقطعات في معجم الأدباء : ٨٨ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٨٩ .

٣ ص : الحرمان .

حَلَقوا شَعْرَهُ ليكسُوهُ قبحا غيرةً مِنهُمُ عليـــه وشُحّا
كانَ صُبحاً عليـــه ليل بهمٌ فمَحَوا ليلَــه وأبقَوهُ صُبحا

ومن شعره أيضاً :

إني أبثُّك عنْ حديـ ثي والحديث له شجون
غيّرتُ موضعَ مرْقَدي ليــلاً ففارَقني السكون
قُـــلْ لي فأول ليلة في القبر كيف ترى أكون[1]

ولما ولد للوزير المذكور ولده أبو يحيى عبد الحميد كتب إليه أبو عبد الله محمد ابن أحمد صاحب ديوان الجيش بمصر أبياتاً منها :

قد أطلعَ الفألُ منه معنًى يُدْرِكُـهُ العـــالِم الذكيُّ
رأيتُ جدَّ الفتى عَليّـــاً فقلتُ جَـدُّ الفتى عـــليُّ

وكان الوزير المذكور من الدُّهاة العارفين [وكان خبيث الباطن ، إذا دخل عليه الفقيه سأله عن النحو وإذا دخل عليه النحوي سأله عن الفقه والفرائض] .
ولما قتل الحاكمُ صاحبُ مصر أباه وعمه وأخويه ، وهرب الوزير وصلَ إلى الرملة ، واجتمع بصاحبها المتغلب عليهـا حسـان[2] بن مفرج بن دغفل بن الجراح الطائي وبنيه وبني عمه ، وأفسد نياتهم على الحاكم صاحب مصر المذكور[3] .

١ سرد في نسخة د هنا قصة نصر بن حجاج ، وقد وردت في ترجمة الحجاج بن يوسف في هذا الجزء (رقم ١٤٩) فأغنى عن اعادتها في هذا الموضع .
٢ سقطت كلمة « حسان » من النسخ .
٣ عند هذا الحد زاد في د ما يلي : (وقد رأينا اثبات النص في الحاشية لأن إدراجه في المتن يحدث اضطراباً في سياق الترجمة) :
وقال لحسان إن أبا الفتوح الحسن بن جعفر صاحب مكة لا مطعن في نسبه ، والصواب أن تنصبه إماماً وأطمعه في الملك وحقق له سهولة الأمر ، فأصغى إلى ذلك وبايعه ، وبايعه شيوخ الحسنيين ، وحسن له أبو القسم ان أخذ مال البيت وما فيه من فضة ، فضربه دراهم وتلقب الراشد بالله وخطب بمكة لنفسه وسار لاحقاً بابن الجراح ، فلما قرب من الرملة تلقاه مفرج وسائر العرب وقبلوا الارض بين يديه وسلموا عليه بـ « أمير المؤمنين » ، ولقيهم متقلداً بسيف زعم -

ثم توجه إلى الحجاز، وأطمعَ صاحبَ مكة في الحاكم ومملكة الديار المصرية، وعمل في ذلك عملاً قلق الحاكم بسببه وخاف على ملكه، وقصته في ذلك طويلة، إلى أن[1] أرضى الحاكم بني الجراح ببذل الأموال لهم، واستمالهم إليه.

وكان صاحب مكة – وهو أبو الفتوح الحسن بن جعفر العلوي – قد استدعوه ووصل إليهم وبايعوه بالخلافة ولقبوه بالرَّشيد بتدبير أبي القاسم المذكور، فلم يزل الحاكم يعمل الحيل حتى استمال بني الجراح إليه، وانتقض أمر أبي الفتوح وهرب إلى مكة.

وقصد الوزير أبو القاسم العراقَ هارباً من الحاكم ومفارقاً لبني الجراح، وقصد فخر الملك أبا غالب ابن خلف الوزير، ورفع خبره إلى الإمام القادر بالله فاتهمه أنه ورَدَ لإفساد الدولة العباسية، وراسل فخر الملك في إبعاده، فاعتذر عنه فخر الملك وقام في أمره. واتفق انحدار فخر الملك من بغداد إلى واسط، فأخذ أبا القاسم في جملته، وأقام معه بواسط على جملة من الرعاية، إلى أن توفي فخر الملك مقتولاً، وشرع الوزير أبو القاسم في استعطاف قلب الإمـــام القادر بالله

= انه ذو الفقار، وفي يده قضيب ذكر انه قضيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه الف عبد أسود ونزل الرملة وبادر بالأمر بالمعروف وإقامة العدل وخطب له بالرملة، وقلق الحاكم بسببه وخاف وأرسل إلى بني الجراح أموالاً كثيرة واستمالهم بها عن أبي الفتوح، فأحس بذلك أبو الفتوح فقال للمغربي: غررتني بوعدك وأخرجتني من بلدي ونعمتي وحصلتني في أيـــدي العرب يبيعونني إلى الحاكم ولا آمن على نفسي ويجب أن تخلصني كما أوقعتني، فانني راض من الغنيمة بالاياب، فشجعه المغربي، ثم ركب أبو الفتوح إلى المفرج وقـــال له: فارقت نعمتي وكشفت في عداوة الحاكم صفحتي انما لسكوني إلى ذمامك وثقتي بقولك ولي في عنقك عهود وأرى حـــاناً ولدك قد أصلح أمره مع الحاكم فأنا خائف من غدره وما أريد إلا العود إلى وطني، فسيره المفرج إلى وادي القرى، واستجار المغربي بالمفرج وسأله أن يسيره إلى العراق فأنفذه، ثم ورد بغداد وقصد فخر الملك، فاتهمه القادر بالله انه ورد في افساد على الدولة، فراسل فخر الملك فأخرجه عن بغداد، فمضى إلى الموصل وتقلد كتابة قرواش بن المقلد، ولما توفي فخر الملك عاد إلى بغداد فقلده مشرف الدولة الوزارة بغير خلع ولا لقب، ثم استشعر المغربي الخوف من نزول بغداد فهرب منها إلى قرواش بالأنبار فكانت وزارته عشرة أشهر، وتوجه إلى ديار بكر ووزر ... الخ.

[1] من هنا حتى قوله ... توجه إلى ديار بكر: لم يرد في المسودة.

والتنصل مما نبذ به ، حتى صلح له بعض الصلاح ، وعاد إلى بغداد وأقام قليلاً، ثم أصعد إلى الموصل .

واتفق موتُ أبي الحسن ابن أبيّ الوزير كاتب معتمد الدولة أبي المنيع قرواش أمير بني عقيل ، فتقلد كتابته موضعه ، ثم شرع أبو القاسم يَسْعى في وزارة الملك مشرف الدولة البويهي ، ولم يزل يعمل السعي إلى أن قبض على الوزير مؤيد الملك أبي علي، فكوتب الوزير أبو القاسم بالحضور من الموصل إلى الحضرة، وقُلِّد الوزارة من غير خلع ولا لقب ولا مفارقة الدُّرّاعة ، وأقام كذلك حتى جرى من الأحوال ما أوجب مفارقة مشرف الدولة بغداد ، فخرج معه منها وقصدا أبا سنان غريب بن محمد بن مقن ونزلا عليه وأقاما بأَوانا . وبينا هو على ذلك إذ عرض له إشفاق من مخدومه مشرف الدولة دعاه إلى مفارقته ، فانتقل بعد ذلك إلى أبي المنيع قرواش بالموصل ، وأقام عنده ، ثم تجدد من سوء رأي الإمام القادر فيه ما ألجأته الضرورة بسبب ما كوتب به قرواش وغريب في معناه إلى مفارقته والإبعاد عنه ، وقصد أبا نصر ابن مروان بمَيّافارِقِينَ وأقام عنده على سبيل الضيافة إلى أن توفي ، وقيل : إنه لما توجه إلى ديار بكر وزَرَ لسلطانها أحمد بن مروان المقدم ذكره ، فأقام عنده إلى أن توفي في ثالث عشر شهر رمضان[1] سنة ثماني عشرة وأربعمائة ، وقيل : ثمان وعشرين، والأول أصح، وكانت وفاته بمَيّافارقين ، وحمل إلى الكوفة بوصية منه ، وله في ذلك حديث يطول شرحه ، ودفن بها في تربة مجاورة لمشهد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأوصى أن يكتب على قبره[2] :

كنتُ في سَفرَةِ الغَوايةِ والجهـ ... ـلِ مقيماً[3] فحان مني قدومُ
تبتُ من كل مأثمٍ فعسى يُمْـ ... ـحى بهذا الحديث ذاك القديم
بعد خمسٍ وأربعينَ ، لقَدْ مـا ... طَلْتُ ، إلا أن الغريم كريم

. . .

١ د : توفي يوم الجمعة الخامس عشر وقيل السادس عشر من شهر رمضان .
٢ معجم الأدباء : ٨٢ ولم ترد الأبيات في المسودة .
٣ أ ج هـ : زماناً .

وكان قتل أبيه وعمه وأخويه في الثالث من ذي القعدة سنة أربعمائة، رحمهم الله تعالى .

ورأيت في بعض المجاميع أنه لم يكن مغربياً ، وإنما أحد أجداده ، وهو أبو الحسن علي بن محمد كانت له ولاية في الجانب الغربي ببغداد ، وكان يقال له : المغربي ، فأطلق عليهم هذه النسبة ، ولقد رأيت خلقاً كثيراً يقولون هذه المقالة ، ثم بعد ذلك نظرت في كتابه الذي سماه « أدب الخواص » فوجدت في أوله « وقد قال المتنبي : وإخواننا المغاربة يسمونه المتنبه ، فأحسنوا » :

أتى الزمانَ بنوهُ في شبيبته فسَرَّهُمْ وأتيناه على الهَرَمِ[1]

فهذا يدل على أنه مغربي حقيقة لا كما قالوه ، والله أعلم . ثم أعاد هذا القول بعينه لما ذكر النابغة الجعدي وشعره وأنشد عنده قول المتنبي :

وفي الجِسمِ نَفْسٌ لا تشيب بشَيبهِ ولو أنَّ ما في الوَجْهِ منهُ حِرابُ[2]

ونقلت نسبه المذكور في الأوّل من خط أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان المعروف بابن الصيرفي المصري صاحب الرسائل ، وذكر أنه منقول من خط الوزير المذكور ، والله أعلم بصحته .

١ شرح الواحدي : ٧٢٣ .
٢ شرح الواحدي : ٦٨١ .

١٩٤

ابن خالويه

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالَوَيه النحوي اللغوي ؛ أصله من هَمَذان ولكنه دخل بغداد وأدرك جِلّةَ العلماء بها مثل أبي بكر ابن الأنباري وابن مجاهد المقرىء وأبي عمر الزاهد وابن دريد ، وقرأ على أبي سعيد السيرافي ، وانتقل إلى الشام واستوطن حلب ، وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب ، وكانت إليه الرحلة من الآفاق ، وآلُ حَمْدان يكرمونه ويدرسون عليه ويقتبسون منه . وهو القائل : دخلت يوماً على سيف الدولة بن حَمْدان فلما مثلت بين يديه قال لي : اقعد ، ولم يقل اجلس ، فتبينت بذلك اعتلاقه بأهداب الأدب ، واطلاعه على أسرار كلام العرب ، وإنما قال ابن خالويه هذا لأن المختار عند أهل الأدب أن يقال للقائم : اقعد ، وللنائم أو الساجد : اجلس ، وعَلّله بعضهم بأن القعود هو الانتقال من العلو إلى السفل ، ولهذا قيل لمن أُصيب برجله مُقعَد ، والجلوس هو الانتقال من السفل إلى العلو ، ولهذا قيل لنجد : جَلْسا لارتفاعها ، وقيل لمن أتاها : جالس ، وقد جلَسَ ، ومنه قول مروان بن الحكم لما كان والياً بالمدينة يخاطب الفرزدق :

قُلْ للفَرَزدَقِ والسفاهَةُ[1] كاسمها ... إن كنتَ تارك ما أمرتُكَ فاجلِسِ

أي : اقصد الجلسا ، وهي نَجْد . وهذا البيت من جملة أبيات ولها قصة طويلة ، وهذا كله وإن جاء في غير موضعه لكن الكلام شجون .

١٩٤ - ترجمة ابن خالويه في الفهرست : ٨٤ ويتيمة الدهر ١ : ١٢٣ ومعجم الأدباء ٩ : ٢٠٠ وانباه الرواة ١ : ٣٢٤ وبغية الوعاة : ٢٣١ وطبقات السبكي ٢ : ٢١٢ ونزهة الالباء : ٢١٤ والشذرات ٣ : ٧١ .

١ أ : والفهاهة .

ولابن خالويه المذكور كتاب كبير[1] في الأدب سماه « كتاب ليس » وهو يدل على اطلاع عظيم ، فإن مبنى الكتاب[2] من أوله إلى آخره على أنه ليس في كلام العرب كذا وليس كذا ، وله كتاب لطيف سماه « الآل » وذكر في أوله أن الآل ينقسم إلى خمسة وعشرين قسماً ، وما أقصَرَ فيه ، وذكر فيه الأئمة الاثني عشر وتواريخ مواليدهم ووَفَيَاتهم وأمهاتهم ، والذي دعاه إلى ذكرهم أنه قال في جملة أقسام الآل « وآل محمد بنو هاشم ». وله كتاب « الاشتقاق »، وكتاب « الجمل » في النحو ، وكتاب « القراءات » وكتاب « إعراب ثلاثين سورة من الكتاب العزيز » وكتاب « المقصور والممدود » وكتاب « المذكر والمؤنث » وكتاب « الألفات »[3] وكتاب « شرح المقصورة لابن دريد » وكتاب « الأسد »، وغير ذلك .

ولابن خالويه مع أبي الطيب المتنبي مجالس ومباحث عند سيف الدولة ، ولولا خوفُ الاطالة لذكرت شيئاً منها .

وله شعر حسن ، فمنه قوله على ما نقله الثعالبي في كتاب « اليتيمة »[4] :

إذا لم يكن صَدْرَ المجالس سيدٌ ... فلا خيرَ فيمن صَدَّرته المجالسُ

وكم قائلٍ : ما لي رأيتك راجلاً ... فقلت له : من أجل أنك فارسُ

وخالَوَيْه : بفتح الخاء الموحدة وبعد الألف لام مفتوحة وواو مفتوحة أيضاً وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ثم هاء ساكنة .

وكانت وفاة ابن خالويه في سنة سبعين وثلثمائة بحلب ، رحمه الله تعالى .

---

١ كذا وصفه المؤلف ؛ وقد نشره ديرنبرغ في مجلة Hebraica (المجلد العاشر) والنص يحتل ص ١١ - ٦٤ .

٢ ج : الكلام .

٣ س : الالقاب .

٤ اليتيمة : ١٢٤ .

١٩٥

أبو علي الجياني

أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الغَسّاني الجَيّاني[1] الأندلسي المحدث ؛ كان إماماً في الحديث والأدب، وله كتاب مفيد سماه « تقييد المهمل » ضبَطَ فيه كل لفظ يقع فيه اللَّبْس من رجال الصحيحين ، وما أقصر فيه ، وهو في جزأين ، وكان من جهابذة المحدثين ، وكبار العلماء المسندين[2] ، وكان حسن الخط جيد الضبط ، وكان له معرفة بالغريب والشعر والأنساب ، وكان يجلس في جامع قُرْطبة ويسمع منه أعيانها ، ولم أقف على شيء من أخباره حتى أذكر طَرَفاً منها .

وكانت ولادته في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وطلب الحديث سنة أربع وأربعين ، وتوفي ليلة الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

والجيّاني – بفتح الجيم وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعد الألف نون – هذه النسبة إلى جَيّان ، وهي مدينة كبيرة بالأندلس ، وبأعمال الريّ قرية يقال لها جَيّان أيضاً .

والغَسّاني : قد تقدم الكلام عليه .

١٩٥ – ترجمة أبي علي الجياني المحدث في الصلة : ١٤١ وتذكرة الحفاظ : ١٢٣٣ وبغية الملتمس : ٢٤٩ وأزهار الرياض ٣ : ١٤٩ .

١ ذكر ابن بشكوال أن أبا علي لم يكن من جيان وانما أصلهم من الزهراء ، وانتقل أبوه في الفتنة البربرية (حوالي ٤٠٠) إلى جيان .

٢ كذا في ص والمسودة ؛ وفي النسخ الاخرى : المفيدين .

١٩٦

البارع الدباس

أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبيد الله بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وَهْب الوزير الحارثي من بني الحارث ابن كعب بن عمرو الدباس البدري المنعوت بالبارع الشاعر المشهور الأديب النديم البغدادي ؛ كان نحويّاً لغويّاً مقرئاً حسن المعرفة بصنوف الآداب ، وأفاد خلقاً كثيراً ، خصوصاً بإقراء القرآن الكريم .

وهو من بيت الوزارة، فإن جده القاسم كان وزير المعتضد [والمكتفي بعده] وهو الذي سَمّ ابن الرومي الشاعر – كما سيأتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى – وعبيد الله كان وزيراً أيضاً ، وسليمان بن وهب الوزير تغني شهرته عن ذكره – وستأتي ترجمته إن شاء الله تعالى – .

والبارع المذكور من أرباب الفضائل ، وله مصنفات حسان وتواليف غريبة، وديوان شعر جيد ، وكان بينه وبين الشريف أبي يَعْلى ابن الهَبّارية مُداعبات لطيفة ، فإنهما كانا رفيقين ومُتَّحِدَينِ في الصحبة ، فاتفق أن البارع المذكور تعلق بخدمة بعض الأمراء ، وحج ، فلما عاد حضر الشريف إليه مراراً فلم يجده، فكتب إليه قصيدة طويلة داليّة يعاتبه فيها ويشير إلى أنه تغير عليه بسبب الخدمة ، وأولها :

يا ابن وُدّي وأين مني ابنُ وُدّي غيَّرَتْ طَرفَهُ الرياسةُ بَعْدي[1]

١٩٦ – ترجمة البارع الدباس في معجم الأدباء ١٠ : ١٤٧ وانباه الرواة ١ : ٣٢٨ وبغية الوعاة : ٢٣٦ وغاية النهاية ١ : ٢٥١ والشذرات ٤ : ٦٩ وابن كثير ١٢ : ٢٠١ .

١ أ : عندي .

ولولا ما أودعها من السخف والفحش لذكرتها[1] ، فكتب إليه البارع المذكور جوابها ، وأطال فيها ، وضمنها أيضاً شيئاً من الفحش ، وأولها :

وصلتْ رُقعةُ الشريف أبي يعـ لى فحلّتْ محلّ لُقياه عندي
فتلقيتُها[2] بأهلاً وسهلاً ثم ألصقتُها بطَرْفي وخدّي
وفضضتُ الختامَ عنها فما ظنـ ـكَ بالصّابِ إذ يُشاب بشُهد
بين حُلوٍ من العتاب ومُرٍّ هو أولى به وهَزْلٍ وجِدّ
وتجنٍّ[3] عليَّ من غير جُرْم بملام يكاد يحرق جلدي
يدّعي أنني حجبت[4] وقد زا ر مراراً ، حاشاه من قبح رد
ثم دَع ذا ، ما للرياسة والحج ب لي من حل أنف وعقد
فبماذا علمتَ بالله أني قد تنكرت[5] أو تغير عهدي
من تراني : أعاملٌ أم وزيرٌ لأمير أم عارض للجند
أنا إلاّ ذاك الخليع الذي تعـ رف أرضى ولو بجَرّةِ دردي
وإذا صحّ لي مليح فذاك الـ يوم عيدي وصاحبُ الدستِ عَبدي
أتراني لو كنت في النار مَعْ ها مانَ أنساك في جنان الخلد

---

[1] ذكر في ر وهامش س أبياتاً منها وهي :

عقدت أنفه عليّ فطبعي وهو ضدان بين حل وعقد
صدّ عني وليس أول خل راع ودي منه بهجر وصدّ
شغلته عني الرياسة فاستعلى فخليته وذلك جهدي
افلما حجبت لا قبل الله تعالى مسعاك أخلفت وعدي
أي فرق بيني وبينك هل أنت سوى شاعر وأنت مكدي
وحر امّ الزمان فهي يمين برة أنني سأبعث جندي
وأجازيك بالتبظرم والتيه وكيل الهجاء مداً بمدّ

[2] أ ج : فتأملتها .

[3] ه : وتجرٍّ .

[4] د ه : احتجبت .

[5] أ : تغيرت .

أو لوَ أنّي عُصبْت بالتاج أسلو ك ولو كنتَ عانِياً في القِدّ
أنا أضعافُ ما عهدت على العهـ ـد وإن كنت لا تجازي بودّ

ومنها :

أم لأني قنعت من سائر النا س بفَرْدٍ بين الأكارم فرد
صان وجهي عن اللئام وأولا ني جميلاً منه إلى غير حد
فتعفّفْتُ واقتنعتُ بتدفيـ ع زماني وقلت إنيَ وحدي
لا لأني أنِفتُ مَعْ ذا من الكُدْ ية ، أين الكرام حتى أُكَدّي

ونقتصر من هذه القصيدة على هذه الأبيات ، ففيها سخف لا يليق ذكره وغيره مما لا حاجة إليه .

ومن شعره أيضاً[1] :

أفنَيتُ ماء الوجه من طُول ما أسأل مَنْ لا ماء في وجهِهِ
أُنْهي إليه شرح حالي الذي يا ليتني مت ولم أُنْهِه
فلم يَنَلْني كرماً رِفْدُهُ ولم أكد أسلم من جَبْهِه
والموت من دهر نحاريرُه ممتدة الأيدي إلى بُلْهِه

[وأورد له الحظيري في كتاب « زينة الدهر » وذكر أنه نقلها من خطه وذكر أنه قال هذه القصيدة بمكة في سنة ٤٧٢ :

ذكر الأحباب والوطنا والهوى والإلف والسكنا
فبكى شجواً وحُقّ له مُدْنفٌ بالشوق حلف ضنى
أبعدت مرمى يدٍ رجمت من خراسان به اليمنا
خلست من بين أضلعه بالنوى قلباً له ضمنا

[1] زيادة لم ترد في المسودة .

من لمشتاقٍ يميّله ذات سجعٍ ميّلت فننا
كلما هاج الهديل به طرباً هاجت له شجنا
لم تعرّض بالحنين بِمَنْ مسعدٌ إلا وقال أنا
لكِ يا ورقاءُ أُسوةُ من لم تذيقي جفنه الوسنا
بكِ أنسي مثل أُنسك بي فتعالي نبدِ ما كمنا
نتشاكى ما نجنُّ إذا نُحْتِ شجواً صحتُ واحزنا
غير أني منك أعدل إن عاد سري في الهوى علنا
أنا لا أنت البعيدُ هوًى أنا لا أنت الغريب هنا
أنا فردٌ يا حمام وها أنت والإلف القرين ثنا
أَنصفونا يا بني حَسَنٍ ليس هذا منكمُ حَسَنا
كم أحلَّت محرماتكمُ بالعيون النُّجل أنفسنا
نحن وفد الله عندكمُ ما لكم جيرانَهُ ولنا
لم يجرْنا منكمُ حَرَمٌ مَنْ أتاه خائفاً أمِنا][1]

وكانت ولادته في العاشر من صفر سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ببغداد . وتوفي يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة ، وقيل الأولى ، سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، وكان قد عمي في آخر عمره ، رحمه الله تعالى .

والدباس – بفتح الدال المهملة وتشديد الباء الموحدة وبعد الألف سين مهملة – وهذا يقال لمن يعمل الدِّبْسَ أو يبيعه .

والبَدْري – بفتح الباء الموحدة وسكون الدال المهملة وبعدها راء – هذه النسبة إلى البَدْرية ، وهي محلة ببغداد المحروسة وكان البارع المذكور يسكنها فنسب إليها .

[1] زيادة من ر د لم ترد في المسودة .

١٩٧

الطغرائي

العميد فخر الكتاب أبو إسماعيل الحسينُ بن علي بن محمد بن عبد الصمد الملقب مؤيد الدين الأصبهاني المنشىء المعروف بالطغرائي ؛ كان غزير الفضل لطيف الطبع ، فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر .

ذكره أبو سعد ابن السمعاني في نسبة المنشىء من كتاب « الأنساب »، وأثنى عليه ، وأورد قطعة من شعره في صفة الشمعة ، وذكر أنه قتل في سنة خمس عشرة وخمسمائة .

والطغرائي المذكور له ديوان شعر جيد ، ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم ، وكان عملها ببغداد في سنة خمس وخمسمائة يصف حاله ويشكو زمانه ، وهي التي أولها[1] :

أصالة الرأي صانتني عن الخَطَلِ ... وحِلية الفَضل زانتني لدى العَطَلِ

[مَجْدي أخيراً ومجدي أولاً شَرَعٌ ... والشمسُ رأدَ الضحى كالشمس في الطَّفَلِ

فيمَ الإقامة بالزّوراء لا سكني ... بها ولا ناقتي فيها ولا جَمَلي

ناءٍ عن الأهل صِفْرُ الكفِّ منفَرِد ... كالسيف عُرّيَ متناهُ عن الخَلَلِ

فلا صَديقٌ إليهِ مُشتكى حَزَني ... ولا أنيسٌ إليه مُنتهى جَذَلي

.

١٩٧ - ترجمة الطغرائي في معجم الأدباء ٩ : ٥٦ والانساب واللباب: « المنشىء » . ومقدمة الغيث المسجم في شرح لامية العجم للصفدي، وللأستاذ علي جواد الطاهر كتاب عنه (بغداد: ١٩٦٣).

١ في ص س والمسودة وهي طويلة تنيف على ستين بيتاً أودعها كل غريبة وهي من مختار الشعر ونقاوته ولولا طولها لذكرتها لكنها مشهورة موجودة بأيدي الناس . أما ر فقد أوردت القصيدة كاملة .

طالَ اغترابيَ حتى حنَّ راحِلَتي ورَحْلُها وقِرى العسَّالةِ الذُّبُل
وضجَّ من لَغَبٍ نِضْوي وعجَّ لما يلقَى رِكابي ولَجَّ الركبُ في عذَلي
أُريدُ بسطةَ كفٍّ أستعينُ بها على قضاء حُقوق للعُلا قِبَلي
والدَّهرُ يعكسُ آمالي ويُقنعني مِنَ الغنيمةِ بعدَ الكدِّ بالقفَل
وذي شَطاطٍ كصدرِ الرمح مُعتقلٍ بمثلهِ غيرَ هَيَّابٍ ولا وَكَل
حُلوِ الفكاهةِ مُرِّ الجدِّ قد مُزجَت بشدَّةِ البأس منه رقَّةُ الغزَل
طَرَدْت سَرْحَ الكرى عن ورْدِ مُقلته والليلُ أغرَى سوام النوم بالمُقَل
والركبُ مِيل على الأكوار من طرَبٍ صاحٍ وآخرَ من خَمْرِ الهوى ثمِل
فقلت أدعوك للجلَّى لتنصرني وأنت تخذلني في الحادث الجلل
تنامُ عيني وعينُ النجم ساهرَةٌ وتستحيلُ وصِبْغُ الليل لم يَحُل
فهلْ تعينُ على غَيٍّ هممْتُ به والغيُّ يزجُرُ أحياناً عن الفَشَل
إنِي أريدُ طُرُوقَ الحيِّ منْ إضَم وقدْ حماهُ رُماةٌ من بني ثُعَل
يحمُونَ بالبيض والسُّمر اللدانِ به سُودَ الغدائر حُمرَ الحلي والحلل
فسِرْ بنا في ذِمامِ الليل مُعتسفاً فنفحةُ الطيبِ تهدينا إلى الحلَل
فالحبُّ حيثُ العدا والأُسد رابضةٌ حَولَ الكِناس لها غابٌ من الأسَل
نؤمُّ ناشئة بالجزعِ قد سُقِيَتْ نصالها بمياه الغَنَجِ والكَحَل
قد زادَ طِيبُ أحاديثِ الكرام بها ما بالكرائم منْ جُبْنٍ ومنْ بَخَل
تبيتُ نارُ الهوَى منهنَّ في كبدٍ حَرَّى ونارُ القِرى منهم على قُلَل
يقتلنَ أنضاء حُبٍّ لا حَراكَ بها وينْحَرُون كرام الخيل والإبل
يُشفى لديغُ العَوالي في بيوتهمُ بنَهْلَةٍ من غدير الخمر والعسَل
لعلَّ إلمامةً بالجزعِ ثانيةً يَدِبُّ منها نسيمُ البُرْءِ في عِلَلي
لا أكره الطعنة النجلاءَ قد شُفِعَتْ برَشْقَةٍ من نبالِ الأعين النُّجُل
ولا أهابُ الصفاحَ البيضَ تُسعدُني باللمحِ منْ خلل الأستار والكِلَل
ولا أخِلُّ بغِزلانٍ تغازِلني ولوْ دَهتني أسُودُ الغِيلِ بالغِيَل

حُبُّ السلامة يثني هَمَّ صاحبِهِ ... عن المعالي ويُغْري المرءَ بالكسل

فإن جنَحتَ إليه فاتخذْ نَفَقاً ... في الأرضِ أو سُلَّماً في الجوِّ واعتزل

ودَعْ غِمارَ العُلا للمُقدِمينَ على ... رُكوبِها واقتنعْ منهنَّ بالبلل

رضى الذليل بخفض العيش مَسكنَةٌ ... والعزُّ تحت رَسيم الأينُقِ الذُّلُل

فادْرَأْ بها في نُحُورِ البيدِ حافلةً ... معارضات مثاني اللجمِ بالجُدُل

إنّ العُلا حدّثتني وهيَ صادِقةٌ ... فيما تحدّثُ أنّ العزّ في النُّقَل

لو أنّ في شَرَفِ المأوى بلوغَ مُنًى ... لم تبرَحِ الشمسُ يوماً دارَةَ الحَمَل

أهبتُ بالحظ لو ناديتُ مُستمعاً ... والحظُّ عَنّيَ بالجهّال في شُغُل

لعلّهُ إنْ بَدا فضلي ونقصُهُمُ ... لِعينِهِ نامَ عنهمْ أو تنبَّهَ لي

أعَلِّلُ النفسَ بالآمالِ أرقُبُها ... ما أضيقَ العيشَ لولا فُسحَةُ الأمل

لم أرْضَ بالعيش والأيامُ مُقبلةٌ ... فكيفَ أرْضى وقد ولّتْ على عجَل

غالى بنفسيَ عِرْفاني بقيمتها ... فصُنتُها عن رَخيصِ القَدْرِ مُبتَذَل

وعادَةُ النصل أنْ يُزهى بجَوهَرِهِ ... وليسَ يعمل إلا في يدَيْ بطَل

ما كنتُ أُوثر أنْ يمتدَّ بي زَمني ... حتى أرى دولةَ الأوغادِ والسّفَل

تقدّمَتْني أناسٌ كانَ شوْطُهُمُ ... وراءَ خطويَ إذ أمشي على مَهَل

هذا جزاءُ امرىءٍ أقرانُه دَرَجُوا ... مِن قبلِهِ فتمنّى فُسحةَ الأجل

وإنْ عَلانيَ مَن دُوني فلا عَجَبٌ ... لي أُسوَةٌ بانحطاط الشمس عَن زُحل

فاصبرْ لها غيرَ مُحتال ولا ضجِرٍ ... في حادِثِ الدهر ما يغني عن الحِيَل

أعدى عَدُوِّكَ أدْنى مَن وثقتَ بهِ ... فحاذِرِ الناسَ واصْحَبْهُمْ على دخَل

وإنما رَجُلُ الدُّنيا وواحِدُها ... مَن لا يعوِّلُ في الدنيا على رَجُل

وحُسنُ ظَنّكَ بالأيامِ مَعجزَةٌ ... فظُنَّ شرّاً وكن منها على وجَل

غاضَ الوَفاء وفاضَ الغَدْرُ وانفرَجتْ ... مسافَةُ الخُلفِ بينَ القولِ والعَمل

وشانَ صدْقَكَ عندَ الناسِ كِذْبُهُمُ ... وهَلْ يطابَقُ معوجٌّ بمعتدِل

إن كانَ ينجعُ شيءٌ في ثباتهمُ ... على العُهودِ فسبقُ السيفِ للعذَل

يا وارداً سُؤْرَ عيشٍ كله كدرٌ … أنفقتَ صفوكَ في أيامك الأول
فيمَ اقتحامكَ لُجَّ البحر تركبهُ … وأنتَ يكفيكَ منه مَصةٌ الوشل
مُلكُ القناعةِ لا يُخشى عليهِ ولا … يُحتاج فيه إلى الأنصارِ والخول
ترجو البقاءَ بدارٍ لا ثباتَ لها … فهلْ سَمِعْتَ بظلّ غير منتقل
ويا خبيراً على الأسرار مُطَّلِعاً … اصمُتْ ففي الصّمت مَنجاة منَ الزّلل
قد رَشّحُوكَ لأمرٍ لوْ فطنتَ لهُ … فاربأ بنفسكَ أن ترعى معَ الهمَل]

ومن رقيق شعره قوله :

يا قلبُ ما لكَ والهوى من بعد ما … طابَ السلوّ وأقصرَ العشاقُ
أوَما بدا لكَ في الإفاقةِ والأُلى … نازَعْتَهُمْ كأسَ الغرامِ أفاقوا
مَرِضَ النسيم وصَحّ والدّاء الذي … تشكوهُ لا يُرْجى له إفْراق
وهدا خُفوقُ البَرْق والقلبُ الذي … تُطوَى عليهِ أضالعي خَفّاق

وله أيضاً :

أجِمّا البكا يا مقلتيّ فإننـا … على مَوعدٍ للبين لا شكّ واقِعِ
إذا جمعَ العشاقَ موعدُهُمْ غداً … فواخَجْلَتا إن لم تُعِنّي مَدامعي

ومن شعره :

ولا غرو إن أهديت من فيض بره … إليه قليلاً ليس يعتدُّهُ نَزْرا
فإني رأيت الغيم يحمل ماءَه … من البحر غمراً ثم يهدي له قطرا

ومن شعره :

لا تحقرنَّ الرأي وهو موافقٌ … حكم الصواب وإن بدا من ناقص
فالدُّرُّ وهو أجلُّ شيء يُقتنى … ما حط رتبته هوانُ الغائص

وله أيضاً :

أخاك أخاك فهو أجَلُّ ذُخْرٍ … إذا نابتك نايبةُ الزمـانِ

وإن رابتْ إساءته فهبها لما فيه من الشيم الحِسانِ
تريدُ مهذباً لا غش فيه وهل عُودٌ يفوح بلا دُخان

ومن شعره :

ما فلانٌ إلا كجيفةِ ميتٍ والضرورات أحوجتنا إليه
فمن اضطر غير باغٍ ولا عا دٍ فلا إثم في الكتاب عليه

وله من أبيات :

لا غرو إن حزت المروءة والتُّقى والدين والدنيا ولم تتصدع
إن النواظر والقلوب صغيرةٌ تحوي الكبير وليس بالمستبدع

وله :

جامل أخاك إذا استربت بودّهِ وانظر به عقب الزمان يعاود
فإن استمر على الفساد فخلّه فالعضو يُقطعُ للفسادِ الزائد[1]

وذكره أبو المعالي الحظيري في كتاب « زينة الدهر » وذكر له مقاطيع ، وذكره أبو البركات ابن المستوفي في « تاريخ إرْبلَ » وقال : إنه ولي الوزارة بمدينة إربل مدة، وذكر العماد الكاتب في كتاب « نصرة الفترة وعصرة الفطرة » – وهو تاريخ الدولة السلجوقية – أن الطغرائي المذكور كان يُنعت بالأستاذ ، وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقي بالموصل ، وأنه لما جرى المصافُ بينه وبين أخيه السلطان محمود بالقرب من همذان وكانت النصرة لمحمود ، فأول من أخذ الأستاذ أبو إسماعيل وزير مسعود ، فأخبر به وزير محمود ، وهو الكمال نظام الدين أبو طالب علي بن أحمد بن حرب السُّمَيْرمي ، فقال الشهاب أسعد – وكان طغرائياً في ذلك الوقت نيابة عن النصير الكاتب – : هذا الرجل مُلحِد ، يعني الأستاذ ، فقال وزير محمود : من يكن ملحداً يُقتل ، فقتل ظلماً.

[1] تتفاوت النسخ ص د ر في عدد المقطوعات التي أوردتها من شعر الطغرائي ، ولم يرد منها في المسودة الا المقطوعتان الأوليان .

وقد كانوا خافوا منه ، ولا قِبَل عليه لفضله ، فاعتدُّوا قتله بهذه الحجة ، وكانت هذه الواقعة سنة ثلاث عشرة وخمسمئة، وقيل إنه قتل سنة أربع عشرة ، وقيل ثماني عشرة ، وقد جاوز ستين سنة ، وفي شعره ما يدل على أنه بلغ سبعاً وخمسين سنة لأنه قال وقد جاءه مولود[1] :

هذا الصغيرُ الذي وافى على كبري أقَرَّ عيني ولكن زاد في فِكَري
سبْعٌ وخمسون لو مرَّتْ على حجَر لَبانَ تأثيرُها في صفحة الحجر

والله تعالى أعلم بما عاش بعد ذلك ، رحمه الله تعالى .

(28) وقُتِل الكمالُ السميرمي الوزير المذكور يوم الثلاثاء سلخ صفر سنة ست عشرَة وخمسمائة في السوق ببغداد عند المدرسة النظامية ، وقيل : قتله عبد أسود كان للطغرائي المذكور ، لأنه قتل أستاذه .

والطُّغْرائي – بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وفتح الراء وبعدها ألف مقصورة – هذه النسبة إلى من يكتب الطُّغْرى، وهي الطرة التي تُكتب في أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ ، ومضمونها نعوت الملك الذي صدَر الكتاب عنه ، وهي لفظة أعجمية .

والسُّمَيْرمي – بضم السين المهملة وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ثم ميم – هذه النسبة إلى سُمَيْرم ، وهي بلدة بين أصبهان وشيراز ، وهي آخر حدود أصبهان .

[1] ديوانه : ٧٨ ، وهما من أبيات قالها في ابنه الاصغر علي .

١٩٨

أبو الفوارس ابن الخازن

أبو الفَوارس الحسينُ بن علي بن الحسين المعروف بابن الخازن الكاتب ؛ كان فريدَ عصره في الكتابة ، وكتب ما لم يكتبه أحد ، فإنه كتب فيا كتب خمسمائة نسخة من كتاب الله العزيز ما بين رَبْعة وجامع ، وله شعر حسن ، فمن ذلك قوله :

عَنَتِ الدنيا لطالبها	واستراح الزاهدُ الفطِنُ
كلُّ مَلْكٍ نال زُخرُفها	حَسْبُه مما حوى كفن
يقتني مـــالاً ويتركه	في كلا الحالين مُفتتن
أمَلي كوني على ثقـة	من لقـاء الله مرتهن
أكره الدنيا وكيف بها	والذي تسخو به وَسَن
لم تَدُم قَبلي على أحد	فلماذا الهمُّ والحَزَن

قال محمد بن أبي الفضل[١] الهمذاني المؤرخ في « ذيل تجارب الأمم » لمسكويه: توفي ابن الخازن المذكور في ذي الحجة سنة اثنتين وخمسمائة فجأة ، رحمه الله تعالى . وقال الشريف أبو العمر المبارك بن أحمد الأنصاري : توفي ليلة الثلاثاء ، ودفن من الغد ، وهو اليوم السادس والعشرون من الشهر المذكور .

---

١ ص : محمد بن عبد الملك .

١٩٩

أبو عبد الله الشيعي

أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالشيعي القائم بدعوة عُبيد الله المهدي جَدّ ملوك مصر ؛ وقصته في القيام بالغرب مشهورة ، وله بذلك سيرة مَسطورة ، وسيأتي في حرف العين عند ذكر المهدي عُبيد الله طَرَفٌ من أخباره إن شاء الله تعالى .

وأبو عبد الله المذكور من أهل صنعاء اليمن ، وكان من الرجال الدُّهاة الخبيرين بما يصنعون ، فإنه دخل إفريقية وحيداً بلا مال ولا رجال ، ولم يزل يسعى إلى أن ملكها، وهرب ملكها أبو مُضَرَ زيادة الله آخر ملوك بني الأغلب منه إلى بلاد المشرق وهلك هناك ، وحديثه يطول .

ولما مهد القواعد للمهدي ووطّدَ له البلاد وأقبل المهدي من المشرق، وعجز عن الوصول إلى أبي عبد الله المذكور، وتوجه إلى سجلماسة ، وأحس به صاحبها اليسع آخر ملوك بني مدرار ، فأمسكه واعتقله ، ومضى إليه أبو عبد الله وأخرجه من الاعتقال وفوّض إليه أمر المملكة – اجتمع به أخوه أبو العباس أحمد ، وكان هو الأكبر، أعني أحمد ، ونَدّمه على ما فعل ، وقال له : تكون أنت صاحب البلاد والمستقل بأمورها وتسلمها إلى غيرك وتبقى من جملة الأتباع، وكرر عليه القول ، فندم أبو عبد الله على ما صنع وأضمر الغدر ، واستشعر منهما المهديُّ ، فدسّ عليهما مَن قتلهما في ساعة واحدة ، وذلك في منتصف جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين بمدينة رَقّادَةَ بين القصرين ، رحمهما الله تعالى .

١٩٩ – أخبار أبي عبد الله الشيعي القائم بدعوة العبيديين في ابن الأثير وابن عذاري واتعاظ الحنفا والدرة المضية وابن خلدون ، وتعد رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان من اكثر المصادر اسهاباً في تبيان جهوده في سبيل الدعوة العبيدية .

والشِّيعي – بكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها عين مهملة – هذه النسبة إلى من يتولى شيعة الإمام علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه .

ورَقّادةُ – بفتح الراء وتشديد القاف وبعد الألف دال مهملة وبعد الدال هاء ساكنة – مدينة من أعمال القَيرَوان من بلاد إفريقية[1] .

(29) وأما زيادة الله فقد ذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق » فقال[2] : هو أبو مضر زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب ابن إبراهيم بن سالم بن عقال بن خفاجة ، وهو زيادة الله الأصغر ، آخر ملوك بني الأغلب بإفريقية ، التميمي ، وقال : قدم دمشق سنة اثنتين وثلثمائة مجتازاً إلى بغداد حين غُلِبَ على ملكه بإفريقية ، ثم قال في آخر الترجمة : بلغني أن زيادة الله توفي بالرملة في سنة أربع وثلثمائة في جمادى الأولى منها ، ودفن بالرملة ، فساخ قبره فسُقِفَ عليه وترك مكانه ، وهو من ولد الأغلب بن عمرو المازني البصري ، وكان الرشيد ولّى عمراً المغرب بعد أن مات إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم ، فما زال بالمغرب إلى أن توفي وخلف ولده الأغلب ثم أولاده إلى أن صار الأمر إلى زيادة الله هذا . انتهى ما ذكره ابن عساكر .

وفي ترجمة أبي القاسم علي بن القطاع اللغوي هذا النسب ، وبينهما اختلاف قليل ، لكني نقلته على ما وجدته في الموضعين .

وقال غير ابن عساكر : توفي أبو مضر زيادة الله بن محمد بن إبراهيم بن الأغلب بالرقة ، وحمل تابوته إلى القدس الشريف ، ودفن بها في سنة ست وتسعين ومائتين ، وكانت مدة مملكته إلى أن خرج عن القيروان خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة عشر يوماً . وكان سبب خروجه من القَيرَوان أن أبا عبد الله الشيعي المذكور لما هزم إبراهيم بن الأغلب[3] ، بلغ الخبر زيادة الله المذكور فشد

---

١ هنا تنتهي هذه الترجمة في س ؛ وكل ما يلي موجود على هوامش مسودة المؤلف .
٢ انظر تهذيب ابن عساكر ٥ : ٣٩٥ (ولم يسق نسبه كاملا) ، وراجع الحلة السيراء ١ : ١٧٥.
٣ في افتتاح الدعوة : إبراهيم بن أبي الأغلب .

أمواله وأخذ خواص حرمه وخرج من رَقّـــادة ليلاً ، وبعد خروجه بُويعَ إبراهيم بن الأغلب[1] . وكانت مملكة بني الأغلب مائتي سنة واثنتي عشرة سنة وخمسة أشهر وأربعة عشر يوماً ، والشرح في ذلك يطول فاختصرته .

٢٠٠

حسان التنوخي

أبو ليلى حسان بن سنان بن أوفى بن عوف التنوخي وهو جد إسحاق بن البهلول ؛ [سمع أنس بن مالك رضي الله عنه ؛ روى عنـــه ابن ابنه إسحاق ، وقال أبو حاتم محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن البهلول : قال جدي إسحاق بن جدي حسان][2] قال : خرجت في وفد من أهل الأنبار إلى الحجاج إلى واسط نتظلم إليه من عامله علينا الرقيل ، فدخلنا ديوانه فرأيت شيخاً والناس حوله يكتبون عنه ، فسألت عنه فقيل لي : أنس بن مالك ، فوقفت عليه فقال لي : من أين ؟ فقلت : من الأنبار ، جئنا إلى الأمير نتظلم إليه ، فقال لي : بارك الله فيك ، فقلت : حدثني بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : سمعته يقول : مر بالمعروف وانهَ عن المنكر ما استطعت ؛ وأعجلني أصحابي فلم أسمع منه غير هذا الحديث ؛ [قال أبو حاتم] وكان إسحاق[3] يقول : أرجو أن أكون ممن سبقت [فيه] دعـــوة

[1] يؤخذ مما ورد في افتتاح الدعوة (الورقة ١٠٣) أن بيعة إبراهيم لم تتم وأن أهل القيروان قالوا له : اخرج عنا لا نبتلى من أجلك .

٢٠٠ - ترجمته في البداية والنهاية ١٠ : ١٧٥ وفيه حسان بن أبي سنان ابن أبي أوفى . وقد انفردت بهذه الترجمة النسخ : د ص ر ، ووردت في ص بعد الترجمة التالية ، ولم ترد في مسودة المؤلف .

[2] زيادة من ر .

[3] كذا ولعله : حسان .

رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : طوبى لمن رآني ولمن رأى من رآني . وكان من بركة دعاء أنس لحسان أنه عاش مائة سنة وعشرين سنة ، وخرج من أولاده جماعة فقهاء وقضاة ورؤساء وصلحاء [وكتاب وزهاد ؛ ولد حسان سنة ستين من الهجرة] ، وتوفي سنة ١٨٠ هـ ، رحمه الله تعالى [وكان أحياناً يكنى أبا العلاء] ولد بالأنبار على النصرانية وكانت دينه ودين آبائه [وكانت له حين أسلم ابنة بالغة فأقامت على النصرانية فلما حضرتها الوفاة أوصت لدير تنوخ بالأنبار] ؛ وكان حسان يتكلم ويقرأ ويكتب بالفارسية والسريانية والعربية ولحق الدولتين ، فلما قلد أبو العباس السفاح ربيعة الرأي قضاء الأنبار ، أتي بكتب مكتوبة بالفارسية فلم يحسن أن يقرأها ، [فطلب رجلاً] ثقة ديّناً يحسن قراءتها فدُلّ على حسان بن سنان فجيء به فكان يقرأ له الكتب الفارسية ، فلما اختبره رضي مذهبه واستكتبه على جميع أمره .

٢٠١

أبو سلمة الخلال

أبو سلَمَة حفص بن سليمان الخلال الهمداني مولى السَّبيع وزير أبي العباس السفاح أول خلفاء بني العباس ؛ وأبو سلمة أول من وقع عليه اسم الوزير[1] ، وشهر بالوزارة في دولة بني العباس ولم يكن مَن قبله يُعرف بهذا النعت ، لا في دولة بني أمية ولا في غيرها من الدول . وكان السفاح يأنس به ، لأنه كان ذا مفاكهة

٢٠١ - ترد أخبار أبي سلمة في مصادر الدعوة العباسية ، وانظر في مقتله تاريخ الطبري (حوادث : ١٣٢) والفخري : ١٣٧ - ١٣٩ ، وسائر المصادر التاريخية المتعلقة بتلك الفترة .

١ تكاد المصادر تجمع على هذا غير أن ابن خلدون يقول في مقدمته (٢ : ٦٠٦) عن بني أمية : « ثم استفحل الملك بعد ذلك فظهر المشاور والمعين في أمور القبائل والعصائب واستئلافهم وأطلق عليه اسم الوزير » .

حسنة وممتعاً في حديثه ، أديباً ، عالماً بالسياسة والتدبير، وكان ذا يسار ويعالج الصرف بالكوفة ، وأنفق أموالاً كثيرة في إقامة دولة بني العباس ، وصار إلى خُراسان في هذا المعنى، وأبو مسلم الخراساني يومئذ تابع له في هذا الامر، وكان يدعو إلى بيعة إبراهيم الإمام أخي السفاح ، فلما قتله مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية بحرّان وانقلبت الدعوة إلى السفاح ، توهموا من أبي سلمة المذكور أنه مال إلى العلويين ، فلما ولي السفاح واستوزره بقي في نفسه منه شيء ، فيقال : إن السفاح سيَّرَ إلى أبي مسلم وهو بخراسان يُعَرِّفه بفساد نية أبي سلمة ويحرّضه على قتله ، ويقال : إن أبا مسلم لما اطلع على ذلك كتب إلى السفـــاح وعرّفه بحاله وحسَّنَ له قتله ، فلم يفعل ، وقال : هذا الرجل بذل ماله في خدمتنا ونصحنا ، وقد صدرت منه هذه الزلة ، فنحن نغتفرها له .

فلما رأى أبو مسلم امتناعه من ذلك سيَّر جماعة كَمَنوا له ليلاً ، وكانت عادته أن يَسْمُرَ عند السفاح ، فلما خرج من عنده وهو في مدينته بالأنبار ولم يكن معه أحد وثَبُوا عليه وخبطوه بأسيافهم ، وأصبح الناس يقولون : قتلته الخوارج ، وكان قتله بعد خلافة السفاح بأربعة أشهر ، وولي السفاح الخلافة ليلة الجمعة ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة . ولما سمع السفاح بقتله أنشد :

إلى النار فَلْيَذهَبْ ومن كان مِثْلهُ   على أي شيء فاتَنا منه نأسفُ

وذكر في كتاب « أخبار الوزراء » أن قتله كان في رجب سنة اثنتـــين وثلاثين ومائة .

وكان أبو سَلَمَة يقال له : وزير آل محمد ، فلما قُتل عمل في ذلك سليمان ابن المهاجر البجلي :

إنَّ المَساءةَ قد تسرُّ وربمـــا   كان السرورُ بما كرهْتَ جَديرا
إنَّ الوزيرَ وزيرَ آلِ محمـــدٍ   أودى فمن يَشْناك كان وزيرا

ولم يكن خَلاّلاً ، وإنما كان منزله بالكوفة في حارة الخلالين ، فكان يجلس

عندهم لقرب داره منهم ، فسمي خَلاّلاً[1] .

والهَمْداني – بفتح الهاء وسكون الميم وفتح الدال المهملة وبعد الألف نون – وهذه النسبة إلى هَمْدان ، وهي قبيلة عظيمة باليمن .

والسبيع : يذكر في حرف العين عند ذكر أبي إسحاق السبيعي إن شاء الله تعالى .

وقد اختلف أرباب اللغة في اشتقاق الوزارة على قولين : أحدهما أنها من الوِزْر – بكسر الواو – وهو الحمل ، وكأن الوزير قد حمل عن السلطان الثقل ، وهذا قول ابن قتيبة ، والثاني : أنها من الوَزَر – بفتح الواو والزاي – وهو الجبل الذي يعتصم به لينجى به من الهلاك ، وكذلك الوزير معناه الذي يعتمد عليه الخليفة أو السلطان ويلتجىء إلى رأيه ، وهذا قول أبي إسحاق الزجاج ، والله أعلم[2] .

٢٠٢

حفص بن غياث القاضي

أبو عمرو حفص بن غياث بن طلق بن معاوية بن مالك بن الحارث بن ثعلبة ابن عامر بن ربيعة بن جشم بن وهبيل بن سعد بن مالك بن النخع بن مذحج

---

١ في ترجيح تلقيبه بالخلال رأيان آخران : أنه كانت له حوانيت يعمل فيها الخل أو أن اللقب نسبة إلى خلل السيوف وهي أغمادها .

٢ زاد الماوردي (الاحكام السلطانية : ٢٤) رأياً ثالثاً وهو أن الوزارة مشتقة من «الأزر» وهو الظهر ، لأن الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر .

٢٠٢ – ترجمته في طبقات الشيرازي ، الورقة : ٤٠ وعبر الذهبي ١ : ٢١٤ وتاريخ بغداد ٨ : ١٨٨ ورجال النجاشي : ٩٧ وميزان الاعتدال ١ : ٥٦٧ وتذكرة الحفاظ : ٢٩٧ وطبقات ابن سعد ٦ : ٢٧١ (الطبعة الاوروبية) وتهذيب التهذيب ٢ : ٤١٥ . وقد وردت هذه الترجمة في ص ر ، وثبت بعضها في مطبوعة وستنفيلد ، ولم ترد في مسودة المؤلف .

النخعي الكوفي ؛ سمع عبد الله بن عمر العمري وهشام بن عمرو وإسماعيل بن أبي خالد وأبا إسحاق الشيباني والأعمش وخلقاً سواهم ؛ روى عنه ابنه عمر وأبو نعيم الفضل بن دكين وعفان بن مسلمة وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعامة الكوفيين . ولي القضاء ببغداد وحدث بها ثم عزل وولي قضاء الكوفة ؛ قال حميد بن الربيع : لما جيء بعبد الله بن إدريس وحفص بن غياث ووكيع ابن الجراح إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد ليوليهم القضاء دخلوا عليه ، فأما ابن إدريس فقال : السلام عليكم ، وطرح نفسه كأنه مفلوج ، فقال هارون : خذوا بيد الشيخ ، لا فضل في هذا ؛ وأما وكيع فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أتصرف بها منذ سنة ، ووضع إصبعه على عينه ، وعنى إصبعه ، فأعفاه ؛ وأما حفص بن غياث فقال : لولا غلبة الدين والعيال ما وليت .

وكان حفص المذكور لما قربوا من بغداد طرّى خضابه فالتفت ابن إدريس إلى وكيع فقال : أما هذا فقد قبلها .

وقال حفص وهو قاض على الشرقية لرجل يسأل عن مسائل القضاء : لعلك تريد أن تكون قاضياً ؟ لأن يدخل الرجل إصبعه في عينه فيقلعها فيرمي بها خير له من أن يكون قاضياً .

وكان حفص يقول : لو رأيت أني اسر بما أنا فيه هلكت .

قال عمرو بن حفص بن غياث : لما حضرت أبي الوفاة أغمي عليه ، فبكيت عند رأسه فأفاق فقال : ما يبكيك ؟ قلت : أبكي لفراقك ولما دخلت فيه من هذا الأمر ، يعني القضاء ، فقال لابنه : يا بني ما حللت سراويلي على حرام قط ولا جلس بين يدي خصمان فباليت على من توجه الحكم بينهما .

وقال الخطيب : كان حفص بن غياث المذكور جالساً في الشرقية للقضاء ، فأرسل إليه الخليفة يدعوه ، فقال لرسوله : حتى أفرغ من أمر الخصوم ، إذ كنت أجيراً لهم ، وأصير إلى أمير المؤمنين ؛ ولم يقم حتى تفرق الخصوم .

وقال غنام بن حفص : مرض أبي خمسة عشر يوماً ، فدفع إلي مائة درهم وقال : امض بها إلى العامل وقل له هذه رزق خمسة عشر يوماً لم أحكم فيها بين المسلمين لا حظ لي فيها .

وقال : باع رجل من أهل خراسان جمالاً بثلاثين ألف درهم من مرزبان المجوسي وكيل أم جعفر فمطله ثمنها وحبسه عن سفره ، وطال ذلك على الرجل ، فأتى بعض أصحاب حفص بن غياث فشاوره فقال له : اذهب إليه فقل له : أعطني ألف درهم وأحيل عليك ببقية المال وأخرج إلى خراسان ، فإذا فعلت هذا فأخبرني حتى أشير عليك ؛ ففعل الرجل وأتى مرزبان فأعطاه ألف درهم فرجع إلى الرجل فأخبره فقال : عد إليه فقل له : إذا ركبت غداً فطريقك على القاضي تحضر ، وأوكل رجلاً بالقبض على المال وأخرج فإذا جلس إلى القاضي فادّعِ عليه بما بقي لك من المال ، فإذا أقر حبسه القاضي وأخذت مالك . فرجع إلى مرزبان فسأله فقال : انتظرني بباب القاضي ؛ فلما ركب من الغد وثب إليه الرجل وقال : إن رأيت أن تترك إلى القاضي حتى أوكل بقبض المال وأخرج ، فنزل مرزبان إلى حفص المذكور فقال الرجل : أصلح الله القاضي ، لي على هذا الرجل تسعة وعشرون ألف درهم، فقال حفص : ما تقول يا مجوسي؟ قال : صدق ، أصلح الله القاضي ، فقال القاضي : ما تقول يا رجل فقد أقرّ لك ، فقال : يعطيني مالي، فأقبل حفص على المجوسي فقال: ما تقول ؟ فقال : هذا المال على السيدة ، فقال : أنت أحمق تقر ثم تقول على السيدة ؟ ما تقول يا رجل ؟ قال : أصلح الله القاضي إن أعطاني مالي وإلا حبسته ، قال حفص : ما تقول يا مجوسي ؟ قال : المال على السيدة ، فقال حفص : خذوا بيده إلى الحبس ؛ فلما حُبس بلغ الخبر أم جعفر فغضبت وبعثت إلى السندي : وجّه إلى المرزبان ، وكانت القضاة تحبس الغرماء في مجلس الشرط، فأخرجه . وبلغ الخبر حفصاً فقال : أحبس أنا ويُخرِجُ السنديّ ؟ لا جلستُ مجلسي هذا أو يردّ مرزبان إلى الحبس ، فجاء السندي إلى أم جعفر فقال : الله الله فيّ ، إنه حفص ابن غياث وأخاف من أمير المؤمنين أن يقول لي : بأمر من أخرجته ؟ رديه إلى الحبس ، وأنا أكلم حفصاً في أمره ؛ فرجع مرزبان إلى الحبس فقالت أم جعفر لهارون : قاضيك هذا أحمق، حبس وكيلي واستخف به ، فمره لا ينظر في الحكم وتولّي أمره أبا يوسف ، فأمر لها بالكتاب وبلغ حفصاً الخبر فقال : أحضري شهوداً حتى أسجل لكِ على المجوسي ؛ وجلس حفص وسجّل على المجوسيّ بالمال ،

وورد كتاب هرون مع خادم فقال : هذا كتاب أمير المؤمنين، فقال: مكانك ؛ نحن في شيء حتى نفرغ منه ، فقال : كتاب أمير المؤمنين ، فقال : انظر ما يقال لك ، فلما فرغ حفص من السجل أخذ الكتاب من الخادم فقرأه فقال : اقرأ على أمير المؤمنين السلام وقل له إن كتابه ورد وقد أنفذت الحكم ، فقال الخادم : قد عرفت ما صنعت ، أبيت أن تأخذ كتاب أمير المؤمنين حتى تفرغ مما تريد؛ والله لأخبرنّ أمير المؤمنين بما فعلت ! فقال حفص : قل له ما أحببت، فجاء الخادم فأخبر هارون فضحك وقال للحاجب : مر لحفص بثلاثين ألف درهم ، فركب يحيى بن خالد فاستقبل حفصاً منصرفاً من مجلس القضاء فقال : أيها القاضي قد سررت أمير المؤمنين وأمر لك بثلاثين ألف درهم فما السبب ؟ فقال: تمم الله سرور أمير المؤمنين وأحسن حفظه وكلاءته ما زدت على ما أفعل كل يوم ، سجلت على مرزبان المجوسي بما وجب عليه ؛ قال يحيى بن خالد : فمن هذا سر أمير المؤمنين ، فقال حفص : الحمد لله كثيراً ، فقالت أم جعفر لهارون : لا أنا ولا أنت إلا أن تعزل حفصاً ، فأبى عليها ، ثم ألحت عليه فعزله عن الشرقية وولاه قضاء الكوفة ، فمكث عليها ثلاث عشرة سنة .

وكان أبو يوسف لما ولي حفص القضاء قال لأصحابه : تعالوا نكتب نوادر حفص ، فلما وردت احكامه وقضاياه على أبي يوسف قال له أصحابه : أين النوادر التي زعمت بكتبها ؟ قال : ويحكم إن حفصاً أراد الله فوفقه .

وقال حفص : والله ما وليت القضاء حتى حلت لي الميتة .

ومات رحمه الله ولم يخلف درهماً وخلف عليه تسعمائة درهم ديناً .

وكان يقال : خُتم القضاء بحفص بن غياث .

وقال الحسين بن المغيرة : رأى بعض الصالحين كأن زورقاً غرق بين الجسرين وفيه عشرون قاضياً ، فما نجا منهم إلا ثلاثة على سوءاتهم : حفص بن غياث والقاسم بن معن وشريك .

وقال يحيى بن معين : جميع ما حدّث به حفص بن غياث ببغداد والكوفة إنما هو من حفظه ، لم يخرج كتاباً ؛ كتبوا عنه ثلاثة آلاف وأربعة آلاف حديث من حفظه .

قال عبيد الله بن صالح العجلي : حدثني أبي قال : حفص بن غيـــاث ثقة مأمون فقيه وكان على قضاء الكوفة ، وكان وكيع ربما يُسأل عن الشيء فيقول: اذهبوا إلى قاضينا فاسألوه ، وكان شيخاً عفيفاً مسلماً .

ولد حفص بن غياث سنة سبع عشرة ومائة ومات سنة أربع وتسعين ومائة في العشر من ذي الحجة ، وقيل مات سنة ست وتسعين ومائة ، رحمه الله تعالى .

٢٠٣

الحكم بن عبدل

الحكم بن عبدل بن جبلة بن عمرو بن ثعلبة بن عقال بن بلال بن سعد بن حبال الأسدي ؛ شاعر مجيد مقدم في طبقته هجّاء خبيث اللسان من شعراء الدولة الأموية ، وكان أعرج أحدب ، ومنزله ومنشؤه الكوفة .

حدث العتبيُّ قال : كان الحكم بن عبدل الشاعر الأسدي أعرج لا تفارقه العصا فترك الوقوف بأبواب الملوك ، وكان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسوله فلا يحبس له رسول ولا تؤخر له حاجة ، فقال في ذلك يحيى بن نوفل :

عصى حكم في الدار أول داخلٍ ... ونحن على الأبواب نُقصى ونُحجبُ
وكانت عصا موسى لفرعون آيةً ... وهذي لعمر الله أدهى وأعجب
تطاع فلا تعصى ويحذر سخطها ... ويرغب في المرضاة منها ويرهب

٢٠٣ - ترجمته في الأغاني ٢ : ٣٦٠ وتهذيب ابن عساكر ٤ : ٣٩٦ والمختلف والمؤتلف : ٢٤٢ والفوات ١ : ٢٨٦ ؛ وورود ترجمته في الفوات يعد استدراكاً على ابن خلكان ومعنى ذلك أن ابن شاكر لم يجد هذه الترجمة في النسخة التي اطلع عليها من وفيات الأعيان ؛ وذكر ابن شاكر أن وفاة ابن عبدل كانت في حدود المائة ، وسياق الترجمة متابع لما في الأغاني ؛ وقد وردت في نسختي ص ر ومطبوعة وستنفيلد ولم ترد في مسودة المؤلف .

قال : فشاعت هذه الأبيات وضحك الناس منها ، فكان ابن عبدل بعد ذلك يقول ليحيى : يا ابن الزانية ما أردت من عصاي حتى صيرتهـــا ضحكة ، واجتنب أن يكتب عليها كما كان يفعل وكاتب الناس بحوائجه في الرقاع .

وكان للحكم بن عبدل صديق أعمى يقال له أبو عُليّة ، وكان ابن عبدل قد أقعد ، فخرجا ليلة من منزلها إلى منزل بعض اخوانها والحكم يحمل وأبو عُليّة يقاد ، فلقيها صاحب العسس بالكوفة فأخذهما فحبسها ، فلما استقرا في الحبس نظر الحكم إلى عصا أبي عُليّة موضوعة إلى جانب عصاه فضحك وأنشأ يقول :

حبسي وحبس أبي علي من أعاجيب الزمان
أعمى يقـــاد ومقعد لا الرّجل منه ولا اليدان
هذا بلا بصر هناك وبي يخب الحاملان
يا من رأى ضب الفلاة قرين حوت في مكان
طرفي وطرف أبي علي دهـــرنا متوافقـــان
من يقتحم بجـــواده فجـــوادنا عكازتان
طرفان لا علفاهمـــا يشرى ولا يتصاولان
هبني وإياه الحريـــق أكان يسطع بالدخان

وكان اسم أبي علية يحيى ، فقال الحكم فيه أيضاً :

أقول ليحيى ليلة السجن سادراً ونومي به نومُ الأسيرِ المقيّـد
أعنـّي على رعي النجوم ولحظها أعنكَ على تحبير شعرٍ مقصد
ففي حالتينـــا عبرةٌ وتفكـّرٌ وأعجبُ منها حبس أعمى ومقعد
كلانا إذا العكاز فـــارق كفه يخرّ صريعاً بل على الوجه يسجد
فعكازه يهدي إلى السبل اكمهـاً وأخرى مقام الرِجل قامت مع اليد

قال : وولي الشرطة بالكوفة رجل أعرج ثم ولي الإمارة آخر أعرج وخرج ابن عبدل – وكان أعرج – فلقي سائلاً أعرج قد تعرض للأمير يسأله فقال ابن عبدل للسائل :

ألقِ العصا ودع التحامل[1] والتمس عملاً فهذي دولةُ العرجانِ
لأميرنا وأمير شرطتنا معاً يا قومنا لكليهما رِجلان
فإذا يكونُ أميرنا ووزيره وأنا فإن الرابع الشيطان

فبلغت أبياته ذلك الأمير فبعث له مائتي درهم وسأله أن يكف عنه .

وقيل : قدم الحكم بن عبدل واسطاً على ابن هبيرة وكان بخيلاً ، فأقبل حتى وقف بين يديه فقال :

أتيتك في أمر من آمر عشيرتي وأعلى الأمور المفظعات جسيمها
فإن قلت لي في حاجتي أنا فاعلٌ فقد ثلجت نفسي وولت همومها

قال : أنا فاعل إن اقتصدت فيها حاجتك ؟ قال : غرم لزمنا ، قال : كم هو؟ قال : أربعة آلاف درهم ، قال : نحن مناصفوها ، قال : أصلح الله الأمير ، أتخاف علي التخمة إن أتممتها ؟ قال : أكره أن أعوّد الناس هذه العادة ، قال : فأعطني جميعها سرّاً وامنعني جميعها ظاهراً حتى تعود الناس المنع وإلا فالضرر واقعٌ عليك إن عودتهم نصف ما يطلبون ، فضحك ابن هبيرة وقال : ما عندنا غير ما بذلناه لك ، فجثا بين يديه ، وقال : امرأتي طالق إن أخذت أقل من أربعة آلاف درهم أو انصرفت وأنا غضبان ، فقال : اعطوه إياها قبحه الله فإنه ما علمت حلاّف مهين ، فأخذها وانصرف .

وقيل لما وقع الطاعون بالكوفة ومات منهم بنو زر بن حبيش العامري صاحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكانوا ظرفاء وبنو عم لهم ، فقال الحكم بن عبدل الغاضري يرثيهم :

أبعد بني زرٍ وبعد ابن جندل وعمرٍو أرجّي لذةَ العيش في خفضِ
مضوا وبقينا نأمل العيشَ بعدهم ألا إن من يبقى على إثر من يمضي

حدث الأصمعي قال : كانت امرأةٌ موسرة بالكوفة وكانت لها على الناس

[1] الأغاني : التحامق .

ديون، فاستعانت بابن عبدل في دينها وقالت : إني امرأة ليس لي زوجٌ ، وجعلت تعرّض بأنها تزوجه نفسها ، فقام ابن عبدل في دينها حتى استوفته فلما طالبها بالوفاء كتبت إليه :

سيخطيك الذي حاولت مني   فقطّعْ حبل وصلك من حبالي
كما أخطاك معروف ابن بشرٍ   وكنت تعدُّ ذلك رأسَ مالِ

وكان ابن عبدل أتى ابن بشر بالكوفة فسأله فقال : أخمسمائة أحب إليك العام أم ألف في قابل ؟ فقال : ألف في قابل ، فلما أتاه قال : ألف أحب إليك أم ألفان في قابل ؟ قال : فلم يزل ذلك دأبه حتى مات ابن بشر وما أعطاه شيئاً.

قال : ودخل ابن عبدل على عبد الملك بن مروان بن بشر فقال : ما أحدثت بعدي ؟ قال : خطبتُ امرأةً من قومي فردت عليّ جواب رسالتي بيتي شعر ، قال : وما هما ؟ وأنشده البيتين المذكورين ، فضحك عبد الملك وقال : ما أجود ما ذكرت بنفسك ، وأمر له بألفي درهم .

ومثل هذا قال عبد الملك بن مروان لرجلٍ: ما مالك ؟ قال : ما أكفّ به وجهي وأعود منه على صديقي ، قال : لقد لطفت في المسألة ، وأمر له بمالٍ .

وقريب من هذا قال قيس بن سعد لعجوز: كيف حالك ؟ قالت : ما في بيتي جرذ ، فقال : ما ألطف ما سألت ! لأملأن بيتك جرذاناً ، وأمر لها بمال .

وشخص الحكم بن عبدل مع عمر بن هبيرة إلى واسط فشكا إليه الضيقة فوهب له جارية من جواريه فواثبها ليلةَ صارت إليه فنكحها تسعة أو عشرة طلقاً واحداً ، فلما أصبحت قالت له : جُعلت فداك من أي الناس أنت ؟ قال: امرؤ من أهل الشام ، قالت : بهذا العمل غلبتم أهل العراق في حربكم .

٢٠٤

حماد بن أبي حنيفة

أبو إسماعيل حماد ابن الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت ؛ كان على مذهب أبيه ، رضي الله تعالى عنه ، وكان من الصلاح والخير على قَدم عظيم ، ولما توفي أبوه كانت عنده ودائع كثيرة من ذهب وفضة وغير ذلك وأربابُها غائبون وفيهم أيتام ، فحملها ابنُه حَمّاد المذكور إلى القاضي ليتسلَّمها منه ، فقال له القاضي : ما نقبلها منك ولا نخرجها عن يدك فإنك أهل لها وموضعها ، فقال حماد للقاضي : زنْها واقبضها حتى تبرأ منها ذمة أبي حنيفة ، ثم افعل ما بدا لك ، ففعل القاضي ذلك وبقي في وزنها أياماً ، فلما كمل وزنها استتر حماد فلم يظهر حتى دفعها إلى غيره .

(30) وكان ابنه إسماعيل[1] قاضي البصرة وعزل عنها بالقاضي يحيى بن أكثم ، ورأيت في كتاب « أخبار أبي حنيفة » أن القاضي يحيى بن أكثم لما وصل إلى البصرة وعزم إسماعيل بن حماد على السفر شَيَّعَه القاضي يحيى بن أكثم فكان الناس يدعون لإسماعيل ويقولون له : عففت عن أموالنـــا ودمائنا ، فيقول إسماعيل : وعن أبنائكم ، وكان يُعَرِّضُ بما يُتَّهم به القاضي يحيى بن أكثم . وقال إسماعيل المذكور : كان لنا جار طحان رافضي ، وكان له بغلان سمى أحدهما أبا بكر والآخر عمر ، فرمحه ذات ليلة أحَدُ البغلين فقتله ، فأخبر جَدّي أبو حنيفة به ، فقال : انظروا فإني إخال أن البغل الذي سماه عمر هو الذي رمحه ، فنظروا ، فكان كما قال .

وكانت وفاة حماد المذكور في ذي القعدة سنة ست وسبعين ومائة ، رحمه الله تعالى ، وسيأتي ذكر والده إن شاء الله تعالى .

---

٢٠٤ - انظر طبقات الشيرازي ، الورقة : ٤٠ .

١ ترجمة القاضي إسماعيل حفيد أبي حنيفة في الجواهر المضية ١ : ١٤٨ وتاريخ بغداد ٦ : ٢٤٣.

٢٠٥

حماد الراوية

أبو القاسم حَمّاد بن أبي ليلى سابورَ – وقيل ميسرة – بن المبارك بن عبيد الديلمي الكوفي مولى بني بكر بن وائل المعروف بالراوية، وقال ابن قتيبة في كتاب «المعارف» وفي كتاب «طبقات الشعراء»[1]: إنه مولى مكنف بن زيد الخيل الطائي الصحابي رضي الله عنه: كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولُغاتها، وهو الذي جمع السَّبْعَ الطوال فيما ذكره أبو جعفر النحاس، وكانت ملوك بني أمية تُقدّمه وتؤثره وتستزيره، فيفد عليهم وينال منهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها.

وقال له الوليد بن يزيد الأموي يوماً[2] وقد حضر مجلسه: بمَ استحققتَ هذا الاسم فقيل لك الراوية؟ فقال: بأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به، ثم أروي لأكثر منهم ممن تعترف أنك لا تعرفه ولا سمعتَ به، ثم لا ينشدني أحدٌ شعراً قديماً ومُحدَثاً إلا ميزت القديم من المحدث، فقال له: فكم مقدار ما تحفظ من الشعر؟ فقال: كثير، ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعراء الجاهلية دون شعراء الإسلام، قال: سأمتحنك في هذا، وأمره بالإنشاد، فأنشد حتى ضَجِرَ الوليد، ثم وكّلَ به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه، فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية، وأخبر الوليد بذلك، فأمر له بمائة ألف درهم.

٢٠٥ - ترجمة حماد الراوية في الأغاني ٦: ٦٧ وتهذيب ابن عساكر ٤: ٤٢٧ ولسان الميزان ٢: ٣٥٢ وخزانة البغدادي ٤: ١٢٩ ونزهة الالباء: ٢٣.

١ انظر المعارف: ٣٣٣، ٥٤١ والشعر والشعراء: ٢٠٦.

٢ م: قال له عبد الملك: لأي شيء سميت بالراوية؟ فقال: أروي لكل شاعر قدم أو محدث ... الخ.

[قال الطـّرمـّاح : أنشدت حماداً الراوية َ قصيدة َ لي ستـّين بيتاً فسكت ساعة ثم قال : أهذه لك ؟ قلت : نعم ، قال : ليس الأمر كذلك ، ثم ردّها عليّ كلها وزيادة ً عشرين بيتاً زادها في وقته .

دخل مطيع بن إياس ويحيى بن زياد على حماد الراوية فإذا سراجة على ثلاث قصبات قد جمع أعلاهن وأسفلهن بطين ، فقال له يحيى : يا حماد ، إنك لترف متبذل بحرّ المتاع ، وقال له مطيع : ألا تبيع هذه المنارة وتشتري بأقلّ ثمناً منها منارة تزيل بها عذرك وتنفق علينا وعلى نفسك الباقي وتتسع ؟ وقال له يحيى : ما أحسن ظنك به ! ومن أين له هذه المنارة ؟ هذه وديعة أو عارية ، وقال مطيع : إنه لعظيم الأمانة عند الناس ، قال يحيى : وعلى عظم أمانته فما أجهل من يخرج هذه من داره ويأمن عليها غيره ، قال مطيع : ما أظنها عارية ولا وديعة ولكني أظنها مرهونة عنده على مال وإلا فمن يخرج هذه من بيته ؟ فقال حماد : يرهنها من يدخلكما على بيته ليلقى عليها من أنواع المداعبة ، وهل عند أحد من المال ما يرهن ؟][1] .

وذكر أبو محمد الحريري صاحب كتاب « المقامـــات » في كتابه « دُرّة الغوّاص » ما مثاله[2] : قال حمّاد الرّاوية : كان انقطاعي[3] إلى يزيد بن عبد الملك بن مروان في خلافته ، وكان أخوه هشام يَجفُوني لذلك ، فلما مات يزيد وتولى هشام خفـْته ومكثت في بيتي سنة لا أخرج إلا إلى مَن أثِق إليه من إخواني سرّاً ، فلما لم أسمع أحداً ذكرني في السنـــة أمِنتُ ، فخرجت أصلي الجمعة ، وصليت في جامع الرُّصافة الجمعة ، فإذا شرطيان قد وقفا عليّ وقالا : يا حماد، أجِبِ الأمير يوسف بن عمر الثقفي – وكان والياً على العراق – فقلت في نفسي : مِنْ هذا كنت أخاف ، ثم قلت لهما : هل لكما أن تدَعاني حتى آتي أهلي فأودّعَهم وداع مَن لا يرجع إليهم أبداً ثم أصير معكما ؟ فقالا:

١ زيادة من د لم ترد في المسودة .
٢ انظر درة الغواص : ١٧٧ وفي نقل ابن خلكان بعض اختلاف . والقصة أيضاً في تهذيب ابن عساكر .
٣ الدرة : كنت منقطعاً .

ما إلى ذلك سبيل ، فاستسلمت في أيديها ، ثم صرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر ، فسلمت عليه فرد عليَّ السلام ورمى إلي كتاباً فيه « بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله هشامٍ أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر ؛ أما بعد ، فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية مَن يأتيك به من غير تَرْويع[1] ، وادفع له خمسمائة دينار وجَمَلاً مَهْريّاً يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق » . فأخذت الدنانير ، ونظرت فإذا جمل مرحول ، فركبته وسرتُ حتى وافيت دمشق في اثنتي عشرة ليلة ، فنزلت على باب هشام واستأذنت فأذن لي ، فدخلت عليه في دار قَوْراء مفروشة بالرخام وبين كل رخامتين قضيب ذهب وهشام جالس على طِنفِسَةٍ حمراء وعليه ثياب حمر من الخز وقد تَضَمَّخَ بالمسك والعنبر ، فسلمت عليه ، فرد علي السلام واستدناني فدنوت حتى قَبَّلتُ رجله ، فإذا جاريتان لم أر مثلها قط في أُذن كل جارية حلقتان فيها لؤلؤتان تَتَّقدان ، فقال : كيف أنت يا حماد ؟ وكيف حالك ؟ فقلت : بخير يا أمير المؤمنين ، فقال : أتدري فيمَ بعثت إليك ؟ قلت : لا ، قال : بعثت بسبب بيتٍ خطر ببالي لا أعرف قائله ، قلت : وما هو ؟ قال :

ودَعَوا بالصَّبُوح يوماً فجاءت قَينــــةٌ في يمينهـــا إبريقُ

فقلت : يقوله عَديُّ بن زيد العِبادِيُّ في قصيدة ، قال : أنشدنيهـــا ، فأنشدته :

بكَرَ العاذلون في وضَحِ الصبـ ـحِ يقولون لي أمَـــا تستفيقُ
ويلومونَ فيكِ يا ابنة عبد الـ ـه والقلبُ عِنـــدكم مَوْهُوق
لستُ أدري إذ أكثروا العَذلَ فيها أعَدُوٌّ يلومـني ، أم صديق[2]

قال حماد : فانتهيت فيها إلى قوله :

ودَعَوا بالصَّبُوح يوماً فجاءتْ قَينَـةٌ في يمينهـا إبريقُ

[1] الدرة : بغير تروّع .
[2] وردت القصيدة في ر دون حذف .

فدّمته على عُقـار كعين الـ   ديكِ صَفـَّى سُلافـَها الراووق
مزّةٍ قـَبلَ مَزْجها فإذا مـــا   مُزجتْ لذّ طـَعْمَهَا من يذوق
وطفا فوقها فقاقيعُ كاليـــا   قـُوتِ حُمرٌ يزينها التصفيق
ثم كان المزاجُ مـاء سحابٍ   لا صَرّى آجنٌ ولا مطرُوق

قال : فطرب هشام ، ثم قال : أحسنت يا حماد – وفي هذه الحكاية زيادة فانه قال : اسقيه يا جارية ، فسقتني ، وهذا ليس بصحيح ، فإن هشاماً لم يكن يشرب، فلا حاجة إلى ذكر تلك الزيادة – ثم قال: يا حماد، سل حاجتك، فقلت: كائنة ما كانت ؟ قال : نعم ، قلت : إحدى الجاريتين ، قال : هما جميعاً لك بما عليهما ومالهما ، وأنزله في داره ، ثم نقله من غدٍ إلى منزل أعدَّهُ له ، فوجد فيه الجاريتين ومالهما وكل ما يحتاج إليه ، وأقام عنده مدة ، ووصله بمائة ألف درهم . [قال حماد : فسرت وأنا أيسر خلق الله إلى الكوفة فقلت :

أنت الذي تنزل الأيام منزلهـــا   وتنقل الدهر من حالٍ إلى حالِ
وما مددتَ مدى طرف إلى أحد   إلا قضيت بأرزاق وآجـــال
تروم شحّاً فتمسي البيض [...]   وتستهل فتبكي أعين المـال][1]

قلت : هكذا ساق الحريري هذه الحكاية، وما يمكن أن تكون هذه الواقعة مع يوسف بن عمر الثقفي لأنه لم يكن والياً بالعراق في التاريخ المذكور بل كان متوليه خالد بن عبد الله القَسْري – الآتي ذكره إن شاء الله تعـــالى – حسبما يقتضيه تاريخ ولايته وانفصاله وولاية يوسف بن عمر في ترجمته أيضاً .

وأخبار حماد ونوادره كثيرة .

وكانت وفاته سنة خمس وخمسين ومائة، ومولده في سنة خمس وتسعين للهجرة. وقيل إنه توفي في خلافة المهدي ، وتولى المهدي الخلافة يوم السبت لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ، وتوفي ليلة الخميس لسبع بقين من المحرم

١ زيادة من ر ولم ترد في درة الغواص أو في مسودة المؤلف .

سنة تسع وستين ومائة بقرية يقال لها الرذ[1] ، من أعمال ماسبذان ، وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة :

وأكرَمُ قبر بعدَ قبرِ محمدٍ نبيِّ الهدى قبرٌ بماسبذانِ
عجبتُ لأيدٍ هالَتِ التُّربَ فوقه ضحًى كيفَ لمْ ترْجع بغيرِ بنانِ

ولما مات حماد الراوية رثاه أبو يحيى محمد بن كناسة ، وهو لقبه ، واسمه عبد الأعلى بن عبد الله بن خليفة بن نَضلة بن أُنَيف بن مازن بن ذويبة بن أسامة ابن نصر بن قُعَين ، بقوله :

لو كانَ ينجي مِنَ الردى حذرٌ نَجّاكَ مما أصابكَ الحَذَرُ
يرحمكَ الله منْ أخي ثقةٍ لم يكُ في صفوِ ودّهِ كدر
فهكذا يفسدُ الزمان ويفنى العلم فيه ويَدرُسُ الأثر

وكان حماد المذكور قليل البضاعة من العربية ، قيل إنه حفظ القرآن الكريم من المصحف ، فصحّف في نَيِّفٍ وثلاثين حرفاً ، رحمه الله تعالى .

٢٠٦

حماد عجرد

أبو عمرو – وقيل أبو يحيى – حَمّاد بن عمر بن يونس بن كليب الكوفي – وقيل الواسطي – مولى بني سَوْأة بن عامر بن صَعصعة المعروف بعَجرَد

---

[1] ذكرها ياقوت وقال إنها قرية بماسبذان قرب البندنيجين ، بها قبر أمير المؤمنين المهدي ؛ وعند وستنفيلد وص : الود ، وفي ر م : ألوذ .

٢٠٦ ـ ترجمة حماد عجرد في طبقات ابن المعتز : ٦٧ والشعر والشعراء : ٦٦٣ والأغاني ١٤ : ٣٠٤ وتاريخ بغداد ٨ : ١٤٨ والمؤتلف والمختلف : ١٥٧ ومعجم الأدباء ١٠ : ٢٤٩ .

الشاعر المشهور؛ هو من مُخَضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، ولم يشتهر إلا في العباسية ، ونادم الوليد بن يزيد الأموي ، وقدم بغداد في أيام المهدي ، وقال علي بن الجعد : قدم علينا في أيام المهدي هؤلاء القوم : حماد عجرد ومطيع بن إياس الكناني ويحيى بن زياد ، فنزلوا بالقرب منا فكانوا لا يُطاقون خبثاً ومجانة.

وهو من الشعراء المجيدين ، وبينه وبين بشار بن برد أهاجٍ فاحشة ، وله في بشار كل معنى غريب ، ولولا فحشها لذكرت شيئاً منها ، وكان بشار يضج منه ، وقال بشار في حماد[1] :

إذا جئتَهُ في الحي أغلَقَ بابه ... فلمْ تَلقَهُ إلا وأنت كَمينُ
فقُلْ لأبي يَحْيى مَتى تَبلُغ العُلا ... وفي كل مَعروف عليك يَمينُ

وفيه يقول بشار أيضاً[2] :

نِعْمَ الفتى لو كان يَعْبُدُ رَبَّهُ ... ويُقيمُ وقتَ صلاته حمادُ
وابْيَضَّ من شُرْب المدامة وجهُهُ ... وبَياضه يومَ الحساب[3] سَوادُ

وكان يَبري النَّبْل ، وقيل إن أباه كان يبري النبل[4] ، وإنه هو لم يتعاط شيئاً من الصنائع . وكان ماجناً ظريفاً خليعاً مُتَّهماً في دينه بالزندقة ؛ يحكى أنه كانت بينه وبين أحد الأئمة الكبار — وما يليق التصريح بذكر اسمه[5] — مودة ، ثم تقاطعا ، فبلغه عنه أنه يتنقصه ، فكتب إليه :

إن كان نسكك لا يَتِمُّ ... بغيرِ شَتمي وانتقاصي
فاقعدْ وقُمْ بي كيفَ شئـ ... ـتَ مع الأداني والأقاصي

١ ديوان بشار : ٢٢٠ - ٢٢١ ، وذكر جامع الديوان أن الأبيات في هجاء عبد الله بن قزعة .
٢ ديوان بشار : ٧٠ .
٣ م : المعاد .
٤ اكتفى في م بقوله : وكان وأبوه يبريان النبل .
٥ صرّحت به المصادر وتحرّج في ذكره المؤلف ، انظر الاغاني ١٤ : ٣١٦ .

فلَطالما زكّيتَني وأنا المصرّ[1] عَلى المعاصي
أيامَ نأخُذُها ونعطي في أباريق الرّصاص

ومن شعره أيضاً :

فأقسمتُ لو أصبحتُ في قَبضَةِ الهوى لأقصرْتَ عن لومي وأطنبتَ في عُذْري
ولكنْ بلائي منكَ أنكَ ناصحٌ وأنكَ لا تدْري بأنكَ لا تدري

[وذكر ابن قتيبة في كتاب «طبقات الشعراء» قال[2] : كان في الكوفة ثلاثة يقال لهم الحمادون : حماد عجرد وحماد الراوية وحماد بن الزبرقان النحوي، وكانوا يتعاشرون وكانوا كلهم يُرمون بالزندقة .

وقيل إن حماد عجرد أهدى إلى مطيع بن إياس غلاماً وكتب معه: قد أهديت إليك من يُتعلم عليه كظم الغيظ .

ولما أُقعد حماد عجرد لتأديب ولد الأمين قال بشار بن برد :

قل للأمين جزاك الله صالحةً لا تجمع الدهر بين السخل والذيب
فالسخل يعلم أن الذئب آكله والذئب يعلم ما في السخل من طيب

وقال أيضاً :

يا أبا الفضل لا تنم وقع الذئب في الغنم
إن حماد عجرد شيخ سوءٍ قد اغتلم
بين فخذيه حربة في غلاف من الأدم
إن رأى ثَمّ غفلةً محج الميم في القلم

فشاعت الأبيات ، فأمر الأمين أن يخرج حماد .

١ الاغاني : المقيم .
٢ انظر الشعر والشعراء : ٦٦٣ .

ومن شعر حماد عجرد :

إن الكريم ليخفي عنك عسرته ... حتى تراه غنياً وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل ... زرق العيون عليها أوجه سود
إذا تكرهت أن تعطي القليل ولم ... تقدر على سعةٍ لم يظهر الجود
بث النوال ولا يمنعك قلته ... فكل ما سدّ فقراً فهو محمود][1]

وأشعاره وأخباره مشهورة .

وتوفي في سنة إحدى وستين ومائة ، رحمه الله تعالى . وقيل : كان من أهل واسط ، وقتله محمد بن سليمان بن علي عامل البصرة بظاهر الكوفة على الزندقة في سنة خمس وخمسين ومائة ، وقيل : خرج من الأهواز يريد البصرة ، فمات في طريقه ، فدفن على تل هناك ، وقيل : مات سنة ثمان وستين ومائة .

ولما قتل المهدي بشار بن برد المقدم ذكره بالبطيحة ، حُمل ودفن على حماد عجرد ، فمرّ على قبرَيهما أبو هشام الباهلي ، فكتب عليهما[2] :

قدْ تبعَ الأعمى قَفا عَجْرَدٍ ... فأصبَحا جارَينِ في دارِ
صارا جميعاً في يَدَي مالكٍ ... في النار ، والكافرُ في النار
قالَتْ بقاعُ الأرض لا مَرْحَباً ... بقُرْب حَمّادٍ وبَشّار

وعَجْرَد – بفتح العين المهملة وسكون الجيم وفتح الراء وبعدها دال مهملة – وهو لقب عليه ، وإنما قيل له ذلك لأنه مر به أعرابي وهو غلام يلعب مع الصبيان في يوم شديد البرد وهو عُريان ، فقال له : لقد تَعَجْرَدتَ يا غلام ، والمتعجرد : المتعرّي .

والمخضرم – بضم الميم وفتح الخاء المعجمة وسكون الضاد المعجمة وفتح الراء وبعدها ميم – أصل هذه اللفظة أن تطلق على الشاعر الذي أدرك الجاهلية

١ زيادة من ص د ولم ترد في مسودة المؤلف .
٢ انظر الاغاني ١٤ : ٣٦٣ .

والإسلام مثل لبيد والنابغة الجعدي وغيرهما ، ثم تُوسِّع فيها حتى صارت تطلق على من أدرك دولتين ، وسمع في ذلك أيضاً محضْرَم بالحاء المهملة وسمع بكسر الراء أيضاً .

٢٠٧

أبو سليمان الخطابي

أبو سليمان حمْدُ بن محمد بن إبراهيم بن الخَطاب الخطّابي البُسْتي ؛ كان فقيهاً أديباً محدثاً له التصانيف البديعة منها « غريب الحديث » و « معالم السنن في شرح سنن أبي داود » و « أعلام السنن في شرح البخاري » وكتاب « الشحاح »[١] وكتاب « شأن الدعاء » وكتاب « إصلاح غلط المحدثين » وغير ذلك .

سمع بالعراق أبا علي الصَّفّار وأبا جعفر الرَّزّاز وغيرهما ، وروى عنه الحاكم أبو عبد الله ابن البيّع النيسابوري وعبد الغفار بن محمد الفارسي وأبو القاسم عبد الوهاب بن أبي سهل الخطابي وغيرهم ، وذكره صاحب « يتيمة الدهر » ، وأنشد له[٢] :

وما غُمّة[٣] الإنسان في شُقّة النَّوى ولكنها والله في عَدَمِ الشّكلِ

---

٢٠٧ - ترجمة أبي سليمان الخطابي في انباه الرواة ١ : ١٢٥ (تحت أحمد) ويتيمة الدهر ٤ : ٣٣٤ ومعجم الأدباء ٤ : ٢٤٦ وشذرات الذهب ٣ : ١٥٠ وبغية الوعاة : ٢٣٩ ، وانظر أنساب السمعاني واللباب : (الخطابي) وتذكرة الحفاظ : ١٠١٨ وخزانة الادب ١ : ٢٨٢ وطبقات السبكي ٢ : ٢١٨ ، ومن كتبه المنشورة : رسالة له في اعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل، نشر دار المعارف) ورسالة في العزلة (إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة : ١٣٥٢ هـ) ومعالم السنن (في مجلدين) . وله مؤلفات أخرى ذكرها ياقوت .

١ وكتاب الشحاح : لم يذكر إلا في ص ر والمسودة .

٢ اليتيمة : ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

٣ كذا في المسودة ؛ وفي سائر النسخ : غربة .

وإني غريبٌ بين بُسْتَ وأهلها وإن كان فيها أُسْرَتي وبها أهلي

وأنشد له أيضاً :

شر السباع العَوادي دُونَهُ وزرُ والناسُ شَرُّهُمُ ما دونه وزرُ
كم معشرٍ سلموا لم يؤذِهم سَبُعٌ وما ترى بشراً لم يؤذه بَشَرُ

وأنشد له أيضاً :

فسامح ولا تَستوفِ حقك كله وأبق فلم يَستَقص ِقَطُّ كريمُ
ولا تَغلُ في شيء من الأمر واقتَصد كلا طرَفَيْ قصدِ الأمور ذميمُ

وذكر له أشياء غير ذلك . وكان يشبَّه في عصره بأبي عبيد القاسم بن سَلاّم علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتدريساً وتأليفاً . وكانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وثلثمائة بمدينة بُسْتَ ، رحمه الله تعالى .

والخَطّابي – بفتح الخاء المعجمة وتشديد الطاء المهملة وبعد الألف باء موحدة – وهذه النسبة إلى جده الخطّاب المذكور ، وقيل إنه من ذرية زيد بن الخطاب ، رضي الله تعالى عنه ، فنسب إليه ، والله أعلم .

والبُستي – بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة وبعدها تاء مثناة من فوقها – هذه النسبة إلى بُستَ ، وهي مدينة من بلاد كابل بين هراة وغَزْنة كثيرة الأشجار والأنهار .

وقد سمع في اسم أبي سليمان حَمْدٍ المذكور أحمدُ أيضاً – بإثبات الهمزة – والصحيح الأول ؛ قال الحاكم أبو عبد الله محمد بن البَيّع : سألت أبا القاسم المظفَّر ابن طاهر بن محمد البستي الفقيه عن اسم أبي سليمان الخطابي أحمد أو حمْد فإن بعض الناس يقول أحمد ، فقال : سمعته يقول : اسمي الذي سميت به حَمْد ، ولكن الناس كتبوا أحمد ، فتركته عليه[1] . وقال أبو القاسم المذكور : أنشدنا أبو سليمان لنفسه :

---

[1] وقد سمع ... عليه : سقطت هذه الفقرة من م .

ما دُمتَ حيّاً فدارِ الناسَ كلَّهمُ فإنما أنت في دار المُـــداراة
مَن يدرِ داری ومن لم يدر سوف يُری عمّـــا قليلٍ نديماً للندامـــاتِ

٢٠٨

حمزة الزيات

أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي المعروف بالزيات ، مولى آلِ عِكرِمَةَ بن رِبْعِيٍّ التيميّ ؛ كان أحد القُرّاء السبعة ، وعنه أخذ أبو الحسن الكسائي القراءة ، وأخذ هو عن الأعمش ، وإنما قيل له « الزيات » لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حُلْوان ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة ، فعُرِف به .

وتوفي سنة ست وخمسين ومائة بحلوان وله ست وسبعون سنة ، رحمه الله تعالى .

وحُلْوان – بضم الحاء المهملة وسكون اللام وفتح الواو وبعد الألف نون – وهي مدينة في أواخر سَواد العراق مما يلي بلاد الجبل .

وربعيّ : بكسر الراء وسكون الباء الموحدة وكسر العين المهملة وتشديد الياء .

٢٠٨ – ترجمته في تهذيب التهذيب ٣ : ٢٧ وغاية النهاية ١ : ٢٦١ وميزان الاعتدال ١ : ٦٠٥ وقد ولد حمزة بن حبيب سنة ٨٠ هـ هو وأبو حنيفة في عام واحد . قال الذهبي : قد انعقد الاجماع بأخرة على تلقي قراءة حمزة بالقبول والانكار على من تكلم فيها، فقد كان من بعض السلف في الصدر الأول فيها مقال . وقيل توفي سنة ١٥٨ .

٢٠٩

حنين بن إسحاق

أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي الطبيب المشهور ؛ كان إمام وقته في صناعة الطب ، وكان يعرف لغة اليونانيين[١] معرفة تامة وهو الذي عَرّب كتاب أُقليدُس ونقله من لغة اليونان إلى اللغة العربية ، وجاء ثابت بن قُرة المقدم ذكره فنقحه وهذبه ، وكذلك كتاب المجسطي ، وأكثر كتب الحكماء والأطباء فإنها كانت كلها بلغة اليونان فعربت ، وكان حُنين المذكور أشدّ الجماعة اعتناء بتعريبها ، وعرّب غيره أيضاً بعض الكتب ، ولولا ذلك التعريب لما انتفع أحد بتلك الكتب لعدم المعرفة بلسان اليونان ، لا جرم كل كتاب لم يعربوه باقٍ على حاله ولا ينتفع به إلا من عرف تلك اللغة . وكان المأمون مُغرماً بتعريبها وتحريرها وإصلاحها ، ومن قبله جعفر البرمكي وجماعة من أهل بيته أيضاً اعتنوا بها ، لكن عنـــاية المأمون كانت أتم وأوفر . ولحنين المذكور في الطب مصنفات مفيدة كثيرة – وقد تقدم ذكر ولده إسحاق في حرف الهمزة – ؛ ورأيت في كتاب « أخبار الأطباء » أن حنيناً المذكور كان في كل يوم عند نزوله من الركوب يدخل الحمام فيصبّ عليه الماء ، ويخرج فيلتفّ في قَطيفة ، ويشرب قدح شراب ويأكل كعكة ، ويتكىء حتى ينشف عرقه ، وربما نام ، ثم يقوم ويتبخر ويقدم له طعامه وهو فَرّوجٌ كبير مُسمّن قد طُبخ زيرباجاً ورغيف وزنه مائتا درهم فيحسو من المرقة ويأكل الفروج والخبز وينام ، فإذا انتبه شرب أربعة أرطال شراباً عتيقاً ، فإذا اشتهى الفاكهة الرطبة أكل التفاح الشامي[٢] والسَّفَرْجَل ،

٢٠٩ – ترجمة حنين بن إسحاق في الفهرست : ٢٩٤ وابن أبي أصيبعة ١ : ١٨٤ وتاريخ الحكماء : ١١٧ وقال ابن النديم انه كان فصيحاً في اليونانية والسريانية والعربية . وله مؤلفات عدا ما نقله .

١ أ ح : اللغة اليونانية .

٢ هـ : الدمشقي .

وكان ذلك دأبه إلى أن مات يوم الثلاثاء[1] لست خلون من صفر سنة ستين ومائتين.

وقد سبق في ترجمة ولده نسبة العِبادي إلى أي شيء هي .

واليونانيون كانوا حكماء متقدمين على الإسلام ، وهم من أولاد[2] يونان بن يافث ابن نوح عليه السلام ، وهو بضم الياء المثناة من تحتها وسكون الواو وبين النونين ألف .

٢١٠

ابن حيان صاحب المقتبس

أبو مَرْوان حَيّان بن خَلَف بن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن وَهْب بن حيان مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ؛ هو من أهل قُرطبة ، وله كتاب « المقتبس في تاريخ الاندلس » في عشر مجلدات ، وكتاب « المتين »[3] في تاريخها أيضاً في ستين مجلداً .

ذكره أبو علي الغساني فقال : كان عالي السن[4] قوي المعرفة متبحراً في الآداب بارعاً فيها ، صاحب لواء التاريخ بالاندلس ، أفصح الناس فيه وأحسنهم نظماً له ، لزم الشيخ أبا عمرو ابن أبي الحباب النحوي صاحب أبي علي القالي وأبا العلاء صاعد بن الحسن الرَّبَعيّ البغدادي ، وأخذ عنه كتابه المسمى

١ هـ : السبت ؛ وفي الفهرست كما ثبت في المتن .

٢ أ ج : من ولد .

٢١٠ - ترجمة ابن حيان مؤرخ الاندلس في جذوة المقتبس : ١٨٨ والصلة : ١٥٤ وتكملة بروكلمان ١ : ٥٧٨ وقد نشر من كتابه « المقتبس » قطعتان ، احداهما بعناية ملشور انطونية (باريس ١٩٣٧) والثانية بعناية الدكتور عبد الرحمن الحجي (بيروت ١٩٦٥) ويعد الثالثة للنشر الدكتور محمود مكي .

٣ يرد هذا الكتاب أحياناً في المصادر باسم « المبين » .

٤ أ : الهمة .

بـ « الفصوص » وسمع الحديث . وسمعته يقول : التهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة[1] ، والتعزية بعد ثلاث إغراء بالمصيبة .

وتوفي يوم الأحد لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة تسع وستين وأربعمائة ، ودفن من يومه بعد العصر بمقبرة الرَّبض . ومولده سنة سبع وسبعين وثلثمائة .

ووصفه الغساني بالصدق فيما حكاه في تاريخه . وأخبر أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عون قال : كان ابن حيان فصيحاً في كلامه ، بليغاً فيما يكتبه[2] بيده ، وكان لا يتعمد كذباً فيما يحكيه في تاريخه من القصص والأخبار ، قال : ورأيته في النوم بعد وفاته مقبلاً إلي ، فقمت إليه وسلم علي وتبسم في سلامه ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، فقلت له : فالتاريخ الذي صنفت ندمت عليه ؟ قال : أما والله لقد ندمت عليه ، إلا أن الله عز وجل بلطفه عفا عني وغفر لي .

وذكره أبو عبد الله الحميدي في « جذوة المقتبس » وابن بَشكُوال في « الصلة » ، رحمهم الله تعالى أجمعين .

---

١ ه : بالمولود .
٢ أ ج : يحكيه .

حرف الخاء

٢١١

خارجة بن زيد

أبو زيد خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ؛ – وقد تقدم ذكر أبي بكر ابن عبد الرحمن في حرف الباء ، وذكرتُ في ترجمته البيتين الجامعين لأسماء الفقهاء السبعة – وكان خارجة المذكور تابعياً جليل القدر، أدرك زمان عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، وأبوه[١] زيد بن ثابت رضي الله عنه من أكابر الصحابة . وفي حقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفرَضُكُمْ زيد » .

توفي خارجَةُ سنة تسع وتسعين للهجرة ، وقيل سنة مائة ، رضي الله عنه ، بالمدينة .

وذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي في « الطبقات »[٢] أن خارجة قال: رأيت في المنام كأني بنيتُ سبعين درَجَةً ، فلما فرغت منها تدهْوَرْتُ[٣] ، وهذه السنة لي سبعون سنة قد أكملتها ؛ قال : فمات فيها . وروى عنه الزهري ، رحمهما الله تعالى .

٢١١ – ترجمة خارجة بن زيد في رجال ابن حبان : ٦٤ والعبر ١ : ١١٩ وحلية الاولياء ٢ : ١٨٩ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ١٣ .

١ ج : وكان أبوه .

٢ انظر طبقات ابن سعد ٥ : ٢٦٢ – ٢٦٣ .

٣ الطبقات : تهورت .

٢١٢

خالد بن يزيد بن معاوية

أبو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي ؛ كان من أعلم قريش[١] بفنون العلم ، وله كلام في صناعة[٢] الكيمياء والطب ، وكان بصيراً بهذين العلمين مُتقِناً لهما ، وله رسائل دالة على معرفته وبراعته ، وأخذ الصناعة عن رجل من الرُّهْبان يقال له مريانس الراهب[٣] الرومي ، وله فيها ثلاث رسائل تضمنت إحداهُنَّ ما جرى له مع مريانس الراهب المذكور، وصورة تعلمه منه، والرموز التي أشار إليها ، وله فيها أشعار كثيرة مطولات ومقاطيع دالة[٤] على حسن تصرفه وسعة علمه . وله شعر جيد فمنه :

تجولُ خَلاخيلُ النساء ، ولا أرى   لِرَمْلَةَ خَلخالاً يجول ولا قُلْبا
[فلا تكثروا فيها الملام فإنني   تخيرتها منهم زبيرية قلبا][٥]

٢١٢ - ترجمة خالد بن يزيد الأموي في الفهرست : ٣٥٤ وتهذيب ابن عساكر ٥ : ١١٦، وانظر تاريخ الحكماء : ٤٤٠ وكتاب :

Julius Ruska, Arabische Alchemisten, 1 Chalid ibn Jazid ibn Mu'awija, Heidelberg, 1924.

ويقول دي ميبلي في كتابه العلم عند العرب (الترجمة العربية ص ٩٩ ط. القاهرة ١٩٦٢) في الحديث عن صلة خالد بالعلوم القديمة : « وليس ذلك كله إلا أسطورة محضاً على الأخص ما ذكروه من تبحره في علم الصنعة » .

١ أ ج : الناس .

٢ ه : صنعة ، وسقطت الكلمة من م .

٣ أثبتنا كلمة « الراهب » عن م ولم ترد في المسودة ؛ وفي أ : بريانس ؛ ه : مرياقش ؛ ولعل مريانوس أو مورينوس هو الصورة الاصلية للاسم عند من يثبت وجود مثل هذا الراهب .

٤ ج : تدل .

٥ زيادة من ص وحدها .

أحبُّ بني العوّام من أجل حبِّها ومِن أجلها أحبَبتُ أخوالَها كلْبا[1]

وهي طويلة، ولها قصة مع عبد الملك بن مروان أضربنا عن ذكرها لشهرتها.

وكان له أخ يسمى عبد الله، فجاءه يوماً وقال: إن الوليد بن عبد الملك يعبث بي ويحتقرني، فدخل خالد على عبد الملك والوليد عنده، فقال: يا أمير المؤمنين، الوليد ابن أمير المؤمنين قد احتقر ابن عمه عبد الله واستصغره، وعبد الملك مُطْرِق فرفع رأسه وقال: ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾ (النمل: ٣٤) فقال خالد: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مُترَفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمَّرناها تدميراً﴾ (الاسراء: ١٦) فقال عبد الملك: أفي عبد الله تكلمني؟ والله لقد دخَلَ علي فما أقام لسانه لحناً، فقال خالد: أفعلى الوليد تعول؟ فقال عبد الملك: إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان، فقال خالد: وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالد، فقال له الوليد: اسكت يا خالد، فوالله ما تُعَدُّ في العير ولا في النفير، فقال خالد: اسمع يا أمير المؤمنين، ثم أقبل على الوليد فقال: ويحك! ومَن العيرُ والنفير غيري؟ جدي أبو سفيان صاحب العِير، وجدي عُتبَة بن ربيعة صاحب النفير، ولكن لو قلت: غُنَيمات وحبيلات والطائف ورَحِمَ الله عثمان، لقلنا صدقت.

وهذا الموضع يحتاج إلى تفسير، فقوله «العِير» فهي عِيرُ قريش التي أقبل بها أبو سفيان من الشام، فخرج إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة ليغنموها، فبلغ الخبر أهل مكة فخرجوا ليدفعوا عن العير، وكان مقدَّم القوم

١ زاد في د بعد هذا البيت:

فإن تسلمي نسلم وإن تتنصري يخط رجال بين أعينهم صلبا

وذكر هذا البيت الاخير لعبد الملك فقال خالد: يا أمير المؤمنين على قائله لعنة الله. اهـ (ثم أورد الحكاية التالية بصورة أخرى وفيها: ان عبد الله قال لأخيه خالد: هممت اليوم أن أفتك بالوليد بن عبد الملك، فقال له خالد: بئس ما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين، فقال عبد الله: ان خيلي مرت فتعبث بها وأصغرني، فقال له خالد: أنا أكفيكه، ودخل على عبد الملك ... الخ).

عُتْبَة[1] بن ربيعة ، فلما وصلوا إلى المسلمين كانت وقعة بدر ، وكل واحد من أبي سفيان وعتبة جد خالد المذكور ، أما أبو سفيان فمن جهة أبيه ، وأمـا عتبة فلأن ابنَتَه هند أُم معاوية جد خالد .

وقوله « غنيمات وحبيلات — إلى آخر كلامه » فإنه أشار إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نفى الحكم بن أبي العاص وكان جد عبد الملك المذكور إلى الطائف كان يَرْعى الغنم ويأوي إلى حُبَيْلة وهي الكَـرْمة ، ولم يزل كذلك حتى ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة فردَّه ، وكان الحكم عمَّه ، ويقال: إن عثمان رضي الله عنه كان قد أذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم في رَدِّه متى أفضى الأمر إليه .

وأخبار خالد كثيرة ، وفي هذا القدر منها كفاية . وكانت وفاته سنة خمس وثمانين للهجرة ، رحمه الله تعالى .

٢١٣

خالد بن عبد الله القسري

أبو يزيد وأبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُـرْز البَجَلِيُّ ثم القَسْريُّ ؛ ذكره هشام بن الكلبي في كتاب « جمهرة النسب » ، فقال : هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كُـرْز بن عامر بن عبد الله بن عبد شَمْس ابن غمغمة بن جرير بن شِقّ بن صَعْب بن يَشْكر بن رهم بن أفرك بن أفصى بن نُذير بن قَسْر ، وهو مالك ، بن عَبْقَر بن أنمار بن أراش بن عمرو بن

١ م : يقدمهم عتبة .

٢١٣ ـ ترجمة خالد بن عبد الله القسري في كتب التاريخ التي تتحدث عن خلافـة هشام كالطبري والمسعودي واليعقوبي وابن الاثير وابن خلدون ... الخ . وراجع الاغاني ٢٢ : ٥ وابن عساكر ٥ : ٦٧ .

الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كَهْلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُبَ ابن قَحْطان[1] ، قال ابن ماكولا : يقال القسري والقصري .

كان أمير العراقين من جهة هشام بن عبد الملك الأموي ، وولي مكة سنة تسع وثمانين للهجرة ، وأمه نصرانية ، وكان لجده يزيد صحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان خالد معدوداً من جملة[2] خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة[3] ، وكان جَوَاداً كثير العطاء ، دخل عليه شاعر يوم جلوسه للشعراء وقد مدحه ببيتين ، فلما رأى اتساع الشعراء في القول استصغر ما قال ، فسكت حتى انصرفوا ، فقال له خالد : ما حاجتك ؟ فقال: مدحت الأمير ببيتين، فلما سمعت قول الشعراء احتقرت بيتيّ ، فقال : ما هما ؟ فأنشده[4] :

تَبَرَّعْتَ لي بالجود حتى نَعَشْتَنِي ... وأعْطَيتني حتى حَسِبْتُكَ تلعبُ
فأنت النّدَى وابن الندى وأبو الندى ... حليف الندى ما للندى عنك مَذْهبُ

فقال : ما حاجتك ؟ فقال : عليّ دين ، فأمر بقضائه وأعطاه مثله .

[وحكى عبد الملك بن قريب الأصمعي قال : دخل أعرابي على خالد القسري فقال : قد امتدحتك ببيتين ولست أنشدكهما إلا بعشرة آلاف درهم وخادم ، قال : قل ، فأنشأ يقول :

لزمتَ « نَعَمْ » حتى كأنك لم تكن ... سمعت من الأشياء شيئاً سوى نعم
وأنكرت « لا » حتى كأنك لم تكن ... سمعت بها في سالف الدهر والأمم

فقال : أعطه يا غلام عشرة آلاف درهم وخادماً ، فتسلمها ؛ ودخل عليه

---

١ ذكره ... قحطان : سقط من س م . والنسب وارد في الاغاني ؛ وسقط من الاغاني « أفصى » وزيد « لحيان » بعد عمرو ؛ وزيد « القرز » أو « الفرز » بعد الغوث .

٢ جملة : ثبتت في المسودة ونسخة ص .

٣ هكذا يقول المؤلف ، وصاحب الاغاني يزعم أن خالداً كان لحنة (٥ : ٣١) .

٤ م : فقال له وقد تقوض المجلس : من أنت ؟ قال شاعر مدحتك ببيتين استقللتهما في جنب ما قيل فيك ، فاستنشده فأنشده ؛ وفي أ ج : استصغرت بيتي .

أعرابي فقال : قد قلت شعراً ، وأنشأ يقول :

أخالد إني لم أزرك لحاجة سوى أنني عافٍ وأنت جوادُ
أخالد إن الأجر والحمد حاجتي فأيهما تأتي وأنت عمــادُ

فقال له خالد : سل يا أعرابي ؛ قال ، وجعلتَ المسألة إليَّ أصلح الله الأمير ؟ قال : نعم، قال : مائة ألف درهم ، قال : أكثرت يا أعرابي ، قال : فأحطك ؟ قال : نعم ، قال : قد حططتك تسعين ألفاً ، قال له خالد: يا أعرابي لا أدري من أيّ أمريك أعجب ، فقال : أصلح الله الأمير ، أنت جعلت المسألة إلي فسألتك على قدرك وما تستحقه في نفسك ، فلما سألتني أن أحطّ حططت على قدري وما استأهله في نفسي ، فقال له خالد : والله يا أعرابي لا تغلبني ؛ يا غلام أعطه مائة ألف درهم ، فدفعها إليه][1] .

وكتب إليه هشام بن عبد الملك: « بلغني أن رجلاً قام إليك فقال : إن الله جواد وأنت جواد ، وإن الله كريم وأنت كريم ، حتى عَدّ عشر خصال ، ووالله لئن لم تخرج من هذا لأستحلّن دمك »؛ فكتب إليه خالد: « نعم يا أمير المؤمنين قام إليَّ فلان فقال : الله كريم يحب الكريم ، فأنا أحبك لحب الله إياك ، ولكن أشد من هذا مقام ابن شقي البجلي إلى أمير المؤمنين فقــال : خليفتك أحب إليك أم رسولك ؟ فقلت : بل خليفتي ، فقال : أنت خليفة الله ومحمد رسول الله » ووالله لَقَتْلُ رجل من بجيلة أهون على الخاصة والعامة من كفر أمير المؤمنين ، هكذا ذكره الطبري في تاريخه .

وكان خالد يُتهم في دينه[2] ، وبنى لأمه كنيسة تتعبد فيها ، وفي ذلك يقول الفرزدق يهجوه :

ألا قبحَ الرحمنُ ظهرَ مطيّــةٍ أتتنا تهــادى من دمشق بخالدِ

١ زيادة من ر د ، ووردت في ص متأخرة عن هذا الموضع ، ولم ترد في المسودة .
٢ ان من يقرأ كتاب الاغاني يجد اتهام خالد بالزندقة وانصباب اللعن عليه واتهــامه بالتخنث يستطيع أن يدرك أسباب ذلك ، ويقف وقفة المتأمل طويلاً طويلاً ! !

وكيفَ يؤم الناس من كانت ِ أمُّه[١] تدين بأن الله ليس بواحـــد
بنى بِيعة فيهـــا الصليبُ لأمه ويَهْدِم من بُغض ٍ مَنارَ المساجد

ثم إن هشاماً عزل خالداً عن العراقين في جمادى الأولى سنة عشرين ومائة ، وذكر الطبري في تاريخه أن هشام بن عبد الملك عزل عمر بن هُبَيرة عن العراق وولاه خالداً في شوال سنة خمس ومائة، ثم عزله وولى يوسف بن عمر الثقفي — وهو ابن عم الحجاج — وكان سبب عزل خالد[٢] أن امرأة أتته فقالت : أصلح الله الأمير ! إني امرأة مسلمة ، وإن عاملك فلاناً المجوسي وثَـبَ علي فأكرهني على الفجور وغصبني نفسي ، فقال لها : كيف وجدت قلفته ؟ فكتب بذلك حسان النبطي إلى هشام ، وعند هشام يومئذ رسول يوسف بن عمر ، وقد كان يوسف وجّهه إليه من اليمن في بعض حاجته فاحتبسه[٣] هشـام عنده يوماً ، حتى إذا جَنّه الليل دعا به فكتب معه إلى يوسف بولاية العراق ومحاسبة خالد وعماله ، وأمره أن يستخلف ابنه الصَّلتَ على اليمن ، فخرج يوسف في نَـفَر يسير ، فسار من صنعاء إلى الكوفة على الرحال في سبع عشرة مرحلة حتى قدم الكوفة سَحَراً ، ثم أخذ خالداً وعماله وحبسه وحاسبه وعذبه ، ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد ، قيل : إنه وضع قدميه بين خشبتين وعَصَرهما حتى انقصفا ، ثم رفع الخشبتين إلى ساقيه وعصرهما حتى انقصفا ، ثم إلى وركيه ، ثم إلى صلبه ، فلما انقصف صلبه مات وهو في ذلك كله لا يتأوه ولا ينطق ، وكان ذلك في المحرم سنـة ست وعشرين ، وقيل في ذي القعدة سنة خمس وعشرين ومائة بالحِيرَة ، ودفن في ناحية منها ليلاً ، رحمه الله تعالى .

والحِيرَةُ بينها وبين الكوفة فرسخ ، كانت منزل آل النعمان بن المنـــذر ملوك العرب .

١ الاغاني : وكيف يؤم المسلمين وأمه .
٢ ذكر الطبري (في حوادث سنة ١٢٠) أسبابا متعددة لعزل خالد ليس فيها هذا السبب ، وكذلك لم يرد هذا النص في المسودة حتى قوله : سحراً .
٣ أ ج د : فحبسه .

ولما كان خالد في سجن يوسف مدحه أبو الشغب العبسي بهذه الأبيـــات ، وهي في « كتاب الحماسة »[1] :

ألا إنَّ خيرَ الناس حيّاً وميّتاً - أسيرُ ثقيفٍ عندهم في السلاسِلِ
لعَمري لئن عَمَّرتـُمُ السجن خالداً وأوطأتموه وَطْأةَ المتثـــاقِلِ
لقد كان نَهّاضاً بكل مُلِمّةٍ ومُعطي اللُّها غَمراً كثير النوافل
وقد كان يبني المكرمات لقومه ويعطي اللُّها في كل حق وباطل
فإن تسجنوا القَسري لا تسجنوا اسمه ولا تسجنوا مَعرُوفَهُ في القبائل

وكان يوسف جعَلَ على خالد في كل يوم حمل مال معلوم ، إن لم يقم به في يومه عَذَّبه ، فلما مدحه أبو الشغب بهذه الأبيات وأوصلها إليه كان قد حصّل في قسط يومه سبعين ألف درهم ، فأنفذها له ، وقال : اعذرني فقد ترى ما أنا فيه ، فردّها أبو الشغب وقال : لم أمدحك لمالٍ وأنت على هذه الحال ، ولكن لمعروفك وإفضالك ، فأنفذها إليه ثانياً وأقسم عليه ليأخذنّها فأخذها ، وبلغ ذلك يوسف فدعاه وقال : ما حملك على فعلك ، ألم تخش العذاب ؟ فقال : لأن أموت عذاباً أسهل عليّ من كفي بذلي ، لا سيما على من مدحني[2] .

وذكر أبو الفرج الاصبهاني[3] أن خالداً كان من ولد شِقٍّ الكاهن ، وهو خالد بن عبد الله بن أسد بن يزيد بن كرز، وذكر أن كرزاً كان دعِيّاً ، وأنه كان من اليهود ، فجنى جناية فهرب إلى بجيلة فانتسب فيهم ، ويقال : كان عبداً لعبد القيس ، وهو ابن عامر ذي الرُّقعَة ، وسمي بذي الرقعة لأنه كان أعور يغطي عينه برُقعَة ، وذو الرقعة هو ابن عبد شمس بن جُوَين بن شِقٍّ الكاهن بن صعب ؛ انتهى كلام أبي الفرج .

قلت أنا : كان شق المذكور ابنَ خالة سطيح الكاهن الذي بشّر بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وقصته في تأويل الرؤيا في ذلك مشهورة ، وهي مستوفاة في

١ شرح المرزوقي: ٩٢٧،واسم أبي الشغب العبسي عكرشة (وفي المسودة: أبو الشعب بالعين المهملة).
٢ وكان يوسف ... مدحني : سقط من ص م س والمسودة .
٣ الاغاني ٥ : ١٧ .

السيرة ، وكان شق وسطيح من أعاجيب الدنيا ، أما سطيح فكان جَسَداً مُلقى لا جوارح له ، وكان وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق، وكان لا يقدر على الجلوس ، إلا أنه إذا غضب انتفخ فجلس ، وكان شق نصفَ إنسان ، ولذلك قيل له شق ، أي شق إنسان ، فكانت له يد واحدة ورجل واحدة[1] وعين واحدة وفتح عليهما في الكهانة ما هو مشهور عنهما ، وكانت ولادتهما في يوم واحد، وفي ذلك اليوم توفيت طريفة ابنة الخير الحميرية الكاهنة زوجة عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء ، ولما ولدا دعت بكل واحد منهما وتَفَلَتْ في فيه ، وزعمت أنه سيخلفها في علمها وكهانتها ، ثم ماتت من ساعتها ودفنت بالجحفة ، وعاش كل واحد من شق وسطيح ستمائة سنة .

وكرز : بضم الكاف وسكون الراء وبعدها زاي .

والقَسْري – بفتح القاف وسكون السين المهملة وبعدها راء – هذه النسبة إلى قَسْر بن عَبْقر ، وهي بطن من بجيلة .

٢١٤

خالد المهلبي

أبو الهيثم خالد بن خداش بن عجلان المهلبي مولى آل المهلب بن أبي صفرة ؛ من أهل البصرة ، سكن بغداد وحدث بها عن مالك بن أنس والمغيرة بن عبد الرحمن ومهدي بن ميمون وحماد بن زيد وغيرهم [وروى عنه أحمد بن حنبل

١ علق بعض الموفقين على هذا الموضع في هامش النسخة د بقوله : « ومن جملة عجائب شق أن يكون له ولد وهو كما ذكر» قلت : حين تتحول الاسطورة إلى تاريخ يعيش شق أيضاً ستمائة سنة ولا يجد من يعجب من ذلك .

٢١٤ - ترجمته في ميزان الاعتدال ١ : ٦٢٩ وتاريخ بغداد ٨ : ٣٠٤ وتهذيب التهذيب ٣ : ٨٥ ؛ وقد قال فيه أبو حاتم : صدوق ؛ وقد انفردت ص ر بهذه الترجمة ، ولم ترد في مسودة المؤلف وسائر النسخ .

وأحمد بن إبراهيم الدورقي وحاتم بن الليث الجوهري وغيرهم][1] . قال محمد بن المثنى : انصرفت مع بشر بن الحارث في يوم أضحى من المصلى ، فلقي خالد بن خداش المحدث ، فسلّم عليه فقصر بشر في السلام ، فقال خالد : بيني وبينك مودة أكثر من ستين سنة فما تغيرت عليك فما هذا التغير ؟ قال بشر : ما هاهنا تغيير ولا تقصير ولكن هذا يوم تستحب فيه الهدايا وما عندي من عرض الدنيا شيء أهدي لك وقد روي في الحديث أن المسلمين إذا التقيا كان أكثرهما ثواباً أبشّهما بصاحبه فتركتك لتكون أفضل ثواباً مني ؛ مات خالد بن خداش في سنة ثلاث وعشرين ومائتين في جمادى الآخرة ، رحمه الله تعالى .

٢١٥

خالد التميمي

أبو الهيثم خالد بن يزيد [بن الهيثم] التميمي الخراساني ؛ كان أحد كتّاب الجيش ببغداد وله شعر مدوّن وشعره كله في الغزل ؛ حكى أبو الحسن البرمكي قال : كنا جلوساً على باب عبد الصمد بن المعذل بن علي ومعنا رجل ينشدنا أشعار عبد الصمد، إذ أقبل خالد بن يزيد الكاتب فجلس إلينا فقال: فيم كنتم ؟ فقلنا بجهلنا : هذا ينشدنا شيئاً من أشعار عبد الصمد، فالتفت إليه خالد فقال : يا فتى من ذا الذي يقول :

تناسيت ما أوعيت سمعك يا سمعي ... كأنك بعد الضرّ خالٍ من النفعِ

١ زيادة من ص .

٢١٥ - ترجمته في تاريخ بغداد ٨ : ٣٠٨ والاغاني ٢٠ : ٢٣٤ والمنتظم ٥ : ٣٥ وطبقات ابن المعتز : ٤٠٥ ومعجم الأدباء ١١ : ٤٧ والفوات ١ : ٢٩٦ ، وتوفي خالد الكاتب سنة ٢٦٩ ببغداد ، وقال ابن شاكر : توفي في حدود السبعين ومائتين ؛ وله اشعار في الديارات : ١٠ - ١٣ ؛ وهذه الترجمة من ر ص ولم ترد في مسودة المؤلف وسائر النسخ .

ثم قال : يا فتى هل أحسن عبد الصمد أن يجعل للسمع سمعاً ؟ فقال : لا . ثم أنشد :

لئن كان أضحى فوق خديه روضة فإن على خدي غديراً من الدمع

ثم نهض ، فقال لنا المنشد : من هذا ؟ فقلنا : خالد الكاتب ، فعدا خلفه وانقطعت نعله وانقلبت محبرته حتى كتب البيتين ؛ ومن شعر خالد المذكور :

هبك الخليفة حين ير كب في مواكبه وجنده
أو هبك كنت وزيره أو هبك كنت وليّ عهده
هل كنت تقدر أن تزيـ ـد المبتلى بك فوق جهده

وقال ثعلب : ما أحد من الشعراء تكلم في الليل إلا قارب إلا خالد الكاتب فإنه أبدع في قوله :

رقدتَ فلم ترثِ للساهرِ وليلُ المحبّ بلا آخرِ
ولم تدرِ بعد ذهاب الرقادِ ما صنع الدمعُ بالناظرِ

فإنه لم يجعل لليل آخراً ، وقيل لخالد : من أين قلت في قصيدتك « وليل المحب بلا آخر » ؟ فقال : وقفت على باب وعليه سائل مكفوف وهو يقول : الليل والنهار عليّ سواء ، فأخذت هذا منه .

وذكر ميمون بن حماد[1] قال : دخلت يوماً على أبي عبد الله ابن الأعرابي فقلت له : أسمعت من شعر هذا الغليم شيئاً ؟ قال : من هو ؟ قلت : خالد بن يزيد ، فقال : لا وإني لأحبّ ذلك ، فصاح به فجاء حتى وقف عليه ، فقلت : أنشد أبا عبد الله من شعرك ، فقال : إنما أقول في شجون نفسي ولا أمدح ولا أهجو ، فقلت : أنشده ، فأنشده :

أقول للسُّقم عُدْ إلى بدني شوقاً لشيء يكون من سببكْ

١ الديارات : ١٠ .

فقال ابن الأعرابي : حسبك يا غلام فقد خيل لي ان الرقة قد جمعت لك في هذا البيت .

قال جحظة[1] : حدّثني خالد بن يزيد الكاتب قال: لم أشعر إلا ورسول إبراهيم ابن المهدي قد وافاني ، فدخلت إليه فقال : أنشدني شيئاً من شعرك ، فأنشدته :

رأت منه عيني منظرين كما رأت من البدر والشمس المضيئة بالأرضِ
عشيّة حيّاني بوردٍ كأنه خدودٌ أضيفت بعضهن إلى بعض
وناولني كأساً كأنّ حبابها دموعيَ لما صَدّ عن مقلتي غمضي
وراح وفِعل الراح في حركاته كفعل نسيم الريح في الغصُن الغض

فزحف حتى صار في ثلثي المصلّى ثم قال : يا بني شبَّه الناس الخدود بالورد وشبهت أنت الورد بالخدود ، ثم قال : زدني ، فأنشدته :

عاتبت نفسي في هوا ك فلم أجدها تقبلُ
وأجبت داعيها إليـ ـك ولم أطعْ من يعذل
لا والذي جعل الوجو ه لحسنِ وجهك تمثل
لا قلت إن الصبـ ـر عنك من التصابي أجمل

فزحف حتى صار خارج المصلّى ، ثم قال : زدني ، فأنشدته :

ظفر الحبّ بقلبٍ دنفٍ بك والسقم بجسمٍ ناحلِ
وبكى العاذل من رحمته فبكائي لبكاء العاذلِ

فصاح وقال : يا بليق[2] كم معك من العين ؟ قال : ستمائة وخمسون ديناراً ، فقال : اقسمها بيني وبينه واجعل الكسر للغلام كاملاً .

وذكر أحمد بن صدقة المغني[3] قال : اجتزت بخالد الكاتب يوماً فقلت له :

[1] انظر هذه القصة في الاغاني ٢٠ : ٢٣٨ والديارات : ١١ .
[2] في الأغاني : يا رشيق .
[3] الديارات : ١٢ .

اعمل لي أبياتاً أغني بها أمير المؤمنين – يعني المأمون – فقال : وأيّ حظّ لي في ذلك ؟ تأخذ الجائزة وأحصل أنا على الإثم ، فحلف له أنه إن وصله بشيء قاسمه إياه فقال لي : أنت أنذل من ذلك ولكن ذكّره بي فلعله أن يصلني بشيء ، قلت : أفعل ، فأنشدني :

تقول سلا فمَن المدنفُ ومن عينه أبداً تذرفُ
ومَن قلبه قَلِقٌ خائفُ عليك وأحشاؤه ترجفُ

فحفظت الشعر وعملت فيه لحناً وحضرنا عند أمير المؤمنين من الغد وكان بينه وبين بعض حظاياه هجرة فوجهت إليه بتفاحة عليها مكتوب بالغالية : يا سيدي سلوت ، وابتدأت أغني بشعر خالد ، فلما غنيته إياه انقلبت عيناه ودارتا في رأسه وظهر الغضب في وجهه وقال : لكم على حُرَمي أصحابُ أخبار ! ! فقمت إعظاماً لما شهدت منه وقلت : أعيذ أمير المؤمنين بالله أن يظن بعبد من عبيده هذا الظن وأنزّهُ داره أن يكون لأحد عليها صاحبُ خَبَر ، قال : فمن أين عرفت خبري مع جاريتي حتى غنيت في معنى ما بيننا ؟ فحدثته حديثي مع خالد، فلما انتهيت إلى قوله: أنت أنذل من ذلك فقال : أشهد أنك كذلك، وأسفر وجهه وقال : ما أعجب هذا الاتفاق ! وأمر لي بخمسة آلاف درهم ولخالد بمثلها .

وقال بعض من كان يحضر مجلس أبي العباس المبرد : كنا نختلف إليه فإذا كان في آخر المجلس أملى علينا من طرف الأخبار وملح الأشعار ما نرتاح إلى حفظه ، فأنشدنا يوماً مرثية زياد الأعجم في المغيرة بن المهلب وهي :

إن السماحة والمروة والندى قبرٌ بمروَ على الطريق الواضحِ
فإذا مررت بقبره فاعقرْ به كومَ الهجان وكلّ طِرف سابح
وانضحْ جوانبَ قبره بدمائها فلقد يكون أخا دمٍ وذبائح
مات المغيرةُ بعد طولِ تعرُّضٍ للموت بين أسنّةٍ وصفائح

قال : فخرجت من عنده وأنا أدير بها لساني لأحفظها ، فإذا بشيخ قد خرج

من خربةٍ وفي يده حجرٌ ، فهمَّ أن يرميني به ، فتترستُ منه بالمحبرة والدفتر ، فقال : ماذا تقول ؟ أتشتمني ؟ قلت : اللهم لا ، ولكني كنت عند أستاذنا أبي العباس المبرد فأنشدنا مرثية زياد الأعجم في المغيرة بن المهلب ، فقال : إيهٍ إيهٍ أنشدني ما أنشدكم باردكم لا مبردكم ، فأنشدته الأبيات فقال : والله ما جوّد الراثي ولا أنصف المرثيَّ ولا أحسنَ الراوي ، قلت : فما عساه أن يقول ؟ قال : كان يقول :

احملاني إن لم يكن لكما عق　　ر إلى جنبِ قبره فاعقراني
وانضحا من دمي عليه فقد　　كان دمي من نداه لو تعلمانِ

قال : فقلت : هل رأيت أحداً واسى أحداً بنفسه ؟ قال : نعم، هذا الفتح ابن خاقان طرح نفسه على المتوكل حتى خلط لحمه بلحمه ودمه بدمه ، ثم تركني وولى ؛ قال : فلما عُدت إلى المبرد قصصت عليه القصة فقال : أتعرفه ؟ قلت : لا ، قال : ذلك خالد الكاتب تأخذه السوداء في أيام الباذنجان .

وقيل كبر خالد الكاتب حتى دق عظمه ورق جلده فوسوس؛ قال بعضهم : فرأيته ببغداد والصبيان يتبعونه ويصيحون به : يا بارد يا بارد ، فأسند ظهره إلى قصر المعتصم وقال لهم : كيف أكون بارداً وأنا الذي أقول :

بكى عاذلي من رحمتي فرحمته　　وكم مثله من مسعد ومعــينِ
ورقّتْ دموعُ العين حتى كأنها　　دموع دموعي لا دموع جفوني

وحكى أبو الحسن علي بن محمد بن مقلة قال : حدثني أبي عن عمه قال : اجتاز بي خالد الكاتب وأنا على باب داري بسرّ من رأى والصبيانُ حوله يولعون به ، فجاء إلي وسألني صرفهم عنه ففعلت وأدخلته داري فقلت له : ما تشتهي تأكل ؟ قال : هريسة ، فتقدمت بإصلاحها له ، فلما أكل قلت له: أي شيء تحب بعد هذا ؟ قال : رُطَب ، فأمرت بإحضاره فأكل ، فلما فرغ من أكله قلت : أنشدني شيئاً من شعرك ، فأنشدني قوله :

تناسيت ما أوعيت سمعك يا سمعي　　كأنك بعد الضرّ خالٍ من النفعِ

أما عند عينيك اللتين هما هما ... لمكتئبٍ يرجوك شيئاً سوى المنع
فإن كنت مطبوعاً على الصدّ والجفا ... فمن أين لي صبر فأجعله طبعي
فإن يكُ أضحى فوق خديك روضةٌ ... فإن على خدي غديراً من الدمع
سل المطر العام الذي عمّ أرضكم ... أجاءَ بمقدار الذي فاض من دمعي

فقلت : زدني ، فقال : لا يصيبك بهريسة ورطب غير هذا ، والله أعلم .

٢١٦

الشيخ الخضر بن عقيل الإربلي

أبو العباس الخضر بن نصر بن عقيل بن نصر الإرْبِلِيُّ الفقيه الشافعي ؛ كان فقيهاً فاضلاً عارفاً بالمذهب والفرائض والخلاف ، اشتغل ببغداد على الكيا الهراسي وابن الشاشي ولقي عدة من مشايخها ، ثم رجع إلى إرْبِلَ ، وبنى له بها الأمير أبو منصور سَرَفْتكِينُ بن عبد الله الزيني ، نائبُ صاحب إربل ، مدرسة القلعة ، وتاريخها سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، ودرّس فيها زماناً ، وهو أول من درّس بإربل ، وله تصانيف حسان كثيرة في التفسير والفقه وغير ذلك ، وله كتاب ذكر فيه ستّاً وعشرين خطبة للرسول صلى الله عليه وسلم ، وكلها مسندة ، واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به ، وكان رجلاً صالحاً زاهداً عابداً ورعاً متقللاً ونَفَسُه مباركاً .

وذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق »[1] وأثنى عليه ، وكان قد قدم دمشق فأقام بها مدة ثم رجع إلى إربل .

ومن جملة من تخرج عليه الشيخ الفقيه ضياء الدين أبو عمرو عثمان بن عيسى

٢١٦ - ترجمة الخضر بن نصر الاربلي في طبقات السبكي ٥ : ٢١٨ (بايجاز) .
١ انظر تهذيب ابن عساكر ٥ : ١٦٥ .

ابن درباس الهذباني ، الذي شرح « المهذب » – وسيأتي ذكره في حرف العين إن شاء الله تعالى – وتخرَّج عليه أيضاً ابن أخيه عز الدين أبو القاسم نصر بن عقيل ابن نصر وغيرهما .

وكانت ولادته سنة ثمان وسبعين وأربعمائة[1] وكانت وفاته ليلة الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وستين وخمسمائة بإربل ودفن بها في مدرسته التي بالربض في قبة مفرَدة ، وقبره يزار وزرته كثيراً ، رحمه الله تعالى .

(31) ولما توفي تولى موضعه ابن أخيه المذكور في المدرستين ، وكان فاضلاً ، ومولده بإربلَ سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، وسخط عليه الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربلَ وأخرجه منها ، فانتقل إلى الموصل ، فكتب إليه أبو الدر الرومي – الآتي ذكره في حرف الياء إن شاء الله تعالى – من بغداد ، وكان صاحبه[2] :

أيا ابنَ عَقيلٍ لا تَخَفْ سَطوَةَ العدا ... وإنْ أظهَرَتْ ما أضمَرَتْ من عِنادِها
وأقصَتْكَ يَوْماً عَن بلادِكَ فِتيَةٌ ... رأتْ فيكَ فضلاً لمْ يكنْ في بلادِها
كذا عادة الغِربانِ تكره أن تَرى ... بَياضَ البُزاة الشُّهْب بين سَوادِها

أشار بذلك إلى الجماعة الذين سَعَوا به حتى غيروا خاطر الملك عليه ، وكان ذلك في سنة اثنتين أو ثلاث وستمائة ، كذا أعرفه ، وقال ابن باطيش : في سنة ست وستمائة ، والله أعلم .

(32) وفي تلك السنة خرجت الكرج على مدينة مرند، من أعمال أذربيجان، وهي قريبة من إربل ، فقتلوا وسَبَوا وأسروا ، فعمل شرف الدين محمد ولد عز الدين أبي القاسم المذكور في إخراجهم من إربل :

إنْ يكنْ أخرَجوا النساء من الأو ... طانِ ظُلماً وأسرَفوا في التعدّي

...

١ قال ابن عساكر : سئل عن مولده فقال : لا أتحققه لكني سمعت والدتي تقول : كنت في قبل شرف الدولة نفساء بك ؛ قال : وأظنه سنة ثمان وسبعين وأربعمائة .

٢ ج : صديقه .

فلـَنا أسوة بمَنْ جـــارت الكر ج ُ عليهم وأخرجوا من مرندِ

وهذا الشرف له في عمل الدوبيت اليَدُ الطـُولى ، ولولا خوف التطويل لذكرت شيئاً منها .

وسكن عز الدين ظاهر الموصل في رباط ابن الشهرزوري، وقـَرَّر له صاحبُ الموصل راتباً ، ولم يزل هناك حتى توفي يوم الجمعة ثالث عشر شهر ربيع الآخر وقيل جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وستمائة ، رحمه الله تعالى ، ودفن بمقبرة تل توبه ، وهو ابن خالة الشيخ عماد الدين أبي حامد محمد بن يونس ، وتوفي ولده الشرف المذكور ليلة السبت الثامن والعشرين من المحرم سنـــة ثلاث وثلاثين وستمائة بدمشق ، ودفن بمقابر الصوفية ، رحمه الله تعالى ، ومولده في رجب سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة بإربل ، وقرأ الفقه على أبيه وعلى عماد الدين بن يونس ، والأدب على أبي الحرم مكي .

(33) وسَرَفَنْتِكِينُ ـ بفتح السين المهملة والراء وسكون الفاء وكسر التاء المثناة من فوقها والكاف وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها نون ـ كان مملوك زين الدين علي صاحب إربل ، والد مظفر الدين ، وكان أرمنياً صالحاً فأعتقه وتقدم عنده واعتمد عليه واستنابه في المملكة ، وبنى مساجد كثيرة بإربل وقـُراها وبنى المدرسة المذكورة ، وبنى سور مدينة فَيْدَ التي في طريق مكة من جهة بغداد ، وأثر آثاراً صالحة ، كل ذلك من ماله ، وتوفي في شهر رمضان سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

٢١٧

ابن بشكوال

أبو القاسم خَلَفُ بن عبد الملك بن مسعود بن بَشكُوال بن يوسف بن داحَة ابن داكة بن نصر بن عبد الكريم بن واقد[١] الخزرجي الأنصاري القُرطُبي ؛ كان من علماء الأندلس وله التصانيف المفيدة ، منها « كتاب الصلة » الذي جعله ذيلاً على « تاريخ علماء الأندلس » تصنيف القاضي أبي الوليد عبد الله المعروف بابن الفَرَضي ، وقد جمع فيه خلقاً كثيراً ، وله تاريخ صغير في أحوال الأندلس وما أقْصَر فيه ، وكتاب « الغوامض والمبهمات » ذكر فيه من جاء ذكره في الحديث مبهماً فعينه ، ونسج فيه على منوال الخطيب البغدادي في كتابه الذي وضعه على هذا الأسلوب ، وجزء لطيف ذكر فيه من روى « الموطأ » عن مالك بن أنس ، رضي الله عنه ، ورتب أسماءهم على حروف المعجم ، فبلغت عدتهم ثلاثة وسبعين رجلاً ، ومجلد لطيف سماه « كتاب المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات والمتضرعين إليه سبحانه بالرّغبات والدعوات وما يسّر الله الكريم لهم من الإجابات والكرامات » وله غير ذلك أيضاً من المصنفات .

قال أبو الخطاب ابن دحية[٢] : نقلت من خط شيخنا – يعني ابن بَشكُوال – أنه فرغ من تأليف « الصلة » في جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة .

وكان مولده يوم الاثنين ثالث – وقيل ثامن – ذي الحجة ، سنة أربع وتسعين وأربعمائة . وتوفي ليلة الأربعاء لثمان خلون من شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بقُرطُبَة ، ودفن يوم الأربعاء بعد صلاة الظهر بمقبرة ابن

---

٢١٧ – ترجمة ابن بشكوال في معجم شيوخ الصدفي: ٨٢ والتكملة: ٣٠٤ والديباج المذهب: ١١٤.

١ أ ج والتكملة : واقد .

٢ تتلمذ ابن دحية لابن بشكوال وقرأ عليه كتاب الصلة بقرطبة في العشر الآخر من صفر سنة ٥٧٤ (انظر المطرب : ٧) .

عباس ، بقربة من قبر يحيى بن يحيى ، رحمهما الله تعالى .

وداحَة : بفتح الدال المهملة وبعد الألف حاء مهملة أيضاً مفتوحة ثم هاء ساكنة .

وداكة : مثلها إلا أن عوض الحاء كاف .

وبَشكُوال : بفتح الباء الموحدة وسكون الشين المعجمة وضم الكاف وبعد الواو ألف ولام .

(34) وتوفي والده أبو مروان عبد الملك بن مسعود[1] صبيحة يوم الأحد ، ودفن عشيّ يوم الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، وعمره نحو ثمانين سنة ، رحمه الله تعالى .

٢١٨

خلف بن هشام

أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب ، ويقال : هشام بن طالب ، بن غراب البزار المقرىء ؛ سمع مالك بن أنس وحماد بن زيد وأبا عوانة وغيرهم ؛ روى عنه عباس الدوري ومحمد بن الجهم وأحمد بن أبي خيثمة وغيرهم ؛ قال أبو العباس أحمد بن إبراهيم ورّاق خلف : سمعت خلفاً يقول : قدمت الكوفة فصرت إلى سليم بن عيسى فقال : ما أقدمك ؟ قلت : أقرأ القرآن على أبي بكر ابن عياش بحرف عاصم ، فقال لي : ألا تزيد ؟ قلت : بلى ، قال : فدعا ابنه وكتب معه رقعة إلى ابن عياش ، فاستأذن لي عليه سليم بن عيسى ، فدخل عليه فأعطاه

١ ترجمته في الصلة : ٣٤٨ ويقول فيه ابنه : « وكان حافظاً للفقه على مذهب مالك وأصحابه عارفاً بالشروط وعللها حسن العقد لها مقدماً في معرفتها وإتقانها ، وكان كثير التلاوة للقرآن العظيم ليلاً ونهاراً ويختمه كل جمعة ».

٢١٨ - ترجمة خلف بن هشام في تاريخ بغداد ٨ : ٣٢٢ وغاية النهاية ١ : ٢٧٣ ، والترجمة موافقة لما في تاريخ بغداد ، وما هنا انفردت به النسختان : ص ر ولم يرد في المسودة وسائر النسخ .

الرقعة ، وكان لخلف سبع عشرة سنة ؛ قال : فلما قرأها قال : أدخل الرجل ، فدخلت فسلمت فصعّد فيّ النظر ، ثم قال لي : أنت خلف ؟ قلت : نعم ، قال لي : أنت لم تخلف ببغداد أحداً أقرأ منك ؟ فسكتُ ، فقال لي : اقعد هات اقرأ ، قلت : عليك ؟ قال : نعم ، قلت : لا إله إلا الله ، لا أقرأ على رجل يستصغر رجلاً من حمَلة القرآن ، وتركته وخرجت ، فوجه إلى سليم فسأله أن يردني إليه فلم أرجع؛ قال : فندمت واحتجت ، فكتبت قراءة عاصم عن يحيى ابن آدم عن أبي بكر ابن عياش .

وقال خلف : أتيت سليم بن عيسى لأقرأ عليه ، وكان بين يديه قوم وأظنهم سبقوني ، فلما جلست قال : بلغني أنك تريد الترفع في القراءة فلست آخذ عليك شيئاً ، قال : فكنت أحضر المجلس أسمع ولا يأخذ علي شيئاً ، فبكرت يوماً في الغلس ، وخرج فقال : من هاهنا يتقدم ويقرأ ، فتقدمت واستفتحت بسورة يوسف وهي من أشد القرآن إعراباً ، فقال لي : من أنت فما سمعت أقرأ منك ؟ فقلت : خلف ، فقال لي : فعلتها ما يحل لي أن أمنعك ، فكنت أقرأ عليه حتى بلغت يوماً حم المؤمن ، فلما بلغت إلى قوله تعالى : ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ (غافر : ٧) بكى بكاءً شديداً ثم قال لي : يا خلف ألا ترى ما أعظم حق المؤمن تراه نائماً على فراشه والملائكة يستغفرون له .

وروى خلف بسنده إلى أبي هريرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل خلق مائة رحمة فأنزل منها رحمة على عباده يتراحمون بها وخبأ تسعاً وتسعين عنده فإذا كان يوم القيامة جمع تيك الرحمة إلى التسع والتسعين وفضّها على عباده ، فمن رحمة واحدة جعلني مسلماً وعلمني القرآن وعرفني نبيّه صلى الله عليه وسلم وفعل بي وفعل بي وأنا أرجو من تسع وتسعين الجنة .

وذكر لأبي جعفر النفيلي خلف بن هشام البزار فقال : كان من أصحاب السنّة لولا بلية كانت فيه ، يشرب النبيذ ؛ قال عبد الكريم بن الحداد : وكان خلف يشرب من الشراب على التأويل ، فكان ابن أخته يوماً يقرأ عليه سورة الأنفال حتى بلغ قوله تعالى : ﴿ ليميز الله الخبيث من الطيب ﴾ (الأنفال: ٣٧) فقال : يا خال إذا ميز الله الخبيث من الطيب أين يكون الشراب ؟ قال :

فنكس رأسه طويلاً ثم قال : مع الخبيث، قال : فترضى أن تكون مع أصحاب الخبيث ؟ قال : يا بني امض إلى المنزل فاصبب كل شيء فيه ، فتركه فأعقبه الله تعالى الصوم ، فصام الدهر إلى أن مات ، وقيل انه أعاد صلاة الأربعين سنة التي كان يتناول فيها الشراب على مذهب الكوفيين . وكانت وفاته يوم السبت السابع عشر من جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ومائتين ، رحمه الله تعالى ؛ ورثاه بعض الشعراء بقوله :

مضى شيخنا البزار بالفضل يُذكرُ هجان إمام في القراءة مبصرُ
سقى الله قبراً حله من غمامة بوابل غيث صفوه يتفجر
وقد طلب الحساد في الناس كيده فما قدروا حتى عموا وتحيروا

٢١٩

خليفة بن خياط

أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة خليفة بن خياط الشيباني العُصْفُري البصري المعروف بشَباب صاحب « الطبقات » ؛ كان حافظاً عارفاً بالتواريخ وأيام الناس غزير الفضل ، روى عنه محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه وتاريخه وعبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل وأبو يعلى الموصلي والحسن بن سفيان النّسوي[1] ، في آخرين ، وروى هو عن ابن عيينة ويزيد بن زريع وأبي داود الطيالسي ودرست بن حمزة وتلك الطبقة .

٢١٩ - ترجمة خليفة بن خياط في تذكرة الحفاظ : ٤٣٦ وتهذيب التهذيب ٣ : ١٦٠ وأنساب السمعاني واللباب « العصفري » وتاريخ البخاري ٢/١ : ١٧٥ والفهرست : ٢٣٢ والرسالة المستطرفة : ١٣٩ ومواطن من الاعلان بالتوبيخ للسخاوي . وقد طبع كتاباه في التاريخ والطبقات .

١ انظر اللباب في مادة « النسوي » .

توفي في شهر رمضان سنة ثلاثين ومائتين ، وقال الحافظ ابن عساكر في « معجم مشايخ الأئمة الستة » إنه توفي سنة أربعين، وقيل: ست وأربعين ومائتين، رحمه الله تعالى .

والعُصْفُري - بضم العين وسكون الصاد المهملتين وضم الفاء وبعدها راء - هذه النسبة إلى العُصفُر الذي تصبغ به الثياب حُمْراً .

وشَباب - بفتح الشين المثلثة والباء الموحدة وبعد الألف باء ثانية - وقد اختلفوا في تلقيبه بذلك لأيّ معنى هو .

(35) وتوفي جده أبو هبيرة خليفة بن خياط في رجب سنة ستين ومائة ، وكان أبو عمرو المذكور يقول : توفي جدي خليفة بن خياط وشعبة بن الحجاج في شهر واحد ، رحمهم الله أجمعين .

٢٢٠

الخليل بن أحمد

أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفَراهيدي ويقال : الفرهودي الأزدي اليحمدي ؛ كان إماماً في علم النحو ، وهو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود وحصر أقسامه في خمس دَوائر يستخرج منها خمسة عشر بحراً ، ثم زاد فيه الأخفش بحراً آخر وسماه الخَبَبَ . وقيل إن الخليل دعا بمكة أن يُرْزَقَ[1] علماً لم يسبقه أحد إليه ولا يؤخذ إلا عنه، فرجع من حَجّه ففتح عليه بعلم العروض ، وله معرفة بالإيقاع والنغم ، وتلك المعرفة أحْدَثَت له علم العروض ، فإنهما متقاربان في المأخذ .

---

٢٢٠ - ترجمة الخليل بن أحمد في انباه الرواة ١ : ٣٤١ وفي الهامش ثبت بمصادر ترجمته والاخبار عنه.

١ د : أن يرزقه الله تعالى .

وقال حمزة بن الحسن الأصبهاني[1] في حق الخليل بن أحمد في كتابه الذي سماه « التنبيه على حدوث التصحيف » : « وبعد ، فإن دولة الإسلام لم تخرج أبدع للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل، وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض الذي لا عن حكيم أخَذَه ، ولا على مثال تقدمه احتذاه ، وإنما اخترعه من ممرّ له بالصفارين[2] من وقع مطرقة على طست ليس فيها حجة ولا بيان يؤديان إلى غير حليتها أو يفيدان غير جوهرها ، فلو كانت أيامه قديمة ورسومه بعيدة لشك فيه بعض الأمم لصنعته ما لم يصنعه أحد منذ خلق الله الدنيا من اختراعه العلم الذي قدمت ذكره ، ومن تأسيسه بناء كتاب « العين » الذي يحصر لغة أمة من الأمم قاطبة ، ثم من إمداده سيبويه من علم النحو بما صنف منه كتابه الذي هو زينة لدولة الإسلام » انتهى كلامه .

وكان الخليل رجلاً صالحاً عاقلاً[3] حليماً وقوراً ، ومن كلامه : لا يعلم الإنسان خطأ معلمه حتى يجالس غيره . وقال تلميذه النضر بن شميل : أقام الخليل في خص من أخصاص البصرة لا يقدر على فَلسين ، وأصحابه يكسبون[4] بعلمه الأموال ، ولقد سمعته يوماً يقول : إني لأغلق عليَّ بابي فما يجاوزه همي . وكان يقول : أكمل ما يكون الإنسان عقلاً وذهناً إذا بلغ أربعين سنة ، وهي السن التي بعث الله تعالى فيها محمداً صلى الله عليه وسلم ، ثم يتغير وينقص إذا بلغ ثلاثاً وستين سنة ، وهي السن التي قبض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصفى ما يكون ذهن الإنسان في وقت السَّحَر .

وكان له راتب على سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صُفرَة الأزدي وكان والي فارس والأهواز ، فكتب إليه يستدعيه ، فكتب الخليل جوابه :

. . . .

١ كل المنقول عن حمزة لم يرد في م ومسودة المؤلف ونسختي س ص ؛ انظر التنبيه : ١٢٤ .
٢ أ : من ممر له عن الصفائري .
٣ م ج : عالماً ؛ أ : عاملا .
٤ د : يكتسبون .

أبلغ سليمن أنّي عنه في سَعة[1] وفي غِنًى غيرَ أني لستُ ذا مالِ
شُحّاً بنفسيَ أني لا أرى أحداً يموت هُزْلاً ولا يبقى على حال
الرزق عن[2] قَدَرٍ لا الضعف يَنقصُهُ ولا يزيدُك فيه حَوْلُ محتال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

فقطع عنه سليمان الراتب فقال الخليل :

إن الذي شَقّ فمي ضامنٌ للرزق حتى يَتَوَفّاني
حَرَمْتَني خيراً قليلاً فما زادك في مالك حرماني

فبلغت سليمن فأقامته وأقعدته ، وكتب إلى الخليل يعتذر إليه ، وأضعف راتبه ، فقال الخليل :

وزلّةٍ يُكثر الشيطانُ إن ذُكرت منها التعجُّبَ جاءت من سليمانا
لا تعجبنّ لخير زَلّ عن يده فالكوكب النحس يَسقي الأرض أحيانا

واجتمع الخليل وعبد الله بن المقَفّع ليلة يتحدثان إلى الغَداة ، فلما تفرقا قيل للخليل : كيف رأيت ابن المقفع ؟ فقال : رأيت رجلاً علمه أكثر من عقله ، وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ قال : رأيت رجلاً عقله أكثر من علمه .

وللخليل من التصانيف كتاب « العين » في اللغة وهو مشهور ، وكتاب « العروض » وكتاب « الشواهد » وكتاب « النقط والشكل » وكتاب « النغم » وكتاب في العوامل[3] .

وأكثر العلماء العارفين باللغة يقولون : إن كتاب العين في اللغة المنسوب إلى الخليل بن أحمد ليس تصنيفه ، وإنما كان قد شرع فيه ورَتّب أوائله وسماه بـ « العين » ، ثم مات فأكمله تلامذته النضر بن شميل ومَنْ في طبقته وهم مؤرج

١ ر : دعة .
٢ د : ورزقي على ؛ وانظر الأبيات في الانباه وغيره من المصادر .
٣ لم يذكر في م ؛ وقال القفطي : كتاب في العوامل منحول عليه .

السدوسي ونصر بن علي الجَهْضَمي وغيرهم ، فما جاء الذي عملوه مناسباً لما وضعه الخليل في الأول ، فأخرجوا الذي وضعه الخليل منه ، وعملوا أيضاً الأول ، فلهذا وقع فيه خلل كثير يبعد وقوع الخليل في مثله ، وقد صنف ابن دُرُسْتُوَيهِ في ذلك كتاباً استوفى الكلام فيه ، وهو كتاب مفيد[1] .

ويقال : إن الخليل كان له ولد متخلف ، فدخل على أبيه يوماً فوجده يُقَطّع بيت شعر بأوزان العروض، فخرج إلى الناس وقال : إن أبي قد جُنّ ، فدخلوا عليه وأخبروه بما قال ابنه ، فقال مخاطباً له :

لو كنتَ تعلم ما أقول عذَرْتني   أو كنتَ تعلم ما تَقول عَذَلتُكا
لكنْ جهلتَ مَقالتي فعَذَلتني   وعلمتُ أنكَ جاهل فعَذَرْتُكا

وقد روي عنه أنه أنشد ، ولم يذكر لنفسه أم لغيره :

يقولونَ لي دارُ الأحبّةِ قدْ دَنَتْ   وأنت كئيبٌ إنّ ذا لعَجيبُ
فقلتُ : وما تُغني الديار وقُربُها   إذا لم يكن بينَ القلوبِ قَريبُ

ويحكى عنه أنه قال : كان يتردّد إلى شخص يتعلّم العروض وهو بعيد الفهم ، فأقام مدّة ولم يعلق على خاطره شيء منه ، فقلت له يوماً : قطّع هذا البيت :

إذا لم تستطع شيئاً[2] فدَعْهُ   وجاوزْهُ إلى ما تستطيعُ

١ قال الازهري في مقدمة التهذيب (١ : ٢٨) عند ذكر الليث بن المظفر (او الليث بن نصر او ابن رافع) إنه نحل الخليل بن أحمد كتاب العين جملة لينفقه باسمه ويرغب فيه من حوله ، وأثبت لنا عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي الفقيه أنه قال : كان الليث بن المظفر رجلا صالحاً ، ومات الخليل ولم يفرغ من كتاب العين ، فأحب الليث أن ينفق الكتاب كله فسمى لسانه الخليل، فإذا رأيت في الكتاب « سألت الخليل بن أحمد » او « أخبرني الخليل بن أحمد » فانه يعني الخليل نفسه ، وإذا قال « قال الخليل » فإنما يعني لسان نفسه (وانظر بقية الصفحة ٢٩ ففيها تحقيقات هامة عن هذا الكتاب) .

٢ م : أمراً .

فشَرَعَ معي في تقطيعه على قدر معرفته ، ثم نهض ولم يعد يجيء إليّ ، فعجبت من فِطنته لما قصدته في البيت مع بُعد فهمه .

وأخبار الخليل كثيرة ، وسيبويه عنه أخذ علوم الأدب – وسيأتي ذكره في حرف العين المهملة إن شاء الله تعالى – . ويقال : إن أباه أحمد أولُ من سمي بأحمد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كذا ذكره المرزبانيُ في كتاب « المقتبس »[1] نقلاً عن أحمد بن أبي خيثمة . وكانت ولادته في سنة مائة للهجرة . وتوفي سنة سبعين ، وقيل خمس وسبعين ومائة ، وقيل عاش أربعاً وسبعين سنة ، رحمه الله تعالى . وقال ابن قانع في تاريخه المرتب على السنين : إنه توفي سنة ستين ومائة . وقال ابن الجوزي في كتابه الذي سماه « شذور العقود » : إنه مات سنة ثلاثين ومائة ، وهذا غلط قطعاً ، لكن نقله الواقدي ، ومات بالبصرة – أعني الخليل – وكان سبب موته أنه قال : أريد أن أقرّبَ نوعاً[2] من الحساب تمضي به الجارية إلى البيّاع فلا يمكنه ظلمها ، ودخل المسجد وهو يُعْمِلُ فكرهُ في ذلك ، فصَدَمَتهُ سارية وهو غافلٌ عنها بفكره ، فانقلب على ظهره ، فكانت سبب موته ، وقيل : بل كان يُقَطّع بحراً من العروض .

والفَراهيدي – بفتح الفاء والراء وبعد الألف هاء مكسورة ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها وبعدها دال مهملة – هذه النسبة إلى فَراهيد ، وهي بطن من الأزْدِ ، والفُرهُودي واحدها ، والفُرهُودُ : ولد الأسد بلغة أزد شنوءة ، وقيل : إن الفراهيد صغار الغنم .

واليَحْمَدي – بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الحاء المهملة وفتح الميم وبعدها دال مهملة – نسبة إلى يَحْمَد ، وهو أيضاً : بطن من الأزد ، خرج منه خلق كثير .

ويحكى أن الخليل كان ينشد كثيراً هذا البيت ، وهو للأخطل[3] :

وإذا افتَقَرْتَ إلى الذخائر لم تجِدْ ذُخْراً يكونُ كصالحِ الأعمالِ

---

[1] انظر نور القبس : ٥٦ .
[2] د : اعمل ؛ م : اعمل شيئاً .
[3] ديوانه : ١٥٨ .

٢٢١

خمارويه بن طولون

أبو الجيش خُمارَوَيه بن أحمد بن طولون – وقد تقدم ذكر أبيه وجده في حرف الهمزة – ولما توفي أبوه اجتمع الجند على توليته مكانه فولي وهو ابن عشرين سنة ، وكانت ولايته في أيام المعتمد على الله ، وفي سنة ست وسبعين ومائتين تحرك الافشين : محمد بن أبي الساج ديوداذ بن دوست[١] من أرمينية والجبال في جيش عظيم ، وقصَدَ مصر ، فلقيه خمارويه في بعض أعمال دمشق ، وانهزم الافشين ، واستأمن أكثر عسكره ، وسار خمارويه حتى بلغ الفرات ودخل أصحابه الرقة ، ثم عاد وقد ملك من الفرات إلى بلاد النوبة .

ولما مات المعتمد وتولى المعتضد الخلافة ، بادر إليه خمارويه بالهدايا والتُّحَف ، فأقره المعتضد على عمله ، وسأل خمارويه أن يزوج ابنته قَطرَ الندى – واسمها أسماء – للمكتفي بالله بن المعتضد بالله ، وكان يوم ذاك وليّ العهد ، فقال المعتضد بالله : بل أتزوجها أنا ، فتزوجها في سنة إحدى وثمانين ومائتين ، ودخل بها في آخر هذه السنة ، وقيل في سنة اثنتين وثمانين ، والله أعلم . وكان صداقها ألف ألف درهم ، وكانت موصوفة بفَرط الجمال والعقل . حكي أن المعتضد خلا بها يوماً للأنس في مجلس أفرده لها ما حضره سواها ، فأخذت منه الكأس ، فنام على فخذها ، فلما استثقل وضعت رأسه على وسادة وخرجت وجلست في ساحة القصر ، فاستيقظ فلم يجدها ، فاستشاط غضباً ونادى بها ، فأجابته عن قرب ، فقال : ألم أُخْلِكِ إكراماً لك ؟ ألم أدفع إليكِ مهجي دون سائر

٢٢١ – ترجمة خمارويه في الكتب التاريخية كابن الاثير وخطط المقريزي وابن خلدون وابن اياس والنجوم الزاهرة ، وانظر الولاة والقضاة : ٢٣٣ وتهذيب ابن عساكر ٥ : ١٧٦ والمغرب (قسم مصر) ١ : ١٣٤ .

١ م : دست وفي بعض النسخ الاخرى : يوسف ، وأثبتنا ما في المسودة .

حضاياي ؟ فتضعين رأسي على وسادة وتذهبين ؟ ! فقدت : يا أمير المؤمنين ، ما جهلت قدر ما أنعمت به عليّ ، ولكن فيما أدّبني به أبي أن قال : لا تنامي مع الجلوس ، ولا تجلسي مع النيام[1] .

ويقال : إن المعتضد أراد بنكاحها افتقار الطولونية ، وكذا كان ، فإن أباها جهزها بجهاز لم يُعمل مثله ، حتى قيل : كان لها ألف هاون ذهباً. وشرط عليه المعتضد أن يحمل كل سنة بعد القيام بجميع وظائف مصر وأرزاق أجنادها مائتي ألف دينار ، فأقام على ذلك إلى أن قتله غلمانه بدمشق على فراشه ليلة الأحد لثلاث بقين من ذي القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، وعمره اثنتان وثلاثون سنة ، وقُتل قتلته أجمعون ، وحمل تابوته إلى مصر ، ودفن عند أبيه بسفح المقطّم ، رحمها الله تعالى .

وكان خمارويه من أحسن الناس خطّاً، وكان وزيره أبا بكر محمد بن علي بن أحمد المعروف بالماذرائي – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى[2] – .

(36) ولما حُملت قطر الندى ابنة خمارويه إلى المعتضد ، خرجت معها عمتها العباسة بنت أحمد بن طولون مشيعة لها إلى آخر عمارة الديار المصرية[3] من جهة الشام ، ونزلت هناك وضربت فساطيطها ، وبنت هناك قرية فسميت باسمها ، وقيل لها العباسة ، وهي عامرة إلى الآن ، وبها جامع حسن وسوق قائم ؛ ذكر ذلك جماعة من أهل العلم .

وماتت قطر الندى لتسع خلون من رجب سنة سبع وثمانين ومائتين ، ودفنت داخل قصر الرصافة ببغداد .

(37) وتوفي الافشين محمد بن أبي الساج في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ومائتين ، ببرذعة ، وهي كرسي أعمال أذربيجان ، وقيل إنها من أران.

(38) وتوفي أبوه أبو الساج – وهو الذي تنسب إليه الأجناد الساجية

١ وكانت موصوفة ... النيام : سقطت من م س ص ومسودة المؤلف .
٢ كذا وعد بإيراد ترجمته في المسودة ايضاً ، ويبدو أنه لم يفعل ؛ وترجمة الماذرائي في المغرب (قسم مصر) : ٢٥٠ والخطط ٢ : ١٥٥ (ط. بولاق) .
٣ هذه رواية ص والمسودة ؛ وفي نسخ أخرى : إلى آخر اعمال مصر .

ببغداد – في شهر ربيع الآخر سنة ست وستين ومائتين بجُنْدَيسابور، من أعمال خوزستان .

وخُمارَوَيه : بضم الخاء الموحدة وفتح الميم وبعدها ألف ثم راء مفتوحة وواو ، ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها ، وبعدها هاء ساكنة .

٢٢٢

خير النساج

أبو الحسن خير بن عبد الله النساج الصوفي ؛ من أهل سر من رأى ، نزل بغداد وكان له حلقة يتكلم فيها ؛ وكان قد صحب أبا حمزة محمد بن إبراهيم الصوفي وغيره ، وصحب الجنيد بن محمد وأبا العباس ابن عطاء وأبا محمد الحريري وأبا بكر الشبليّ ، وعمّر عمراً طويلاً ، وللصوفية عنه حكايات غريبة ، وإنما سمّي النساج لخبر ؛ قال جعفر الخلدي : سألت خيراً النساج[1] : أكان النسج حرفتك ؟ قال: لا ، قلت: فمن أين سميت به ؟ قال : كنت عاهدت الله أن لا آكل الرُّطَبَ أبداً ، فغلبتني نفسي ، فأخذت نصف رطل، فلما أكلت واحدة إذا رجل نظر إليّ وقال : يا خير ، يا آبق هَرَبْتَ مني ، وكان له غلام [هرب منه] اسمه خير ، فوقع عليّ شبهُه وصورته ، فاجتمع الناس وقالوا : هذا والله غلامك خير، فبقيت متحيراً ، وعلمت بمَ أُخذت ، وعرفت جنايتي ، فأخذني وحملني إلى حانوته الذي كان ينسج فيه غلامه وقال لي: يا عَبْدَ السوء ، تهرب من مولاك ! ادخل فاعمل عملك الذي كنت تعمل ، وأمرني بنسج

٢٢٢ - وردت هذه الترجمة في ص ر وحدهما دون سائر النسخ والمسودة. وانظر ترجمة خير النساج في اللباب ، مادة « النساج » وحلية الاولياء ١٠ : ٣٠٧ وصفة الصفوة ٢ : ٢٥٥ وطبقات السلمي : ٣٢٢ .

١ انظر حلية الاولياء : ٣٠٧ .

الكرباس ، فدليت رجلي على أن أعمل فأخذت بيدي آلته وكأني كنت أعمل من سنين . فبقيت معه أشهراً أنسج له ، فقمت ليلة إلى صلاة الغداة فسجدت وقلت في سجودي : إلهي لا أعود إلى ما فعلت ، فأصبحت وإذا الشّبه ذهب عني، وعُدتُ إلى صورتي التي كنت عليها، فأطلقت ، وثَبَتَ عليَّ هذا الاسمُ؛ وفي بعض الروايات : كان يقول : يا خير ، فيقول : لبيك ، ثم قال له الرجل بعد ذلك : لا أنت عبدي ، ولا اسمك خير ، فمضى وقال : لا أغير اسماً سماني به رجل مسلم .

وكان يقول : لا نسب أشرف من نسب مَنْ خلقه الله بيده فلم يعصمه ، ولا أعلم أرفع ممن علمه الله الأسماء كلها فلم ينفعه في وقت جريان القضاء عليه .

وكان خير قد احدَودَبَ ، وكان إذا سَمِعَ قام ظهره ورجعت قوّته كالشاب المطلق ، فإذا غاب عن الوجود عاد إلى حاله .

وكان قد عُمِّر مائة وعشرين سنة ؛ وكان يذكر أن إبراهيم الخواص صحبه.

وحكى علي بن هارون الحربي[1] عن غير واحد ممن حضر موته من أصحابه أنه غشي عليه عند صلاة المغرب ، ثم أفاق ، ونظر إلى ناحية من باب البيت ، وقال : قف ، عافاك الله ، فإنما أنت عبد مأمور ، وأنا عبدٌ مأمورٌ ما أمرت به لا يفوتك وما أمرت به يفوتني، فدَعني أمضي لما أُمِرتُ به ، ثم امضِ أنت لما أُمِرتَ به ، ودعا بماء فتوضأ للصلاة وصلى وتمدّد وأغمض عينيه وتشهّد ، ثم مات ، رحمه الله تعالى . فرآه بعض أصحابه في النوم ، فقال : ما فعل الله بك ؟ فقال : لا تسَلني عن هذا ، ولكن استرحت من دُنياكم المضرَّة . وكانت وفاته في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى .

---

١ حلية الأولياء : ٣٠٧ .

حرف الدال



٢٢٣

داود الظاهري

أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني الإمام المشهور المعروف بالظاهري؛ كان زاهداً متقللاً كثير الورع ، أخذ العلم عن إسحاق بن راهَوَيه وأبي ثَوْرٍ وغيرهما ، وكان من أكثر الناس تعصباً للإمام الشافعي رضي الله عنه ، وصنف في فضائله والثناء عليه كتابين ، وكان صاحب مذهب مستقل[١] ، وتبعه جمع كثير يُعرفون بالظاهرية ، وكان ولده أبو بكر محمدٌ على مذهبه – وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى – وانتهت إليه رياسة العلم ببغداد .

[قال أبو عبد الله المحاملي : صليت صلاة العيد يوم فطر في جامع المدينة ، فلما انصرفت قلت في نفسي : أدخل إلى داود بن علي فأهنيه ، وكان ينزل قطيعة الربيع ؛ قال : فجئته ، وإذا بين يديه طَبَق فيه أوراق هندبا وعصارة فيها نخالة وهو يأكل ، فهنأته وتعجبت من حاله ، ورأيت أن جميع ما نحن فيه من الدنيا ليس بشيء ، فخرجت من عنده ودخلت على رجل من محبي الصنيعة يقال له الجرجاني ، فلما علم بمجيئي خرج إليّ حاسِرَ الرأس حافي القدمين ، وقال لي : ما عنى القاضي أيده الله ؟ قلت : مُهِمّ ، قال : وما هو ؟ قلت : في جوارك داود بن علي ، ومكانه من العلم ما تعلمه ، وأنت فكثير البر والرغبة في الخير تَغفُلُ عنه ، وحدثته بما رأيت منه ، فقال لي : داود شَرِسُ الخلق ، أعلم القاضي أنني وجّهت إليه البارحة ألف درهم مع غلام ليستعين بها في بعض أموره

٢٢٣ - ترجمة داود الظاهري في تاريخ بغداد ٨ : ٣٦٩ وطبقات الشيرازي ، الورقة ٢٦ والفهرست : ٢١٦ والجواهر المضية ٢ : ٤١٩ وطبقات السبكي ٢ : ٤٢ وتذكرة الحفاظ : ٥٧٢ وميزان الاعتدال ٢ : ١٤ .

١ هـ : مستقل بنفسه .

فردها مع الغلام وقال للغلام : قل له : بأي عين رأيتني ؟ وما الذي بلغك من حاجتي وخَلـَّتي حتى وجَّهت إلي بهذا ؟ قال : فتعجبت من ذلك وقلت له : هات الدراهم فإني أحملها إليه ، فدفعها إلي ثم قال : يا غلام ، الكيس الآخر . فجاءه بكيس فوزن ألفاً أخرى ، وقال: تلك لنا وهذه لموضع القاضي وعنايته ، قال : فخرجت وجئت إليه ، فقرعت الباب فخرج وكلمني من وراء الباب وقال : ما رد القاضي ؟ قلت : حاجة أكلمك فيها ، فدخلت وجلست ساعة ، ثم أخرجت الدراهم وجعلتها بين يديه ، فقال : هذا جزاء من ائتمنك على سره [أنا بأمانة العلم أدخلتك إلي] ، ارجع فلا حاجة لي فيما معك ، قال المحاملي : فرجعت وقد صَغُرت الدنيا في عيني ودخلت على الجرجاني فأخبرته بما كان ، فقال : أما أنا فقد أخرجت هذه الدراهم لله تعالى ، لا أرجع في شيء منها ، فليتولَّ القاضي إخراجها في أهل الستر والعفاف على ما يراه القاضي][1] .

قيل : إنه كان يحضر مجلسه أربعمائة صاحب طيلسان أخضر ، قال داود[2] : حضر مجلسي يوماً أبو يعقوب الشريطي ، وكان من أهل البصرة ، وعليه خرقتان ، فتصدر لنفسه من غير أن يرفعه أحد وجلس إلى جانبي وقال لي : سل يا فتى عما بدا لك ، فكأني غضبت منه ، فقلت له مستهزئاً : أسألك عن الحجامة ، فبرك أبو يعقوب ثم روى طريق « أفطر الحاجم والمحجوم » ومَنْ أرسله ومن أسنده ومن وقفه ومن ذهب إليه من الفقهاء ، وروى اختلاف طريق احتجام رسول الله صلى الله عليه وسلم وإعطاء الحجّام أجرَهُ ، ولو كان حراماً لم يعطه ، ثم روى طرق أن النبي صلى الله عليه وسلم « احتجم بقرن » وذكر أحاديث صحيحة في الحجامة ، ثم ذكر الأحاديث المتوسطة مثل « ما مررت بملإٍ من الملائكة » ومثل « شفاء أمتي في ثلاث » وما أشبه ذلك ، وذكر الأحاديث الضعيفة مثل قوله عليه السلام « لا تحتجموا يوم كذا ولا ساعة كذا » ، ثم ذكر ما ذهب إليه أهل الطب من الحجامة في كل زمان وما ذكروه فيها ،

١ انفردت ص بهذا النص ، فلم يرد في المسودة وسائر النسخ .
٢ ص : قال أبو العباس الزيادي : دخل أبو يعقوب الشروطي وكان من اهل البصرة مجلس داود الظاهري ... الخ. وابتداء من قوله : قال داود حتى قوله : أحداً أبداً ، لا وجود له في المسودة.

ثم ختم كلامه بأن قال : وأول ما خرجت الحجامة من أصبهان ، فقلت له : والله لا حَقَرْت بعدك أحداً أبداً .

وكان داود من عقلاء الناس ، قال أبو العباس ثعلب في حقه : كان عقلُ داود أكثر من علمه .

وكان مولده بالكوفة سنة اثنتين ومائتين ، وقيل سنة مائتين ، وقيل سنة إحدى ومائتين ، ونشأ ببغداد ، وتوفي بها سنة سبعين ومائتين في ذي القعدة ، وقيل في شهر رمضان ، ودفن بالشونيزية ، وقيل في منزله .

وقال ولده أبو بكر محمد : رأيت أبي داود في المنام، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي وسامحني ، فقلت : غفر لك ففيمَ سامحك ؟ فقال: يا بني الأمر عظيم ، والويل كل الويل لمن لم يُسامَحْ ، رحمه الله تعالى .

وأصله من أصبهان ، وقد تقدم الكلام على أصبهان والشونيزية فيما مر من التراجم ، فلا حاجة إلى الإعادة .

٢٢٤

الملك الزاهر

أبو سليمان داود الملقب الملك الزاهر مجير الدين ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، رحمهم الله تعالى ، كان صاحبَ قلعة البيرة التي على شاطىء الفرات ، وكان يحب العلماء وأهل الأدب[1] ، ويقصدونه من البلاد ، ولما ولد

٢٢٤ - نراه في سنة ٥٩٢ يذهب رسولاً عن الملك الظاهر إلى أخيه الملك العزيز بمصر ومعه سابق الدين ابن الداية والقاضي بهاء الدين بن شداد،فلما أدوا الرسالة عادوا إلى دمشق؛ وفي سنة ٦٠١ كان منجداً للملك الاشرف ضد صاحب الموصل؛ وفي سنة ٦١٣ استولى من أملاك أخيه الظاهر على عدة مناطق وأخرج العمال الذين كانوا فيها (انظر صفحات متفرقة من مفرج الكروب ج : ٣) .

١ هذه رواية المسودة والنسختين أ ج ، وفي النسخ الأخرى : أهل الفضل .

بمدينة القاهرة كان السلطان صلاح الدين بالشام ، وكان الثاني عشر من أولاده ، فكتب إليه القاضي الفاضل رسالة يبشره بولادته ومن جملتها[1] : « وهذا الولد المبارك هو الموفي لاثني عشر ولداً ، بل لاثني عشر نجماً متقداً ، فقد زاد الله تعالى في أنجمه عن أنجم يوسف عليه السلام نجماً ، ورآهم المولى يقظة ورأى [يوسف] تلك الأنجم حلماً ، ورآهم يوسف[2] ساجدين له ورأينا الخلق لهم سجوداً ، وهو تعالى قادر أن يزيد جدود المولى إلى أن يراهم آباء وجدوداً » ، وقد ألمّ القاضي الفاضل في آخر هذا الكلام بقول البحتري في مدح الخليفة المتوكل وقد ولد له المعتز من جملة قصيدة[3] :

وبَقيتَ حتى تستضيء برأيه   وترى الكُهولَ الشِّيبَ من أولاده

وحكى عنه جماعة أنه كان يقول: من أراد أن يبصر صلاح الدين فليبصرني[4] ، فأنا أشبه أولاده به .

وكانت ولادته لسبع بقين من ذي الحجة ، وقيل ذي القعدة ، سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، وهو شقيق الملك الظاهر - الآتي ذكره في حرف الغين المعجمة إن شاء الله تعالى - . وتوفي في البيرَة في ليلة التاسع من صفر سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، وكنت بحلب وقد وصل نعيه إليها ، فتوجه الملك العزيز ابن الملك الظاهر أخيه إلى القلعة المذكورة وملكها ، رحمه الله تعالى .

والبيرة - بكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الراء وبعدها هاء ساكنة - وهي قلعة بقرب سُمَيْساط من ثغور الروم على الفرات من جانب الجزيرة الفراتية ؛ وسميساط في بر الشام بين قلعة الروم ومَلَطْية ، والفراتُ يفصل بين الجهتين .

١ أورد القلقشندي هذه الرسالة في صبح الاعشى ٧ : ٩٠ .
٢ في س ص ر والمسودة : المولى ؛ وسقطت اللفظة من م .
٣ ديوان البحتري ٢ : ٧٠٤ .
٤ هـ : ينظر ... فلينظرني .

٢٢٥

داود الطائي

أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي ؛ سمع عبد الملك بن عمير وحبيب بن أبي عمرة وسليمان الأعمش ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ؛ روى عنه إسماعيل بن عيينة ومصعب بن المقدام وأبو نعيم الفضل بن دكين وغيرهم : وكان داود ممن شغل نفسه بالعلم ودرس الفقه وغيره من العلوم ثم اختار بعد ذلك العزلة وآثر الانفراد والخلوة فلزم العبادة واجتهد فيها إلى آخر عمره ، وقدم بغداد في أيام المهدي ثم عاد إلى الكوفة وفيها كانت وفاته ؛ قال علي بن المديني : سمعت ابن عيينة يقول : داود الطائي ممن علم وفقه ، قال : وكان يختلف الى أبي حنيفة رضي الله عنه حتى تقدم في ذلك الكلام ؛ قال : فأخذ يوماً حصاة فحذف بها إنساناً فقال له : يا أبا سليمان طال لسانك وطالت يدك ، قال : فاختلف بعد ذلك سنة لا يُسأل ولا يجيب ، فلما علم أنه تصبر عمد إلى كتبه فغرقها في الفرات ثم أقبل على العبادة وتخلى . وقال عبيد بن جناد سمعت عطاء يقول : كان لداود الطائي ثلثمائة درهم فعاش بها عشرين سنة ينفقها على نفسه ؛ قال : وكنّا ندخل على داود الطائي فلم يكن في بيته إلا بارية ولبنة يضع عليها رأسه واجانة فيها خبز ومطهرة يتوضأ منها ومنها يشرب .

وقال أبو سليمان الداراني : ورث داود الطائي من أمه داراً ، فكان يتنقل في بيوت الدار كلما تخرب بيت من الدار انتقل منه إلى آخر ولم يعمره حتى أتى على عامة البيوت التي في الدار؛ قال وورث من أبيه دنانير فكان يتنفق بها حتى كفن بآخرها .

٢٢٥ - ترجمة داود الطائي في تاريخ بغداد ٨ : ٣٤٧ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٤٠ وتهذيب التهذيب ٣ : ٢٠٣ والجواهر المضية ٢ : ٣٦٥ وحلية الأولياء ٧ : ٣٣٥ ؛ ووردت هذه الترجمة في ص ر وحدهما .

وقال اسماعيل بن حسان : جئت إلى باب داود الطائي فسمعته يخاطب نفسه فظننت أن عنده أحداً ، فأطلت القيام على الباب ثم استأذنت فدخلت ، فقال : ما بـدا لك في الاستئذان ؟ قلت : سمعتك تتكلم فظننت أن عندك أحداً ، قال : لا ولكن كنت أخاصم نفسي ؛ اشتهت البارحة تمراً فخرجت فاشتريت لها ، فلما جئت اشتهت جزراً ، فأعطيت الله عهداً ان لا آكل تمراً ولا جزراً حتى ألقاه .

وقدم محمد بن قَحْطَبة الكوفة فقال : أحتاج إلى مؤدب يؤدب أولادي حافظ لكتاب الله تعالى عالم بسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالآثار والفقه والنحو والشعر وأيام الناس ؛ فقيل له : ما يجمع هذه إلا داود الطائي ، فَسيَّر إليه بدرة عشرة آلاف درهم ، وقال : استعن بها على دهرك ، فردّها فوجّه إليه بدرتين مع غلامين مملوكين وقال لهما : إن قبل البدرتين فأنتما حُرّان ، فمضيا بهما إليه فأبى أن يقبلها ، فقالا : إن في قبولها عِتقَ رقابنا من الرق ، فقال لهما : إني أخاف أن يكون في قبولها وهق رقبتي في النار ، رداهما إليه وقولا له : إن ردهما على من أخذهما منه أولى من أن يعطيني أنا .

وكان حائطه قد تَصدّعَ فقيل له : لو أمرت به ، فقال : كانوا يكرهون فضول النظر .

وقيل إنه صام أربعين سنة ما علم به أحد من أهله ، فكان يحمل غَدَاءه معه ويتصدق به في الطريق ويرجع إلى أهله يفطر عشاء ، ولا يعلمون أنه صائم.

وقال له رجل : ألا تسرح لحيتك ؟ قال : إني عنها مشغول . وقيل احتجم داود فدفع الى الحجّام عشرة دراهم فقيل له : هذا سرف، فقال : لا عبادة لمن لا مروءة عنده .

وقالت أخته : لو تنحيت عن الشمس ، فقال : هذه خطى لا أدري كيف تكتب[1] .

قال أبو الربيع الأعرج : دخلت على داود الطائي بيته بعد المغرب فقرّب لي

---

١ كذا في تاريخ بغداد أيضاً .

كُسَيْرات يابسةٌ ، فعطشت فقمت إلى دَنٍّ فيه مـــاء حار ، فقلت : رحمك الله! لو اتخذت دنّاً غير هذا يكون فيه الماء بارداً، فقال لي: إذا كنت لا أشرب إلا بارداً ولا آكل إلا طيِّباً ولا ألبس إلا ليِّناً ، فما أبقيت لآخرتي ؟ قال : قلت له : أوْصِني ، قال : صُمْ عن الدنيا، واجعل إفطارك فيها الموت ، وفرَّ من الناس فرارك من السبع ، وصاحِب أهــل التقوى إن صحبت فــإنهم أخف مؤونةً وأحسن معونة ، ولا تدعِ الجماعة ، حَسبُكَ هذا إن عملت به .

وقال داود الطائي : ما حسدت أحداً على شيء إلا أن يكون رجـــلاً يقوم الليل ؛ فإني أحب أن أُرزق وقتــاً من الليل . قال أبو خالد : وبلغني أنه كان لا ينام الليل ، [إذا غلبته عيناه احتبى قاعداً] ؛ ومكث عشرين سنة لا يرفع رأسه الى السماء .

وقدم هارون الرشيد الكوفة فكتب قوماً من القراء فأمر لكل واحد منهم بألفي درهم فكان داود الطائي ممن كُتب فيهم ودعي باسمه أين داود الطائي ؟ فقالوا : داود يجيبكم ؟ أرسلوا اليه ، قال ابن السماك وحماد بن أبي حنيفة : نحن نذهب اليه ، قال ابن السماك لحماد في الطريق : إذا نحن دخلنا عليه فانثرها بين يديه فإن للعين حظها ، فقال حماد : رجل ليس عنده شيء يؤمر له بألفي درهم يردها !! فلما دخلوا عليه فنثروها بين يديه قال: سوءة، إنما يُفعل هذا بالصبيان، وأبى أن يقبلها .

قال حماد بن أبي حنيفة إن مولاة كانت لداود تخدمه قالت : لو طبخْتُ لك دسماً تأكله ، فقال : وددت ، فطبخت له دسماً ثم أتته به ، فقال لها : ما فعل أيتام بني فلان ؟ قالت : على حالهم ، قال : اذهبي بهذا إليهم ، فقالت : أنت لم تأكل أدماً منذ كذا وكذا ، فقال : إن هــذا إذا أكلوه صــار إلى العرش ، وإذا أكلته صار إلى الحُشِّ ، فقالت له : يا سيدي أما تشتهي الخبز ؟ قال : يا داية ، بين مَضْغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية .

وقال محارب بن دثار : لو كان داود في الأمم الماضية لقصَّ الله تعــالى شيئاً من خبره .

توفي داود سنة ستين ، وقيل سنة خمس وستين ومائة ، رحمه الله تعالى .

ولما مات جاء ابن السماك ووقف على قبره ثم قال :

أيها الناس إن أهل الزهد في الدنيا تعجلوا الراحة على أبدانهم مع يسير الحساب غداً عليهم ، وإن أهل الرغبة فيها تعجلوا التعب على أبدانهم مع ثقل الحساب غداً عليهم ، والزهادة راحة لصاحبها في الدنيا والآخرة ، والرغبة تعب لصاحبها في الدنيا والآخرة ؛ رحمك الله أبا سليمان ما كان أعجب شأنك ، ألزمت نفسك الصبر حتى قومتها: أجعتها وإنما تريد شبعها ، وأظمأتها وإنما تريد ريها ، أخشنت المطعم وإنما تريد طيبه ، أخشنت الملبس وإنما تريد لينه : أبا سليمان: أما كنت تشتهي من الطعام طيبه ، ومن الماء بارده ، ومن اللباس لينه ؟ بلى ولكن أخرت ذلك لما بين يديك ، فما أراك إلا قد ظفرت بما طلبت وما إليه رغبت ، فما أيسر ما ضيعت ، وأحقر ما فعلت في جنب ما أمّلت ، فمن سعى مثلك عزم عزمك وصبر صبرك ، آنس ما يكون إذا كنت بالله خالياً وأوحش ما يكون آنس ما يكون الناس . سمعت الحديث وتركت الناس يحدثون وتفهمت في دين الله وتركتهم يفتون . لا تقبل من السلطان عطية ، ولا من الإخوان هدية ، سجنت نفسك في بيتك فلا محدث لك ، ولا ستر على بابك ، فلو رأيت جنازتك وكثرة تابعك علمت أنه قد شرفك وأكرمك وألبسك رداء عملك ، فلو لم يرغب عبد في الزهد في الدنيا إلا لمحبة هذا الستر الجميل والتابع الكثير لكان حقيقاً بالاجتهاد ، فسبحان من لا يضيع مطيعاً ولا ينسى لأحد صنيعاً .

[وقيل إن ابن السماك لما قام على قبر داود قال : رحمك الله يا داود ! كنت تسهر ليلك والناس نائمون ، وكنت تربح إذ الناس يخسرون ، فقال الناس جميعاً: صدقت؛ وكنت تسلم إذ الناس يخوضون، فقال الناس جميعاً: صدقت؛ حتى عدَّد فضائله كلها . ولما فرغ قام أبو بكر النهشلي فحمد الله ثم قال : يا رب إن الناس قد قالوا ما عندهم مبلغ ما علموا ، اللهم فاغفر له برحمتك ولا تكله إلى عمله ، وفرغ من دفنه وقام الناس .

قال جعفر بن نفيل الرهبي : رأيت داود الطائي بعد موته فقلت له : كيف رأيت خير الآخرة ؟ قال: رأيت خيرها كثيراً، قلت: فماذا صرت إليه ؟ قال:

صرت إلى خير الحمد لله ، قال فقمت له: هل لك من علم بسفيان بن سعيد ؟ فقال : كان يحب الخير وأهله فرقاه الخير إلى درجة أهل الخير][1] .

٢٢٦

دبيس بن صدقة

أبو الأغر[2] دبيس بن سيف الدولة أبي الحسن صَدَقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مَزْيَد الأسدي الناشري الملقب نور الدولة ملك العرب صاحب الحلة المزيدية ؛ كان جواداً كريماً عنده معرفة بالأدب والشعر ، وتمكن في خلافة الإمام المسترشد واستولى على كثير من بلاد العراق ، وهو من بيت كبير — وسيأتي ذكر أبيه وأجداده في حرف الصاد إن شاء الله تعالى — .

ودبيس المذكور هو الذي عناه ابن الحريري صاحب « المقامات » في المقامة التاسعة والثلاثين[3] بقوله «أو الأسدي دبيس» لأنه كان معاصره — كما نذكره في حرف القاف إن شاء الله تعالى — فرام التقرب إليه بذكره في مقاماته ، ولجلالة قدره أيضاً .

وله نظم حسن ، ورأيت العماد الكاتب في «الخريدة» وابن المستوفي في «تاريخ إربل» وغيرهما قد نسبوا إليه الأبيات اللامية التي من جملتها :

١ زيادة من ر د .

٢٢٦ - ترجمة دبيس بن صدقة في كتب التاريخ كابن الأثير وابن خلدون. وانظر النجوم الزاهرة ٥ : ٢٥٦ وشرح المقامات ٢ : ٢١٨ .

٢ الأغر: كذا هو في ص ر والمسودة بالغين المعجمة والراء المهملة، وورد في بعض النسخ «الأعز».

٣ هي المقامة العمانية ، وفيها يصف كيف أحاطت الجماعة بأبي زيد تثني عليه وتقبل يديه « حتى خيل إلي أنه القرني أويس ، أو الأسدي دبيس » (المقامات : ٤١٥) .

أسلمَـــهُ حبُّ سليمانكُمْ إلى هَوًى أيْسَرُهُ القَتْلُ

ورأيت ابن بسام صاحبَ كتاب « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » قـــد ذكرها لابن رشيق القيرواني – وقد ذكرتها في ترجمته في حرف الحاء – والظاهر أنهـا لابن رشيق ، لأن ابن بسام ذكر في « الذخيرة » أنه ألفها في سنة اثنتين وخمسمائة[1] وفي هذا التاريخ كان دبيس شاباً ويبعد أن يصل شعره في ذلك السن إلى الأندلس وينسب إلى مثل ابن رشيق ، مع معرفة ابن بسام بأشعار أهل المغرب .

وذكر ابن المستوفي في تاريخه أن بدران أخا دبيس كتب إلى أخيه المذكور وهو نازح عنه :

ألا قـُلْ لِمَنصورٍ وقل لمسيّب وقـــل لدبيسٍ إنني لغريبُ
هنيئاً لـكم مـــاء الفرات وطيبُهُ إذا لم يكن لي في الفرات نَصيبُ

فكتب إليه دبيس :

ألا قل لبَدْران الذي حَنّ نازعاً إلى أرضِهِ والحرّ ليس يخيب
تمتّـــع بأيام السُّرور فإنمـــا عِذارُ الأماني بالهمومِ يَشيب
ولله في تلك الحوادث حِكْمَةٌ «وللأرض من كأس الكرام نَصيب»

(39) وذكر غير ابن المستوفي أن بَدْران بن صدقة المذكور لقبه تاج الملوك ، ولما قـُتل أبوه تغرب عن بغداد ودخل الشام فأقام بها مدة ثم توجه إلى مصر ومات بها في سنة ثلاثين وخمسمائة ؛ وكان يقول الشعر ، وذكره العماد الكاتب الأصفهاني في كتاب « الخريدة » .

وكان دبيس في خدمة السلطان مسعود بن محمـــد بن ملكشاه السلجوقي وهم نازلون على باب المراغَةِ من بلاد أذربيجان ومعهم الإمام المسترشد بالله – لسبب

[1] يريد أن تأليف الذخيرة كان في ذلك العام (٥٠٢) وابن بسام توفي سنة ٥٤٢ ؛ ولعل تأليفه استغرق فترة تجاوزت العام المذكور .

سنذكره في ترجمة مسعود المذكور إن شاء الله تعالى – ، فيقال إن السلطان دس عليه جماعة من الباطنية فهجموا خيمته – أعني المسترشد بالله – وقتلوه يوم الخميس الثامن والعشرين ، وقال ابن المستوفي : الرابع عشر من ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وخاف أن تنسب القضية إليه ، وأراد أن تنسب إلى دبيس المذكور، فتركه إلى أن جاء إلى الخدمة وجلس على باب خيمة السلطان ، فسَيَّر بعض مماليكه، فجاءه من ورائه وضرَبَ رأسه بالسيف فأبانَه، وأظهر السلطانُ بعد ذلك أنه إنما فعل هذا انتقاماً منه بما فعل في حق الإمام ، وكان ذلك بعد قتل الإمام بشهر ، رحمه الله تعالى .

وذكر المأموني في تاريخه أنه قُتل في رابع عشر ذي الحجة من السنة المذكورة على باب خُوَيّ . وكان قد أحسَّ بتغيّر رأي السلطان فيه منذ قتل المسترشد ، وعزم على الهرب مراراً ، وكانت المنية تُثَبِّطُه .

وذكر ابن الأزرق في تاريخه[1] أن قتله كان على باب تبريز ، وأنه لما قتل حُمِل إلى ماردين إلى زوجته كهارخاتون، فدفن بالمشهد عند نجم الدين إيلغازي[2] صاحب ماردين ، والد كهارخاتون المذكورة ، ثم تزوج السلطان المذكور ابنة دبيس المذكور ، وأمها شرف خاتون ابنة عميد الدولة بن فخر الدولة محمد بن جهير ، وأم شرف خاتون المذكورة زبيدة بنت الوزير نظام الملك – وسيأتي ذكر ذلك في ترجمة فخر الدولة بن جهير إن شاء الله تعالى – .

والناشري – بفتح النون وبعد الألف شين معجمة مكسورة وبعدها راء ثم ياء – هذه النسبة إلى ناشِرَة بن نصر بطنٍ من أسد بن خُزَيمة .

[1] هو عبد الله بن محمد بن عبد الوارث أبو الفضل ابن الأزرق، له كتاب في تاريخ بلده ميافارقين .
[2] في المسودة : الغازي .

٢٢٧

دعبـــــل

أبو علي دِعْبِل بن علي بن رَزين بن سليمان الخزاعي الشاعر المشهور ، وذكر صاحب الأغاني : أنه دعبل بن علي بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل –وقيل بهنس– بن خراش بن خالد بن دعبل بن أنس بن خزَيمة بن سلامان بن أسلم ابن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر مزيقيا ويكنى : أبا عليّ . وقـــال الخطيب البغدادي في تاريخه : هو دِعبل بن علي بن رزين بن عثمان بن عبد الله ابن بُدَيل بن وَرْقاء الخزاعي .

أصله من الكوفة ، ويقال : من قرقيسيا وأقام ببغداد ، وقيل إن دِعبلاً لقب واسمه الحسن ، وقيل عبد الرحمن ، وقيل محمد ، وكنيته أبو جعفر والله أعلم . ويقال : إنه كان أطروشاً وفي قفاه سلعة[1] .

كان شاعراً مجيداً ، إلا أنه كان بَذِيَّ اللسان مُولعاً بالهَجْو والحطّ من أقدار الناس ، وهجا الخلفاء فمَنْ دونهم ، وطال عمره فكان يقول : لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي[2] ، أدور على مَنْ يصلبني عليها فما أجد مَن يفعل ذلك ، ولما عمل في إبراهيم بن المهدي – المقدّم ذكره – الأبياتَ التي أثبتُّها في ترجمته وأولها :

نَعَرَ ابن شَكْلَةَ بالعراق وأهله فهَفَـــا إليه كلُّ أطلَسَ مائق
...

٢٢٧ – ترجمة دعبل الخزاعي في الاغاني ٢٠ : ٦٨ والشعر والشعراء : ٧٢٧ وتاريخ بغداد ٨ : ٣٨٢ ولسان الميزان ٢ : ٤٣٠ ومعاهد التنصيص ٢ : ١٩٠ والفهرست : ٢٢٩ والموشح : ٢٩٩ وطبقات ابن المعتز : ٢٦٤ ومعجم الأدباء ١١ : ٩٩ وتهذيب ابن عساكر ٥ : ٢٢٧ ورجال الكشي : ٣١٣ والشذرات ٢ : ١١ ، وقد جمع زولنديك ديوانه وقطعاً من كتابه في الشعراء (١٩٦١) كما قام الدكتور محمد نجم بجمع ديوانه (بيروت : ١٩٦٢) .

[1] وذكر ... سلعة : سقط من س .

[2] ر : ظهري .

دخل إبراهيم على المأمون فشكا إليه حاله ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله سبحانه وتعالى فَضَّلك في نفسك عليَّ وألهمك الرأفة والعفو عني ، والنسبُ واحد ، وقد هجاني دِعْبل فانتقم لي منه ، فقال المأمون : ما قال ؟ لعل قوله :

نعر ابن شكلة بالعراق . . .

وأُنشد الأبيات ، فقال : هذا من بعض هجائه ، وقد هجاني بما هو أقبح من هذا ، فقال المأمون : لك أسوة بي فقد هجاني واحتملته ، وقال فيَّ[1] :

أيَسومُني المأمونُ خُطَّةَ جاهلٍ أوَما رأى بالأمس رأسَ محمدِ
إنّي من القوْمِ الذين سُيوفهُم قتَلَتْ أخاك وشَرَّفتك بمقعد
شادُوا بذكرك بَعدَ طول خُموله واستنقَذُوك من الحضيض الأوهَد

فقال إبراهيم : زادك الله حلماً يا أمير المؤمنين وعلماً فما ينطق أحدنا إلا عن فَضْل علمك ولا يحلم إلا اتّباعاً لحلمك .

وأشار دعبل في هذه الأبيات إلى قضية طاهر بن الحسين الخزاعي – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى – وحصاره بغداد ، وقتله الأمينَ محمدَ بن الرشيد ، وبذلك ولي المأمون الخلافة . والقصة مشهورة ، ودعبل خزاعي ، فهو منهم ، وكان المأمون إذا أنشد هذه الأبيات يقول : قبح الله دعبلاً فما أوقَحَه[2] ، كيف يقول عني هذا وقد ولدت في حجر الخلافة ورَضعت ثديها وربيت في مهدها ؟

[ومثل هذا الحلم بل أعظم ما حكي عن الواثق أنه كان يحب الباذنجان ويكثر من أكله ومعظم الرّمد بالعراق من أكل الباذنجان لحرّ الإقليم والسوداء المتولدة من أكله ، فبعث إليه أبوه المعتصم وقال له : دع أكل الباذنجان واحفظ بصرك فمتى رأيت خليفة أعمى ؟ فقال للرسول : قل لأمير المؤمنين إني تصدقت بعيني على الباذنجان، ثم رمد رمدة صعبة ما تخلص منها إلا وعلى إحدى عينيه بياض كاد

١ ديوانه : ٦٩ .
٢ أ : أفبحه .

يسدها ، وكان المسدود الشاعر قد هجا الواثق وهو ولي عهد أبيه ، وسمي المسدود لجسم سدّ منخريه فعمل :

من المسدود في الأنف إلى المسدود في العين
فيا طبلاً له رأس ويا طبلاً برأسين

فلما كان يوم تفرقة العطاء كتب المسدود مستحقّه في ورقة وجعلها في عمامته مع ورقة الهجو ثم دخل على الخليفة فناوله ورقة الهجو فقرأها وضحك وقال : خذ هذه وهات ورقة المستحق ولا تعد في مثل هذا ، وقضى حاجته][1] .

وكان بين دعبل ومسلم بن الوليد الأنصاري اتحاد كثير ، وعليه تخرّج دعبل في الشعر[2] ، فاتفق أن وليَ مسلم جهةً في بعض بلاد خُرَاسان أو فارس ثم إنـي ظفرت بالجهة التي تولاها مسلم وهي جرجان من ناحية خراسان ولاّه إياها الفضلُ بن سَهل – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى – فقصده دعبل لما يعلمه من الصحبة التي بينهما ، فلم يلتفت مسلم إليه ، ففارقه وعمل[3] :

غششْتَ الهوى حتى تداعَتْ أصوله بنا وابتَذَلْتَ الوصْلَ حتى تَقَطّعا
وأنزَلْت من[4] بين الجوانح والحَشَا ذخيرةَ وُدٍّ طالما قد تمنّعَا
فَلاَ تَعْذلَنّي ليس لي فيكَ مَطمَعٌ تخَرّقْتَ حتى لم أجد لك مرقَعَا
وهبكَ يميني استأكلَتْ فَقَطَعْتُها وصَبَّرْتُ قلبي بعدها فتشجعـا

ومن شعره في الغزل[5] :

لا تَعْجبي يا سلمَ من رجل ضحك المشيبُ برأسه فَبَكى
يا ليْتَ شعري كَيْفَ نومُكما يا صاحبيّ إذا دمي سُفِكا

[1] زيادة من د .
[2] س : الفقه .
[3] ديوانه : ١٠٢ .
[4] س : ما .
[5] ديوانه : ١١٧ .

لا تآخــــذا بظُلامَـــتي أحــــداً قلبي وطَـرْفي في دمي اشتركــــا

ومن شعره في مدح المطَّلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي أمير مصر[1] :

زمـني بمطّلب سُقِيتَ زَمـــانا ما كنْتَ إلا رَوْضةً وجِـنَانا
كلُّ الندى إلا نَـداكَ تكلُّفٌ لم أرض غيرَك كائنـــاً من كانا
أصلحْتني بالبرِّ بـــل أفْسدْتني وتركتني أتسخّط الإحسانــــا

ومن كلامه : من فَـضْل الشعر أنه لم يكذب أحد قط إلا اجْتَواه[2] الناس، إلا الشاعر فإنه كلما زاد كذبه زاد المدح له ، ثم لا يقنع له بذلـك حتى يقال له : أحسنت والله ، فلا يشهد له شهادة زور إلا ومعها يمين بالله تعالى .

وقال دعبل[3] : كنا يوماً عند سَهْل بن هارون الكاتب البليـغ ، وكان شديد البخل ، فأطلنا الحديث ، واضطره الجوع إلى أن دعا[4] بغَدَائه ، فأُتِيَ بقصعة فيها ديك عاسٍ هرم لا تخرقه سكين ولا يؤثر فيه ضرس ، فأخذ كسرة خبز فخاض بها مرقته ، وقَـلَّـبَ جميع ما في القصعة ، ففقد الرأس ، فبقي مُطرقاً ساعة ، ثم رفع رأسه وقال للطباخ: أين الرأس؟ فقال : رميتُ به ، قال : ولم؟ قال : ظننت أنك لا تأكله ، فقال : لبئس ما ظننت ، ويحك والله إني لأمقت مَنْ يرمي برجليه فكيف من يرمي رأسه ، والرأس رئيس ، وفيـــه الحواس الأربع ، ومنه يَصيحُ ، ولولا صوته لما فضل ، وفيه فرقه[5] الذي يُتبرك به ، وفيه عيناه اللتان يُضرب بهما المثل فيقال : شراب كعين[6] الديك ، ودماغـــه عجب[7] لوجع الكليتين ، ولم ير عظم قط أهش من عظم رأسه ، أوَما علمت أنه

١ ديوانه : ١٩٠ ، وتنسب أيضاً لطريح الثقفي في حماسة الخالديين ١ : ١٤ .
٢ د : اجتنبه .
٣ لم ترد هذه القصة في س .
٤ ه : أُتي .
٥ فرقه : رواية ص والمسودة ؛ وفي بعض النسخ : عرفه .
٦ ه : مثل عين .
٧ ر : عجيب .

خير من طرف الجناح ومن الساق ومن العنق ؟ فإن كان قد بلغ من نُبْلك[1] أنك لا تأكله فانظر أين هو ، قال : والله لا أدري أين هو ، رميت به ، قال: لكنني أدري أين هو ، رميت به في بطنك فالله حسبك .

ودعبل ابن عم أبي جعفر محمد بن عبد الله بن رزين الملقب أبا الشّيص الخزاعي الشاعر المشهور ، وكان أبو الشيص من مُدّاح الرشيد ، ولما مات رثاه ومدح ولده الأمين .

وكانت ولادة دعبل في سنة ثمان وأربعين ومائة ، وتوفي سنة ست وأربعين ومائتين بالطيب ، وهي بلدة بين واسط العراق وكور الأهواز ، رحمه الله تعالى.

وجده رزين مولى عبد الله بن خلف الخزاعي ، والد طلحة الطلحات، وكان عبد الله المذكور كاتب عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، على ديوان الكوفة ، وولي طلحة سجستان فمات بها ، رحمه الله تعالى .

ولما مات دعبل – وكان صديق البحتري ، وكان أبو تمام الطائي قد مات قبله كما تقدم – رثاهما البحتري بأبيات منها[2] :

قد زاد في كلَفي وأوقَدَ لوْعتي مَثْوَى حبيب يَومَ مات ودعبلِ
أخَوَيَّ لا تزل السماء مخيلة تَغْشَاكما بسماء مُزْنٍ مُسْبِلِ
جَدَثٌ على الأهواز يَبْعُدُ دونه مَسْرَى النعيِّ ورِمَّةٌ بالموصل

ودعبل – بكسر الدال وسكون العين المهملتين وكسر الباء الموحدة وبعدها لام – وهو اسم الناقة الشارف ، وكان يقول : مررت يوماً برجل قد أصابه الصَّرْع ، فَدَنَوْت منه وصحت في أذنه بأعلى صوتي : دعبل ، فقام يمشي كأنه لم يصبه شيء .

١ أ ج : من مثلك .
٢ ديوان البحتري : ١٧٩٠ .

٢٢٨

دعلج بن أحمد

دعلج بن أحمد بن دعلج بن عبد الرحمن السجستاني المعدّل ؛ سمع الحديث ببلاد خراسان والري وحلوان وبغداد والبصرة والكوفة ومكة ، وكان من ذوي اليسار وله صدقات جارية وأوقاف محبسة على أهل الحديث ببغداد ومكة وسجستان ؛ وجاور بمكة زماناً طويلاً ثم سكن بغداد واستوطنها وحدث بها عن محمد بن عمر الحرسي ومحمد بن النضر الجارودي وغيرهما ، وروى عنه الدارقطني أبو الحسن وغيره من شيوخ الخطيب . وكان ثقة ، وجمع له «المسند» وغير ذلك .

قال الخطيب : بلغني أنه بعث بكتابه «المسند» إلى أبي العباس ابن عقدة لينظر فيه وجعل في الأجزاء بين كل ورقتين ديناراً ؛ وكان يقول : ليس في الدنيا مثل داري ، وذلك أنه ليس في الدنيا مثل بغداد ، ولا في بغداد مثل القطيعة ، ولا في القطيعة مثل درب أبي خلف ، ولا في درب أبي خلف مثل داري .

قال الخطيب : حدثني أبو بكر محمد بن علي بن عبد الله الحداد — وكان من أهل الدين والقرآن والصلاح — عن شيخ سماه وذهب عني حفظ اسمه قال : حضرت يوم جمعة المسجدَ الجامعَ بمدينة المنصور ، فرأيت رجلاً بين يديّ في الصف حسنَ الوقار ظاهر الخشوع دائم الصلاة، لم يزل يتنفّلُ مذ دخل المسجد إلى أن قرب قيامُ الصلاة ، ثم جلس ، قال : فغلبتني هيبته ودخل قلبي محبته ، ثم أقيمت الصلاة فلم يُصَلِّ مع الناس الجمعة ، فكبر علي ذلك من أمره ، وتعجبت من حاله ، وغاظني فعله ، فلما قضيت الصلاة تقدمت إليه وقلت :

٢٢٨ - ترجمة دعلج في طبقات السبكي ٢ : ٢٢٢ وتاريخ بغداد ٨ : ٣٨٧ وعبر الذهبي ٢ : ٢٩١ والرسالة المستطرفة : ٧٣ ؛ وانفردت بهذه الترجمة النسختان : ص ر .

أيها الرجل ، ما رأيت أعجب من أمرك ، أطلت النافلة وأحسنتها وتركت الفريضة وضيعتها ، فقال : يا هذا إن لي عذراً وبي علة منعتني من الصلاة ، قلت : وما هي ؟ قال : أنا رجل عليّ دين اختفيت في منزلي مدة بسببه ثم حضرت اليوم الجامع للصلاة فقبل أن تُقام التفتُ فرأيت صاحب الدين ، فمن خوفه أحدثت في ثيابي، فهذا خبري، فأسألك بالله إلا سترت علي وكتمت أمري، فقلت : ومن الذي له عليك الدين ؟ قال : دعلج بن أحمد ، وكان إلى جانبه صاحب لدعلج قد صلى وهو لا يعرفه ، فسمع هذا القول ، ومضى في الوقت إلى دعلج فذكر له القصة ، فقال له دعلج : امض إلى الرجل واحمله إلى الحمام واطرح عليه خلعة من ثيابي وأجلسه في منزلي حتى أنصرف من الجامع ، ففعل الرجل ذلك، فلما انصرف دعلج إلى منزله أمر بالطعام فأحضر وأكل هو والرجل ثم أخرج حسابه فنظر فيه فإذا له عليه خمسة آلاف درهم فقال له : انظر لا يكون عليك في الحساب غلط أو نسي لك نقد ، فقال الرجل : لا ، فضرب دعلج على حسابه وكتب تحته علامة الوفاء ، ثم أحضر الميزان ووزن خمسة آلاف درهم وقال له : أما الحساب الأول فقد حاللناك مما بيننا وبينك فيه وأسألك أن تقبل هذه الخمسة آلاف درهم وتجعلنا في حل من الروعة التي دخلت قلبك برؤيتك إيانا في مسجد الجامع ، أو كما قال .

وكانت وفاة دعلج المذكور يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وثلثمائة ، وقيل لعشر بقين منها ، رحمه الله تعالى .

٢٢٩

أبو بكر الشبلي

أبو بكر دُلَف بن جَحْدَر – وقيل جعفر ، وقيل جعفر بن يونس ، وهكذا هو مكتوب على قبره – المعروف بالشِّبْلي الصالح المشهور الخراساني الأصل البغدادي المولد والمنشأ ؛ كان جليل القدر مالكي المذهب ، وصحب الشيخ أبا القاسم الجنيد ومن في عصره من الصلحاء رضي الله عنهم ، وكان في مبدإ أمره والياً في دُنْبَاوَنْدَ ، فلما تاب في مجلس خيرٍ النساج مضى إليها وقال لأهلها : كنت والي بلدكم فاجعلوني في حل . ومجاهداته في أول أمره فوق الحد ، ويقال : إنه اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه نوم ؛ وكان يبالغ في تعظيم الشرع المطهر ؛ وكان إذا دخل شهرُ رمضان المبارك جَدّ في الطاعات ويقول : هذا شهر عَظّمه ربي فأنا أولى بتعظيمه ، وكان في آخر عمره ينشد كثيراً :

وكم مِن مَوضعٍ لو مُتُّ فيهِ ... لكنتُ به نَكالاً في العشيره

ودخل يوماً على شيخه الجنيد ، فوقف بين يديه وصَفّق بيديه ، وأنشد :

عَوَّدُوني الوصالَ والوصْلُ عَذْبُ ... وَرَمَوْني بالصدّ والصدُّ صَعْبُ

زَعموا حين أزْمعوا[1] أن ذنبي ... فَرْطُ حبّي لهمْ ، وما ذاكَ ذَنبُ

لاَ وَحَقّ الخضوعِ عِندَ التلاقي ... ما جَزَا مَنْ يُحِبُّ إلا يُحَبُّ

قال : فأجابه الجنيد :

---

٢٢٩ – ترجمة الشبلي في تاريخ بغداد ١٤ : ٣٨٩ والمنتظم ٦ : ٣٤٧ وصفة الصفوة ٢ : ٢٥٨ وحلية الأولياء ١٠ : ٣٦٦ والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٨٩ .

١ م ه : أعرضوا .

وتَمَنَّيت أن أراك فلما رأيتكا
غلبَتْ دهشة السرور[1] فلم أملِكِ البكا

[حدث أحمد بن منصور بن نصر قال : جاء الشبلي يوماً إلى أبي بكر ابن مجاهد فلم يجده في مسجده فسأل عنه فقيل : هو عند علي بن المجوسي ، فلما دخل وقعدنا قال له أبو بكر ابن مجاهد : يا أبا بكر ، أُخبرت أنك تحرق الثياب والخبز والأطعمة وما ينتفع الناس فيه ، أين هذا من العلم والشرع ؟ فقال له : يقول الله ﴿ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق ﴾ (ص : ٣٣) أين هذا من العلم ؟ فسكت أبو بكر ابن مجاهد ، فقال : كأني ما قرأتها قط . وقيل إنهم عابثوه في مثله فقرأ ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾ (لأنبياء : ٩٨) هذه الأطعمة والشهوات حقيقة الخلق ومعبودهم أبرأ منه وأحرقه؛ ومن أناشيده:

ودادكم هجر وحبكم قلى ووصلكم سلم وسلمكم حرب

وحكي عن بعض المعترفين[2] أنه أنس إلى طريقة التصوف واستشرف [وشاور أبا بكر فرده عما أراده][3] وحذره التعرض له ، وعطفته الخواطر عليه فمال إلى قرين من هذه الطائفة فعلق بهم واتصل بجملتهم ، ثم صحب جماعة منهم متوجهاً إلى الحج ، فعجز في بعض الطريق من مسايرتهم وقصر عن اللحاق فمضوا وتخلف عنهم ، فاستند إلى بعض الرمال إرادة الاستراحة من الإعياء ، فمر به الشيخ المذكور فقال مخاطباً له :

إن الذين بخير كنتُ أذكرهم قضوا عليك وعنهم كنت أنهاكا

فقال له الفتى : ما أصنع الآن ؟ فقال له :

لا تطلبن حياة غير حبهمُ فليس يحييك إلا من توفاكا

١ هـ : اللقاء .
٢ د : المسرفين .
٣ زيادة من د وموضعها بياض في ر .

قال محمد بن إبراهيم : حضرت وفـــاة الشبلي فأمسك لسانه وعرق جبينه فأشار إلى وضوء الصلاة فوضأته ، وبقي تخليل لحيته ، فقبض على يدي وأدخل إصبعي في لحيته يخللها ، فبكيت وقلت : رجل لم يذهب عليه تخليــل لحيته في الوضوء عند نزع روحه وإمساك لسانه .

ودخل عليه أبو الفتح ابن شفيـع عائداً في مرضه ، فسمعه يقول :

صحَّ عنـــد الناس أني عاشق غير أن لم يعلموا عشقي لمـــن

قال أبو بكر الشبلي : جئت يوماً إلى باب الطـــاق فرأيت والدة تضرب ولدها ، فقلت لها : لهذا حرمة ، فقال الصبي : معارضتك بيني وبين والدتي أشد علي من ضربها ، أرأيت أحداً يضرب ولده إلا من محبته إياه ؟ إنما ضرب الوالدين تأديب وشفقة وفرط محبة ، قال الشبلي : فكأني كنت المقصود بهذه المخاطبة ، فانصرفت عنها وأنا أقول :

لبيــك تصديقـــاً أيا سيـــدي مَنِ الذي يألم من عثرتـــك][1]

وحكى[2] الخطيب في تاريخه ، قال أبو الحسن التميمي : دخلت على أبي بكر في داره يوماً وهو يهيج ، ويقول :

على بُعْدِكَ ما يصبِـ ـرُ مَنْ عادَتهُ القربُ
ولا يقوى على هجرِ كَ مَن تَيَّمَهُ الحبُّ
فإنْ لم تَرَكَ العينُ فقَدْ يُبصِرُكَ القلبُ[3]

وذكر الخطيب أيضاً في ترجمة أبي سعد إسماعيل بن علي الواعظ[4] ما مثاله : وأنشدنا أبو سعد قال : أنشدنا طاهر الخثعمي قال : أنشدني الشبلي لنفسه :

---

١ ما بين معقفين زيادة من ر وبعضه في د ولا وجود له في المسودة وسائر النسخ .
٢ س : وذكر .
٣ إلى هنا انتهت الترجمة في م .
٤ ترجمته في تاريخ بغداد ٦ : ٣١٥ .

مَضَتِ الشبيبَةُ والحبيبةُ فانبرى   دَمْعانِ في الأجفان يزْدَحمانِ
ما أنصفتني الحادثاتُ ، رَمينني   بمُوَدِّعَينِ وليسَ لي قلبانِ

وقال الشبلي أيضاً[1] : رأيت يوم الجمعة معتوهاً عند جامع الرصافة قائماً عُريانَ ، وهو يقول : أنا مجنون الله ، أنا مجنون الله ، فقلت له : لِمَ لا تدخل الجامع وتتوارى وتصلي ؟ فأنشد :

يَقولُونَ زُرْنا واقْضِ واجبَ حَقّنا   وقدْ أسْقَطَتْ حالي حُقوقَهُمُ عنّي
إذا أبصرُوا حالي ولم يأنفُوا لها   ولمْ يأنفُوا مِنها أنِفتُ لهمْ مِنّي

وكانت وفاته يوم الجمعة[2] لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين[3] وثلثمائة ببغداد ، ودفن في مقبرة الخيزُران ، وعمره سبع وثمانون سنة ، رحمه الله تعالى ، ويقال إنه مات سنة خمس وثلاثين ، والأول أصح ، ويقال إن مولده بسُرَّ من رأى .

والشِّبْلي : بكسر الشين وسكون الباء الموحدة وبعدها لام – وهذه النسبة إلى شِبلةَ ، وهي قرية من قرى أسرُوشنَة ، واسروشنة بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الراء وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وفتح النون وبعدها هاء ساكنة – وهي بلدة عظيمة وراء سَمَرْقَندَ من بلاد ما وراء النهر .

ودُنْباوَنْدُ : بضم الدال المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وبعد الألف واو مفتوحة ثم نون ساكنة وبعدها دال مهملة – وهي ناحية من رُستاق الرّي في الجبال ، وبعضهم يقول : دماوند ، والأول أصح .

---

١ سقطت هذه القصة من س .
٢ أ : الخميس .
٣ أ ج : ٣٨٤ (وهو خطأ) .

حرف الذال

٢٣٠

ذو القرنين ابن حمدان

أبو المطاع ذو القرنين ابن أبي المظفر حَمْدان بن ناصر الدولة أبي محمد الحسن ابن عبد الله بن حمدان التغلبي الملقب وجيه الدولة – وقد تقدم ذكر جده ناصر الدولة في حرف الحاء، ورفعْتُ هناك في نسبه فأغنى عن إعادته –؛ كان أبو المطاع المذكور شاعراً ظريفاً حسَنَ السَّبْك جميل المقاصد، ومن شعره قوله :

إني لأحسُدُ « لا » في أسطرِ الصُّحُفِ   إذا رأيتُ اعتنــاقَ اللامِ للألفِ
ومــا أظُنُّهُما طالَ اعْتناقُهُما   إلا لمــا لَقِيا مِنْ شِدّةِ الشَّغَفِ

وله أيضاً :

أفْدي الذي زُرْتهُ بالسيف مُشْتَمِلاً   ولحظُ عينيه أمْضى منْ مَضاربِه
فما خَلَعْتُ نِجادِي في العناقِ له   حتّى لَبِستُ نِجاداً مِنْ ذَوائبِه
فكانَ أسعَدَنا في نَيــلِ بُغْيَتِه   مَنْ كانَ في الحبِّ أشقانا بصاحِبِه[1]

وأورد له الثعالبي في « اليتيمة »[2] الأبياتَ التي تقدم ذكرها في ترجمة الشريف أبي القاسم أحمد بن طَباطَبا العلوي التي أولها :

قالت لطيفِ خيالٍ زارَني ومَضى   باللهِ صِفهُ ولا تنقصْ ولا تزِدِ

٢٣٠ – ترجمة ذي القرنين ابن حمدان في معجم الأدباء ١١ : ٢٠١ وتهذيب ابن عساكر ٥ : ٢٥٩ والشذرات ٣ : ٢٣٨ والنجوم الزاهرة ٥ : ٢٧ .

١ سقط البيت من س .

٢ انظر اليتيمة ١ : ١٠٦ – ١٠٧ .

وذكر في ترجمة أبي المطاع أنها له وفي ترجمة الشريف أنها له ، والله أعلم لمن هي منهما .

وله أيضاً :

لمّا التقينا معاً والليلُ يسترنا ... من جنحه أظْلَمٌ في طيّها نِعَمُ
بِتنا أعفّ مبيتٍ باته بشر ... ولا مراقب إلا الطّرْفُ والكرم
فلا مشى مَن وشى عند العدوّ بنا ... ولا سعَتْ بالذي يسعى بنا قدَم[1]

[وله أيضاً :

لو كنتَ ساعة بيننا ما بيننا ... فشهدتَ حين نكرر التوديعا
أيقنتَ أن من الدموع محدثاً ... وعلمتَ أن من الحديث دموعا

وقوله :

ترى الثياب من الكتّان يلمحها ... نور من البدر أحياناً فيبليها
فكيف تنكر أن تبلى معاجرها ... والبدر في كل وقت طالعٌ فيها

وللشريف الرضي في المعنى :

كيف لا تبلى غلالته ... وهو بدر وهي كتّان][2]

ومن المنسوب إليه[3] :

تقولُ لمّا رأتني ... نِضواً مَثل الخلالِ
هذا اللقاءُ مِنامٌ ... وأنتَ طيفُ خيالِ
فقلت كلا ولكن ... أساء بينُكِ حالي
فليسَ تعرفُ مني ... حقيقتي من محالي

---

١ ب : القدم .

٢ ما بين معقفين زيادة من ر وبعضه في د ولم يرد في ص أو المسودة .

٣ سقطت الأبيات من س .

وله أشعار كثيرة حسنة ، ولعبد العزيز بن نباتة الشاعر المشهور في أبيه مدائح جمة .

وتوفي أبو المطاع في صفر سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، وكان قد وصل إلى مصر في أيام الظاهر بن الحاكم العُبَيدي صاحبها ، فقلده ولاية الاسكندرية[1] وأعمالها في رجب سنة أربع عشرة وأربعمائة ، وأقام بها مقدار سنة ، ثم رجع إلى دمشق ، هكذا قاله المسبّحي في تاريخه .

١ م : وولاه الاسكندرية .

حَرْفُ الرَّاء



٢٣١

رابعة العدوية

أم الخير[١] رابعة ابنة إسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عَتيك[٢] الصالحة المشهورة ؛ كانت من أعيان عصرها ، وأخبارُها في الصلاح والعبادة مشهورة ، وذكر أبو القاسم القُشَيري في « الرسالة »[٣] أنها كانت تقول في مناجاتها : إلهي تحرق بالنار قلباً يحبك ؟ فهتف بها مرة هاتف : ما كنا نفعل هذا ، فلا تظني بنا ظنّ السوء . وقال يوماً عندها سفيان الثوري : واحزناه ! فقالت : لا تكذب بل قل واقِلّةَ حزناه ، لو كنت محزوناً لم يتهيأ لك أن تتنفس . وقال بعضهم : كنت أدعو لرابعة العدوية ، فرأيتها في المنام تقول : هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل من نور ، وكانت تقول : ما ظهر من أعمالي فلا أعدّه شيئاً .

ومن وصاياها : اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم[٤] . [وقالت لأبيها : يا أبه ، لست أجعلك في حل من حرام تطعمنيه ، فقال لها : أرأيت إن لم أجد إلا حراماً ؟ قالت : نصبر في الدنيا على الجوع خير من أن نصبر في الآخرة على النار . وكانت إذا جنّ عليها الليل قامت إلى سطح لها ثم نادت : إلهي هدأت الأصوات وسكنت الحركات وخلا كل حبيب بحبيبه ، وقد خلوت بك

---

٢٣١ - كتب في ترجمتها الدكتور عبد الرحمن بدوي كتاباً بعنوان «رابعة العدوية شهيدة العشق الإلهي» (ط. القاهرة) وفيه ذكر لمصادر ترجمتها ؛ وارجع أيضاً إلى الشريشي شارح المقامات ٢ : ٢٣١ .

١ أ : الخيزران .

٢ ح ه : عقيل .

٣ رسالة القشيري : ٦٤[illegible] .

٤ إلى هنا انتهت الترجمة في س ، ولم يزد عليها في المسودة سوى ذكر الوفاة .

أيها المحبوب ، فاجعل خلوتي منك في هذه الليلة عتقي من النار][1] .

[ولقي سفيان الثوري رابعة – وكانت زرية الحال – فقال لها : يا أم عمرو أرى حالاً رثة فلو أتيت جارك فلاناً لغيَّر بعض ما أرى، فقالت له : يا سفيان وما ترى من سوء حالي ؟ ألستُ على الإسلام فهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه والأنس الذي لا وحشة معه ؛ والله إني لأستحيي أن أسأل الدنيا مَنْ يملكها فكيف أسألها من لا يملكها ؟ فقام سفيان وهو يقول : ما سمعت مثل هذا الكلام . وقالت رابعة لسفيان : إنما أنت أيام معدودة فإذا ذهب يومٌ ذهب بعضك ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكلّ وأنت تعلم فاعمل .

كان أبو سليمان الهاشمي له بالبصرة كل يوم غلة ثمانين ألف درهم ، فبعث إلى علماء البصرة يستشيرهم في امرأة يتزوجها فأجمعوا على رابعة العدوية فكتب إليها : أما بعد فإن ملكي من غلةّ الدنيا في كل يوم ثمانون ألف درهم وليس يمضي إلا قليل حتى أتمها مائة ألف إن شاء الله ، وأنا أخطبك نفسك ، وقد بذلت لك من الصداق مائة ألف وأنا مصيّر إليكِ من بعد أمثالها ، فأجيبيني ، فكتبت إليه : أما بعد فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن ، والرغبة فيها تورث الهم والحزن ، فإذا أتاك كتابي فهيىء زادك وقدم لمعادك ، وكن وصيّ نفسك ولا تجعل وصيتك إلى غيرك ، وصمْ دهرك واجعل الموت فطرك ، فما يسرُّني ان الله خولني أضعاف ما خولك فيشغلني بك عنه طرفة عين والسلام .

وقالت امرأة لرابعة : إني أحبك في الله ، فقالت لها : أطيعي من أحببتني له . وكانت رابعة تقول : اللهم قد وهبت لك من ظلمني فاستوهبني ممن ظلمته. قال رجل لرابعة : إني أحبك في الله ، قالت : فلا تعصِ الذي أحببتني له][2] .

وأورد لها الشيخ شهاب الدين السُّهْرُوَرديّ في كتاب «عوارف المعارف»:

إنـّي جعلتكَ في الفؤاد محدّثي وأبحتُ جسمي من أرادَ جلوسي

[1] زيادة من ص .

[2] زيادة من ص د ، وقد انفردت د منها بأشياء يسيرة .

فالجسمُ مِني لِلجليس مـؤانس وحبيبُ قلبي في الفؤاد أنيسي[1]

وكانت وفاتها في سنة خمس وثلاثين ومائة[2] ، ذكره ابن الجوزي في « شذور العقود » وقال غيره : سنة خمس وثمانين ومائة ، رحمها الله تعالى ، وقبرها يزار ، وهو بظاهر القدس من شرقيه على رأس جبل يسمى الطور[3] . وذكر ابن الجوزي في كتاب « صفة الصفوة »[4] في ترجمة رابعة المذكورة بإسناد له متصل إلى عبدة[5] بنت أبي شوال – قال ابن الجوزي : وكانت من خيار إماء الله تعالى ، وكانت تخدم رابعة – قالت : كانت رابعة تصلي الليل كله ، فإذا طلع الفجر هجعت في مُصَلاّها هَجْعة خفيفة حتى يُسْفر الفجر ، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهي فَزِعَة : يا نفس ، كم تنامين ؟ وإلى كم تقومين ؟ يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها ، إلا لصرخة[6] يوم النشور ، وكان هذا دأبها دهرها حتى ماتت ، ولما حضرتها الوفاة دعتني وقالت : يا عبدة لا تُؤْذِني بموتي أحداً ، وكفنيني في جبتي هذه ، وهي جبة من شَعَرٍ كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون ، قالت : فكفنّاها في تلك الجبة ، وفي خمار صوف كانت تلبسه ، ثم رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها في منامي عليها حلة إستبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر شيئاً قط أحسن منه ، فقلت : يا رابعة ، ما فعلتِ بالجبة التي كفنّاكِ فيها والخمار الصوف ؟ قالت : إنه والله نزع عني وأبدلت به ما تَرَيْنَه عليّ ، فطويت أكفاني وختم عليها ، ورفعت في عِلّيين ليكمل لي بها ثوابها يوم القيامة ، فقلت لها : لهذا كنت تعملين أيام الدنيا ، فقالت : وما هذا عند ما رأيتُ من كرامة الله عز وجل لأوليائه ؟ فقلت لها : فما فعلت عبيدة[7] بنت أبي كلاب ؟ فقالت : هيهات هيهات سبقتنا والله إلى

---

١ ص : جليسي .
٢ إلى هنا انتهت الترجمة في م .
٣ إلى هنا انتهت الترجمة في ر .
٤ صفة الصفوة ٤ : ١٩ .
٥ ﻫ : عبيدة .
٦ أ ﻫ : بصرخة .
٧ ﻫ : عبدة .

الدرجات العلا ، فقلت : وبمَ وقد كنت عند الناس ، أي أكبر منها ؟ قالت : إنها لم تكن تبالي على أي حال أصبحت من الدنيا وأمست ، فقلت لها : فما فعل أبو مالك ؟ أعني ضيغماً ، قالت : يزور الله عز وجل متى شاء ، قلت : فما فعل بشر بن منصور ؟ قالت : بخ بخ ، أُعطي والله فوق ما كان يؤمل ، قلت : فمريني بأمر أتقرب به إلى الله عز وجل ، قالت : عليك بكثرة ذكره ، يوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك ، رحمها الله تعالى .

٢٣٢

ربيعة الرأي

أبو عثمان ربيعة بن أبي عبد الرحمن فَرّوخ ، مولى آل المنكدر التَّيْمِيّينَ – تيم قريش – المعروف بربيعة الرأي ، فقيه أهل المدينة ؛ أدرك جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، وعنه أخذ مالك بن أنس رضي الله عنه . قال بكر بن عبد الله الصنعاني : أتينا مالك بن أنس ، فجعل يحدثنا عن ربيعة الرأي ، فكنا نستزيده من حديث ربيعة ، فقال لنا ذات يوم : ما تصنعون بربيعة وهو نائم في ذاك الطاق ؟ فأتينا ربيعة فأنبهناه وقلنا له : أنت ربيعة ؟ قال : نعم ، قلنا : أنت الذي يحدّث عنك مالك بن أنس ؟ قال : نعم ، فقلنا : كيف حظي بك مالك وأنت لم تحظ بنفسك ؟ قال : أما علمتم أن مثقالاً من دولة[1] خير من حمل علم ؟

وكان ربيعة يكثر الكلام ويقول : الساكت بين النائم والأخرس . وكان

---

٢٣٢ - ترجمة ربيعة الرأي في تاريخ بغداد ٨ : ٤٢٠ وتهذيب التهذيب ٣ : ٢٥٨ وتذكرة الحفاظ : ١٥٧ وميزان الاعتدال ٢ : ٤٤ وصفة الصفوة ٢ : ٨٣ والمعارف : ٤٩٦ وعبر الذهبي ١ : ١٨٣ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ١٥ .

١ ج : حظ .

يوماً في مجلسه وهو يتكلم ، فوقف عليه أعرابي دخل من البادية فأطال الوقوف والإنصات إلى كلامه ، فظن ربيعة أنه قد أعجبه كلامه ، فقال له : يا أعرابي ، ما البلاغة عندكم ؟ فقال : الإيجاز مع إصابة المعنى ، فقال : وما العِيُّ ؟ فقال: ما أنت فيه منذ اليوم ، فخجل ربيعة[1] .

[قال عبد الوهاب بن عطاء الخفاف : حدثني مشايخ أهل المدينة أن فرّوخاً أبا عبد الرحمن بن ربيعة خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازياً وربيعة حمل في بطن أمه ، وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينـــار ، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرساً وفي يده رمح ، فنزل ودفع الباب برمحه فخرج ربيعة ، وقال : يا عدو الله ، أتهجم على منزلي ؟ فقال فروخ: يا عدو الله ، أنت دخلت على حَرَمي ، فتواثبا وتلبب كل واحد منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران ، فبلغ مالك بن أنس والمشيخة فأتوا يعينون ربيعة ، فجعل ربيعة يقول : والله لا فارقتك إلا عند السلطان ، وجعل فرّوخ يقول : والله لا فارقتك إلا بالسلطان وأنت مع امرأتي ؛ وكثر الضجيج ، فلما أبصروا بمالك سكتوا ، فقال مالك : أيها الشيخ ، لك سَعَة في غير هذه الدار ، فقال الشيخ : هي داري وأنا فروخ ، فسمعت امرأته كلامه فخرجت وقالت : هذا زوجي ، وهذا ابني الذي خلفه وأنا حامل به ، فاعتنقا جميعاً وبكيا . فدخل فروخ المنزل وقال : هذا ابني ؟ فقالت : نعم ، قال : أخرجي المال الذي لي عندك وهذه معي أربعة آلاف دينار ، قالت : قد دفنته وأنا أُخرجه بعد أيام ، ثم خرج ربيعة إلى المسجد وجلس في حلقته ، فأتاه مالك والحسن بن زيد وابن أبي علي اللهبي والمساحقي وأشراف أهل المدينة وأحْدَقَ الناسُ به ، فقالت امرأته لزوجها فروخ : اخرج فصلِّ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج فنظر إلى حلقة وافرة فأتاها فوقف عليها فأفرجوا له قليلاً فنكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره ، وعليه دنية طويلة ، فشك أبوه فيه ، فقال : مَنْ هذا الرجل ؟ فقالوا : هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، فقال : فقد رفع الله ابني ، ورجع إلى

[1] لم يزد في م على هذا القدر من ترجمته سوى ذكر وفاته .

منزله ، وقال لوالدته : لقد رأيت ولدك على حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقه عليها ، فقالت أمه : فأيما أحب إليك ثلاثون ألف دينار أو هذا الذي هو فيه ؟ فقال : لا والله بل هذا ، فقالت : فإني أنفقت المال كله عليه ، قال: فوالله ما ضيعته .

وقال معاذ بن معاذ : سمعت سَوّار بن عبد الله يقول : ما رأيت أحداً أعلم من ربيعة الرأي ، قلت : ولا الحسن وابن سيرين ؟ قال : ولا الحسن وابن سيرين ، وما كان بالمدينة رجل أسخى بما في يديه لصديق أو غيره من ربيعة الرأي ، أنفق على إخوانه أربعين ألف درهم ، ثم جعل يسأل إخوانه ، فقيل له : أذهبت مالك وأنت تخلق جاهك ، فقال : لا يزال هذا دأبي ما وجدت أحداً يغبطني على جاهي][1] .

وكانت وفاته في سنة ست وثلاثين ، وقيل سنة ثلاثين ومائة بالهاشمية ، وهي مدينة بناها السفاح بأرض الأنبار وكان يسكنها ، ثم انتقل إلى الأنبار رحمه الله تعالى .

وقال مالك بن أنس : ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة الرأي .

قلت : ولا يمكن الجمع بين قول من يقول إنه توفي سنة ثلاثين ومائة وإنه دفن بالهاشمية التي بناها السفاح ، لأن السفاح ولي الخلافة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، كذا نقله أرباب التواريخ واتفقوا عليه ، فتأمله .

١ ما بين معقفين زيادة من ر متقدمة على موضعها هنا ، ومن ص .

٢٣٣

الربيع بن سليمان المرادي

أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي بالولاء المؤذن المصري ، صاحب الإمام الشافعي؛ وهو الذي روى أكثر كتبه ، وقال الشافعي في حقه : الربيع راويتي ، وقال : ما خدمني أحد ما خدمني الربيع ، وكان يقول له : يا ربيع ، لو أمكنني أن أطعمك العلم لأطعمتك . ويحكى عنه أنه قال : دخلت على الشافعي رضي الله عنه عند وفاته ، وعنده البُوَيْطي والمُزَني وابن عبد الحكم ، فنظر إلينا ثم قال : أما أنت يا أبا يعقوب – يعني البويطي – فتموت في حديدك ، وأما أنت يا مُزَني فستكون لك في مصر هَنات وهَنات ، ولتدركنّ زماناً تكون فيه أقيسَ أهل زمانك ، وأما أنت يا محمد – يعني ابن عبد الحكم – فترجع إلى مذهب مالك ، وأما أنت يا ربيع فأنت أنفعهم لي في نشر الكتب ، قم يا أبا يعقوب فتسلم الحلقة . قال الربيع : فلما مات الشافعي رضي الله عنه صار كل واحد منهم إلى ما قاله ، حتى كأنه ينظر إلى الغيب من ستر رقيق .

وحكى الخطيب في تاريخه في ترجمة البويطي[١] : قال الربيع بن سليمان المرادي : كنا جلوساً بين يدي الشافعي رضي الله عنه أنا والبويطي والمزني ، فنظر إلى البويطي فقال : ترون هذا ؟ إنه لن يموت إلا في حديده ، ثم نظر إلى المزني فقال : ترون هذا ؟ اما إنه سيأتي عليه زمان لا يفسر شيئاً فيخطئه ، ثم نظر إلي فقال : أما إنه ما في القوم أحد أنفع لي منه ، ولوددت أني حَشَوتُه العلم حشواً . والربيع هذا آخر من روى عن الشافعي بمصر .

٢٣٣ - ترجمة الربيع بن سليمان المرادي في تهذيب التهذيب ٣ : ٢٤٥ وطبقات الشيرازي، الورقة: ٢٧ وطبقات السبكي ١ : ٢٥٩ .

١ لم ترد هذه الفقرة في س م ؛ وانظر تاريخ بغداد ١٤ : ٢٩٩ .

ورأيت بخط الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري المصري شعراً للربيع المذكور :

صبراً جميلاً ما أسرع الفرجا　　من صَدَّقَ الله في الأمور نجا
من خشي الله لم ينـله أذى　　ومن رجا الله كان حيث رجا

وتوفي الربيع يوم الاثنين لعشر بقين من شوال سنة سبعين ومائتين بمصر ، ودفن بالقرافة مما يلي الفقاعي في بَحْرِيه في حجرة هناك ، وعند رأسه بلاطة رخام فيها اسمه وتاريخ وفاته ، رحمه الله تعالى .

والمرادي – بضم الميم وفتح الراء وبعد الألف دال مهملة – هذه النسبة إلى مُراد ، وهي قبيلة كبيرة باليمن خرج منها خلق عظيم .

٢٣٤

الربيع بن سليمان الجيزي

أبو محمد الربيع بن سليمان بن داود بن الأعرج الأزْدي بالولاء المصري الجيزي صاحب الشافعي رضي الله عنه ؛ لكنه كان قليل الرواية عنه ، وإنما روى عن عبد الله بن عبد الحكم كثيراً ، وكان ثقة ، وروى عنه أبو داود والنسائي . [قيل : إنه اجتاز يوماً بمصر، فطُرحت عليه إجانة رماد ، فنزل عن دابته وجعل ينفضه عن ثيابه ولم يقل شيئاً ، فقيل له : ألا تزجرهم ؟ فقال : مَنْ استحق النار وصولح بالرماد فقد ربح][1] .

وتوفي في ذي الحجة سنة ست وخمسين ومائتين بالجيزة ، وقبره بها ، كذا

٢٣٤ – ترجمة الربيع بن سليمان الأزدي في طبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٧ وترتيب المدارك ٣ : ٨٦ وطبقات السبكي ١ : ٢٥٩ .

[1] ما بين معقفين زيادة من د وحدها .

قاله القضاعي في « الخطط » ، رحمه الله تعالى .

والأزدي : قد تقدم الكلام فيه .

والجيزي[1] – بكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها زاي – هذه النسبة إلى الجيزة ، وهي بليدة في قبالة مصر يفصل بينها عرض النيل ، والأهرام في عملها وبالقرب منها ، وهي من عجائب الأبنية [قال بعض الحكماء: ما على وجه الأرض بَنِيَّة إلا وأنا أرثي لها من الليل والنهار ، إلا الهرمين فأنا أرثي لليل والنهار منهما .

ولأبي الطيب المتنبي فيهما :

أين الذي الهَرَمان من بُنيانه ... ما قومُهُ ما يومُه ما المَصْرَعُ
تتخلَّفُ الآثار عَنْ أصحابها ... حيناً ويُدْركها الفَناء فتَتْبَعُ

وزعم قوم أن الأهرام قبور ملوك عظام آثروا أن يتميزوا بها على سائر الملوك بعد مماتهم كما تميزوا عليهم في حياتهم ، وتوخَّوْا أن يبقى ذكرهم بسببها على تطاول الدهور وتراخي العصور . ولما وصل الخليفة المأمون إلى مصر أمر بنقب الهرمين ، فنقب أحدهما بعد جهد شديد وعناء طويل ، فوجدوا داخله مَراقي ومهاوي يهول أمرها ويعسر السلوك فيها ، ووجدوا في أعلاها بيتاً مكعباً طول كل ضلع من أضلاعه نحو من ثمانية أذرع وفي وسطه حوض رخام مطبق فيه رمّةٌ بالية ، وقد أتت عليها العصور ، فكف عن نَقْب ما سواه ، وكانت النفقة على نَقْبه عظيمة ، والمؤونة شديدة .

ومن الناس من زعم أن هرمس الأول المدعو بالمثلث بالنبوة والملك والحكمة وهو الذي يسميه العبرانيون خَنوخ – وهو إدريس عليه السلام – استدل من أحوال الكواكب على الطوفان ، فأمر ببناء الأهرام وإيداعها ما يُشفق عليه من الذهاب ؛ وقيل بانيها سورند لرؤيا رآها وهي أن آفة تنزل من السماء وهي الطوفان ؛ ويقال : إنه بناها في مدة ستة أشهر ، وغَشّاها بالديباج الملون ،

---

[1] من هنا حتى آخر الترجمة لم يرد في م .

وكتب عليها : قد بنيناها في ستة أشهر ، قُل ْ لمن يأتي بعدنا يهدمها في ستمائة سنة ، والهدم أيسر من البنيان ، وكسوناها الديباج الملون فليكسها حصراً ، والحصر أهون من الديباج . وبالجملة فالأمر فيها عجيب جداً ، والله أعلم][1] .

٢٣٥

الربيع بن يونس

أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فَرْوَةَ – واسمه كيسان – مولى الحارث الحفار، مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه ؛ كان الربيع المذكور حاجب أبي جعفر المنصور ، ثم وزَرَ له بعد أبي أيوب المورياني – الآتي ذكره في حرف السين إن شاء الله تعالى – وكان كثير الميل إليه حسَنَ الاعتماد عليه ؛ قال له يوماً : يا ربيع ، سَلْ حاجتك ، قال : حاجتي يا أمير المؤمنين أن تحبَّ الفضلَ ابني ، فقال له : ويحك ! إن المحبة تقع بأسباب ، فقال له : قد أمكنك الله من إيقاع سببها ، قال : وما ذاك؟ قال : تـُفضِل عليه، فإنك إذا فعلت ذلك أحبك وإذا أحبك أحببته ، قال : قد والله حَبَّبته إلي قبل إيقاع السبب ، ولكن كيف اخترت له المحبة دون كل شيء ؟ قال : لأنك إذا أحببته كبر عندك صغير إحسانه ، وصغر عندك كبير إساءته ، وكانت ذنوبه كذنوب الصبيان ، وحاجته إليك حاجة الشفيع العُرْيان . أشار بقوله « الشفيع العريان » إلى قول الفرزدق الشاعر :

ليسَ الشفيعُ الذي يأتيكَ مُتَّزِراً مِثلَ الشفيعِ الذي يَأتِيكَ عُرْيانا

---

[1] هذه زيادة من ر وحدها .

٢٣٥ – ترجمة الربيع حاجب المنصور في تاريخ بغداد ٨ : ٤١٤ والجهشياري : ١٢٥ وتهذيب ابن عساكر ٥ : ٣٠٨ ، هذا إلى ما ورد عنه في كتب التاريخ العامة .

وهذا البيت من جملة أبيات في عبد الله بن الزبير بن العوّام لما طلب الخلافة لنفسه واستولى على الحجاز والعراق في أيام عبد الملك بن مروان الأمويّ ، وكان قد اختصم الفرزدق وزوجته النـّوار ، فمَضَيا من البصرة إلى مكة ، ليفصل الحكم بينهما عبدُ الله بن الزبير ، فنزل الفرزدق عند حمزة بن عبد الله ، ونزلت النوار عند زوجة عبد الله ، وشفَعَ كل واحد منهما لنزيله، فقضى عبد الله للنوار وترك الفرزدق ، فقال الأبيات المذكورة ، فصار الشفيع العريان مثلا يضرب لكل من تـُقبَلُ شفاعته .

[وكان أبو جعفر إذا أراد بإنسان خيراً أمر بتسليمه إلى الربيع ، وإذا أراد به شرّاً سلمه للمسيب ، فكتب عامل فلسطين يذكر أن بعض أهلها وثب واستغوى جماعة وعاب في العمل ، فكتب إليه أبو جعفر : دمك بواء بدمه إلى أن توجه به إليّ ، فأخذه ووجَّه به إليه ، فلما دخل عليه قال : أنت المتوثب على عامل أمير المؤمنين ؟ لأنثرنّ من لحمك أكثر مما بقي منه على عظمك ، فقال له بصوت ضئيل ، وكان شيخاً كبيراً :

أتروض عرسك بعد ما هرمت ومن العناء رياضة الهرم

فقال أبو جعفر : يا ربيع ، ما يقول ؟ قال : يقول :

العبد عبدكم والمال مالكمْ فهل عذابك عني اليوم مصروف

فقال : قد عفوت عنه ، فخلـّى سبيله وأحسن إليه . وهذا الشعر لسحيم عبد بني الحسحاس][1] .

وقال له المنصور يوماً : ويحك يا ربيع ، ما أطيب الدنيا لولا الموت ! فقال له : ما طابت إلا بالموت ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : لولا الموت لم تقعد هذا المقعد ، قال : صدقت . وقال له المنصور لما حضرته الوفاة : يا ربيع ، بعنا الآخرة بنَوْمة .

١ زيادة من د وحدها .

وقال الربيع : كنا يوماً وقوفاً على رأس المنصور وقد طُرحت لولده المهدي – وهو يومئذ ولي عهده – وسادة، إذ أقبل صالح بن المنصور، وكان قد رشحه أن يوليه بعض أموره ، فقام بين السّماطين، والناس على قدر أنسابهم ومراتبهم، فتكلم فأجاد ، فمدّ المنصور يده إليه ، وقال : إليّ يا بني ، واعتنقه ، ونظر إلى وجوه الناس، هل فيهم من يذكر مقامه ويصف فضله؟ فكلهم كرهوا ذلك بسبب المهدي خِيفَةً منه ، فقام شبة بن عقال التميمي[1] ، فقال : لله در خطيب قام عندك يا أمير المؤمنين ، ما أفصح لسانه ، وأحسن بيانه ، وأمضى جَنانه ، وأبلّ ريقه ، وأسهل طريقه ، وكيف لا يكون كذلك ، وأميرُ المؤمنين أبوه ، والمهدي أخوه ؟ وهو كما قال الشاعر[2] :

هُوَ الجوَاد فإن يلحَقْ بشأوِهما ... على تكاليفه فمثلهُ لحقا
أوْ يسبقاهُ على ما كانَ مِنْ مَهَلٍ ... فمثلُ ما قدّما منْ صالح سَبَقا

فعجب مَنْ حضر بجمعه بين المدحين وإرضائه المنصور وخَلاصه من المهدي؛ قال الربيع : فقال لي المنصور : لا يخرج التميميّ إلا بثلاثين ألف درهم ، فلم يخرج إلا بها .

ويقال : إن الربيع لم يكن له أب يُعرف ، وإن بعض الهاشميين دخل على المنصور وجعل يحدثه ، ويقول : كان أبي رحمه الله تعالى ، وكان وكان ، وأكثر من الترحّم عليه ، فقال له الربيع : كم تترحّمُ على أبيك بحضرة أمير المؤمنين؟ فقال له الهاشمي : أنت معذور يا ربيع ، لأنك لا تعرف مقدار الآباء ، فخجل منه .

ولما دخل أبو جعفر المنصور المدينة ، قال للربيع : ابْغني رجلا عاقلاً عالماً ليقفني على دورها ، فقد بَعُدَ عهدي بديار قومي ، فالتمس له الربيع فتًى من أعلم الناس وأعقلهم ، فكان لا يبتدىء بالإخبار عن شيء حتى يسأله المنصور ،

١ ورد هذا في البيان ١ : ٣٥٢ منسوباً إلى شبيب بن شيبة المنقري الخطيب .
٢ الشعر لزهير بن أبي سلمى ؛ ديوانه : ٥١ .

فيجيبه بأحسن عبارة وأجود بيان وأوفى معنى ، فأعجب المنصور به ، فأمر له بمال فتأخر عنه ، ودعته الضرورة إلى استنجازه ، فاجتاز ببيت عاتكة بنت عبد الله بن أبي سفيان[1] الأموي ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا بيت عاتكة ، الذي يقول فيه الأحوص بن محمد الأنصاري[2] :

يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعَزَّلُ حَذَرَ العدا وبه الفؤاد مُوَكَّلُ
إني لأمنحكَ الصدُودَ وإنني قسَماً إليكَ معَ الصدود لأميلُ

ففكر المنصور في قوله ، وقال : لم يخالف عادته بابتداء الإخبار دون الاستخبار إلا لأمر ، وأقبل يُرَدِّدُ القصيدة ويتصفحها شيئاً فشيئاً حتى انتهى إلى قوله فيها :

وأراكَ تَفعَلُ ما تقُولُ وبعضُهم مَذِقُ الحديث[3] يقُولُ ما لا يَفعَلُ

فقال المنصور : يا ربيع ، هل أوصلت إلى الرجل ما أمرنا له به ؟ قال : تأخر عنه لعلة ذكرها الربيع ، فقال : عَجِّلهُ له مضاعفاً ، وهذا ألطف تعريض من الرجل ، وحسن فهم من المنصور[4] .

[وكان يقول : من كلم الملوك في الحاجات في غير أوقاتها لم يظفر ببغيته ، وما أشبه الحال في ذلك إلا بأوقات الصلاة ، فإن الصلاة لا تُقبل إلا فيها ، فمن أراد خطاب الملوك فليختر لذلك الوقتَ المنجح الذي يصلح فيه ذكر ما أراد ليصح النُّجْح ، وإلا فلا][5] .

[وحكت فائقة بنت عبد الله أم عبد الواحد بن جعفر بن سليمان ، قالت : كنا يوماً عند المهدي أمير المؤمنين ، وكان قد خرج متنزهاً إلى الأنبار ، إذ

---

١ أ ج : بنت يزيد بن معاوية .
٢ انظر الاغاني ٢١ : ١٠٦ وما بعدها .
٣ ر : اللسان .
٤ هنا ينتهي ما في نسخة م ، ولا زيادة سوى ذكر تاريخ وفاته وما ورد في آخر الترجمة عن جده وعن قطيعة الربيع .
٥ ورد في د وحدها .

دَخل عليه الربيع ، ومعه قطعة من جراب فيه كتابة برمادٍ وخاتم من طين قد عُجن بالرماد وهو مطبوع بخاتم الخلافة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما رأيت أعجب من هذه الرقعة ، جاءني بها رجل أعرابي ، وهو ينادي : هذا كتاب أمير المؤمنين ، دُلّوني على هذا الرجل الذي يسمى الربيع ، فقد أمرني أن أدفعها إليه ، وهذه هي الرقعة ؛ فأخذها المهدي وضحك وقال : صَدقت ، هذا خطي وهذا خاتمي ، أفلا أخبركم بالقصة كيف كانت ؟ قلنا : أمير المؤمنين أعلى رأياً في ذلك ، فقال : خرجت أمس إلى الصيد في غِبّ سماء ، فلما أصبحتُ هاج علينا ضباب شديد وفقدت أصحابي حتى ما رأيت منهم أحداً ، وأصابني من البرد والجوع والعطش ما الله به أعلم ، وتحيرت عند ذلك فذكرت دعاء سمعته من أبي ، يحكيه عن أبيه عن جدّه عن ابن عبّاس — رضي الله عنهما — رَفَعه ، قال: من قال إذا أصبح وإذا أمسى « بسم الله وبالله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، اعتصمت بالله وتوكلت على الله ، حسبي الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » وُقِي وكُفي وهُدِيَ وشُفي من الحرق والغرق والهدم وميتة السوء ، فلما قلتها ، رفع الله لي ضوء نار ، فقصدتها فإذا بهذا الأعرابي في خيمة له ، وإذا هو يوقد ناراً بين يديه ، فقلت له : أيها الأعرابي ، هل من ضيافة ؟ فقال : انزل ، فنزلت ، فقال لزوجته : هاتي ذلك الشعير ، فأتت به ، فقال : اطحنيه ، فابتدأت تطحنه ، فقلت له : اسقني ماء ، فأتى بسِقاء فيه مَذْقة لبنٍ أكثرها ماء، فشربت منها شربة ما شربت شيئاً قط إلا وهي أطيب منه ، وأعطاني حِلْساً له فوضعت رأسي عليه ، فنمت نومة ما نمت أطيب منها وألذ ، ثم انتبهت ، فإذا هو قد وثب إلى شُوَيهة فذبحها ، وإذا امرأته تقول له : ويحك ! قتلت نفسك وصِبْيَتَكَ ، إنما كان معاشكم من هذه الشاة ، فذبحتها فبأي شيء نعيش ؟ قال : فقلت : لا عليك ، هات الشاة ، فشققتُ جوفها ، واستخرجت كبدها بسكين كانت في خفي ، فشرحتها ثم طرحتها على النار وأكلتها ، ثم قلت له : هل عندك شيء أكتب لك فيه ؟ فجاءني بهذه القطعة من جِراب ، وأخذت عوداً من الرّماد الذي بين يديه ، وكتبت له هذا الكتاب ، وختمته بهذا الخاتم ، وأمرته أن يجيء ويسأل عن الربيع فيدفعها

إليه ، فإذا في الرقعة خمسمائة ألف درهم، فقال : والله ما أردت إلا خمسين ألف درهم ، ولكن جرت بخمسمائة ألف درهم ، لا أنقص والله منها درهماً واحداً ، ولو لم يكن في بيت المال غيرها ؛ احملوها معه ، فما كان إلا قليل حتى كثرت إبله وشاؤه ، وصار منزلاً من المنازل ينزلهُ الناسُ ممن أراد الحج ، وسمي منزل مُضِيف أمير المؤمنين المهدي][1] .

[وقال أبان بن صدقة : كنت أخلف الربيع على كتبه للمنصور ، فدخلت يوماً وَعَلَيَّ خز أسود جديد والمنصور في قباء خز خَلَق ، فجعل ينظر اليّ فضاقت عليّ الدنيا ، وخرج الربيع فقلت إني أخطأت خطأ عظيماً ، وعرّفته الخبر فقال : ما ذاك إلا لخير فلا يحزنك ، فلما كان من غدٍ دخلت في قباء خز خلق فقال لي المنصور : أما عندك أحسن من هذا تلبسه أمام المنصور ؟ قلت : بلى ، ولكن رأيت أمير المؤمنين لبس قباء خلقاً وكان عليّ قباء جديد فضاقت عليّ الأرض إذ لبست أفضل من لباسه ، فقال : لا تفعلْ ، البسْ خير ما عندك في خدمتي ليتبين الناس إحساني إليك ولا تلبس مثل هذا فيظن بي إساءة إليك، فإن الناس يعلمون أني أقدر على أشرف اللباس وإن لم ألبس وأنت فلا يظن ذلك بك ، قال : فعلمت أن الربيع أعقل الناس وأعلمهم بأخبار أمير المؤمنين][2] .

وكانت وفاة الربيع في أول سنة سبعين ومائة . وقال الطبري : مات الربيع في سنة تسع وستين ومائة . وقيل إن الهادي سمه ، وقيل مرض ثمانية أيام ومات ، والله أعلم ، رحمه الله تعالى .

وإنما قيل لجده « أبو فروة » لأنه أُدخل المدينة وعليه فروة ، فاشتراه عثمان رضي الله عنه وأعتقه ، وجعل يحفر القبور ، وكان من سبي جبل الخليل صلى الله عليه وسلم – وسيأتي ذكر ولده الفضل إن شاء الله تعالى – .

وقطيعة الربيع منسوبة إليه ، وهي محلة كبيرة مشهورة ببغداد ، وإنما قيل لها قطيعة الربيع لأن المنصور أقطعه إياها .

---

١ ما بين معقفين زيادة من ر وحدها .

٢ زيادة من د وحدها .

٢٣٦

ربعي بن حراش

ربعي بن حراش بن جحش بن عمرو بن عبد الله بن نجار بن عبد بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان العبسي الكوفي؛ روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه [وعلي بن أبي طالب] وحذيفة بن اليمان وأبي بكرة وعمران بن الحصين رضي الله عنهم. حدث عنه عامر الشعبي وعبد الملك بن عمير ومنصور بن المعتمر وأبو مالك الأشجعي [وغيرهم]. وكان ثقة، وهو أخو مسعود وربيع ابني حراش، ورد المدائن غير مرة في حياة حذيفة وبعده.

قال أبو مسلم صالح بن عبد الله العجلي: حدثني أبي قال: ربعي بن حراش كوفي تابعي ثقة؛ يقال إنه لم يكذب قط، وكان له ابنان عاصيان زمن الحجاج، فقيل للحجاج: إن أباهما لا يكذب قط، ولو أرسلت إليه فسألته عنهما، فأرسل إليه فقال له: أين ابناك؟ قال: هما في البيت، قال: قد عفونا عنهما لصدقك.

وكان ربعي بن حراش آلى ألا تفتر أسنانه بالضحك حتى يعلم أين مصيره، فما ضحك إلا بعد موته؛ وكان أخوه ربيع بعده آلى ألا يضحك حتى يعلم أفي الجنة هو أم في النار؛ قال الحارث الغنوي: فأخبرني غاسله أنه لم يزل مبتسماً على سريره ونحن نغسله حتى فرغنا منه.

قال سعيد بن جميل العبسي: رأيت ربعي بن حراش رجلاً أعور.

٢٣٦ - ترجمة ربعي بن حراش في طبقات ابن سعد ٦ : ١٢٧ وتهذيب ابن عساكر ٥ : ٢٩٧ وتهذيب التهذيب ٣ : ٢٣٦ وتاريخ بغداد ٨ : ٤٣٣ وحلية الأولياء ٤ : ٣٦٧؛ ووردت ترجمته في ر، ووقعت في ص بعد ترجمة روح بن حاتم، ولم ترد في المسودة.

مات سنة أربع ومائة ، وصلى عليه عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ، وذلك في ولاية عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله تعالى .

٢٣٧

رجاء بن حيوة

أبو المقدام رجاء بن حَيْوَةَ بن جَرْوَلٍ الكندي ؛ كان من العلماء ، وكان يجالس عمر بن عبد العزيز ؛ ذكر أنه بات ليلة عنده فهمّ السراج أن يخمد ، فقام إليه ليصلحه ، فأقسم عليه عمر ليقعدَنَّ ، وقام هو إليه فأصلحه ؛ قال : فقلت له : تقوم أنت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز .

[قال : وأمرني عمر بن عبد العزيز أن أشتري له ثوباً بستة دراهم ، فأتيته به فجسّه وقال : هو على ما أُحب لولا أن فيه ليناً ، قال : فبكيت ، قال : فما يبكيك ؟ قال : أتيتك وأنت أمير بثوب بستمائة درهم ، فجسسته وقلت : هو على ما أُحب لولا أن فيه خشونة ، وأتيتك وأنت أمير المؤمنين بثوب بستة دراهم ، فجسسته وقلت : هو على ما أُحب لولا أن فيه ليناً ، فقال : يا رجاء إن لي نفساً تَوّاقَةً تاقت إلى فاطمة بنت عبد الملك فتزوجتها ، وتاقت إلى الإمارة فوليتها ، وتاقت إلى الخلافة فأدركتها ، وقد تاقت إلى الجنة فأرجو أن أدركها إن شاء الله عز وجل][1] .

٢٣٧ - ترجمة رجاء بن حيوة في تهذيب التهذيب ٣ : ٢٦٥ وحلية الأولياء ٥ : ١٧٠ وتذكرة الحفاظ : ١١٨ وصفة الصفوة ٤ : ١٨٦ والمعارف : ٤٧٢ وطبقات الشيرازي، الورقة : ١٩ وترد أخباره حيث وردت سيرة عمر بن عبد العزيز في الكتب التاريخية وفي سيرة عمر لابن الجوزي وابن عبد الحكم وطبقات ابن سعد .

١ زيادة من د وحدها .

وقال : قوّمْتُ ثياب عمر بن عبد العزيز وهو يخطب باثني عشر درهماً ، وكانت قَبَاء وعمامة وقميصاً وسراويل ورداء وخفين وقلنسوة ؛ وله معه أخبار وحكايات .

وكان يوماً عند عبد الملك بن مروان ، وقد ذكر عنده شخص بسوء ، فقال عبد الملك : والله لئن أمكنني الله منه لأفعلن به ولأصنعن ، فلما أمكنه الله منه همّ بإيقاع الفعل به ، فقام إليه رجاء بن حَيْوَةَ المذكور فقال : يا أمير المؤمنين قد صنع الله لك ما أحببت فاصنع ما يحب الله من العفو ، فعفا عنه وأحسن إليه .

[ولما حضر أيوب بن سليمان بن عبد الملك الوفاة – وكان ولي عهد أبيه – دخل عليه أبوه وهو يجود بنفسه ، ومعه عمر بن عبد العزيز وسعيد بن عقبة ورجاء بن حَيْوَةَ ، فجعل سليمان ينظر في وجه أيوب ، فخنقته العَبْرَةُ ، ثم قال : إنه ما يملك العبد نفسه أن يسبق إلى قلبه الوَجْدُ عند المصيبة ، والناس في ذلك أصناف : فمنهم المحتسب ، ومنهم من يغلب صبرُه جَزَعَهُ فذلك الجَلْدُ الحازم ، ومنهم من يغلب جزعُه صبرَه فذلك المغلوب الضعيف ، وإني أجد في قلبي لوعة إن أنا لم أبردها خفت أن تنصدع كبدي كمداً ، فقال له عمر : يا أمير المؤمنين ، الصبر أولى بك فلا يَحْبَطَنّ أجْرك . وقال سعيد بن عقبة : فنظر إليّ وإلى رجاء بن حيوة نظر مستغيثٍ يرجو أن نساعده على ما أدركه من البكاء ، فأما أنا فكرهت أن آمره أو أنهاه ، وأما رجاء فقال : يا أمير المؤمنين ، إني لا أرى بذلك بأساً ما لم يأت الأمر المفرط ، وإني قد بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات ابنه إبراهيم دمعت عيناه ، فقال : « تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضي الرب ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون » ، فبكى سليمان حتى اشتد بكاؤه ، فظننا أن نِياطَ قلبه قد انقطع ، فقال عمر بن عبد العزيز لرجاء بن حيوة : بئس ما صنعت بأمير المؤمنين ، فقال: دعه يا أبا حفص يقضي من بكائه وطراً ، فإنه لو لم يخرج من صدره ما ترى خفت أن يأتي عليه ، ثم أمسك عن البكاء ، ودعا بماء فغسل وجهه ، وقضى الفتى ، فأمر بجهازه ، وخرج يمشي أمام جنازته ، فلما دفن وقف ينظر

إلى قبره ، ثم قال :

وقفتُ على قبرٍ مقيم بقفرة   متاعٌ قليلٌ من حبيب مُفارِق

ثم قال : السلام عليك يا أيوب ، وقال :

كنتَ لنا أنساً ففارَقتنا   فالعيشُ من بَعدك مرُّ المذاقْ

ثم قال : يا غلام أدنِ دابتي مني ، فركب وعطف دابته إلى القبر ، وقال :

فإنْ صبرْتُ فلم ألفظكَ مِنْ شبَعٍ   وإنْ جَزعْتُ فعِلقٌ مُنفِسٌ ذهَبا

فقال عمر : بل الصبر أقرب إلى الله عز وجل ، قال : صدقت ، وانصرف][1] .

وكانت وفاته سنة اثنتي عشرة ومائة ، وكان رأسه أحمر ولحيته بيضاء ، رحمه الله تعالى .

وحَيْوَةَ : بفتح الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الواو وبعدها هاء ساكنة .

٢٣٨

رؤبة بن العجاج

أبو محمد رُؤبة بن العَجّاج – والعجاج لقب واسمه : أبو الشعثاء[2] عبد الله – ابن رُؤبة البصري التميمي السَّعْدي ؛ وهو وأبوه راجزان مشهوران ، كلٌّ منهما

---

١ زيادة من د وحدها .

٢٣٨ – ترجمة رؤبة بن العجاج في الشعر والشعراء : ٤٩٥ والخزانة ١ : ٤٣ والمؤتلف والمختلف : ١٧٥ ولسان الميزان ٢ : ٤٦٤ وقد نشر ديوانه وليم بن الورد البروسي (سنة ١٩٠٣) ؛ والترجمة موجزة جداً في م .

٢ أ ج : البيضاء .

له ديوان رجز ليس فيه شعر سوى الأراجيز ، وهما مجيدان في رَجزهما ، وكان بصيراً باللغة قيماً بحُوشيِّها وغريبها .

حكى[1] يونس بن حبيب النحوي قال : كنت عند أبي عمرو ابن العلاء ، فجاءه شبيل بن عزرة الضبعي[2] ، فقام إليه أبو عمرو وألقى إليه لبدَ بغلته ، فجلس عليه ثم أقبل عليه يحدّثه ، فقال شبيل : يا أبا عمرو ، سألت رُؤبتكم عن اشتقاق اسمه فما عرفه ، يعني رؤبة . قال يونس : فلم أملك نفسي عند ذكره ، فقلت له : لعلك تظن أن معَدَّ بن عَدْنان أفصح منه ومن أبيه ؟ أفتعرف أنت ما الروبة ، والروبة ، والروبة ، والروبة ، والرؤبة وأنا غلام رؤبة ، فلم يُحِرْ جواباً ، وقام مُغضَباً ، فأقبل علي أبو عمرو وقال : هذا رجل شريف ، يقصد مجالستنا ويقضي حقوقنا ، وقد أسأت فيما فعلت مما واجهته به ، فقلت : لم أملك نفسي عند ذكر رؤبة . فقال أبو عمرو : أوَقد سُلطْتَ على تقويم الناس ؟

ثم فسر يونس ما قاله فقال : الرُّوبة : خميرة اللبن ؛ والرُّوبة : قطعة منَ الليل ؛ والرُّوبة : الحاجة ، يقال : فلان لا يقوم بروبة أهله : أي بما أسندوا إليه منْ حوائجهم ؛ والرُّوبة : جمام ماء الفحل ، والرؤبة — بالهمزة — القطعة التي يُشعبُ بها الإناء ، والجميع بسكون الواو وضم الراء التي قبلها ، إلا رُؤبة فإنها بالهمز .

[وكان رؤبة يأكل الفأر ، فعوتب في ذلك ، فقال: هي أنظف من دَواجنكم ودجاجكم اللائي يأكلن المذرة ، وهل يأكل الفأر إلا نقيَّ البر أو لُباب الطعام؟ ولما مات قال الخليل : دَفنّا الشعر واللغة والفصاحة][3] .

وكان رؤبة مقيماً بالبصرة ، فلما ظهر بها إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه وخرج على أبي جعفر المنصور وجرت الواقعة المشهورة ، خاف رؤبة على نفسه وخرج إلى البادية ليتجنب الفتنة ،

---

١ سقطت هذه القصة من س .

٢ كان شبيل بن عزرة الضبعي نسابة لغوياً وانتهى به الأمر أخيراً إلى اعتناق المذهب الخارجي أصفري .

٣ ما بين معقفين زيادة من د .

فلما وصل إلى الناحية التي قصدها أدركه أجَلُه بها ، فتوفي هناك سنة خمس وأربعين ومائة وكان قد أسَنَّ ، رحمه الله تعالى .

ورؤبة – بضم الراء وسكون الهمزة وفتح الباء الموحدة وبعدها هاء ساكنة – وهي في الأصل اسم لقطعة من الخشب يُشعَب بها الإناء ، وجمعها رئاب ، وباسمها سمي الراجز المذكور .

٢٣٩

روح بن حاتم

أبو حاتم روح بن حاتم بن قَبِيصَة بن المُهَلَّب بن أبي صُفْرَة الأزدي – وسيأتي تمام النسب عند ذكر جده المهلّب في حرف الميم إن شاء الله تعالى – ؛ كان روح المذكور من الكرماء الأجواد ، وولي لخمسة من الخلفاء : أبي العباس السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد . ويقال إنه لم يَتَّفق مثل هذا إلا لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، فإنه وليَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، رضي الله عنهم[1] . وكان روح والياً على السند، ولاه إياها المهدي بن أبي جعفر المنصور في سنة تسع وخمسين ومائة ، وكان قد ولاه في أول خلافته الكوفة ، وقيل إنه وليَ السند سنة ستين ومائة ، ثم عزله عن السند سنة إحدى وستين ومائة ، ثم ولاه البصرة .

٢٣٩ - ترجمته وأخباره في تهذيب ابن عساكر ٥ : ٣٣٦ والحلة السيراء ٢ : ٣٥٨ وابن عذاري ١ : ٨٤ ، هذا إلى ما ورد في الكتب التاريخية العامة عن ولايته لافريقية ، وفي تلك المصادر نفسها ترجمة أخيه يزيد .

١ في هذا الموضع وردت قصة روح وأبي دلامة في ص وهامش المسودة ، ولم نثبتها هنا لأنها سترد في ترجمة أبي دلامة فيما بعد .

وكان يزيد[1] أخو روح والياً على إفريقية ، فلما توفي يزيد يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة سبعين ومائة بإفريقية في مدينة القيروان ودفن بباب سلم – وكان أقام والياً عليها خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر – قال أهل إفريقية : ما أبعد ما يكون بين قبري هذين الأخوين ، فإن أخاه بالسند وهذا هاهنا ، فاتفق أن الرشيد عزل روحاً عن السند وسَيَّره إلى موضع أخيه يزيد ، فدخل إلى إفريقية أول رجب سنة إحدى وسبعين ومائة ، ولم يزل والياً عليها إلى أن توفي بها لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربع وسبعين ومائة ، ودفن في قبر أخيه يزيد ، فعجب الناس من هذا الاتفاق بعد ذلك التباعد ، رحمهما الله تعالى .

(40) ويزيد المذكور هو الذي قَصَدَه ربيعة بن ثابت الأسدي الرَّقّي فأحسن إليه ، وكان ربيعةُ مدح يزيدَ بن أُسَيد السُّلَمي فقصَّر يزيد في حقه ، فمدح يزيد بن حاتم وهجا يزيد السلمي بقصيدته الميمية التي يقول من جملتها[2] :

لشتّان ما بين اليزيدين في النّدَى ... يزيد سُلَيم والأغَرّ ابن حاتمِ
فهمُّ الفتى الأزْديّ إتلافُ مالِهِ ... وَهمُّ الفتى القَيسِيِّ جَمعُ الدَّراهم
فلا يَحسَب التمتامُ أني هَجَوْتُه ... ولكنني فَضَّلت أهل المكارم

ومنها :

فيا ابن أُسَيْدٍ لا تُسامِ ابنَ حاتمٍ ... فتَقرَعَ إن سامَيْتَه سنَّ نادِمِ
هُوَ البحر إن كلفْتَ نفسكَ خوضه ... تَهالكتَ في آذيِّهِ المُتَلاطِمِ
تمنيتَ مجداً في سُلَيْمٍ سَفَاهَةً ... أمانيَّ خالٍ أوْ أمانيَّ حَالِمِ
ألا إنما آل المهلب غُرَّةٌ ... وفي الحرب قادات لكم بالخزائم

---

[1] ولي يزيد افريقية في خلافة أبي جعفر فأصلحها ورتب أمر القيروان وجدد مسجدها، وكان غاية في الجود، وقبل ولايته المغرب كان قد ولي ولايات كثيرة منها أرمينية والسند ومصر وأذربيجان.

[2] انظر الحلة السيراء ١ : ٧٤ ومصادر تاريخية أخرى ، والأغاني ١٦ : ١٩٦ .

وهي طويلة ، ويكفي منها هذا القدر ، وكان قد قصَّر في حقه أولاً فعمل ربيعة أبياتاً من جملتها :

أراني ولا كُفْرانَ لله رَاجعاً   بخُفـي حُنَيْنٍ من نـَوالِ ابن حاتمِ

فعاد فعطف عليه ، وبالغ في الإحسان إليه[1] .
ويزيد المذكور جد الوزير أبي محمد المهلَّبي فينظر في ترجمته .

١ يقال ان يزيد بن حاتم لما بلغه هذا القول دعا به وقال : انزعوا خفيه ، فنزعا وهو خائف من عقوبته ، فملأهما له دراهم ودنانير ، وكانا كبيرين كأخفاف الجند .

حرف الزّاى

٢٤٠

الزبير بن بكار

أبو عبد الله الزبير بن بكر بن بكار – وكنيته أبو بكر – بن عبد الله بن مُصْعَب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي الزبيري؛ كان من أعيان العلماء ، وتولى القضاء بمكة حرسها الله تعالى، وصنف الكتب النافعة، منها كتاب « أنساب قريش » وقد جمع فيه شيئاً كثيراً ، وعليه اعتماد الناس في معرفة نسب القرشيين ، وله غيره مصنفات دلت على فضله واطلاعه . روى عن ابن عُيَيْنة ومَنْ في طبقته ، وروى عنه ابن ماجه القزويني وابنُ أبي الدنيا وغيرهما .

[ولقي الزبير بن بكار اسحاق بن ابراهيم الموصلي فقال : يا أبا عبد الله ، عملت كتاباً سميته « كتاب النسب » وهو كتاب الأخبار ، قال : وأنت يا أبا محمد – أيدك الله – عملت كتاباً سميته « كتاب الأغاني » وهو كتاب المعاني][1].

[قال جحظة : كنت بحضرة الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر ، فاستأذن الزبير بن بكار حين جاء من الحجاز ، فدخل، فأكرمه وعظّمه ، وقال له : إن باعدَتْ بيننا الأنساب لقد قربت بيننا الآداب ، وإن أمير المؤمنين اختارك لتأديب ولده وأمر لك بعشرة آلاف درهم وعشرة تُخُوت ثياب وعشرة أبغل تحمل عليها رَحْلَكَ إلى حضرة سُرَّ مَنْ رأى ، فشكر ذلك وقبله ، فلما

٢٤٠ – ترجمة الزبير بن بكار في تاريخ بغداد ٨ : ٤٦٧ ، وقد جمع الأستاذ محمود شاكر (في مقدمة جمهرة نسب قريش) ترجمته من المصادر المختلفة ، ووضع ثبتاً باثنين وعشرين مصدراً ترجمت له (انظر المقدمة : ٥٤ ، ٥٥ – ٧٢) فليراجع ما أورده الأستاذ المحقق ففي ما جاء هنالك مقنع لمن شاء مزيداً من التعرف إلى المترجم به .

١ زيادة من ر وحدها .

ودعه قال للشيخ : أرْونا حديثاً نذكرك به ، قال : أُحدثك بما سمعت أو بما شاهدت ؟ قال : بل بما شاهدت ، قال : بينا أنا في مسيري هذا بين مسجدين إذ بصرت بحبالةٍ منصوبة فيها ظَبي ميت ، وبإزائها رجل في نعشه ميت ، وامرأة حَسْرى تسعى وتقول :

أمْسَتْ فتاة بني نَهْدٍ علانية وبَعْلها في أكفّ الموت يبتذلُ
وكنت راغبة فيه أضنُّ به فحال مِنْ دون ظبي الريمة الأجَلُ

ثم خرج ، فقال محمد بن عبد الله بن طاهر : أي شيء أفدنا من هذا الشيخ ؟ قلنا : الأمير أعلم ، فقال : قوله « أمست فتاة بني نهد علانية » أي ظاهرة ، وهذا حرف لم أسمعه في كلام العرب قبل هذا .

قال الزبير بن بكار : قالت ابنة أُختي لأهلنا : خالي خير رجل لأهله ، لا يتخذ ضرة ولا يشتري جارية ، فقالت المرأة : لهذه الكتبُ أشدُّ علي من ثلاث ضرائر وأصعب][1] .

وتوفي بمكة وهو قاضٍ عليها ليلة الأحد لسبع – وقيل لتسع – ليال بقين من ذي القعدة سنة ست وخمسين ومائتين ، وعمره أربع وثمانون سنة ، رحمه الله تعالى . وتوفي والده سنة خمس وتسعين ومائة ، رحمه الله تعالى .

....

١ زيادة من د ر .

٢٤١

أبو عبد الله الزبيري

أبو عبد الله الزبير بن أحمد بن سليمان بن عبد الله بن عاصم بن المنذر بن الزبير بن العوام ، الفقيه الشافعي المعروف بالزبيري البصري ؛ كان إمام أهل البصرة في عصره ومُدَرِّسها ، حافظاً للمذهب مع حظ من الأدب ، وقدم بغداد وحدّث بها عن داود بن سليمان المؤدب ومحمد بن سنان[1] القزاز وإبراهيم بن الوليد ونحوهم . وروى عنه النقاش صاحب التفسير وعمر بن بشران السكري وعلي بن هارون السمسار ونحوهم . وكان ثقة صحيح الرواية ، وكان أعمى ، وله مصنفات كثيرة منها « الكافي » في الفقه ، وكتاب « النية » وكتاب « ستر العورة » وكتاب « الهداية » وكتاب « الاستشارة والاستخارة » وكتاب « رياضة المتعلم » وكتاب « الإمارة » وغير ذلك[2] ، وله في المذهب وجوه غريبة.

وتوفي قبل العشرين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

٢٤١ - ترجمة الزبيري الفقيه الشافعي في طبقات السبكي ٢ : ٢٢٤ ونكت الهميان : ١٥٣ والفهرست : ٢١٢ .

١ ر : عثمان .

٢ من مؤلفاته أيضاً المسكت وكتاب الفرائض وكتاب الجامع في الفقه .

٢٤٢
زبيدة أم الأمين

أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، وهي أم الأمين محمد بن هارون الرشيد؛ كان لها معروف كثير وفعل خير، وقصتها في حَجّها وما اعتمدته في طريقها مشهورة فلا حاجة إلى شرحها.

قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب «الألقاب»: إنها سَقَتْ أهل مكة الماء بعد أن كانت الراوية عندهم بدينار، وإنها أسالت الماء عشرة أميال بحط الجبال ونحوت الصخر حتى غلغلته من الحِلّ إلى الحرم، وعملت عقبة البستان، فقال لها وكيلها: يلزمك نفقة كثيرة، فقالت: أعملها ولو كانت ضَرْبَة فأسٍ بدينار، فبلغت النفقة عليه ألف ألف وسبعمائة ألف دينار؛ قال اسماعيل بن جعفر بن سليمان: حجت أم جعفر زبيدة فبلغت نفقتها في ستين يوماً أربعة وخمسين ألف ألف، ولها آثار كثيرة في طريق مكة والمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام من مصانع وبرك أحدثتها[1]. وإنه كان لها مائة جارية يحْفَظْنَ القرآن، ولكل واحدة وِرْد عُشْرُ القرآن، وكان يسمع في قصرها[2] كَدَوِيّ النحل من قراءة القرآن، وإن اسمها أمة العزيز، ولقّبها جدها أبو جعفر المنصور «زُبَيْدَةَ» لبَضاضتها ونَضارتها.

[قال الطبري في تاريخه: أعرس بها هارون الرشيد في ذي الحجة في سنة ١٦٥ في قصره المعروف بالخلد وحشد الناس من الآفاق وفرق فيهم الأموال ولم

---

٢٤٢ - ترجمة زبيدة أم جعفر في تاريخ بغداد ١٤ : ٤٣٣ وشرح المقامات للشريشي ٢ : ٢٢٥ والنجوم الزاهرة ٢ : ٢١٣ إلى أخبار في كتب التاريخ العامة والكتب الأدبية.

[1] فبلغت النفقة ... أحدثتها: لم يرد هذا في المسودة.

[2] ر: لها دوي.

ير في الاسلام مثله ، وبلغت النفقة في هذا الغرض من بيت مال الخاصة خارجة سوى ما أنفقه هارون من ماله خمسين ألف ألف درهم، وليس في بني هاشم هاشمية ولدت خليفة إلا هي. وحكي أنها أحضرت الأصمعي وقالت له : إن أمير المؤمنين استدعاني وقال : هلمّي يا أمّ نهر ، فما معنى ذلك ؟ فقال لها : إن جعفراً في اللغة هو النهر الصغير وأنت أم جعفر .

وحضر شاعر بابها ، وأنشد :

أزبيدة ابنة جعفر طوبى لزائرك المثابِ
تعطين من رجليك ما تعطي الأكفُ من الرغابِ

فتبادر الخدم إليه ليوقعوا به على سوء أدبه وعبارته فقالت : دعوه فإن من أراد خيراً فأخطأ خير ممن أراد شرّاً فأصاب ، سمع الناس يقولون : شمالك أندى من يمين غيرك ، فقدّر أنّ هذا مثل ذلك ؛ أعطوه ما أمّل وعرّفوه ما جهل .

ووقع بين الرشيد وبين زبيدة شر فتهاجرا فعمل داود بن رزين مولى عبد القيس شعراً وهو :

زمنٌ طيب ويوم مطير هذه روضة وهذا غدير
إنما أمّ جعفر جنة الخلـ ـد رضاها والسُّخْط منها السعير
أنت عبدٌ لها ومولى لهذا الـ ـخلق طرًّا وليس في ذا نكير
فاعتذر يا خليفة الله في الأر ض إليها وتركُ ذاك كبير

فصار إليها عندما وقف على الأبيات وسألت عن سبب مجيئه فعرفت ، وأوصلت إلى داود مائة ألف درهم في وقتها وأضعافها بعد ذلك .

ولما ولدت ابنة جعفر محمداً قال مروان بن أبي حفصة :

لله درُّك يا عقيلة جعفر ماذا ولدت من الندى والسؤدد
إن الخلافة قد تبين نورها للناظرين على جبين محمد

إني لأعلم أنه لخليفة إن بيعة عُقدت وإن لم تُعقد

فأمر له هارون بثلاثة آلاف دينار ، وأمرت زبيدة أن يحشى فوه جوهراً ، فكانت قيمته عشرة آلاف دينار .

وقالت زبيدة للمأمون عند دخوله بغداد : أُهنيك بخلافة قد هنأت نفسي [بها] عنك قبل أن أراك ، وان كنت قد فقدت ابناً خليفةً لقد عوضت ابناً خليفةً لم ألده ، وما خسر من اعتاض مثلك ولا ثكلت أم ملأت يدها منك ، وأنا أسأل الله أجراً على ما أخذ وإمتاعاً بما عوض ؛ وقيل إن زبيدة أرسلت إلى أبي العتاهية أن يقول على لسانها أبياتاً يستعطف بها المأمون ، فأرسل هذه الأبيات :

ألا إنَّ صرفَ الدهر يدني ويبعدُ ويمتعُ بالألاّف طرّاً ويُفقد
أصابت بريب الدهر مني يدي فسلمت للأقدار والله أحمد
وقلت لريب الدهر إن هلكت يد فقد بقيت والحمد لله لي يد
إذا بقي المأمونُ لي فالرشيد لي ولي جعفر لم يفقدا ومحمد

فسيرتها له ، فلما قرأها المأمون استحسنها وسأل عن قائلها فقيل له أبو العتاهية ، فأمر له بعشرة آلاف درهم وعطف على زبيدة وزاد في تكرمتها والبر بها .

اختلف الرشيد وأم جعفر في اللوزينج والفالوذج أيهما أطيب ، فمالت زبيدة إلى تفضيل الفالوذج ومال الرشيد إلى تفضيل اللوزينج ، وتخاطرا على مائة دينار، فأحضرا أبا يوسف القاضي وقالا له : يا يعقوب قد اختلفنا في كذا على كذا وكذا فاحكم فيه ، فقال : يا أمير المؤمنين ما يحكم على غائب وهو مذهبُ أبي حنيفة ، فأحضر له جامين من المذكورين ، فطفق يأكل من هذا مرّة ومن هذا مرة ، وتحقق أنه إنْ حكم للرشيد لم يأمن غضب زبيدة ، وإن حكم لها لم يأمن غضب الرشيد ، فلم يزل في الأكل إلى أن نصّف الجامين فقال له الرشيد : أيه أبا يوسف، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما رأيت خصمين أجدل منهما، كلما أردت

ان اسجل لأحدهما أدلى الآخر بحجته ، وقد حِرْتُ بينهما ، فضحك الرشيد ، وأعطاه المائة دينار وانصرف مشكوراً .

ومن عجائب التنجيم أن زبيدة فقدت خاتماً بفصّ له قيمة ، وأنها اتهمت به بعض جواريها ، فأحضرت رجلاً من أهل الصناعة فأخذ الطالع على تلك المصانع وقال : ما أخذ هذا الخاتم إلا الله تعالى، وردّد القول ولم يرجع عنه ، فبعد مدة فتحت زبيدة المصحف فوجدت الخاتم فيه ، وكانت قد جعلته علامة للوقف وأُنسيته][1] .

وكانت وفاتها في سنة ست عشرة ومائتين في جمادى الأولى ببغداد ، وتوفي أبوها جعفر بن المنصور في سنة ست وثمانين ومائة .

[ورآها عبد الله بن المبارك الزمن في المنام فقال لها: ما فعل الله بكِ؟ قالت: غفر لي الله بأول معول ضُرب في طريق مكة ، قال : قلت ما هذه الصفرة في وجهك ؟ قالت : دفن بين ظهرانينا رجل يقال له بشر المريسي فزفرت جهنم عليه زفرةً فاقشعرّ لها جسدي ، فهذه الصفرة من تلك الزفرة ، رحمها الله تعالى][2] .

٢٤٣

زفر بن الهذيل الحنفي

أبو الهذيل زفر بن الهذيل بن قيس بن سليم بن قيس بن مكمل بن ذهل بن ذؤيب بن جذيمة بن عمرو بن حنجور بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم بن مر

١ ما بين معقفين من ص ر د .

٢ ما بين معقفين من النسخ المذكورة .

٢٤٣ - ترجمة زفر صاحب أبي حنيفة في الجواهر المضية ١: ٢٤٣ ، ٢: ٥٣٤ وطبقات الشيرازي، الورقة : ٤٠ وشذرات الذهب ١ : ٢٤٣ ورجال ابن حبان : ١٧٠ .

ابن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان، العنبري الفقيه الحنفي ؛ كان قد جمع بين العلم والعبادة ، وكان من أصحاب الحديث ، ثم غلب عليه الرأي ، وهو قياس أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه ، وكان أبوه الهُذَيل على أصبهان .

[حكى المعافى بن زكريا في كتاب « الجليس والأنيس » عن عبد الرحمن ابن مغراء قال : جاء رجل إلى أبي حنيفة فقال : إني شربت البارحة نبيذاً ولا أدري أطلّقتُ امرأتي أم لا ، قال : المرأة امرأتك حتى تستيقن أنك طلقتها . ثم أتى سفيان الثوري فقال : يا أبا عبد الله إني شربت البارحة نبيذاً ولا أدري طلقت امرأتي أم لا ، قال : اذهب فراجعها فإن كنت طلقتها فقد راجعتها ، وإن لم تكن طلقتها فلم تضرك المراجعة شيئاً . ثم أتى شريك بن عبد الله فقال: يا أبا عبد الله إني شربت البارحة نبيذاً ، ولا أدري طلقت امرأتي أم لا، قال: اذهب فطلقها ثم راجعها . ثم أتى زفر بن الهذيل فقال : يا أبا الهذيل إني شربت البارحة نبيذاً ولا أدري طلقت امرأتي أم لا ؟ قال : هل سألت غيري ؟ قال : أبا حنيفة . قال : فما قال لك ؟ قال قال : المرأة امرأتك حتى تستيقن أنك قد طلقتها ، قال : هو الصواب ، قال : فهل سألت غيره ؟ قال : سفيان الثوري ، قال : فما قال لك ؟ قال : اذهب فراجعها فإن كنت طلقتها فقد راجعتها ، وإن لم تكن طلقتها فلم تضرك المراجعة شيئاً، قال: ما أحسن ما قال لك ، فهل سألت غيره ؟ قال : شريك بن عبد الله ، قال : فما قال لك ؟ قال: اذهب فطلقها ثم راجعها ، قال : فضحك زفر وقال : لأضربن لك مثلاً ، رجل مرّ بشعب سيل فأصاب ثوبه ، قال لك أبو حنيفة : ثوبك طاهر وصلاتك مجزئة حتى تستيقن أمر الماء ، وقال لك سفيان : اغسله فإن يك نجساً فقد طهر، وإن يك طاهراً زاده نظافة ، وقال لك شريك : اذهب فبُل عليه ثم اغسله . قال المعافى : وقد أحسن زفر في فصله بين هؤلاء الثلاثة فيما أفتَوا به في هذه المسألة، وفيما ضربه لسائله من الأمثلة .

فأما قول أبي حنيفة فهو محض النظر وأمر الحق ولا يجوز أن يحكم على امرىء في زوجته بطلاقها بعد صحة زوجيتها بظن عرض له وهو أبعد عند ذوي

الأفهام من أضغاث الأحلام ، وأما قول سفيان الثوري فإنه أشار بالاستظهار والتوثقة والأخذ بالحزم والحيطة وهذه طريقة أهل الورع وذوي الاستقصاء والمشفقين على نفوسهم من أهل الدين ، وفتيا أبي حنيفة في هذا عين الحق وجل الفقه ،وأي هاتين الحجتين سلك من نزلت به هذه النازلة وعرضت له هذه الحادثة فهو مصيب محسن على ما بيّنّا فيهما من الفصل بين المنزلتين ، وأما ما أفتى به شريك فتعجُّب زفر منه واقع في موضعه ولا وجه في الصحة لما أشار به . وقد أصاب زفر أيضاً في الوجه الذي ضربه له وأرى شريكاً توهم أن الرجعة لا تحقق إلا مع تحقق الطلاق فأمر باستئناف تطليقة لتصح الرجعة بعدها وهذا مختل فاسد ولو كان كما يرى أنه توهمه لما أثرت الرجعة إلا في التطليقة التي أوقعها وتيقنها دون التي أشفق من تقدمها وهو على غير يقين منها ، ولو ان رجلاً وكل رجلاً في طلاق زوجته ثم غاب الوكيل فأشفق من تطليقه إياها عليه فأشهد على رجعتها وهو غير عالم بوقوعها ثم تبين أنها وقعت قبل مراجعته لصحت رجعته ، وكذلك لو كتب إلى زوجته بطلاقها إذا وصل إليها كتابه ثم أشهد على الرجعة بعد الوصول وقبل انقضاء العدة لكانت المراجعة صحيحة لوقتها بعد الطلاق الذي لم يكن عالماً به][1] .

ومولده سنة عشر ومائة وتوفي في شعبان سنة ثمان وخمسين ومائة ، رحمه الله تعالى .

وزُفَر : بضم الزاي وفتح الفاء وبعدها راء .

والهُذَيل : بضم الهاء وفتح الذال المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام .

[1] زيادة من د ص ر .

٢٤٤

أبو دلامة

أبو دُلامة زَنْدُ بن الجَوْن ؛ كان صاحب نوادر وحكايات وأدب ونظم ، وذكر الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب « تنوير الغبش » أنه كان أسود عبداً حبشياً [مولى لبني أسد وكان أبوه عبداً لرجل منهم يقـــال له قصاقص فأعتقه . أدرك أبو دلامة آخر بني أمية ولم يكن له نباهة في أيامهم ، ونبغ في أيام بني العباس ، فانقطع إلى السفاح والمنصور والمهدي ، وكانوا يقدمونــه ويفضلونه ويستطيبون نوادره ، ومــدح المنصور وذكر قتله أبا مسلم من جملة قصيدة فقال فيها :

أبا مسلم خوفتني القتل فانتحى ... عليك بما خوفتني الأسَدُ الوَرْدُ

أبا مسلم ما غيَّرَ اللهُ نعمةً ... على عبده حتى يغيرها العَبْدُ

وأنشدها المنصور في ملإ من الناس فقال له : احتكم ، فقال له : عشرة آلاف درهم ، فأمر له بها ، فلما خلا به قال : أما والله لو تعديتها لقتلتك . وقد قيل إنه بقي إلى خلافة الرشيد ولا يثبت ، وكان مطبوعاً كثير النوادر] .

وقال محمد بن زياد[١] : سمعت ثعلباً يقول : لما ماتت حمادة بنت عيسى ابنة عم أبي جعفر فحضر جنازتها وجلس لدفنها وهو متألم لفقدها كئيب عليهـــا وهي زوجته ، فأقبل أبو دلامة وجلس قريباً منه ، فقال له المنصور : ويحك ! مـــا

٢٤٤ - أخبار أبي دلامة في تاريخ بغداد ٨ : ٤٨٨ والشعر والشعراء : ٦٦٠ والأغاني ١٠ : ٢٤٧ وطبقات ابن المعتز : ٥٤ والمؤتلف : ٢٣١ ومعاهد التنصيص ٢ : ٢١١ والدميري ١ : ١٦٣ وشذرات الذهب ١ : ٢٤٩ ومعجم الأدباء ١١ : ١٦٥ (وبروكلمان ٢ : ١٨) وله طرائف منثورة في الكتب الأدبية العامة ؛ ولم ترد ترجمته في م ، وهي موجزة في س .

١ في المسودة : ومن نوادره أنه توفي لأبي جعفر المنصور ابنة عم ... وذكر الخطيب في تاريخ بغداد ان هذه الميتة هي حمادة ابنة عيسى زوجة المنصور ، وعيسى المذكور هو عم المنصور .

أعددت لهذا المكان[1] ؟ وأشار إلى القبر، فقال : ابنة عم أمير المؤمنين ، فضحك المنصور حتى استلقى ، ثم قال له : ويحك ، فضحتنا بين الناس .

وأمر المهدي أبا دلامة بالخروج نحو عبد الله بن علي ، فقال أبو دلامة : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن لا تحضرني شيئاً من عساكرك فإني شهدت تسعةَ عساكر انهزمت كلها ، وأخاف أن يكون عسكرك العاشر ، فضحك منه وأعفاه .

قال أبو العيناء : بلغنا عن أبي دلامة أنه دخل على المهدي فأنشده قصيدة ، فقال له : سلني حاجتك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هَبْ لي كلباً ، فغضب ، وقال : أقول لك سلني حاجتك ، فتقول : هب لي كلباً ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، الحاجة لي أم لك ؟ قال : بل لك ، قال : فإني أسألك أن تهَبَ لي كلب صيد ، فأمر له بكلب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هبني خرجت إلى الصيد أفأعدو على رجليّ ؟ فأمر له بدابة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، مَنْ يقوم عليها ؟ فأمر له بغلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هبني صِدْتُ صيداً وأتيت به المنزل فمن يطبخه ؟ فأمر له بجارية ، فقال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء يبيتون في البادية؟ فأمر له بدار ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد صيرتَ في عنقي كفاء من عيال ، فمن أين لي ما يَقوتُ هؤلاء ؟ قال : قد أقطعتك ألف جريب عامراً وألف جريب غامراً ، قال : أما العامر فقد عرفت ، فما الغامر؟ قال : الخراب الذي لا شيء فيه ، قال : أنا أُقطع أمير المؤمنين مائة ألف جريب بالبدو ، ولكني أسأل أمير المؤمنين من ألف جريب جريباً واحداً عامراً ، قال : من أين ؟ قال : من بيت المال، فقال المهدي : حولوا المال وأعطوه جريباً ، قال : يا أمير المؤمنين ، إذا حول منه المال صار غامراً ، فضحك منه ، قال : فهل بقيت لك حاجة ؟ قال : نعم ، تأذن لي أن أقبّل يدك ، فقال : ما لك إلى ذلك سبيل ، قال : والله ما رددتني عن حاجة أهون عليّ فقداً منها .

واتفق أن أبا دُلامة تأخر عن الحضور بباب أبي جعفر أياماً ثم حضر، فأمر

[1] ج : هذه الحفرة .

بإلزامه القصر، وألزمه بالصلاة في مسجده ، ووكل به من يلاحظه في ذلك، فمرَّ به أبو أيوب المورياني وهو إذ ذاك وزير أبي جعفر ، فقام إليه أبو دلامة ودفع رقعة مختومة ، وقال : هذه ظلامة لأمير المؤمنين ، فأوصلها أعزك الله إليه بخاتمها، فأخذها أبو أيوب، فلما دخل على أبي جعفر أوصلها إليه فقرأها فإذا فيها :

ألمْ تعلمُوا أنَّ الخليفةَ لزَّني بَمسْجِدِهِ والقَصْرِ ، ما لي وللقَصْرِ
أصلّي بهِ الأولى مَعَ العَصرِ دائِماً فوَيْلي مِنَ الأولى ووَيْلي مِنَ العَصر
ووَاللهِ ما لي نيَّة في صَلاتِهِمْ ولا البرُّ والإحسانُ والخيرُ مِن أمري
ومـا ضَرَّهُ والله يُصلِحُ أمْرَهُ لوَ آنَّ ذُنُوبَ العالَمينَ على ظَهري

فضحك المنصور وأمر بإحضاره ، فلما حضر قال : هذه قصتك ؟ قال : دفعتُ إلى أبي أيوب رقعة مختومة أسأل فيها إعفائي من لزوم الذي أمرني بلزومه، فقال له أبو جعفر : اقرأها ، قال : ما أحسن أن أقرأ ، وعلم أنه إن أقرَّ بكتابته لها يَحُدُّهُ بذكره الصلاة وتعريضه بها ، فلما رآه يحيد من ذلك ، قال له : يا خبيث أما لو أقررت لضربتك الحد ، ثم قال : لقد أعفيتك من لزوم المسجد ، فقال أبو دلامة : أوَكنت ضاربي يا أمير المؤمنين لو أقررت ؟ قال : نعم ، قال : مع قول الله عز وجل ﴿ يقولون ما لا يفعلون ﴾ (الشعراء : ٢٢٦) فضحك منه وأعجب من انتزاعه ، ووصله .

وذكر ابن شبة في كتاب « أخبار البصرة » أن أبا دلامة كتب إلى سعيد بن دعلج – وكان يومئذ يتولى الأحداث بالبصرة – وأرسلها إليه من بغداد مع ابن عم له :

إذا جِئتَ الأميرَ فقل سلامٌ عليكَ ورحمةُ الله الرحيمِ
وأمّا بعد ذاك فَلي غَريمٌ من الأعراب قُبِّحَ من غَريم
له ألفٌ عليّ ونصفُ أخرى ونصفُ النصفِ في صكٍّ قديم
دراهِمُ ما انتفعتُ بها ولكن وصَلْتُ بها شيوخَ بني تميم

فسيَّر له [ابن] دعلج ما طلب .

وكان روحُ بن حاتم المهلبيُّ والياً على البصرة ، فخرج إلى حرب الجيوش الخُراسانية ومعه أبو دلامة ، فخرج من صَفِّ العدوّ مبارزٌ ، فخرج إليه جماعة فقتلهم ، فتقدم روح إلى أبي دلامة بمبارزته فامتنع فألزَمه فاستعفاه فلم يُعْفِه ، فأنشد أبو دلامة :

إني أعوذ بروحٍ أن يقدّمَني إلى القتال فيَخزَى بي بنو أسَدِ
إنّ المهلّبَ حُبَّ الموت أوْرثكم ولم أرِثْ أنا حُبّ الموت من أحد
إن الدُّنُوّ إلى الأعداء أعلمه مما يُفَرِّقُ بين الروح والجَسد

فأقسم عليه ليخرجَنّ[1] ، وقال : لماذا تأخذ رزق السلطان ؟ قال : لأقاتل عنه ، قال : فما لك لا تبرز إلى عدو الله ؟ فقال : أيها الأمير ، إن خرجتُ إليه لحقتُ بمن مضى ، وما الشرط أن أُقتل عن السلطان ، بل أقاتل عنه ، فحلف روح : لتخرجن إليه فتقتله أو تأسره أو تُقتل دون ذلك ، فلما رأى أبو دلامة الجِدّ منه قال : أيها الأمير ، تعلم أن هذا أوّل يوم من أيام الآخرة ، ولا بد فيه من الزوادة ، فأمر له بذلك ، فأخذ رغيفاً مطويّاً على دَجاجة ولحم وسطيحة من شراب وشيئاً من نَقْل ، وشهر سيفاً وحَمَلَ ، وكان تحته فرسٌ جواد ، فأقبل يجول ويلعب بالرمح ، وكان مليحاً في الميدان ، والفارسُ يلاحظه ويطلب منه غِرّة ، حتى إذا وجدها حمل عليه ، والغبار كالليل ، فأغمد أبو دلامة سيفه وقال للرجل : لا تَعجَلْ واسمع مني — عافاك الله — كلماتٍ ألقيهن إليك ، فإنما أتيتك في مُهِمّ ، فوقف مقابله وقال : ما المهم ؟ قال : أتعرفني ؟ قال : لا ، قال : أنا أبو دلامة ، قال : قد سمعت بك حيّاك الله ، فكيف برزت إليّ وطمعت فيّ بعد مَنْ قتلت من أصحابك ؟ فقال : ما خرجت لأقتلك ولا لأقاتلك ، ولكني رأيت لباقتك وشهامتك فاشتهيت أن تكون لي صديقاً ، وإني لأدلك على ما هو أحسن من قتالنا ، قال : قل على بركة الله تعالى ، قال : أراك قد تعبت وأنت بغير شك سَغْبان ظمآن ، قال : كذلك

[1] د : لتخرجن .

هو ، قال : فما علينا من خُراسان والعراق ، إن معي خبزاً ولحماً وشراباً ونَقْلاً كما يتمنى المتمني ، وهذا غدير ماء نمير بالقرب منا ، فهلم بنا إليه نصطبح وأترنم لك بشيء من حُداء الأعراب ، فقال : هذا غاية أملي ، فقال : ها أنا أستطرد لك فاتبعني حتى نخرج من حلق الطعان ، ففعلا ، وروح يتطلّب أبا دُلامة فلا يجده ، والخراسانية تطلب فارسها فلا تجده ، فلما طابت نفس الخراساني قال له أبو دلامة : إن روحاً كما علمت من أبناء الكرام ، وحَسبك بابن المهلب جواداً ، وإنه يبذل لك خلعة فاخرة وفرساً جواداً ومركباً مفضضاً وسيفاً محلَّى ورمحاً طويلاً وجارية بربرية وينزلك في أكثر العطاء ، وهذا خاتمه معي لك بذلك ، قال : ويحك ! وما أصنع بأهلي وعيالي ؟ فقال : استخر الله وسر معي ودع أهلك ، فالكل يخلف عليك ، فقال : سر بنا على بركة الله ، فسارا حتى قدما من وراء العسكر ، فهجما على روح ، فقال : يا أبا دلامة أين كنت ؟ قال : في حاجتك ، أما قتل الرجل فما أطقته ، وأما سفك دمي فما طِبْتُ به نفساً ، وأما الرجوع خائباً فلم أقدم عليه ، وقد تَلَطّفْتُ وأتيتك به أسيرَ كرمك ، وقد بذلت له عنك كيت وكيت ، فقال : ممُضًى إذا وثق لي ، قال : بماذا ؟ قال : بنقل أهله ، قال الرجل : أهلي على بعد ولا يمكنني نقلهم الآن ، ولكن امدد يدَك أصافحك وأحلف لك متبرعاً بطلاق الزوجة أني لا أخونك ، فإن لم أفِ إذا حلفت بطلاقها لم ينفعك نقلها ، قال : صدقت ، فحلف له وعاهده ، ووفى له بما ضمنه أبو دلامة وزاد عليه ، وانقلب معهم الخراساني يقاتل الخراسانية ، ويُنْكِي فيهم أشدّ نكاية ، وكان أكبر أسباب ظفر روح[1] .

وكان المنصور قد أمر بهَدْم دور كثيرة وكان من جملتها دار أبي دلامة ، فكتب إلى المنصور :

يابنَ عمّ النبيّ دَعْوَةَ شيخ قدْ دَنا هَدْمُ داره وبَوارُهْ
فهو كالماخض التي اعتادها الطّلْـ قُ فَقَرَّتْ وما يقرّ قَرارُهْ

[1] ابتداء من قوله : وأمر المهدي أبا دلامة حتى هذا الموضع ، لا وجود له في المسودة .

لكم الأرضُ كلُّهـا فأعـيروا عبدكم ما احتوى عليه جدارُهْ

فأمر له بدارٍ عِوضاً عنها .

ولما قدم المهدي بن المنصور من الري إلى بغداد دخل عليه أبو دلامة للتسليم والتهنئة بقدومه ، فأقبل عليه المهدي ، وقال له : كيف أنت يا أبا دلامـة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين :

إني حلفت[1] لئن رأيتك سالماً بقُرَى العراق وأنتَ ذو وَفْرِ
لتصلّينّ عـلى النبيّ محمـد ولتملأنّ دراهمـاً حِجْري

فقال المهدي : أما الأولى فنعم ، وأما الثانية فلا ، فقال : جعلني الله فداك ! إنهما كلمتان لا يفرق بينهما ، فقال : يمـلأ حجر أبي دلامة دراهم ، فقعد وبسط حجره فملىء دراهم ، فقال له : قم الآن يا أبا دلامـة ، فقال : ينخرق قميصي يا أمير المؤمنين ، حتى أشيل الدراهم وأقوم ، فردّها إلى الأكياس ثم قـام ، فدعا له وخرج بها وله أشعار كثيرة ، وذكره ابن المنجم في كتـاب « البارع في اختيار شعر المحدثين » .

ومن أخباره : أنه مرض ولدُهُ ، فاستدعى طبيباً ليداويه وشرط له جُعْلا معلوماً ، فلما برىء قال له : والله ما عندنا شيء نعطيك ، ولكن ادّع على فلان اليهودي – وكان ذا مال كثير – بمقدار الجعل ، وأنا وولدي نشهد لك بذلك ، فمضى الطبيب إلى القاضي بالكوفة – وكان يومئذ محمـد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وقيل : عبدالله بن شبرمة – وحمل إليه اليهودي المذكور ، وادّعى عليه بذلك المبلغ ، فأنكر اليهودي ، فقال : لي بيّنةٌ ، وخرج لإحضارها ، فأحضر أبا دلامة وولده ، فدخـلا إلى المجلس ، وخاف أبو دلامة أن يطالبـه القاضي بالتزكية فأنشد في الدهليز قبل دخوله بحيث يسمع القاضي :

إنِ الناسُ غَطَّوْني تغطَّيتُ عنهمُ وإنْ بَحَثُوا عَنّي ففيهم مباحثُ

---

[1] هـ : ولقد نذرت .

وإنْ نبثوا بِـثري نَـبَثت[1] بثارَهُمْ ليعلمَ قوم كيفَ تلكَ النبائثُ

ثم حضرا بين يدي القاضي ، وأدّيا الشهادة ، فقال له : كلامك مسموع وشهادتك مقبولة ، ثم غرم المبلغ من عنده وأطلق اليهودي ، وما أمكنه أن يردّ شهادتها خوفاً من لسانه ، فجمع بينَ المصلحتينَ وتحمّل الغرم من ماله .

قال العتابي : خرج المهدي وعلي بن سليمان إلى الصيد ومعهما ابو دلامة ، فرمى المهدي ظبياً فأصابه ، ورمى علي بن سليمان ظبياً فأخطأه وأصاب كلباً ، فضحك المهدي ، وقال : يا أبا دلامة ، قل في هذا ، فقال :

قدْ رَمَى المهديُّ ظَبْياً شَكَّ بالسَّهْمِ فُؤَادَهْ
وعليُّ بن سُلَيما نَ رمى كَلْباً فصَادهْ
فهنيئاً لكما كل امرىء يأكل زادَهْ

فأمر له بثلاثين ألف درهم .

ودخل أبو دلامة على المهدي ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ماتت أُم دلامة ، وبقيتُ ليس أحد يعاطيني ، فقال : إنا لله ، أعطوه ألف درهم يشتري بها أمة تعاطيه ، وكان قد دَسَّ أُم دلامة على الخيزران ، فقالت : يا سيدتي مات أبو دلامة وبقيتُ ضائعة ، فأمرت لها بألف درهم ، فدخل المهديُّ على الخيزران ، وهو حزين ، فقالت : ما بال أمير المؤمنين ؟ قال : ماتت أم دلامة ، فقالت : إنما مات أبو دلامة ، فقال : قاتل الله أبا دلامة وأم دلامة ، قد خدعانا والله .

وكان أبو عطاء السندي مولى بني أسد قد هجاه بقوله :

ألا أبلغْ هُديتَ أبا دُلامَهْ فليسَ مِنَ الكرام ولا كَرامَهْ
إذا لبسَ العمامَةَ كانَ قِرْداً وخِنزيراً إذا وضعَ العمامَهْ

فلم يتعرض له أبو دلامة[2] . ونوادره كثيرة .

[1] أ ج ﻫ : وإن حفروا بثري حفرت ، وعلى هامش المسودة : نبثوا أي حفروا .
[2] قال العتابي ... دلامة : لم يرد في المسودة .

وكانت وفاته[1] سنة إحدى وستين ومائة ، رحمه الله تعالى ، ويقال : إنه عاش إلى أيام هارون الرشيد ، وكانت ولاية الرشيد في سنة سبعين ومائة .

ودُلامة : بضم الدال المهملة .

وزَنْد : بفتح الزاي وسكون النون وبعدها دال مهملة ، وقيل اسمه « زيد » بالباء الموحدة ، والأول أثبت .

والجَوْن : بفتح الجيم وسكون الواو وبعدها نون .

٢٤٥

عماد الدين زنكي

أبو الجود عماد الدين زَنْكي بن آق سنقر بن عبد الله الملقب بالملك المنصور المعروف والده بالحاجب ؛ صاحب الموصل – وقد تقدم ذكر أبيه في حرف الهمزة – وكان من الأمراء المقدَّمين ، وفوّض إليه السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ولاية بغداد في سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ، ولما قُتِل آق سنقر البرسقي – المذكور في حرف الهمزة – وتوفي أيضاً ولده مسعود – حسبما ذكرناه في ترجمته – ورد مرسوم السلطان محمود من خراسان بتسليم الموصل إلى دُبيس بن صدقة الأسدي صاحب الحلة – وقد تقدم ذكره أيضاً – فتجهَّز دبيس للمسير ، وكان بالموصل أميرٌ كبير المنزلة يُعرف بالجاولي ، وهو مستحْفَظُ قلعة الموصل ومتولّي أمورها من جهة البرسقي ، فطمع في البلاد وحدثته نفسه بتملكها ، فأرسل إلى بغداد بهاء الدين أبا الحسن علي بن القاسم الشهرزوري وصلاح الدين محمد اليغيساني لتقرير قاعدته ، فلما وصلا إليها

[1] وكانت وفاته ... حتى آخر الترجمة : تقدم هذا في المسودة على القصة التي تخبر عن مرض ولده .

٢٤٥ – أخبار عماد الدين زنكي منثورة في صفحات متفرقة من كتاب الباهر والكامل ، وكلاهما لابن الأثير ؛ وقد جاءت هذه الترجمة مختصرة في س .

وجدا الإمام المسترشد قد أنكر تولية دبيس، وقال: لا سبيل إلى هذا، وترددت الرسائل بينه وبين السلطان محمود في ذلك، وآخر ما وقع اختيار المسترشد عليه تولية زَنْكي المذكور، فاستدعى الرسولين الواصلين من الموصل وقرر معهما أن يكون الحديث في البلاد لزنكي، ففعلا ذلك؛ وضمنا للسلطان مالاً وبذل له على ذلك المسترشد من ماله مائة ألف دينار، فبطل أمر دبيس وتوجه زَنْكي إلى الموصل وتسلمها، ودخلها في عاشر رمضان سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، كذا قال ابن العظيمي[1] في تاريخه، وقد قيل: إن انتقاله إلى الموصل كان في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، والأول أصح — وسيأتي ذكر السلطان محمود في حرف الميم إن شاء الله تعالى —.

ولما تقلد زَنكي الموصل سلم إليه السلطان محمود ولديه ألْبَ أرْسلانَ وفَرُّوخ شاه المعروف بالخفاجي ليربّيهما فلهذا قيل له «أتابك» لأن الأتابك هو الذي يربّي أولاد الملوك — وقد تقدم ذكر ذلك في حرف الجيم عند ذكر جَقَر — ثم استولى زَنْكي على ما والى الموصل من البلاد، وفتح الرُّهَا يوم السبت الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة، وكانت لجوسلين الأرمنيّ، ثم توجه إلى قلعة جعبر ومالكُها يوم ذاك سيف الدولة أبو الحسن عَليّ بن مالك، فحاصرها وأشرف على أخذها، فأصبح يوم الأربعاء خامس شهر ربيع الآخر[2] سنة إحدى وأربعين وخمسمائة مقتولاً، قتله خادمه وهو راقد على فراشه ليلاً، ودفن بصِفّينَ، رحمه الله تعالى.

وذكر شيخنا عز الدين بن الأثير الجزري في تاريخه الأتابكي[3] أن زنكي المذكور لما قُتل والده كان عمره تقديراً عشر سنين، وقد تقدم تاريخ قتل والده في ترجمته، فيكون مولده سنة سبع وسبعين وأربعمائة.

[وعن بعض خواصه قال: دخلت إليه في الحال وهو حي، فحين رآني

١ هو محمد بن علي بن محمد أبو عبد الله التنوخي العظيمي، وكتابه الذي يشير إليه المؤلف تاريخ عام مرتب على السنين بلغ فيه إلى حوادث سنة ٥٣٨ (النجوم الزاهرة ٥ : ١٣٣).

٢ د: ربيع الأول.

٣ انظر الباهر: ١٥.

ظنّ أنني أريد قتله فأشار إليّ بإصبعه السبّابة يستعطفني ، فوقفت من هيبته وقلت له : يا مولانا ، من فعل بك هذا ؟ فلم يقدر على الكلام ، وفاضت نفسه لوقته . وكان شديد الهيبة على عسكره ورعيته ، عظيم السياسة ، لا يقدر القوي على ظلم الضعيف ، وكانت البلاد قبل ان يملكها خراباً من الظلم ومجاورة الفرنج ، فعمرها وامتلأت اهلاً وسكاناً .

قال عز الدين بن الأثير في تاريخه : حكى لي والدي قال : رأيت الموصل واكثرها خراب ، وكان الإنسان لا يقدر على المشي إلى الجامع العتيق إلا ومعه من يحميه لبعده عن العمارة ، وهو الآن في وسط العمارة .

وكان شديد الغيرة لا سيما على نساء الأجناد ، وكان يقول : لو لم تحفظ نساء الاجناد بالهيبة وإلا فسدن لكثرة غيبة ازواجهنّ في الأسفار . وكان من أشجع خلق الله تعالى][1] .

وصِفّينُ – بكسر الصاد المهملة وتشديد الفاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون – وهي أرض على شاطىء الفرات بالقرب من قلعة جعبر ، إلا أنها في بر الشام ، وقلعة جعبر في بر الجزيرة الفراتية ، بينهما مقدار فرسخ أو أقل ، وفيها مشهد في موضع الوقعة المشهورة التي كانت بها بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ، وبهذه الأرض قبور جماعة من الصحابة – رضي الله عنهم – حضروا هذه الوقعة وقتلوا بها ، منهم عمار بن ياسر رضي الله عنه .

(41) وتوفي القاضي بهاء الدين ابو الحسن علي بن القاسم الشهرزوري الرسول المذكور يوم السبت سادس عشر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بحلب ، وحمل إلى صِفّينَ ودفن بها ، رحمة الله تعالى عليه .

[1] زيادة من النسخة ص وحدها .

٢٤٦

عماد الدين صاحب سنجار

أبو الفتح وأبو الجود عماد الدين زَنكي بن قطب الدين مَوْدُود بن عماد الدين زَنكي المذكور قبله المعروف بصاحب سِنْجَار ؛ كان قد ملك حلب بعد ابن عمه الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود بن عماد الدين زَنكي، وكانت وفاة الصالح المذكور في سنة سبع وسبعين وخمسمائة وعمره تسع عشرة سنة.

وكان لما اشتد مرضه[1] وصف له الأطباء شرب الخمر للتداوي، فقال : لا أفعل حتى أستفتي الفقهاء، فأفتاه فقيه من مدرسي الحنفية بجواز ذلك، فقال له : أرأيت إن قدر الله تعالى بقرب الأجل أيؤخره شرب الخمر ؟ فقال الفقيه : لا، فقال : والله لا لقيت الله عز وجل وقد استعملت ما حرمه عليّ. فلما يئس من نفسه أحضر الأمراء وسائر الأجناد ووصاهم بتسليم البلد إلى ابن عمه عز الدين مسعود واستحلفهم على ذلك ثم مات. وكان حليماً كريماً عفيف اليد والفرج ملازماً للدين والخير لا يعرف شيئاً مما يتعاطاه الملوك والشباب من شرب الخمر وغيره، حسن السيرة في رعيته عادلاً فيهم، رحمه الله تعالى.

ثم إن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله سار من عينتاب إلى حلب وحاصرها في سنة ثمانين وخمسمائة، فنزل في الميدان الأخضر عدة أيام ثم انتقل إلى جبل جوشن، فنزل بأعلاه وأظهر أنه يريد يبني مساكن له ولعسكره، والقتال بين العسكرين كل يوم. وكان صاحب حلب عماد الدين زنكي المذكور ومعه العسكر النوري وهم مجدون في القتال، فلما رأى [تطاول القتال] كره الخرج كأنه استكثره، فحضر عنده يوماً بعض أجناده وطلبوا منه شيئاً

---

٢٤٦ - ترجمة عماد الدين زنكي بن مودود في ذيل الروضتين : ١٣ والنجوم الزاهرة ٦ : ١٤٤ ؛ وهذه الترجمة مثبتة كما وردت في ص، وهي موجزة في ر س م والمسودة.

١ يعني الملك الصالح (انظر الباهر : ١٨٢).

فاعتذر بقلة المال عنده ، فقال له بعضهم : من يريد يحفظ مثل حلب يخرج المال ، ولو باع حلي نسائه ، فمال حينئذ إلى تسليم حلب لصلاح الدين ويأخذ عوضها سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج ، وجرت اليمين على ذلك فتسلمها صلاح الدين ثامن عشر صفر ونزل عنها عماد الدين، فعجب الناس من ذلك وقبحوا على عماد الدين فعله حتى إن بعض عامة حلب أحضر إجانة وماء وناداه: أنت لا يصلح لك الملك وإنما يصلح لك أن تغسل الثياب ، وإذا أراد الله أمراً فلا مردّ له ؛ وتقرر عماد الدين أن يكون في خدمة صلاح الدين متى استدعاه .

ومن عجيب الاتفاقات أن محيي الدين بن الزكي قاضي دمشق مدح صلاح الدين بقصيدة منها :

وفتحك القلعة الشهباء في صفر   مبشر بفتوح القدس في رجبِ

وكذا كان ، فإن القدس فتح في رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة على ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

ومما كتبه القاضي الفاضل في المعنى : أعطيناه عن حلب كذا وكذا وهو صرف على الحقيقة : أخذنا فيه الدنانير وأعطيناه الدراهم ونزلنا عن القرى وأحرزنا العواصم .

وكان في جملة من قتل على حلب تاج الملوك أخو صلاح الدين الأصغر وقد تقدم ذكره . وانتقل عماد الدين المذكور في السنة المذكورة إلى سنجار ولم يزل بها إلى أن توفي في المحرم سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

(42) وملك ابنه قطب الدين محمد وتولى تدبير دولته مجاهد الدين يرنقش مملوك أبيه ، وكان ديّناً خيّراً عادلاً حسن السيرة كثير البر والإحسان للفقراء ، إلا أنه كان شديد التعصب على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، كثير الذم للشافعية ، وكان بخيلاً ؛ فمن تعصبه على الشافعية انه بنى مدرسة للحنفية بسنجار وشرط أن يكون النظر للحنفية من أولاده دون الشافعية ، وأن يكون البواب والفرّاش على مذهب أبي حنيفة .

٢٤٧

بهاء الدين زهير

أبو الفضل زُهَير بن محمد بن علي بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن منصور بن عاصم المهلبي العَتَكي[١] الملقب بهاء الدين الكاتب؛ من فضلاء عصره، وأحسنهم نظماً ونثراً وخطاً، ومن أكبرهم مروءة، كان قد اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح أبي الفتح أيوب ابن السلطان الملك الكامل بالديار المصرية، وتوجه في خدمته إلى البلاد[٢] الشرقية، وأقام بها إلى أن ملك الملكُ الصالح مدينة دمشق، فانتقل إليها في خدمته، وأقام كذلك إلى أن جرت الكائنة المشهورة على الملك الصالح، وخرجت عنه دمشق وخانه عسكره وهو على نابُلُسَ وتَفرّق عنه، وقبض عليه الملك الناصر صاحب الكرك، واعتقله بقلعة الكرك، فأقام بهاء الدين زهير المذكور بنابلس محافظة لصاحبه، ولم يتصل بخدمة غيره، ولم يزل على ذلك حتى خرج الملك الصالح وملك الديار المصرية، وقدم إليها في خدمته، وذلك في أواخر ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة — وهذا الفصل مذكور في ترجمة أبيه الملك الكامل محمد فينظر هناك — .

وكنت يومئذ مقيماً بالقاهرة، وأودّ لو اجتمعت به لما كنت أسمعه عنه، فلما وصل اجتمعتُ به ورأيته فوق ما سمعت عنه[٣] من مكارم الأخلاق وكثرة الرياضة[٤] ودماثة السجايا، وكان متمكناً من صاحبه كبير القدر عنده، لا يطلع

٢٤٧ – ترجمة بهاء الدين زهير في النجوم الزاهرة ٧ : ٦٢ وشذرات الذهب ٥ : ٢٧٦ (وفيه نقل عن ابن خلكان)؛ وقد اتبعنا في هذه الترجمة الترتيب الذي وردت عليه في مخطوطة ص دون سواها، وهو مختلف عما في ر .

١ النجوم : المكي .
٢ أ ج : الديار .
٣ ص : وصف لي .
٤ هـ : الرياسة .

على سره الخفي غيره ، ومع هذا كله فإنه كان لا يتوسط عنده إلا بالخير ، ونفع خلقاً كثيراً بحسن وساطته وجميل سفارته[1] .

وأنشدني كثيراً من شعره ، فمن ذلك ما كتبه إلى بعض أصحابه وكان قد غرقت به سفينة فسلم بنفسه وذهب ما كان معه[2] :

لا تعتب الدهرَ في خَطْبٍ رماك به ... إن استَرَدَّ فقِدْماً طالما وهَبا
حاسِبْ زمانكَ في حالَـي تصرّفِهِ ... تجده أعطاكَ أضعاف الذي سَلَبا
والله قـد جعـل الأيامَ دائرةً ... فلا ترى راحَةً تبقى ولا تَعَبا
ورأسُ مالك وهْيَ الروحُ قد سلمت ... لا تأسفَنَّ لشيء بعدها ذهَبا
ما كنتَ أولَ مفْدوح بحـادثة ... كذا مضى الدهر لا بِدْعاً ولا عجبا
ورُبَّ مال نما من بعد مَرْزِئةٍ ... أما ترى الشمعَ بعد القَطّ ملتهبا

وأنشدني المذكور ، وكتب بها لفخر الدين ابن قاضي داريّـا يشكو إليه سوء أدب غلمانه[3] :

سواك الذي وُدّي لديه مُضَيَّعُ ... وغيرُك من سعي إليه محبَّبُ
ووالله ما آتيكَ إلا مَحَبَّـةً ... وأنـّيَ في أهل الفضيلة أرغَب
أبثُّ لك الذكر الذي طاب نَشْرُه ... وأطري بما أثني عليك وأطْرَب
فما ليَ ألقى دون بابكَ جفـوَةً ... لغيرك تُعزَى، لا إليك، وتُنسَب
أردُّ بردّ الباب إن جئتُ زائراً ... فيا ليتَ شعري أين أهلٌ ومَرْحب
ولست بأوقات الزيارة جـاهلاً ... ولا أنا ممَّنْ قُرْبُهُ يُتجنَّب
وقد جعلوا في خادم المرء أنـه ... بمـا كان من أخلاقـه يتهذب

---

١ م : فلما وصلت إليه واجتمعت به بعد قدومه رأيته كامل الادوات كبير المنزلة عند مخدومه وكان لا يتوسط إلا في الخير ؛ (هذا نموذج للايجاز الذي تمثله هذه النسخة) .

٢ ديوانه : ١٧ .

٣ ديوانه : ٢٦ .

فهلاّ سَرَتْ منك اللطافَةَ فيهمُ وأعددتهم آدابها فتأدبوا
ويَصْعُبُ عندي حالة ما ألِفتُها على أنّ بُعْدي عن جَنابكَ أصعَب
فأمْسكُ نَفْسي عن لقائكَ كارهاً
« أغالبُ فيكَ الشوقَ والشوقُ أغْلَبْ »
وأغضَبُ للفَضْل الذي أنت رَبُّه لأجلك ، لا أني لنفسيَ أغْضَب
وآنَفُ إما عِزّةً منكَ نِلتُها وإما لإدْلالٍ به أتعتّب
وإن كنتُ ما أعتدُ هاتيكَ زلّةً فحَسْبي بها من خجلة حين أذهَب

وله من قصيدة يمدح بها الملك المسعود صلاح الدين يوسف ابن الملك الكامل رحمه الله :

وتهتز أعواد المنابر باسمه فهل ذكرت أيامها وهي قضبان
فدع كلّ ماءٍ حين يُذكر زمزم ودع كلّ وادٍ حين يذكر نعمان
وما كلُّ أرض مثل أرضي هي الحمى وما كلُّ بيت مثل بيتي هو البان

وله من قصيد يمدح به الأمير علاء الدين ولد الأمير شجاع الدين جلدك التقوي بثغر دمياط سنة خمس وستمائة ، وهي أول شيء قاله من المدح :

فيا ظبي هلاّ كان فيك التفاتة ويا غصن هلاّ كان فيك تعطّفُ
ويا حرم الحسن الذي هو آمن وألبابنا من حوله تتخطّف
عسى عطفة بالوصل يا واو صدغه وحقك إني أعرف الواو تعطف

وله من قصيدة :

وما كل مخضوب البنان بثينة ولا كل مسلوب الفؤاد جميل

وله من قصيدة يمدح بها الأمير نصير الدين بن اللمطي ويهنيه :

وهل كنت إلا السيف خالطه الصدا فكنت له يا ذا المواهب صيقلا
وما ليَ لا أسمو إلى كل غايةٍ إذا كنتَ عوني في الزمان وكيف لا

وله من أبيات كتب بها إلى القاضي فخر الدين ابن قاضي داريا يشكره لمعروف ابتدأه به :

وخذها على ما خَيَّلَتْ بنتَ ساعةٍ أتتكَ على استحيائها تتعثرُ

ومما أنشدنيه قوله[1] :

يا رَوْضَةَ الحسنِ صِلِي فما عليكِ ضَيْرُ
فهل رأيتِ رَوْضَةً ليسَ بها زُهَيْرُ

وأنشدني أيضاً لنفسه[2] :

كيفَ خَلاصي من هَوًى مازَجَ رُوحي واخْتَلَطْ
وتائه أقبض في حُبّي له وما انبَسَط
يا بدرُ إن رُمْتَ به تشبُّهاً رُمْتَ شَطَط[3]
ودَعْهُ يا غصنَ النَّقا ما أنت من ذاك النَّمَط
قام بعُذْرِي وجْهُهُ عند عَذولي وبَسَط
لله أيُّ قَلَمٍ لِواوِ ذاك الصُّدْغِ خَطّ
ويا لَهُ من عَجَبٍ في خَدِّهِ كيف نَقَط
يمرُّ بي مُلْتَفِتاً فهل رأيتَ الظبيَ[4] قَط
ما فيه من عيبٍ سِوَى فُتُور عَيْنَيْهِ فقَط
يا قمَرَ السَّعدِ الذي نَجْمي لديه قَدْ هَبَط
يا مانعي حلو الرضا ومانحي مُرَّ السَّخَط
حاشاكَ أن ترضى بأن أموتَ في الحبّ غلَط

[1] ديوانه : ١١٢ ؛ وكل ما تقدم من إنشادات لم يرد في المسودة .
[2] ديوانه : ١٩٠ .
[3] الديوان : الشطط .
[4] أ : البدر .

وأنشدني لنفسه أيضاً[1] :

أنا ذا زُهَيْرِكَ ليس إلا جُودَ كَفِّكَ لي مُزَيْنَهْ
أهْوى جميلَ الذكر عنـ ـك كأنما هو لي بُثَيْنَه
فاسأل ضميرك عَنْ ودا دي إنه فيه جُهَيْنَه

وأنشدني لنفسه أيضاً أبياتاً لم يَعلَقْ على خاطري منها سوى بيتين من آخرها ، وهما[2] :

وأنت يا نرْجِسَ عينيه كم تشرب من قلبي وما أذبلكْ
ما لك في حُسنك من مُشْبِهٍ ما تمَّ في العالم ما تمَّ لكْ

وأنشدني غير ذلك شيئاً كثيراً ، وشعره كله لطيف ، وهو كما يقال : السهل الممتنع ، وأجازني رواية ديوانه ، وهو كثير الوجود بأيدي الناس فلا حاجة إلى الإكثار من ذكر مقاطيعه .

وأخبرني جمال الدين أبو الحسين يحيى بن مطروح – الآتي ذكره في حرف الياء إن شاء الله تعالى – قال : كتبت إليه ، وكان خصيصاً به :

أقولُ وقد تَتابع منك برٌّ وأهلاً ما برحت لكلّ خيرِ
ألا لا تَذكروا هَرِماً بجودٍ فما هَرِمٌ بأكرَمَ من زهيرِ

[قال : وكتب إليه مرة أخرى يطلب درج ورق ومداداً[3] :

أفلستُ يا سيِّدي من الورق فجد بدرجٍ كعرضك اليقق
وآتني بالمـداد مقترنـاً فمرحباً بالخدود والحدق

١ ديوانه : ٣٦٩ . وقد وقعت متقدمة في المسودة على الأبيات السابقة لها .
٢ ديوانه : ٢٥٠ .
٣ ديوانه : ٢٣٣ .

فسيّر إليه زهير المذكور جوابه مع المطلوب :

مولايَ سيّرتُ ما أمرتَ به　　وهو يسير المداد والورق
وعَزّ عندي يسير ذاك وقد　　شَبَّهتَهُ بالخدود والحدق][1]

وأخبرني بهاء الدين زهير المذكور أنه توجه إلى الموصل رسولاً من جهة مخدومه الملك الصالح لما كان ببلاد الشرق ، وأنه كان ببلاد الموصل يومئذ صاحبنا الأديب شرف الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي الوفاء بن خطاب المعروف بابن الحلاوي الموصلي الأصل الدمشقي المولد والدار ، فحضر إليه ومدحه بقصيدة طويلة أحسن فيها كل الإحسان ، وكان من جملتها قوله :

تجيزُها وتجيز المادِحينَ بها　　فقلْ لنا أزهير أنت أم هَرِمُ

وأنه لما رجع من الموصل اجتمع بجمال الدين بن مطروح المذكور فأوقفه على القصيدة المذكورة فأعجبه منها هذا البيت المذكور، فكتب إليه البيتين المذكورين[2] .

قلت : وبيت ابن الحلاوي المذكور ينظر إلى قول ابن القاسم في الداعي سبأ ابن أحمد الصليحي ، أحد ملوك اليمن ، وكان شاعراً جواداً من قصيدة[3] :

ولما مَدَحْتُ الهبرزيّ ابنَ أحمد　　أجازَ وكافاني على المدح بالمَدْحِ
فعَوّضني شعراً بشعرٍ وزادني　　عَطاء فهذا رأس مالي وذا ربحي

وأخبرني بهاء الدين أيضاً أن مولده في خامس ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة بمكة حرسها الله تعالى ، وأخبرني مرة أخرى أنه ولد بوادي نَخْلة ، وهو بالقرب من مكة ، والله أعلم ، وهو الذي أملى عليّ نسبه على هذه الصورة ، وسَطَّرت هذا الفصل وهو في قيد الحياة منقطعاً في بيته بالقاهرة بعد موت مخدومه، طيب الله قلبه وأجراه على أجمل عاداته ، وأخبرني أن نسبته

١ زيادة من د ر وحدهما .
٢ إلى هنا انتهت الترجمة في م ولم يزد عليها سوى ذكر وفاته .
٣ انظر تاريخ عمارة : ٦٥ ونسب الشعر لعلي بن الحسين بن القاسم .

إلى المهلب بن أبي صفرة – وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى – .

ثم حصل بالقاهرة ومصر مرضٌ عظيم لم يكد يسلم منه أحد ، وكان حدوثه يوم الخميس الرابع والعشرين من شوال سنة ست وخمسين وستمائة ، وكان بهاء الدين المذكور ممن مسه منه ألم ، فأقام أياماً ثم توفي قبيل المغرب يوم الأحد رابع ذي القعدة من السنة المذكورة، ودفن من الغد بعد صلاة الظهر بالقرافة الصغرى بتربته بالقرب من قبة الإمام الشافعي ، رضي الله عنه ، في جهتها القبلية[1] ، ولم يتفق لي الصلاة عليه لاشتغالي بالمرض، رحمه الله تعالى . ولما أبللت من المرض مضيت إلى تربته وزرته وقرأت عنده شيئاً من القرآن وترحمت عليه لمودة كانت بيننا .

وأنشدني الفقيه أبو الحجاج يوسف الضرير لبهاء الدين لغزاً في القفل[2] :

وأسْوَدَ عارٍ أنْحَلَ البردُ جسمَهُ وما زال من أوصافِهِ الحرصُ والمنْعُ
وأعجبُ شيء كونه الدهْرَ حارساً ولَيسَ له عـينٌ وليس له سَمْعُ

٢٤٨

أبو محمد البكائي

أبو محمد زياد بن عبد الله بن طُفيل بن عامر القيسي العامري من بني عامر بن صَعصَعة ثم من بني البَكّاء ؛ روى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن محمد بن إسحاق ، ورواها عنه عبد الملك بن هشام الذي رتبها ونسبت إليه . والبكائي المذكور كوفي ، وكان صَدُوقاً ثقة ، خرَّجَ عنه البخاري في كتاب

١ أ : الغربية .
٢ ديوانه : ٢١ .
٢٤٨ – ترجمة أبي محمد البكائي في ميزان الاعتدال ٢ : ٩١ .

الجهاد ، ومسلم في مواضع من كتابه ، وذكر البخاري في تاريخه عن وكيع قال : زياد أشرف من أن يكذب في الحديث ؛ ووهم الترمذي فقال في كتابه عن البخاري قال ، قال وكيع: زياد بن عبد الله على شرفه يكذب في الحديث[1]، وهذا وهم ، ولم يقل وكيع فيه إلا ما ذكره البخاري في تاريخه ، ولو رماه وكيع بالكذب ما خَرَّجَ البخاري عنه حديثاً واحداً ولا مسلم ، كما لم يخرجا عن الحارث الأعور لما رماه الشعبي بالكذب ولا عن أبان بن أبي عياش لما رماه شعبة بالكذب . وروى عن الأعمش ، وروى عنه أحمد بن حنبل وغيره ، رضي الله عنه .

وكانت وفاة أبي محمد المذكور في سنة ثلاث وثمانين ومائة بالكوفة ، رحمه الله تعالى .

والبكائي : بفتح الباء الموحدة وتشديد الكاف وبعد الهمزة الممدودة ياء مثناة من تحتها ، وهذه النسبة إلى البكاء ، واسمه ربيعة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وسمي البكاء لخبر يسمج ذكره .

٢٤٩

التاج الكندي

أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد الكندي الملقب تاج الدين البغدادي المولد والمنشأ الدمشقي الدار والوفاة المقرىء النحوي الأديب ؛ كان

---

[1] قال فيه ابن معين : لا بأس به في المغازي وأما في غيرها فلا ، وقال ابن المديني: ضعيف، وكذلك قال النسائي وابن سعد ؛ اما اتهامه بالكذب فغير وارد .

٢٤٩ - ترجمة تاج الدين الكندي في انباه الرواة ٢ : ١٠ وذيل الروضتين : ٩٥ وغاية النهاية ١ : ٢٩٧ ومعجم الأدباء ١١ : ١٧١ والنجوم الزاهرة ٦ : ٢١٦ والخريدة (قسم الشام) ١ : ١٠٠ وبغية الوعاة : ٢٤٩ والجواهر المضية ١ : ٢٤٦ ؛ وهذه الترجمة كاملة في المسودة .

أوحد عصره في فنون الآداب وعلو السماع ، وشهرته تغني عن الاطناب في وصفه، وكان قد لقي جِلّةَ المشايخ وأخذ عنهم ، منهم الشريف أبو السعادات ابن الشجَري وأبو محمد ابن الخشاب وأبو منصور الجواليقي ، وسافر عن بغداد في شبابه ، وآخر عهده بها في سنة ثلاث وستين وخمسمائة[1] ، واستوطن حلب مدة ، وكان يبتاع الخليع[2] ويسافر به إلى بلاد الروم ويعود إليها. ثم انتقل إلى دمشق ، وصحب الأمير عز الدين فَرُّوخَ شاه بن شاهان شاه ، وهو ابن أخي السلطان صلاح الدين ، واختص به وتقدم عنده وسافر في صحبته إلى الديار المصرية واقتنى من كتب خزائنها كل نفيس ، وعاد إلى دمشق واستوطنها ، وقصده الناس وأخذوا عنه ، وله كتاب مشيخة على حروف المعجم .

أخبرني أحد أصحابه أنه قال : كنت قاعداً على باب أبي محمد عبد الله بن الخشاب النحوي ببغداد، وقد خرج من عنده أبو القاسم الزمخشري الإمام المشهور، وهو يمشي في جاون خشب فإن إحدى رجليه كانت قد سقطت من الثلج، قال : والناس يقولون : هذا الزمخشري . ونقل من خطه : كان الزمخشري أعلم فضلاء العجم بالعربية في زمانه ، وأكثرهم أُنساً واطلاعاً على كتبها ، وبه ختم فضلاؤهم ، وكان متحققاً بالاعتزال ، قدم علينا بغداد سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، ورأيته عند شيخنا أبي منصور الجوَاليقي ، رحمه الله تعالى ، مرتين قارئاً عليه بعض كتب اللغة من فواتحها ومستجيزاً لها ، لأنه لم يكن له – على ما عنده من العلم – لقاء ولا رواية ، عفا الله عنه وعنا .

وأخبرني الشيخ مهذب الدين أبو طالب محمد المعروف بابن الخيمي بالقاهرة المحروسة قال : كتب إليَّ الشيخ تاج الدين الكندي من دمشق من جملة أبيات :

أيها الصاحبُ المحافظ قد حَمّ لتَنَا من وفاء عَهْدك دَيْنا

---

[1] د : ٥٧٣ .

[2] س : الخليق .

نحن بالشام رَهْنُ شوقٍ إليكم هل لديكم بمصْرَ شوقٌ إلينا
قد غلبنا بما حرمنا عليكم وغلبتم بما رزقتم علينا
فَعَجَزْنا عَنْ أن تزونا لديكم وعجزتم عن أن نراكم لَدَينا
حفِظَ الله عَهْدَ مَنْ حفظ العهد وأوفى به كما قد وَفَيْنا

قال : فكتبت جوابها أبياتاً من جملتها :

أيها الساكنون بالشام من كِنْدَةَ إنَّا بعَهْدِكم ما وَفَيْنا
لو قَضَيْنا حقَّ المودّة كُنْا نَحْبنا بَعْدَ بُعْدِكم قد قَضَيْنَا

وأنشدني له الشيخ مهذب الدين المذكور :

دع المنجمَ يكبُو في ضَلالته إن ادّعى عِلمَ ما يجري به الفَلَكُ
تفرَّدَ الله بالعِلمِ القديم فَلاَ الا إنسان يَشْرَكُهُ فيه ولا الملَك
أعدَّ للرزق من اشراكه شَرَكاً وبئست العدتان الشِّرْكُ والشَّرَك

وكتب إليه أبو شجاع ابن الدهان الفَرَضي ، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف الميم :

يا زَيدُ زادَكَ رَبي مِنْ مَواهِبِهِ نعمى يقصّرُ عَنْ إدراكِها الأمَلُ
لا غَيَّرَ الله حالاً قد حَباكَ بها ما دارَ بينَ النحاة الحالُ والبَدَل
النَّحوُ أنتَ أحَقّ العالَمينَ بهِ ألَيسَ باسمِكَ فيه يُضرَبُ المَثَل

ومن شعر الشيخ تاج الدين ، وقد طعن في السن :

أرَى المَرْءَ يَهْوى أن تطولَ حَياتُهُ وفي طولِها إرْهاقُ ذُل وإزْهاقُ
تمنّيتُ في عَصْرِ الشبيبةِ أنني أُعَمَّرُ والأعمارُ لا شكَّ أرْزاق
فلما أتاني ما تمنيتُ ساءَني مِنَ العُمْرِ ما قد كنتُ أهْوى وأشتاق
يُخَيِّلُ لي فِكري إذا كنتُ خالِياً رُكوبي على الأعناق والسير إعناق
ويذكرني مَرُّ النسيمِ ورَوْحُهُ حفائرَ يَعلوها مِنَ التُرْبِ أطباق

وهـا أنا في إحـدى وتسعينَ حجـة لها فيّ إرْعاد مَخُوفٌ وإبْراق
يقولونَ تِرْياقٌ لمثلـكَ نافِعٌ ومَا ليَ إلا رَحمـةَ اللهِ تِرْياق

وكانت ولادته بُكـْرَةَ يَوْمِ الأربعاء الخامس والعشرين من شعبان سنة عشرين وخمسمائة ببغداد ، وتوفي يوم الاثنين ضحوة سادس شوّال سنة ثلاث عشرة وستمائة بدمشق ، ودفن من يومه بجبل قاسِيون ، رحمه الله تعالى .

(43) وأما مهذب الدين المذكور فهو أبو طالب محمد بن أبي الحسن علي بن علي بن المفضل بن التامَغـاز ، كذا أملى عليّ نسبه ، وأنشدني كثيراً من شعره وشعر غيره ، وكان اجتماعُنا بالقاهرة المحروسة في مجالس عديدة ، وأخبرني أن مولده في الثامن والعشرين من شوّال سنة تسع وأربعين وخمسمائة بالحِلّة المزْيدية ، وتوفي يوم الأربعاء العشرين من ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين وستمائة ، ودفن من الغد بالقرافة الصغرى ، وحضرت الصلاة عليه ، وكان إماماً في اللغة راوية للشعر والأدب ، رحمه الله تعالى .

وقَاسِيُون : بفتح القاف وبعد الألف سين مكسورة مهملة وضم الياء المثناة من تحتها وبعد الواو الساكنة نون ، وهو جبل مُطل على دمشق ، وفيه قبور أهلها وتُرَبهم ، وفيه مدارس ورباطات وجامع ، وفيه نهران ثورا ويزيد .

٢٥٠

زيري بن مناد الصنهاجي

الأمير زيري بن مناد الحميري الصنهاجي جدّ المعز بن باديس – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، وقد تقدم ذكر ولدهِ بُلُكّين وحفيده باديس في حرف الباء وذكر حفيد حفيده الأمير تميم في حرف التاء ، واستوعبت عنده الرفع في نسبه – ؛ وزيري المذكور أول من ملك من بيتهم ، وهو الذي بنى مدينة آشير ، وحَصَّنَها في أيام خروج أبي يزيد مخلد الخارجي – المقدم ذكره – لما خرج على القائم بن المهدي وعلى ولده المنصور إسماعيل وملكها وملك ما حولها . وأعطاه المنصور المذكور تاهَرْتَ وأعمالها ، وكان حسن السيرة تام السياسة شجاعاً صارماً ، وكانت بينه وبين جعفر بن علي الأندلسي – المقدم ذكره في حرف الجيم – ضغائن وأحقاد أفضت إلى الحرب ، فلما تصافّا انجلى المصافّ عن قتل زيري المذكور ، وذلك في شهر رمضان سنة ستين وثلثمائة ، وذكر أنه كَبَا به فرسُه ، فسقط الى الأرض فقتل ، وكانت مدة ملكه ستاً وعشرين سنة ، رحمه الله تعالى .

وزيري : بكسر الزاي وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر الراء وبعدها مثناة من تحتها .

ومَنَاد : بفتح الميم والنون وبعد الألف دال مهملة .

والصنهاجي : تقدم الكلام عليه .

وآشير : بمد الهمزة وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها

٢٥٠ – ترجمة زيري الصنهاجي في أعمال الاعلام : ٦٤ وأخباره في ابن عذاري (الجزء الأول) وفي المقتبس (ط. دار الثقافة) ، وفي المصادر التاريخية العامة كابن الأثير وابن خلدون ، وقد استوفت المسودة هذه الترجمة دون نقص .

وبعدها راء ، وقد تقدم ذكرها في حرف الهمزة في ترجمة أبي إسحاق إبراهيم ابن قُرْقول .

وتاهَرْت : بفتح التاء المثناة من فوقها وبعد الألف هاء مفتوحة وراء ساكنة ثم تاء مثناة من فوقها ، وهي مدينة بافريقية ، وثَمّ أيضاً تاهَرْت أُخرى ، ويقال للواحدة القديمة وللأخرى الجديدة ، ولا أعلم أيّ المدينتين ملكها زيري المذكور .

٢٥١

زينب بنت الشعري

أُم المؤيد زينب - وتدعى حرة أيضاً - بنت أبي القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن احمد بن سهل بن أحمد بن عُبْدُوس الجُرْجاني الأصل النيسابوري الدار الصوفي المعروف بالشّعْري ؛ كانت عالمة ، وأدركت جماعة من أعيان العلماء ، وأخذت عنهم رواية وإجازة . سَمِعَتْ من أبي محمد إسماعيل بن أبي القاسم ابن أبي بكر النيسابوري القارىء ، وأبي القاسم زاهر وأبي بكر وجيه ابني طاهر الشحاميين وأبي المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري وأبي الفتوح عبد الوهاب بن شاه الشاذياخي وغيرهم ، وأجاز لها الحافظُ أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي والعلامة أبو القاسم محمود ابن عمر الزمخشري صاحب «الكشاف» وغيرهما من السادات الحفاظ .

ولنا منها إجازة كَتَبَتْها في بعض شهور سنة عشر وستمائة ، ومولدي يوم الخميس بعد صلاة العصر حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستمائة[1] بمدينة

٢٥١ - ترجمة زينب بنت الشعري في النجوم الزاهرة ٥ : ٩٢ ، ٦ : ١٨١ وشذرات الذهب ٥: ٦٣ ؛ وهذه الترجمة مستوفاة في المسودة .

[1] يعني أنها أجازت له وهو طفل .

إربلَ بمدرسة سلطانها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين ، رحمهما الله تعالى .

ومولد زينب المذكورة سنة أربع وعشرين وخمسمائة بنيسابور ، وتوفيت سنة خمس عشرة وستمائة في جمادى الآخرة بمدينة نيسابور ، رحمها الله تعالى .

والشَّعْري : بفتح الشين المثلثة وسكون العين المهملة وفتحها وبعدها راء ، هذه النسبة إلى الشَّعْر وعمله وبيعه ، ولا أعلم من كان في أجدادها يتعاطاه فنسبوا إليه ، والله أعلم .

حرف السين



٢٥٢

سالم بن عبد الله بن عمر

أبو عمرو – ويقال أبو عبد الله – سالم بن عبد الله ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب العَدَوي ، رضي الله عنهم أجمعين ؛ أحد فقهاء المدينة ، من سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم ، روى عن أبيه وغيره ، وروى عنه الزهري ونافع . توفي في آخر ذي الحجة سنة ست ومائة ، وقيل سنة ثمان ومائة ، وهشام بن عبد الملك يومئذ بالمدينة ، وكان قد حج بالناس تلك السنة ، ثم قدم المدينة فوافق موت سالم ، فصلى عليه بالبقيع لكثرة الناس ، فلما رأى هشام كثرتهم قال لإبراهيم بن هشام المخزومي [والي المدينة][1] : اضرب على الناس بعث أربعة آلاف ، فسمي عام أربعة آلاف .

[حدث الزهري قال سمعت سالم بن عبد الله يقول : دخلت على الوليد بن عبد الملك ، فقال : ما أحسن جسمك ! فما طعامك ؟ قلت : الكعك والزيت ، قال : وتشتهيه ؟ قلت : أدَعُه حتى أشتهيه ، فإذا اشتهيته أكلته ، وكان يقول : إياكم ومُداومة اللحم ، فإن له ضَراوة كضَراوة الشراب .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله أن اكتب لي بشيء من رسائل عمر بن الخطاب ، فكتب إليه : « يا عمر ، اذكر الملوك الذين تفقأت أعينهم التي كانت لا تنقضي لذتهم بها ، وتفقأت بطونهم التي كانوا لا يشبعون بها ،

٢٥٢ – ترجمة سالم بن عبد الله في طبقات ابن سعد ٥ : ١٩٥ وتهذيب ابن عساكر ٦ : ٥٠ وغاية النهاية ١ : ٣٠١ وصفة الصفوة ٢ : ٥٠ وحلية الاولياء ٢ : ١٩٣ وتهذيب التهذيب ٣ : ٤٣٦ ورجال ابن حبان : ٦٥ وتذكرة الحفاظ : ٨٨ .

١ زيادة من ج .

وصاروا جيفاً في الأرض تحت آكامها ، لو كانت إلى جنب مساكن لنا لتأذينا بريحهم »][1] .

وقال محمد بن إسحاق صاحب المغازي والسير : رأيت سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم يلبس الصوف ، وكان علج الخلق[2] يعالج بيديه ويعمل .

ودخل سليمان بن عبد الملك الكعبة ، فرأى سالماً ، فقال له: سلني حوائجك ، فقال : والله لا سألت في بيت الله غير الله .

٢٥٣

سالم الخاسر

أبو عمر سالم الشاعر عرف بالخاسر ؛ يقال إنه مولى أبي بكر الصديق، وقيل بل مولى المهدي، وهو سالم بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر، هكذا نسبه أحمد ابن أبي طاهر ، وسمي الخاسر لكونه باع مصحفاً واشترى بثمنه طنبوراً . قدم بغداد ومدح المهدي والهادي والبرامكة ، وكان على طريقة غير مرضية من المجون والتظاهر بالخلاعة والفسوق .

وكان سالم المذكور قد مدح المهدي بقصيدة منها :

حضر الرحيل وشدت الأحداج ... وحدا بهنّ مشمّر مزعاج

---

١ زيادة من ر ولم ترد في المسودة وسائر النسخ .

٢ ه : الخلقة .

٢٥٣ - ترجمة سالم الخاسر (الشهير بسلم الخاسر) في معجم الأدباء ١١: ٢٣٦ وتاريخ بغداد ٩: ١٣٦ وطبقات ابن المعتز : ٩٩ والأغاني ١٩ : ٢١٤ ؛ ولم ترد هذه الترجمة في م س والمسودة وانما انفردت بها ص ر ؛ ومعظم ما ورد هنا منقول عن تاريخ بغداد .

شربت بمكة في ذرى بطحائهـا　　مـاء النبوة ليس فيـه مزاج

وكان المهدي أعطى مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم بقصيدته التي أولها:

طرقتك زائرة فحيِّ خيالها

فاراد أن ينقص سالماً من هذه الجائزة فحلف سالم ان لا يأخذ إلا مائة ألف وقال : تطرح القصيدتان إلى أهل العلم حتى يخبروا بتقدم قصيدتي ؛ فأنفـذ له المهدي مائة ألف درهم وألف درهم ، وكان هذا ماله .

وكان ينتمي إلى ولاء تيم بن مرة من قريش ، فلما بلغ زمن الرشيد ، وكان الرشيد قد بايع لمحمد بن زبيدة ، يعني ولده الأمين ، قال قصيدته التي أولها :

قـل للمنـازل بالكثيب الاعفر　　أُسقيت غاديـة السحاب الممطر

قد بايع الثقلان مهـديَّ الهـدى　　لمحمد بن زبيـدة ابنـة جعفر

فحشت زبيدة فاه درّاً فباعه بعشرين ألف دينار . وتقدم لمروان بن أبي حفصة مع زبيدة مثل ذلك في حرف الزاي .

ومات سالم في أيام الرشيد وقد اجتمع عنـده ستة وثلاثون ألف دينـار ، فاودعها أبا السمراء الغساني فبقيت عنده ، وإن ابراهيم الموصلي دخـل يوماً على الرشيد وغناه فأطربه فقال : سل ما شئت ، قال : نعم يا سيدي ، أسأل شيئاً لا يرزأك ، قال : ما هو ؟ قال : مات سالم وليس له وارث وخلف ستة وثلاثين ألف دينار عند أبي السمراء الغساني ، تأمره أن يدفعها إليّ ، فتسلمها[1] .

وكان الجماز قدم هو وأبوه يطالبان بميراث سالم بأنهما من قرابتـه . وذكروا انه لما قال أبو العتاهية[2] :

تعـالى الله يا سلم بن عمرو　　أذل الحرص أعناق الرجـال

---

١ في الأغاني أن الرشيد هو الذي قبض تركة سلم الخاسر وقال : « هذا خادمي ونديمي والذي خلفه من مالي فأنا أحق به » .

٢ انظر الأغاني : ٤ / ٢٣١ .

غضب سالم وقال : يزعم أني حريص ؟ وقال يرد عليه :

ما أقبحَ التزْهيدَ مِنْ واعظ ... يُزَهِّـــدُ الناسَ ولا يزهَدُ
لو كانَ في تزهيدهِ صَادقـــاً ... أضحى وأمسى بيتَهُ المسجـــد
ويرفضُ الدُّنيـــا ولَم يَقْنِهَا ... ولَم يكن يسعَى ويستَرْفِـــد
يخـاف أنْ تنفَدَ أرزَاقُـهُ ... والرزقُ عنـــدَ اللهِ لا يَنفَد
والرزق مقسومٌ عـلى مَنْ ترَى ... ينـــاله الأبيـض والأســـود
كلٌ يوَفّى رِزقَهُ كامِلاً ... مَنْ كفّ عن جَهْدٍ ومن يَجْهَد

وكان سالم من الشعراء الجيدين من تلامذة بشار ، وصار يقول أرق من شعر بشار . وكان بشار قد قال :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... وفـاز بالطيبات الفاتـــك اللهج

وقال سالم :

من راقب الناس مات غمّاً ... وفـــاز باللـذة الجسور

فغضب بشار وقال : ذهب والله بيتي ؛ يأخـذ المعاني التي تعبت فيها فيكسوها ألفاظاً أخف من ألفاظي ، لا ارضى عنه ، فما زالوا يسألونه حتى رضي عنه .

وقال أبو معـاذ النميري : رأيت بشاراً لما قال هـذا البيت وهو يلهج بـه كثيراً :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... البيت

قلت : يا أبا معاذ ، قد قال سالم الخاسر بيتاً في هذا المعنى هو أخف من هذا ، وأنشدته :

من راقب الناس مات غمّاً

فقال : ذهب والله بيتي ، والله لا أكلت اليوم شيئاً ولا صمت .

وكانت وفاة سالم المذكور سنة ست وثمانين ومائة ، رحمه الله تعالى .

٢٥٤

أبو بكر ابن عياش

أبو بكر سالم بن عيّاش بن سالم الحنّاط ، الأسدي مولاهم ، الكوفي ؛ كان من أرباب الحديث والعلماء المشاهير ، وهو أحد راوي القراءات عن عاصم ، وهو مولى واصل بن حيان الأحدب .

ذكر أبو العباس المبرد في كتاب «الكامل» ، قال[١] : قال أبو بكر ابن عياش : أصابتني مصيبة آلمتني ، فذكرت قول ذي الرمة[٢] :

لعلَّ انحِدارَ الدَّمْعِ يُعقبُ راحةً مِنَ الوَجْدِ أوْ يشفْي نجيَّ البَلابِلِ

فخلوت بنفسي وبكيت فاسترحت . وله أخبار وحكايات كثيرة . وقيل : اسمه كنيته ، وقيل : اسمه شعبة ، والله أعلم .

وروي عنه أنه قال[٣] : لما كنت شاباً وأصابتني مصيبة تجلدت لها ، ودفعت البكاء بالصبر ، فكان ذلك يؤذيني ويؤلمني ، حتى رأيت أعرابياً بالكناسة وهو واقف على نجيب له ينشد :

خَليليّ عُوجا مِنْ صُدورِ الرَّواحِلِ بجمهور حُزْوَى فابكيا في المنازِلِ

وبعده :

لعَلَّ انحِدارَ الدَّمْعِ يُعقِبُ راحَةً مِنَ الوَجْدِ أو يَشفي نجيَّ البَلابِلِ

٢٥٤ - ترجمة أبي بكر ابن عياش في ميزان الاعتدال ٤ : ٤٩٩ (في الكنى) وغاية النهاية ١ : ٣٢٥ (تحت اسم : شعبة) والحناط : ضبطت بالنون ، وفي المسودة : الخياط؛ وقال الجزري : اختلف في اسمه على ثلاثة عشر قولاً ، وانظر ابن حبان : ١٧٣ .

١ الكامل ١ : ٨٨ .

٢ ديوان ذي الرمة : ٤٩١ - ٤٩٢ .

٣ تكرار للحكاية لم يرد في م .

فسألت عنه ، فقيل لي : ذو الرمة ، فأصابني بعد ذلك مصائب ، فكنت أبكي فأجد لذلك راحة ، فقلت : قاتل الله الأعرابي ما كان أبصره !

[قال أبو بكر : قال لي رجل وأنا شاب : خلّص رقبتك ما استطعت في الدنيا من رق الآخرة ، فان أسير الآخرة غير مفكوك أبداً ، قال : فأنسيتها][1] .

وكانت وفاته بالكوفة في سنة ثلاث وتسعين ومائة ، بعد هارون الرشيد بثمانية عشر يوماً ، وعمره ثمان وتسعون سنة ، وكانت وفاة الرشيد ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة من السنة المذكورة بمدينة طوس ، رحمهما الله تعالى .

وعَيّاش : بفتح العين المهملة وتشديد الياء المثناة من تحتها وبعد الألف شين معجمة .

والأسدي والكوفي : قد تقدم الكلام عليهما ، وقيل : هو مَوْلى بني كاهل ابن أسد بن خُزَيمة .

٢٥٥

سابور بن أردشير

أبو نصر سابور بن أرْدَشير ، الملقب بهاء الدولة وزير بهاء الدولة أبي نصر ابن عضُد الدولة بن بُوَيْه الديلمي ؛ كان من أكابر الوزراء ، وأماثل الرؤساء ، جمعت فيه الكفاية والدراية ، وكان بابه محطّ الشعراء . ذكره أبو منصور الثعالبي في كتاب « اليتيمة »[2] ، وعقد لمدّاحه باباً مستقلاً ، لم يذكر فيه غيرهم ، فمن جملة من مدحه أبو الفرج البَبّغاء بقوله[3] :

---

١ زيادة من د وحدها .

٢٥٥ - أخباره في صفحات متفرقة من تجارب الأمم والجزء التاسع من تاريخ ابن الأثير .

٢ اليتيمة ٣ : ١٢٩ .

٣ المصدر السابق : ١٣٠ .

لمتُ الزمانَ على تأخيرِ مُطَّلَبي فقال : ما وجهُ لومي وهو محظورُ
فقلتُ : لوْ شئتَ ما فاتَ الغنى أملي فقال : أخطأت ، بل لو شاء سابور
لُذْ بالوزيرِ أبي نصرٍ وسَلْ شططاً أسرفْ فإنكَ في الإسرافِ معذور
وقدْ تقبلتُ هذا النصحَ من زمني والنصحُ حتى من الأعــداء مشكور

ولمحمد بن أحمد الحرون[1] فيه قصيدة من جملتها :

يا مؤنسَ الملكِ والأيامُ موحشةٌ ورابط الجأش والآجالُ في وجَلِ
ما لي وللأرض لم أوطنْ بها وطناً كأنني بِكرُ معنى سارَ في المثلِ
لو أنصفَ الدّهرُ أو لانتْ معاطفهُ أصبحتُ عندكَ ذا خيلٍ وذا خوَلِ
للهِ لؤلؤ ألفــاظٍ أساقطُها لو كنَّ للغيدِ ما استأنسنَ بالعطَلِ
ومنْ عيون معانٍ لو كَحَلْنَ بها نُجلَ العيونِ لأغناها عن الكحَلِ

وكان قد صُرِف عن الوزارة ثم أعيد إليها ، فكتب إليه أبو إسحــاق الصابىء[2] :

قد كنتَ طلقتَ الوزارة بعدما زَلّتْ بها قَدَمٌ وساء صَنيعها
فغدَتْ بغيركَ تستحلُّ ضرورةً كيما يحل إلى ذراك رُجوعهــا
فالآنَ عادَتْ ثم آلَتْ حلفةً أنْ لا يبيتَ سِواكَ وهو ضجيعُها

[ولبعض الشعراء في وزير صرف ثم أعيد من يومه فقال على لسانه :

عــاداني الدهــر نصفَ يومٍ فانكشف النــاس لي وبانوا
يا أيهــا المعرضون عنــا عودوا فقد عــاد لي الزمان][3]

١ كذا في المسودة وسائر الأصول ؛ وورد في اليتيمة (١٢٩) : الحدوني .
٢ اليتيمة ٢ : ٢٨٥ .
٣ زيادة من ص وحدها

وله ببغداد دار علم، وإليها أشار أبو العلاء المعري بقوله في القصيدة المشهورة[1]:

وغنّتْ لنا في دار سابور قَيْنَةٌ ... مِنَ الوُرقِ مِطرابُ الأصائِلِ ميهالُ

وكانت وفاة سابور المذكور في سنة ست عشرة وأربعمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى . ومولده بشيراز ، ليلة السبت خامس عشر ذي القعدة سنة ست وثلاثين وثلثمائة .

وتوفي مخدومه بهاء الدولة في جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعمائة بأرَّجانَ ، وعمره اثنتان وأربعون سنة وتسعة أشهر وعشرون يوماً ، رحمه الله تعالى .

وسابور : بفتح السين المهملة وضم الباء الموحدة وبعد الواو راء . والأصل فيه « شاه بور » فعرب لأن الشاه بالعجمي : الملك ، وبور: ابن ، فكأنه قال : ابن الملك ، وعادة العجم تقديم المضاف إليه على المضاف . وأول من سمي بهذا الاسم سابور بن أردشير بن بابك بن ساسان أحد ملوك الفرس .

وأردشير : بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الدال المهملة وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ، قاله الدارقطني الحافظ ، وقال غيره : معناه دقيق حليب ، وقيل معناه دقيق وحلو – وقال بعضهم : « أزدشير » بالهمزة والزاي – وهو لفظ عجمي ، وأرد عندهم : الدقيق ، وشير: الحليب ، وشيرين : الحلو ، والله أعلم .

---

[1] شروح السقط : ١٢٣٩ .

٢٥٦

سري السقطي

أبو الحسن سَريٌّ بن المغلّس السَّقَطيُّ أحد رجال الطريقة وأرباب الحقيقة؛ كان أوحد زمـــانه في الورع وعلوم التوحيد ، وهو خالُ أبي القاسم الجُنَيْد وأستاذه ، وكان تلميذ مَعروف الكَرْخي ، يقال : إنه كان في دكانه ، فجاءه معروف يوماً ومعه صبي يتيم ، فقال له : اكسُ هذا اليتيم ، قـــال سريّ : فكسوته ، ففرح به معروف ، وقال : بَغّضَ الله إليك الدنيا وأراحك ممـــا أنت فيه ؛ فقمت من الدكان وليس شيء أبغض إليّ من الدنيا . وكل ما أنا فيه من بركات معروف .

ويحكى أنه قال : منذ ثلاثين سنة أنا في الاستغفار من قولي مرة « الحمد لله » ! قيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : وقع ببغداد حريق فاستقبلني واحد وقال : نجا حانوتك ، فقلت : الحمد لله ، فأنا نادم من ذلك الوقت عـــلى ما قلت ، حيث أردتُ لنفسي خيراً من الناس .

وحكى أبو القاسم الجنيد قال : دخلت يوماً على خالي سَريّ السقطي وهو يبكي ، فقلت : ما يبكيك ؟ قال : جاءتني البارحة الصبية فقالت : يا أبت ، هذه ليلة حارّة ، وهذا الكوز أعلقه هاهنا ، ثم إنه حملتني عيناي فنمت فرأيت جارية من أحسن خلق الله قد نزلت من السماء ، فقلت : لمن أنت ؟ قالت : لمن لا يشرب الماء المبرد[1] في الكيزان ، وتناولت الكوز فضربت به الأرض ، قال الجنيد : فرأيت الخزف[2] المكسور لم يرفعه ، حتى عفّى عليه التراب .

---

٢٥٦ ـ ترجمة السري السقطي في تهذيب ابن عساكر ٦ : ٧١ وحلية الأولياء ١٠ : ١١٦ وصفة الصفوة ٢ : ٢٠٩ وطبقات السلمي : ٤٨ وتاريخ بغداد ٦ : ١٨٧ ولسان الميزان ٣ : ١٣ .

١ ج د : البارد .

٢ ﻫ : الكوز .

[قـ عبد الله بن شاكر ، قل سري : صليتُ وردي ليلة ، ومددت رجلي في المحرب فنوديتُ : يا سريُّ ، هكذ تجالس الملوك ؟ قال : فضممت رجلي ، ثم قلت : وعزتك لا مددت رجلي أبداً . قال الجنيد : أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعاً إلا في علة الموت .

ويحكى عن الجنيد أنه قال : سألني السريُّ يوماً عن المحبة ، فقلت : قال قوم : هي الموافقة ، وقال قوم : هي الإيثار ، وقال قوم : كذا وكذا ، فأخذ السريُّ جلدة ذراعه ومدّها فلم تتمدّ ، ثم قال : وعزته لو قلت إن هذه الجلدة يبست على هذا العظم من محبته لصدقتُ .

قال الجنيد : وسمعته يقول : أريد أن آكل أكلة ليس لله عليّ فيها تَبِعَة ولا لمخلوق فيها مِنّة فلم أجد، فأتاني حي الجرجاني فدق عليّ باب الغرفة فخرجت إليه فقال لي : يا سري ، ملحك مدقوق ؟ فقلت : نعم ، قال : لا تفلح ، ثم قال : لولا أن الله عز وجل عقم الآذان عن فهم القرآن ما زرع الزارع ، ولا تجر التاجر ، ولا تلاه الناس في الطرقات ، ثم مضى فأتعبني وأبكاني .

وحكى الجنيد أيضاً عن سري قال : كنت في طلب صديق ثلاثين سنة ، فلم أظفر به ، فمررت في بعض الجبال بأقوام مَرْضى وزَمْنى وعُمي وبكم ، فسألتهم عن مقامهم في ذلك الموضع ، فقالوا : في هذا الكهف رجل يمسح بيده عليهم فيبرءون بإذن الله تعالى وبركة دعائه ، فوقفت أنتظر معهم ، فخرج شيخ عليه جبة صوف ، فلمسهم ودعا لهم ، فكانوا يبرءون من عللهم بمشيئة الله عز وجل ، قال : فأخذت بذيله ، فقال : خلِّ عني يا سَريُّ لا يراك تأنس بغيره فتسقط من عينه][1] .

[قال سري : المتصوف اسم لثلاثة معان ، وهو الذي لا يطفىء نور معرفته نور ورعه ، ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب ، ولا تحمله الكرامات على هتك محارم الله تعالى][2] .

---

١ ما بين معقفين زيادة من ص ، وهذه القصة الاخيرة نفسها وردت في زيادات د في ترجمة بشر الحافي منسوبة له ؛ انظر الجزء الاول : ٢٧٥ - ٢٧٦ .

٢ لم يرد هذا النص في المخطوطات .

وكانت وفاته سنة إحدى وخمسين ، وقيل يوم الأربعاء لست خلون من شهر رمضان بعد الفجر سنة ست وخمسين ، وقيل سبع وخمسين ومائتين ببغداد ، ودفن بالشونيزية . وقال الخطيب في « تاريخ بغداد » : مقبرة الشونيزي وراء المحلة المعروفة بالتوثة بالقرب من نهر عيسى بن علي الهاشمي ، وسمعت بعض شيوخنا يقول : مقابر قريش كانت قديماً تعرف بمقبرة الشونيزي الصغير ، والمقبرة التي وراء التوثة تعرف بمقبرة الشونيزي الكبير ، وكانا أخوين يقال لكل واحد منهما « الشونيزي » ودفن كل واحد منهما في إحدى هاتين المقبرتين ونسبت المقبرة إليه ، والله أعلم .

وقبره ظاهر معروف ، وإلى جنبه قبر الجنيد ، رضي الله عنهما .

والمغلس : بضم الميم وفتح الغين المعجمة وكسر اللام المشددة وبعدها سين مهملة .

وكان سري كثيراً ما ينشد :

إذا ما شكوتُ الحبَّ قالت كَذَبتني ... فما لي أرى الأعضاء منكَ كَواسيِ

فلا حُبَّ حتى يَلْصَقَ الجلدُ بالحشا ... وتَذْهَلَ حتى لا تُجيبَ المناديِ

٢٥٧

السري الرفاء

أبو الحسن السَّريُّ بن أحمد بن السَّري الكندي الرفاء الموصلي الشاعر المشهور ؛ كان في صباه يَرْفو ويطرز في دكان بالموصل ، وهو مع ذلك يتولع بالأدب وينظم الشعر ، ولم يزل حتى جاد شعره ومهر فيه ، وقصد سيف الدولة ابن حمدان بحلب ومدحه وأقام عنده مدةً ، ثم انتقل بعد وفاته إلى بغداد ومدح

٢٥٧ - ترجمة السري الرفاء في اليتيمة ٢ : ١١٧ ومعجم الأدباء ١١ : ١٨٢ وتاريخ بغداد ٩ : ١٩٤ .

الوزير المهلبي وجماعة من رؤسائها ، ونفق شعره وراج . وكانت بينه وبين أبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم الخالديين الموصليين الشاعرين المشهورين معاداة فادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره .

وكان السري[1] مُغرًى بنسخ ديوان أبي الفتح كشاجم الشاعر المشهور ، وهو إذ ذاك ريحان الأدب بتلك البلاد ، والسري في طريقه يذهب ، وعلى قالبه يضرب، فكان يدسُّ فيما يكتبه من شعره أحسن شعر الخالديين ، ليزيد في حجم ما ينسخه وينفق سوقه ويغلي سعره ويشنع بذلك عليهما ويغض منهما ويظهر مصداق قوله في سرقتهما ، فمن هذه الجهة وقعت في بعض النسخ من ديوان كشاجم زيادات ليست في الأصول المشهورة .

وكان شاعراً مطبوعاً عذب الألفاظ مليح المأخذ كثير الافتنان في التشبيهات والأوصاف، ولم يكن له رُواء ولا منظر، ولا يحسن من العلوم غير قول الشعر، وقد عمل شعره قبل وفاته نحو ثلثمائة ورقة ، ثم زاد بعد ذلك ، وقد عملهُ بعضُ المحدثين الأدباء على حروف المعجم[2] .

ومن شعر السري أبياتٌ يذكر فيها صِناعته ، فمنها قوله[3] :

وكانت الإبرة فيما مضى صائنَةً وجهي وأشعاري
فأصبح الرزق بها ضيقاً كأنه من ثقبِها جاري

ومن محاسن شعره في المديح من جملة قصيد[4] :

يَلْقى النَّدى برقيق وجه مُسْفِرٍ فإذا التقى الجمعانِ عاد صَفيقا
رَحْبُ المنازل ما أقام فإن سَرَى في جَحفَلٍ ترك الفَضاءَ مَضيقا

١ مأخوذ عن اليتيمة : ١١٨ .
٢ وكان شاعراً ... حروف المعجم : سقط من س م .
٣ قال الثعالبي عند ايراد هذه الابيات : « وهذه الابيات ليست في ديوان شعره الذي في أيدي الناس وانما هي في مجلدة بخط السري استصحبها أبو نصر سهل بن المرزبان من بغداد» . وانظر ديوانه المطبوع : ١٤٠ .
٤ ديوانه ١٨٥ ، وهي في مدح سيف الدولة .

وذكر له الثعالبي في كتاب « المنتخل »[1] :

ألبَسْتني نعماً رأيتُ بها الدجى صُبحاً وكنت أرى الصباح بَهيما
فغَدَوت يحسُدُني الصديقُ وقَبلها قد كان يلقاني العدوُّ رحيما

ومن غرر شعره في النسيب قوله[2] :

بنفسي مَنْ أجود له بنفسي ويَبخَلُ بالتحية والسلامِ
وحَتفي كامِنٌ في مُقلَتَيه كُمُونَ الموت في حَدِّ الحسامِ

[وله من قصيدة يمدح بها سيف الدولة بن حمدان[3] :

تركتهم بين مصبوغ ترائبُهُ من الدماء ومخضوبٍ ذوائبُهُ
فحائدٌ وشهابُ الرمح لاحِقُهُ وهاربٌ وذبابُ السيف طالبُه
يهوي إليه بمثل النجم طاعِنُهُ وينتحيهِ بمثل البرق غالبه
يكسُوهُ من دَمِهِ ثوباً ويسلبه ثيابه فهْوَ كاسيه وسالبه

وله من قصيدة أخرى :

وكم ليلة شمرت للراح رائحاً وبت لغزلان الصريم مغازلا
وحليت كأسي والسنا نجليها فما عطلت حتى بدا الأفق عاطلا

ومن شعره[4] :

وفتيةٍ زَهَرُ الآداب بينهمُ أبهى وأنضر من زهر الرياحين
راحوا إلى الراح مَشْي الرُّخّ وانصرفوا والراح تمشي بهم مَشْيَ الفرازين

---

١ انظر ديوانه : ٢٥١ .
٢ ديوانه : ٢٦٠ واليتيمة : ١٣٧ .
٣ هي في ذكر وقعة له مع الدمستق (ديوانه : ١٨ واليتيمة : ١٢٦) .
٤ ديوانه : ٢٧٤ ومسالك الأبصار ١ : ٣٠٣ .

ومن شعره :

ما كان ذاك العيش إلا سكرة رحلت لذاذتها وحلّ خمارها

ومن شعره :

انظر إلى الليل كيف تصرعه راية صبح مبيضة العذبِ
كراهب جن للهوى طرباً فشق جلبابه من الطربِ][1]

وللسري المذكور ديوان شعر كله جيد ، وله كتاب « المحب والمحبوب والمشموم والمشروب » وكتاب « الديرة » .

وكانت وفاته في سنة نيف وستين وثلثمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى ، هكذا قال الخطيب البغدادي في تاريخه ، وقال غيره : توفي سنة اثنتين وستين وثلثمائة وقيل سنة أربع وأربعين وثلثمائة ، والله أعلم . وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه[2] أنه توفي سنة ستين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى .

٢٥٨

حيص بيص

أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي الملقب شهاب الدين المعروف بحَيصَ بَيصَ الشاعر المشهور ؛ كان فقيهاً شافعي المذهب ، تفقه بالري على القاضي محمد بن عبد الكريم الوزان ، وتكلم في مسائل الخلاف ، إلا أنه

١ ما بين معقفين زيادة من ر د وبعضها من ص .
٢ تاريخ ابن الاثير ٨ : ٦١٧ .
٢٥٨ - له ترجمة مسهبة في الخريدة (قسم العراق) ١: ٢٠٢ ومعجم الأدباء ١١ : ١٩٩ وابن أبي أصيبعة ١ : ٢٨٣ والمنتظم ١٠ : ٢٨٨ ولسان الميزان ٣ : ١٩ وطبقات السبكي ٤ : ٢٢١ والبداية والنهاية ١٢ : ٣٠١ .

غلب عليه الأدب ونظم الشعر ، وأجاد فيه مع جزالة لفظه ، وله رسائل فصيحة بليغة . ذكره الحافظ أبو سعد ابن السمعاني في كتاب « الذيل » وأثنى عليه . وحدّث بشيء من مسموعاته ، وقرىء عليه ديوانه ورسائله ، وأخذ الناسُ عنه أدباً وفضلاً كثيراً ؛ وكان من أخبر الناس بأشعار العرب واختلاف لغاتهم . ويقال إنه كان فيه تِيهٌ وتَعاظُم ، وكان لا يخاطب أحداً إلا بالكلام العربي ، وكانت له حوالة بمدينة الحِلّة ، فتوجه إليها لاستخلاص مبلغها ، وكانت على ضامن الحلقة[1] ، فسيّر غلامه إليه فلم يعرج عليه وشتم أستاذه ، فشكاه إلى والي الحلة ، وهو يومئذ ضياء الدين مهلهل بن أبي العسكر الجاواني[2] ، فسيّر معه بعض غلمان الباب ليساعده ، فلم يقنع أبو الفوارس منه بذلك ، فكتب إليه يعاتبه ، وكانت بينهما مودة متقدمة[3] « ما كنت أظن أن صحبة السنين ومودتها يكون مقدارها في النفوس هذا المقدار ، بل كنت أظن أن الخميس الجحفل لو زنّ لي عِرضاً[4] لقام بنصري من آل أبي العسكر حماة غُلبُ الرقاب[5] ، فكيف بعامل سُويقة ، وضامن حُلَيلةٍ وحُلَيقة ؟ ويكون جوابي في شكواي أن ينفذ إليه مستخدم يعاتبه ، ويأخذ ما قبله من الحق ، لا والله:

إن الأسُود أُسودَ الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلَبِ

وبالله أقسم ، ونبيّه وآل بيته ، لئن لم تقُم لي حرمة ٌ يتحدث بها نساء الحلة في أعراسهن ومَناحاتهن ، لا أقام وليّك بحلتك هذه ، ولو أمسى بالجسر أو القناطر ، هَبْني خسرت حمر النعم أفأخسر أبيّتي ، وأذلاه ، واذلاه ، والسلام ».

وكان يلبس زي العرب ويتقلد سيفاً ، فعمل فيه أبو القاسم ابن الفضل — الآتي

١ س ر : الحلة .
٢ ه : أبي العساكر الحلواني ؛ م : الحلواني .
٣ لم يورد من هده الرسالة في م إلا بيت أبي تمام الآتي من بعد .
٤ أثبتنا ما في المسودة وه ، وقد اضطربت في النسخ الاخرى .
٥ ناظر إلى قول الحماسي :

اذن لقام بنصري معشر خشن عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا

ذكره في حرف الهاء إن شاء الله تعالى – وذكر العماد في « الخريدة » أنها للرئيس علي بن الأعرابي الموصلي ، وذكر أنه توفي سنة سبع وأربعين وخمسمائة :

كم تَبادَى وكم تَطَوّلُ طرطو رَكَ ؟ ما فيك شَعرَةٌ من تميم
فكل الضَّبَّ واقرطِ[1] الحنظل اليا بس واشرَبْ ما شئت بَول الظليم
ليسَ ذا وجه من يضيف ولا يَقْ ري ولا يدفع الأذى عن حريم

فلما بلغت الأبيات أبا الفوارس المذكور عمل[2] :

لا تَضَعْ من عظيم قَدْر وإن كن ت مُشاراً إليه بالتعظيم
فالشريف الكريمُ ينقص قَدْراً بالتعدّي[3] على الشريف الكريم
ولَعُ الخمرِ بالعقول رَمى الخمْ رَ بتَنجيسِها وبالتحريم

وعمل فيه خطيب الحُوَيزة البُحيري :

لَسْنا وحقك حَيْص بَيْ ص من الأعارب في الصميم
ولقد كذبتَ على بجيـ ر كما كذبتَ على تميم

وقال الشيخ نصر الله بن مجلي مشارف الصناعة بالمخزن ، وكان من الثقات أهل السنّة : رأيت في المنام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، تفتحون مكة فتقولون مَنْ دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ثم يتم على ولدك الحسين يوم الطّف ما تم ؟ فقال : أما سمعت أبيات ابن الصيفي في هذا ؟ فقلت : لا ، فقال : اسمعها منه ، ثم استيقظت فبادرت إلى دار حيص بيص ، فخرج إلي ، فذكرت له الرؤيا فشهق وأجهش بالبكاء ، وحلف بالله إن كانت خرجت من فمي أو خطي إلى أحد ، وإن كنت نظمتها إلا في ليلتي هذه ، ثم أنشدني :

---

١ د هـ : واقرض .
٢ الخريدة : ٣٢٠ .
٣ ر : بالتجري .

ملكنا فكانَ العفوُ مِنـّا سجيةً فلما ملكتمْ سالَ بالدَّمِ أبطَحُ
وحَلـَّلتمُ قتلَ الأسارى ، وطالما غدَونا على الأسرى نعفُّ ونصفح
فحسبكمُ هذا التفاوتُ بيننـا وكلُّ إناءٍ بالذي فيـهِ ينضحُ

وإنما قيل له حيص بيص لأنه رأى الناس يوماً في حركة مزعجة وأمر شديد فقال : ما للناس في حيص بيص ، فبقي عليه هذا اللقب ، ومعنى هاتين الكلمتين الشدة والاختلاط ، تقول العرب : وقع الناس في حيص بيص ، أي في شدة واختلاط .

وكانت وفاته ليلة الأربعاء سادس شعبان سنة أربع وسبعين وخمسمائة ببغداد، ودفن من الغد بالجانب الغربي في مقابر قريش ، رحمه الله تعالى .

وكان إذا سئل عن عمره يقول : أنا أعيش في الدنيا مجازفة[1] ، لأنه كان لا يحفظ مولده ، وكان يزعم أنه من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب. ولم يترك أبو الفوارس عقباً .

وصَيفي : بفتح الصاد المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وكسر الفـاء وبعدها ياء .

والحويزة : بضم الحاء المهملة وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحتهـا ، وبعدها زاي ثم هاء ، وهي بليدة من إقليم خوزستان على اثني عشر فرسخاً من الأهواز .

١ إلى هنا انتهت الترجمة في م ، مع سقوط الفقرة التي أولها : «وكان يلبس ... تميم» فيما سبق .

٢٥٩

أبو المعالي الحظيري

أبو المعالي سعد بن علي بن القاسم بن علي بن القاسم بن علي بن القاسم الأنصاري الخزرجي الوراق الحظيري المعروف بدلّال الكتب ؛ كانت لديه معارف ، وله نظم جيد، وألف مجاميع ما قصر فيها ، منها كتاب « زينة الدهر وعصرة أهل العصر وذكر ألطاف شعراء[1] العصر » الذي ذيله على « دمية القصر » لأبي الحسن الباخرزي جمع فيه جماعة كبيرة من أهل عصره ومن تقدمهم ، وأورد لكل واحد طرفاً من أحواله وشيئاً من شعره. وقد ذكره العماد الكاتب في « الخريدة » وأنشد له عدة مقاطيع ، وروى عنه لغيره شيئاً كثيراً. وكان مطلعاً على أشعار الناس وأحوالهم ، وله كتاب سماه « لمح الملح » يدل على كثرة اطلاعه .

ومن شعر أبي المعالي المذكور قوله :

ومُعذّر في خــدّه وَرْدٌ وفي فمه[2] مُدامُ
ما لان لي حتى تغشّى صُبحَ سالِفهِ[3] ظلام
كالمهر يجمح تحتَ را كبه ويعطفهُ اللجام

وهذا المعنى يقرب من قول أبي علي الحسن بن رشيق[4] — المقدم ذكره — :

وأسمر اللونِ عسجديّ يستمطِرُ المقلةَ الجَهاما
ضاقَ بحمل العذارِ ذَرْعاً كالمُهر لا يعرفُ اللجاما

---

٢٥٩ – ترجمة أبي المعالي الحظيري في معجم الأدباء ١١ : ١٩٤ والخزانة ٣ : ١١٨ .

١ ياقوت : في ذكر لطائف شعراء .

٢ ب : يده .

٣ أ : عارضه ؛ ياقوت : طلعته .

٤ ديوان ابن رشيق : ١٦٨ .

فظنَّ أنَّ العذارَ مما يزيحُ عن جسميَ السَّقاما
فنكسَ الرأسَ إذ رآني كآبةً منه واحتشاما
وما دَرى أنهُ نباتٌ أنبَتَ في قلبيَ الغَراما
وهلْ تَرى عارِضيه إلا حمائِلا علّقتْ حُساما

وقد سبق في ترجمة أبي عمر أحمد بن عبد ربّه صاحب كتاب « العقد » معنى هذا البيت الأخير[1] .

وله أيضاً :

أحدَقَتْ ظلمةُ العذار بخدَّيـ ـه فزادَتْ في حبه حسَراتي
قلتُ ماء الحياة في فمه العذْ بِ دَعُوني[2] أخُوضُ في الظلماتِ

[ومن شعره الرائق :

لئن قيل أبدع في شبهه ولم يكسُ معناه لفظاً سليما
فمن عنب الكرم يجنى السلاف وإن لم يكن غصنها مستقيما

وله أيضاً :

قُلْ لمَنْ عابَ شامَةً لحبيبي دونَ فيه دَعِ الملامة فيهِ
إنما الشامةُ التي قلتَ عنها فصُّ فيروزَجٍ بخاتمِ فيهِ][3]

[ومن شعره أيضاً :

لما حنى الشيب ظهري صحت واحربا دنا أوان فراق الروح والجسد
أما ترى القوس أحنى ظهرها فدنا ترحل السهم عنها وهي في الكبد

وله في كتاب جمعه وسماه « زينة الدهر » :

---

١ انظر ١ : ١١٠ من الوفيات .
٢ د : فدعني .
٣ زيادة من ر د وبعضه من ص .

هذا كتاب قد غدا روضة ونزهـــة للقلب والعــينِ
جعلت من شعري له عوذة خوفاً وإشفاقاً من العينِ][1]

وله أيضاً :

مُدّ على ماء الشبابِ الذي في خدّه جسرٌ من الشّعْرِ
صارَ طريقاً لي إلى سلوَتي وكنتُ فيه موثَقَ الأسْرِ

ومن شعره أيضاً :

شكوتُ هوى مَنْ شفّ قلبيَ بُعدُهُ توقّــدَ نار ليس يطفى سعيرُهــا
فقالَ بِعــادي عنكَ أكثر راحةً ولولا بِعادُ الشمس أحرَق نورُها

[وله أيضاً :

ومهفهف شبهتــه شمس الضحى في حسن بهجتها وبعد مكانهــا
قــد زاده نقش العذار محبــة نقش الفصوص يزيد في أثمانهــا

ومن شعره :

ومستحسن أصبحت أهذي بذكره وأمسيت في شغل من الوصل شاغل
وعارضني من سحر عينيه جنة فقيــدني من صدغه بسلاسل][2]

وله كل معنى مليح مع جودة السبك .

وتوفي يوم الاثنين الخامس والعشرين ، وقيل الخامس عشر ، من صفر سنة ثمان وستين وخمسمائة ببغداد ، ودفن بمقبرة باب حرب ، رحمه الله تعالى .

والحظيري : بفتح الحاء المهملة وكسر الظاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ، هذه النسبة إلى موضع فوق بغداد يقال له « الحظيرَة » ، ينسب إليه كثير من العلماء ، والثياب الحظيرية منسوبة إليه أيضاً[3] .

١ زيادة من ر د . ٢ زيادة من ص .
٣ م : ينسب إليه علماء وثياب .

٢٦٠
سعيد الحيري

أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الواعظ الحيري[١]؛ ولد بالريّ ونشأ بها ثم انتقل إلى نيسابور فسكنها إلى أن توفي بها ، وكان قد سمع بالريّ من محمد بن مقاتل وغيره ، وبالعراق من محمد بن إسماعيل الأحمسي وحميد بن الربيع اللخمي وغيرهما ، ودخل بغداد .

ويقال : إنه كان مستجاب الدعوة [وقام في مجلسه رجل فقال : يا أبا عثمان، متى يكون الرجل صادقاً في حب مولاه ؟ قال : إذا خلا من خلافه كان صادقاً في حبه ، قال : فوضع الرجل التراب على وجهه وصاح ، وقال : كيف أدعي حبه ولم أخلُ طرفةَ عينٍ من خلافه ؟ فبكى أبو عثمان وأهل المجلس ، وجعل أبو عثمان يقول : صادق في حبه ، مقصر في حقه .

قال أبو عمرو[٢] : وكنت أختلف إلى أبي عثمان مدة في وقت شبابي، وحظيت عنده ، ثم اشتغلت مدة بشيء مما يشتغل به الفتيان فانقطعت عنه ، وكنت إذا رأيته من بعيد أو في طريق اختفيت حتى لا يراني، فخرج علي يوماً من سكة في عطفة فلم أجد عنه محيصاً فتقدمت إليه وأنا دهش ، فلما رأى ذلك قال : يا أبا عمرو ، لا تثقن بمودة من لا يحبك إلا معصوماً][٣] .

وكان يقول : طول العتاب فرقة ، وترك العتـــاب حشمة ، وكان يقول : لا يستوي الرجل حتى يستوي في قلبه أربعة أشياء: المنع والعطاء ، والعز والذل.

---

٢٦٠ ـ انظر النجوم الزاهرة ٣ : ١٧٧ وطبقات السلمي : ١٧٠ وعبر الذهبي ٢ : ١١١ وشذرات الذهب ٢ : ٢٣٠ وحلية الأولياء ١٠ : ٢٤٤ وتاريخ بغداد ٩ : ٩٩ ؛ والحيري : نسبة إلى قرية يقال لها الحيرة من قرى نيسابور ، ولم ترد هذه الترجمة في م والمسودة .

١ ر : الحميري .

٢ أبو عمرو ابن حمدان كما في الحلية .

٣ زيادة من ر وحدها .

وكان يقال : ثلاثة أشياء لا رابع لها : أبو عثمان بنيسابور، والجنيد ببغداد ، وأبو عبد الله ابن الجلاء بالشام .

وقال أبو عثمان : منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في شيء فكرهته ، ولا نقلني إلى حال فسخطته .

وقالت مريم امرأة أبي عثمان : كنا نؤخر اللعب والضحك والحديث إلى أن يدخل أبو عثمان في ورده من الصلاة ، فإنه إذا دخل ستر الخلوة لم يحس بشيء من الحديث وغيره . وقالت : صادفت من أبي عثمان خلوة فاغتنمتها ، وقلت : يا أبا عثمان ، أي عملك أرجى عندك ؟ فقال : يا مريم ، لما ترعرعت وأنا بالري وكانوا يراودونني على التزوج فأمتنع جاءتني امرأة فقالت : يا أبا عثمان ، قد أحببتك حباً ذهب بنومي وقراري ، وأنا أسألك بمقلب القلوب أن تتزوج بي ، فقلت : ألكِ والد ؟ قالت : نعم ، فلان الخياط في موضع كذا ، فراسلته ، فأجاب ، فتزوجت بها ، فلما دخلت وجدتها عوراء عرجاء سيئة الخلق، فقلت : اللهم لك الحمد على ما قدّرته لي ، وكان أهل بيتي يلومونني على ذلك ، فأزيدها برّاً وإكراماً ، إلى أن صارت لا تدعني أخرج من عندها ، فتركت حضور المجلس إيثاراً لرضاها وحفظاً لقلبها ، وبقيت معها على هذه الحالة خمس عشرة سنة ، وكنت معها في بعض أوقاتي كأني قابض على الجمر ولا أبدي لها شيئاً من ذلك ، إلى أن ماتت ، فما شيء عندي أرجى من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي .

[ولما تغير على أبي عثمان الحال عند الموت مزق ابنه أبو بكر قميصاً على نفسه . ففتح أبو عثمان عينه وقال : خلاف السنّة يا بني في الظاهر ، وعلامة رياء في الباطن][1] .

توفي لثلاث عشرة بقين من ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

وكان كثيراً ما ينشد في حال وعظه :

وغير تقي يأمر الناس بالتقى   طبيب يداوي والطبيب مريض

---

[1] زيادة من ص .

٢٦١

سعيد بن جبير

أبو عبد الله – وقيل أبو محمد – سعيد بن جُبَير بن هشام الأسدي بالولاء مولى بني والبة بن الحارث بطنٍ من بني أسد بن خُزَيمة ؛ كوفي أحد أعلام التابعين ، وكان أسْوَد ، أخذ العلم عن عبد الله بن العباس وعبد الله بن عمر ، رضي الله عنهم . قال له ابن عباس : حَدِّثْ ، فقال : أُحدّث وأنت هاهنا[١] ؟ فقال : أليس من نعمة الله عليك أن تحدّث وأنا شاهد ، فإن أصبت فذاك ، وإن أخطأت علمتك .

وكان لا يستطيع أن يكتب مع ابن عباس في الفتيا ، فلما عَمِيَ ابنُ عباس كتب ، فبلغه ذلك فغضب . [[٢]وعن ابن عباس رضي الله عنه أخذ القراءة أيضاً عَرْضاً ، وسمع منه التفسير وأكثر روايته عنه .

وروى عن سعيد القراءة عَرْضاً المنهالُ بن عمرو وأبو عمرو بن العلاء ؛ قال وفاء بن إياس[٣] : قال لي سعيد في رمضان : أمسك عليَّ القرآن ، فما قام من مجلسه حتى ختمه ، قال سعيد : قرأت القرآن في ركعة في البيت الحرام ؛ وقال إسماعيل بن عبد الملك : كان سعيد بن جُبَير يؤمُّنا في شهر رمضان فيقرأ ليلة بقراءة عبد الله بن مسعود وليلة بقراءة زيد بن ثابت وليلة بقراءة غيره ، هكذا أبداً ، وسأله رجل أن يكتب له تفسير القرآن ، فغضب وقال : لأن يسقط

---

٢٦١ – ترجمة سعيد بن جبير في طبقات ابن سعد ٦ : ٢٥٦ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٢ وحلية الأولياء ٤ : ٢٧٢ وتهذيب التهذيب ٤ : ١١ وأخبار خروجه على الحجاج ومقتله في كتب التاريخ كالطبري وابن الأثير وابن كثير وغيرها ؛ وانظر أيضاً رجال ابن حبان : ٨٢ وتذكرة الحفاظ : ٧٦ والعقد الثمين ٤ : ٥٤٩ ؛ وقد اتبعنا في هذه الترجمة رواية ص وقد اختلفت عما هي عليه في ر في التقديم والتأخير وحسب .

١ م : فقال وأنت موجود ؟

٢ ما بين معقفين لم يرد في المسودة . ٣ أ : وفاء بن عياش .

شِقّي أحبُّ إلي من ذلك ؛ وقال خصيف : كان من أعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المسيّب ، وبالحج عطاء ، وبالحلال والحرام طاوس ، وبالتفسير أبو الحجاج مجاهد بن جبر ، وأجمعهم لذلك كله سعيد بن جبير .

وكان سعيد في أول أمره كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود ، ثم كتب لأبي بردة بن أبي موسى الأشعري .

وذكره أبو نعيم الأصبهاني في « تاريخ أصبهان » فقال[1]: دخل أصبهان وأقام بها مدة ، ثم ارتحل منها إلى العراق وسكن قرية سنبلان .

وروى محمد بن حبيب أن سعيد بن جبير كان بأصبهان يسألونه عن الحديث فلا يحدّث ، فلما رجع إلى الكوفة حدّث، فقيل له : يا أبا محمد، كنت بأصبهان لا تحدّث وأنت بالكوفة تحدّث ، فقال : انشر بَزَّكَ حيث يُعرَفُ] .

وكان مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس لما خرج على عبد الملك بن مروان ، فلما قُتل عبد الرحمن وانهزم أصحابه من دير الجماجم هرب فلحق بمكة ، وكان واليها يومئذ خالد بن عبد الله القَسْري ، فأخذه وبعث به إلى الحجاج بن يوسف الثقفي مع إسماعيل بن أوسط البجلي ، فقال له الحجاج[2] :

---

١ انظر تاريخ أصبهان ١ : ٣٢٤ .

٢ ورد في المطبوعة النص التالي عند هذا الموضع ولم يرد في المخطوطات التي اعتمدناها : فقال له الحجاج :

ما اسمك ؟ قال : سعيد بن جبير ، قال : بل أنت شقي بن كسير ، قال : بل كانت أمي أعلم باسمي منك ، قال : شقيت أمك وشقيت أنت ، قال : الغيب يعلمه غيرك ، قال : لأبدلنك بالدنيا ناراً تلظى، قال : لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً ، قال : فما قولك في محمد ؟ قال: نبي الرحمة وإمام الهدى ، قال : فما قولك في علي أهو في الجنة أم هو في النار؟ قال: لو دخلتها وعرفت مَن فيها عرفت أهلها ، قال : فما قولك في الخلفاء ؟ قال : لست عليهم بوكيل ، قال : فأيهم أعجب إليك ؟ قال : أرضاهم لخالقي ، قال : فأيهم أرضى للخالق ؟ قال : علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم ، قال : أحب أن تصدقني ، قال : إن لم أحبك لن أكذبك ، قال : فما بالك لم تضحك ؟ قال : وكيف يضحك مخلوق خلق من طين والطين تأكله النار ؟ قال : فما بالنا نضحك ؟ قال : لم تستو القلوب .

ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فجمعه بين يديه، فقال سعيد : إن كنت جمعت =

يا شَقي بن كُسير ، أما قدمت الكوفة وليس يؤم بها إلا عربي[1] فجعلتك إماماً ؟ فقال : بلى ، قال : أما وليتك القضاء فضج أهل الكوفة وقالوا : لا يصلح للقضاء إلا عربي فاستقضيت أبا بردة بن أبي موسى الأشعري وأمرته أن لا يقطع أمراً دونك؟ قال : بلى ، قال : أما جعلتك في سُمّاري وكلهم رؤوس العرب ؟ قال : بلى ، قال : أما أعطيتك مائة ألف درهم تفرقها على أهل الحاجة في أول ما رأيتك ثم لم أسألك عن شيء منها ؟ قال : بلى ، قال : فما أخرجك علي ؟ قال : بيعة كانت في عنقي لابن الأشعث ، فغضب الحجاج ثم قال : أفما كانت بيعة أمير المؤمنين عبد الملك في عنقك من قبل؟ والله لأقتلنك، يا حَرَسِيُّ اضرب عنقه ، فضرب عنقه ، وذلك في شعبان سنة خمس وتسعين ، وقيل سنة أربع وتسعين للهجرة ، بواسط ، ودفن في ظاهرها وقبره يزار بها ، رضي الله عنه ، وله تسع وأربعون سنة .

وكان يوم أُخذ يقول : وشى بي واشٍ في بلد الله الحرام ، أَكِلُه إلى الله تعالى ، يعني خالد بن عبد الله القسري .

= هذا لتتقي به فزع يوم القيامة فصالح ، وإلا ففزعة واحدة تُذهِل كل مرضعة عما أرضعت ، ولا خير في شيء جُمع للدنيا إلا ما طاب وزكا ، ثم دعا الحجاج بالعود والناي ، فلما ضرب بالعود ونفخ في الناي بكى سعيد ، فقال : ما يبكيك ؟ هو اللعب ، قال سعيد : هو الحزن ، أما النفخ فذكرني يوماً عظيماً يوم النفخ في الصور ، وأما العود فشجرة قطعت في غير حق ، وأما الأوتار فمن الشاء تبعث معها يوم القيامة ، قال الحجاج : ويلك يا سعيد ! قال : لا ويل لمن زُحزحَ عن النار وأُدخل الجنة ، قال الحجاج : اختر يا سعيد أي قتلة أقتلك ، قال : اختر لنفسك يا حجاج ، فوالله لا تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة ، قال : أفتريد أن أعفو عنك ؟ قال : إن كان العفو فمن الله ، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر ، قال الحجـــاج : اذهبوا به فاقتلوه ، فلما خرج ضحك ، فأخبر الحجاج بذلك ، فرده وقال : ما أضحكك ؟ قال : عجبت من جراءتك على الله وحم الله عليك ، فأمر بالنطع فبُسِط وقال : اقتلوه ، فقال سعيد : وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين، قال : وجِّهوا به لغير القبلة ، قال سعيد : فأينما تولوا فثمَّ وجه الله ، قال : كبُّوه لوجهه ، قال سعيد : منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ، قال الحجاج : اذبحوه ، قال سعيد : أما إني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، خذها مني حتى تلقاني بها يوم القيامة ، ثم دعا سعيد فقال : اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي .

[1] في المسودة : أعرابي .

وقال أحمد بن حنبل : قتل الحجاج سعيد بن جُبَير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه. ثم مات الحجاج بعده في شهر رمضان من السنة ، وقيل بل مات بعده بستة أشهر ، ولم يسلطه الله تعالى بعده على قتل أحد حتى مات . ولما قتله سال منه دم كثير ، فاستدعى الحجاج الأطباء وسألهم عنه وعمن كان قتله قبله ، فإنه كان يسيل منهم دم قليل ، فقالوا له : هذا قتلته ونفسُه معه والدم تبع للنفس ، ومَن كنتَ تقتله قبله كانت نفسه تذهب من الخوف ، فلذلك قلّ دمهم .

وقيل للحسن البصري : إن الحجاج قد قتل سعيد بن جبير ، فقال : اللهم ايت على فاسق ثقيف ، والله لو أن مَنْ بين المشرق والمغرب اشتركوا في قتله لكَبَّهم الله عز وجل في النار .

ويقال إن الحجاج لما حضرته الوفاة كان يغوص ثم يُفيق ويقول : ما لي ولسعيد بن جبير ؟ وقيل إنه في مدة مرضه كان إذا نام رأى سعيد بن جبير آخذاً بمجامع ثوبه يقول له : يا عدوّ الله ، فيم قتلتني ؟ فيستيقظ مذعوراً ويقول: ما لي ولسعيد بن جبير ؟ ! ويقال : إنه رُئي الحجاج في النوم بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : قتلني بكل قتيل قتلتُه قَتلةً ، وقتلني بسعيد ابن جبير سبعين قتلةً .

وحكى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتاب « المهذب » أن سعيد بن جبير كان يلعب بالشطرنج استدباراً ، ذكره في كتاب الشهادات في فصل اللعب بالشطرنج .

٢٦٢

سعيد بن المسيب

أبو محمد سعيد بن المسيّب بن حَزْن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم القرشي المدني ؛ أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، وقد تقدم ذكر اثنين منهم : أبو بكر في حرف الباء وخارجة في حرف الخاء .

كان سعيد المذكور سيد التابعين من الطراز الأول ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع ، سمع سعد بن أبي وقاص الزهري وأبا هريرة رضي الله عنهما .

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لرجل سأله عن مسألة : ايت ذاك فسله ، يعني سعيداً ، ثم ارجع إلي فأخبرني ، ففعل ذلك وأخبره ، فقال : ألم أخبركم أنه أحد العلماء ؟ وقال أيضاً في حقه لأصحابه : لو رأى هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لسَرَّهُ . وكان قد لقي جماعة من الصحابة رضي الله عنهم وسمع منهم ، ودخل على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عنهن ، وأكثر روايته المسند عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وكان زوج ابنته . وسئل الزهري ومكحول : مَنْ أفقه من أدركتما ؟ فقالا : سعيد بن المسيب ؛ وروي عنه أنه قال : حججت أربعين حجة ؛ وعنه أنه قال : ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين[1] سنة ، وما نظرت إلى قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة ، لمحافظته على الصف الأول ، وقيل إنه صلى الصبح بوضوء العشاء خمسين[1] سنة [وكان يقول[2] : ما أعزّت العباد نفسها بمثل طاعة الله ، ولا أهانت نفسها بمثل معصية

---

٢٦٢ - ترجمة سعيد بن المسيب في طبقات ابن سعد ٥ : ١١٩ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ١٢ وحلية الأولياء ٢ : ١٦١ وصفة الصفوة ٢ : ٤٤ ورجال ابن حبان : ٦٣ وتذكرة الحفاظ : ٥٤ وتهذيب التهذيب ٤ : ٨٤ .

١ د : أربعين .

٢ وكان يقول... لصلبه : سقط هذا كله من م وسقط من المسودة الى قوله : حق على من أفتحها.

الله ، ودعي إلى نيف وثلاثين ألفاً ليأخذها فقال : لا حاجة لي فيها ولا في بني مروان ، حتى ألقى الله فيحكم بيني وبينهم .

وقال أبو وداعة : كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياماً ، فلما جئته قال : أين كنت ؟ قلت : توفيت أهلي فاشتغلت بها ، فقال : هلا أخبرتنا فشهدناها ؟ قال : ثم أردت أن أقوم فقال : هلا أحدثت امرأة غيرها ؟ فقلت: يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة ؟ فقال : إن أنا فعلت تفعل ؟ قلت : نعم ، ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال على ثلاثة ، قال : فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح ، فصرت إلى منزلي ، وجعلت أتفكر ممن آخذ وأستدين ، وصليت المغرب ، وكنت صائماً ، فقدمت عشاي لأفطر ، وكان خبزاً وزيتاً ، وإذا بالباب يقرع ، فقلت : من هذا ؟ قال : سعيد ، ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم ير منذ أربعين سنة إلا ما بين بيته والمسجد، فقمت وخرجت ، وإذا بسعيد بن المسيب ، فظننت أنه قد بدا له ، فقلت : يا أبا محمد ، هلا أرسلت إلي فآتيك ؟ قال : لا ، أنت أحق أن تؤتى ، قلت : فما تأمرني ؟ قال : رأيتك رجلاً عَزَباً قد تزوّجت فكرهتُ أن تبيت الليلة وحدك ، وهذه امرأتك ، فإذا هي قائمة خلفه في طوله ثم دفعها في الباب وردّ الباب، فسقطت المرأة من الحياء ، فاستوثقت من الباب ، ثم صعدت إلى السطح ، فناديت الجيران ، فجاءوني وقالوا : ما شأنك ؟ فقلت : زوّجني سعيد بن المسيب اليوم ابنته وقد جاء بها على غفلة ، وها هي في الدار ، فنزلوا إليها ، وبلغ أمي فجاءت وقالت : وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام ، فأقمت ثلاثاً ثم دخلت بها ، فإذا هي من أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج ؛ قال : فمكث شهراً لا يأتيني ولا آتيه ، ثم أتيته بعد شهر وهو في حلقته ، فسلمت عليه ، فرد عليّ ولم يكلمني حتى انفضّ مَنْ في المسجد ، فلما لم يبق غيري ، قال : ما حال ذلك الإنسان ؟ قلت : هو على ما يحبُّ الصديق ويكره العدوّ ، قال : إن رابك شيء فالعصا ، فانصرفت إلى منزلي .

وكانت بنت سعيد المذكورة خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاّه العهد ، فأبى سعيد أن يزوّجه ، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه في يوم بارد وصبّ عليه الماء ؛ قال يحيى بن سعيد : كتب هشام بن إسماعيل والي المدينة إلى عبد الملك بن مروان : إن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة للوليد وسليمان إلا سعيد بن المسيب ، فكَتب أن اعرضه على السيف ، فإن مضى فاجلده خمسين جلدة وطُفْ به أسواق المدينة ، فلما قدم الكتاب على الوالي دخل سليمان بن يسار وعروة بن الزبير وسالم بن عبد الله على سعيد بن المسيب ، وقالوا : جئناك في أمر ، قد قدم كتاب عبد الملك إن لم تبايع ضربت عنقك ، ونحن نعرض عليك خصالاً ثلاثاً ، فأعطنا إحداهن ، فإن الوالي قد قبل منك أن يقرأ عليك الكتاب ، فلا تقل لا ولا نعم ، قال : يقول الناس : بايع سعيد بن المسيب ، ما أنا بفاعل ، وكان إذا قال لا لم يستطيعوا أن يقولوا نعم ، قالوا : فتجلس في بيتك ولا تخرج إلى الصلاة أياماً ، فإنه يقبل منك إذا طلبك من مجلسك فلم يجدك ، قال : فأنا أسمع الأذان فوق أُذني حيّ على الصلاة حيّ على الصلاة ، ما أنا بفاعل ، قالوا : فانتقل من مجلسك إلى غيره فإنه يرسل إلى مجلسك ، فإن لم يجدك أمسك عنك ، قال : أفـَرَقاً من مخلوق ؟ ما أنا بتقدم شبراً ولا متأخر ، فخرجوا وخرج إلى صلاة الظهر ، فجلس في مجلسه الذي كان يجلس فيه ، فلما صلى الوالي بعث إليه ، فأتِي به ، فقال : إن أمير المؤمنين كتب يأمرنا إن لم تبايع ضربنا عنقك ، قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيعتين ، فلما رآه لم يجب أُخرج إلى السدة ، فمدّت عنقه وسلّت السيوف ، فلما رآه قد مضى أمر به فجرد ، فإذا عليه ثياب شعر ، فقال : لو علمت ذلك ما اشتهرت بهذا الشأن ، فضربه خمسين سوطاً ، ثم طاف به أسواق المدينة ، فلما ردوه والناس منصرفون من صلاة العصر قال : إن هذه لوُجُوه ما نظرت إليها منذ أربعين سنة ، ومنعوا الناس أن يجالسوه ، فكان من ورعه إذا جاء إليه أحد يقول له : قم من عندي ، كراهية أن يضرب بسببه .

قال مالك رضي الله عنه : بلغني أن سعيد بن المسيب كان يلزم مكاناً من المسجد لا يصلي من المسجد في غيره ، وأنه ليالي صنع به عبد الملك ما صنع

قيل له أن يترك الصلاة فيه فأبى إلا أن يصلي فيه .

وكان يقول: لا تملأوا أعينكم من أعوان الظَّلَمَة إلا بإنكار من قلوبكم لكي لا تحبط أعمالكم ؛ وقيل له وقد نزل الماء في عينه : ألا تقدح عينك؟ قال: حتى على من أفتحها].

ورأى عبد الملك بن مروان في منامه كأنه قد بال في المحراب أربع مرات فوجه إلى سعيد بن المسيب من يسأله ، فقال : يملك من ولده لصلبه أربعة ، فكان كما قال ، فإنه ولي الوليد وسليمان ويزيد وهشام ، وهم أولاد عبد الملك لصلبه .

وكانت ولادته لسنتين مَضَتا من خلافة عمر رضي الله عنه ، وكان في خلافة عثمان رضي الله عنه رجلاً .

وتوفي بالمدينة سنة إحدى – وقيل اثنتين ، وقيل ثلاث، وقيل أربع، وقيل خمس – وتسعين للهجرة،وقيل إنه توفي سنة خمس ومائة،والله أعلم، رضي الله عنه .

والمسيَّب : بفتح الياء المشددة المثناة من تحتها ، وروي عنه أنه كان يقول بكسر الياء ، ويقول : سَيَّبَ الله من يسيِّب أبي .

وحَزْن : بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي وبعدها نون .

وعائذ : بذال معجمة .

٢٦٣

أبو زيد الأنصاري

أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن زيد بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك ابن ثعلبة بن كعب بن الخَزرَج ، وقال محمد بن سعد في « الطبقات »[1] : هو

٢٦٣ – ترجمة أبي زيد الأنصاري في نور القبس : ١٠٤ وتاريخ بغداد ٩ : ٧٧ ومعجم الأدباء ١١ : ٢١٢ وانباه الرواة ٢ : ٣٠ وبغية الوعاة : ٢٥٤ وتهذيب التهذيب ٤ : ٣ وغاية النهاية ١ : ٣٠٥ ومصادر أخرى سردها محقق انباه الرواة في الحاشية فلتراجع . وهذه الترجمة مستوفاة في مسودة المؤلف .

١ ورد نسبه على هذا النحو في الطبقات (٧/١ : ١٧ من الطبعة الاوروبية) وانظر القفطي ٢ : ٣١ .

أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن أبي زيد ثابت بن زيد بن قيس . والأول ذكره الخطيب في تاريخه ، والله أعلم بالصواب ، الأنصاري اللغوي البصري ؛ كان من أئمة الأدب ، وغلب عليه اللغات والنوادر والغريب ، وكان يرى رأي القَدَر ، وكان ثقة في روايته .

حدّث أبو عثمان المازني قال : رأيت الأصمعي وقد جاء إلى حلقة أبي زيد المذكور ، فقبّل رأسه وجلس بين يديه وقال : أنت رئيسنا وسيدنا منذ خمسين سنة[1] . وكان التوّزيّ يقول : قال لي ابن مناذر : أصف لك أصحابك ؟ أما الأصمعي فأحفظ الناس ، وأما أبو عبيدة فأجمعهم ، وأما أبو زيد الأنصاري فأوثقهم . وكان النضر بن شميل يقول : كنا ثلاثة في كُتّاب واحد : أنا وأبو زيد الأنصاري وأبو محمد اليزيدي . وقال أبو زيد : حدثني خَلَفٌ الأحمر ، قال : أتيت الكوفة لأكتب عنهم الشعر ، فبخلوا علي به ، فكنت أعطيهم المنحول وآخذ الصحيح ، ثم مرضت فقلت لهم : ويلكم ! أنا تائب إلى الله تعالى، هذا الشعر لي ، فلم يقبلوا مني ، فبقي منسوباً إلى العرب لهذا السبب .

وأبو زيد المذكور له في الآداب مصنفات مفيدة : منها كتاب « القوس والترس » وكتاب « الإبل » وكتاب « خلق الإنسان » وكتاب « المطر» وكتاب « المياه » وكتاب « اللغات » وكتاب « النوادر » وكتاب « الجمع والتثنية » وكتاب « اللبن » وكتاب « بيوتات العرب » وكتاب « تخفيف الهمزة » وكتاب « القضيب » وكتاب « الوحوش » وكتاب « الفرق » وكتاب « فعلت وأفعلت » وكتاب « غريب الأسماء » وكتاب « الهمزة » وكتاب « المصادر » وغير ذلك ، ولقد رأيت له في النبات كتاباً حسناً جمع فيه أشياء غريبة[2] .

وحكى بعضهم[3] أنه كان في حلقة شعبة بن الحجاج ، فضجر من إملاء الحديث فرمى بطرفه[4] فرأى أبا زيد الأنصاري في أُخريات الناس فقال :

١ القفطي : منذ عشر سنين ؛ نزهة الالباء : منذ عشرين سنة .
٢ ذكر له ابن النديم والقفطي مؤلفات أخرى كثيرة لم يذكرها المؤلف .
٣ هو روح بن عبادة كما في القفطي : ٣٢ .
٤ أ : فرمى بطرفه في الحلقة .

يا أبا زيد[1] :

استعجمت دارُ مَيٍّ ما تكلّمنا والدار لو كلّمتنا ذاتُ إخبارِ

إليّ يا أبا زيد ، فجاءه ، فجعلا يتحدّثان ويتناشدان الأشعار ، فقال له بعض أصحاب الحديث : يا أبا بسطام ، نقطع إليك ظهور الإبل لنسمع منك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فتدَعُنا وتقبل على الأشعار ؟ قال : فغضب شعبة غضباً شديداً ، ثم قال : يا هؤلاء ، أنا أعلم بالأصلح لي ، أنا والله الذي لا إله إلا هو في هذا أسلم مني في ذاك .

وكانت وفاته بالبصرة في سنة خمس عشرة – وقيل أربع عشرة ، وقيل ست عشرة – ومائتين ، وعُمِّر عمراً طويلاً حتى قارب المائة ، وقيل انه عاش ثلاثاً وتسعين سنة ، وقيل خمساً وتسعين ، وقيل ستاً وتسعين ، رحمه الله تعالى .

٢٦٤

الأخفش الأوسط

أبو الحسن سعيد بن مَسْعَدَة المُجاشعي بالولاء النحوي البلخي المعروف بالأخفش الأوسط ؛ أحد نحاة البصرة ، والأخفش الأكبر أبو الخطاب ، وكان نحوياً أيضاً من أهل هَجَرَ من مَواليهم ، واسمه عبد الحميد بن عبد المجيد ، وقد أخذ عنه أبو عبيدة وسيبويه وغيرهما .

وكان الأخفش الأوسط المذكور من أئمة العربية ، وأخذ النحو عن سيبويه ،

١ البيت للنابغة : (شرح ابن السكيت : ٢٣٣) وقد وردت الحكاية في القفطي ونور القبس .

٢٦٤ - ترجمة الأخفش في نور القبس : ٩٧ وانباه الرواة ٢ : ٣٦ ومعجم الأدباء ١١ : ٢٢٤ وبغية الوعاة : ٢٥٨ وقد ساق محقق الانباه ثبتاً بمصادر ترجمته الاخرى في الحاشية . قلت : وهذه الترجمة مستوفاة في مسودة المؤلف .

وكان أكبر منه ، وكان يقول : ما وضع سيبويه في كتابه شيئاً إلا وعرضه عليّ ، وكان يرى أنه أعلم به مني ، وأنا اليوم أعلم به منه[1] .

وحكى أبو العباس ثعلب عن آل سعيد بن سلم ، قالوا : دخل الفراء على سعيد المذكور ، فقال لنا : قد جاءكم سيد أهل اللغة وسيد أهل العربية ، فقال الفراء : أما ما دام الأخفش يعيش فلا .

وهذا الأخفش هو الذي زاد في العروض بحر الخبَبِ كما سبق في حرف الخاء في ترجمة الخليل ، وله من الكتب المصنفة كتاب « الأوسط » في النحو وكتاب « تفسير معاني القرآن » وكتاب « المقاييس » في النحو ، وكتاب « الاشتقاق » وكتاب « العروض » وكتاب « القوافي » وكتاب « معاني الشعر » وكتاب « الملوك » وكتاب « الأصوات » وكتاب « المسائل » الكبير ، وكتاب « المسائل » الصغير ، وغير ذلك .

وكان أجْلَع ، والأجلع : الذي لا تنضم شفتاه على أسنانه ، والأخفش : الصغير العينين مع سوء بصرهما . وكانت وفاته سنة خمس عشرة ومائتين ، وقيل سنة إحدى وعشرين ومائتين ، رحمه الله تعالى[2] . وكان يقال له : « الأخفش الأصغر » فلما ظهر علي بن سليمان المعروف بالأخفش أيضاً ، صار هذا وسطاً .

ومسعَدَة : بفتح الميم وسكون السين وفتح العين والدال المهملات وبعدهن هاء ساكنة .

والمجاشعي : بضم الميم وفتح الجيم وبعد الألف شين مثلثة مكسورة وبعدها عين مهملة ، هذه النسبة إلى مجاشع بن دارِم ، بطن من تميم .

---

١ قال القفطي : ان كتاب سيبويه لا يعلم أحد قرأه على سيبويه ولا قرأه عليه سيبويه ولكنه لما مات قرىء على الأخفش فشرحه وبينه .

٢ ذكر ابن النديم أنه توفي سنة ٢١١ .

٢٦٥

ابن الدهان النحوي

أبو محمد سعيد بن المبارك بن علي بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن نصر بن عاصم بن عباد بن عصام بن الفضل بن ظفر بن غلاب بن حمد[١] بن شاكر بن عياض ابن حصن بن رجاء بن أُبي بن شبل بن أبي اليسر[٢] كعب الأنصاري رضي الله عنه المعروف بابن الدهان النحوي البغدادي ؛ سمع الحديث من أبي القاسم هبة الله بن الحصين ومن أبي غالب أحمد بن الحسن بن البناء وغيرهما ، وكان سيبويه عصره، وله في النحو التصانيف المفيدة منها « شرح كتاب الإيضاح والتكملة » وهو مقدار ثلاث وأربعين مجلدة ، ومنها « الفصول الكبرى » و « الفصول الصغرى » وشَرَح كتاب « اللمع » لابن جني شرحاً كبيراً يدخل في مجلدين وسماه « الغرة » ولم أر مثله مع كثرة شروح هذا الكتاب ، ومنها كتاب « العروض » في مجلدة وكتاب « الدروس في النحو » في مجلدة ، وكتاب « الرسالة السعيدية في المآخذ الكندية » يشتمل على سرقات المتنبي في مجلدة ، وكتاب تذكرته سماه « زهر الرياض» في سبع مجلدات، وكتاب «الغنية في الضاد والظاء» و «المعقود في المقصور والممدود » و «الراء »[٣] و « الغنية في الأضداد » [وغير ذلك من المصنفات][٤] .

وكان في زمن أبي محمد المذكور ببغداد من النحاة ابن الجواليقي وابن الخشاب وابن الشجري ، وكان الناس يرجحون أبا محمد المذكور على الجماعة المذكورين مع أن كل واحد منهم إمام . ثم إن أبا محمد ترك بغداد وانتقل إلى الموصل قاصداً

٢٦٥ ـ ترجمة ابن الدهان في انباه الرواة ٢ : ٤٧ ومعجم الأدباء ١١ : ٢١٩ ونكت الهميان : ١٥٨ وبغية الوعاة : ٢٥٦ والنجوم الزاهرة ٦ : ٧٢ .

١ ص : أحمد .

٢ ص : اليأس .

٣ كذا في ر والمسودة وسقط من س ص . وفي ياقوت : إزالة المراء في الغين والراء .

٤ زيادة من س .

جناب الوزير جمال الدين الأصبهاني المعروف بالجواد – الآتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى – فتلقاه بالإقبال وأحسن إليه ، وأقام في كَنَفه مـــدة ، وكانت كتبه قد تخلفت ببغداد فاستولى الغرق تلك السنة على البلد ، فسيّر مَنْ يحضرها إليه إن كانت سالمة ، فوجدها قد غرقت ، وكان خَلْفَ داره مَدْبغة فغرقت أيضاً ، وفاض الماء منها إلى داره، فتلفت الكتب بهذا السبب زيادة على إتلاف الغرق ، وكان قد أفنى في تحصيلهـــا عمره ، فلما حملت إليه على تلك الصورة أشاروا عليه أن يطيبها بالبخور ويصلح منها ما أمكن،فبخرها باللاذن ولازم ذلك إلى أن بخرها بأكثر من ثلاثين رطـــلا لاذناً فطلع ذلك إلى رأسه وعينيه فأحدث له العمى وكف بصره . وانتفع عليه خلق كثير ، ورأيت الخلق يشتغلون في تصانيفه المذكورة بالموصل وتلك الديار اشتغالاً كثيراً .

وكانت وفاته يوم الأحد غرّة شوال سنة تسع وستين وخمسمائة ، وقال ابن المستوفي : سنة ست وستين بالموصل ، رحمه الله تعالى ، ودفن بمقبرة المعافى بن عمران بباب الميدان .

ومولده عشية الخميس سادس وعشرين رجب سنة أربع وتسعين وأربعمائة ببغداد بنهر طابق ، وهي محلة بها ، وقيل يوم الجمعة .

وله نظم حسن ، فمنه قوله :

لا تجعل الهزْلَ دأباً فهو منقصة ... والجدُّ تعلو به بين الورى القِيَمُ
ولا يغرّنْكَ من مَلْكٍ تبسُّمه ... ما تصخَبُ السحب إلا حين تبتسمُ

وله أيضاً :

لا تحسبن أن بالشّعْـ ... ـر[1] مثلنـــا ستصير
فللدجـــاجة ريش ... لكنهـــا لا تطير

وله أيضاً :

لا غرو أن أخشى فرا ... قَكمُ وتخشاني الليوثُ

---

[1] ص ر وياقوت : بالكتب .

أوَما ترى الثوبَ الجديـ ـدَ من التفرّق يستغيثُ

[وذكره الحظيري في كتاب « زينة الدهر » وأورد له :

بادر إلى العيش والأيام راقدة ولا تكن لصروف الدهر تنتظرُ
فالعمر كالكأس يبدو في أوائله صفوٌ وآخره في قعره الكدرُ

وأورد له أيضاً :

قالوا اغترب عن بلاد كنت تألفهـا إن ضاقَ رزقٌ تجد في الأرض منتزحا
قلت : انظروا الريق في الأفواه مختزناً عذباً فإن بانَ عنهـا صار مُطـّرحا

وأورد له أيضاً :

أهوى الخمول لكي أظلّ مرفهاً ممـا يعانيه بنو الأزمـانِ
إن الرياح إذا توالى عصفهـا تولي الأذية شـامخ الأغصانِ

وأورد له أيضاً :

يا سادتي لا عدمتم استمعوا قول فتى عـارف بمنطقه
كنت ببيتي كالرخ محترمـاً فصرت في غربتي كبيذقه][1]

وقد ذكره العماد الكاتب في « الخريدة » وأثنى عليه ، وذكر طـرَفاً من حاله . وقال الحافظ أبو سعد السمعاني[2] : سمعت الحافظ ابن عساكر الدمشقي يقول : سمعت سعيد بن المبارك بن الدهان يقول : رأيت في النوم شخصاً أعرفه وهو ينشد شخصاً آخر كأنه حبيب له :

أيها الماطِلُ ديني أمليٌّ وتمـاطلْ ؟

---

١ أثبتنا ما بين معقفين من النسخ د ص ر على تفاوت فيما بينها ؛ وانظر القفطي ٢ : ٤٩ ، وهذه الزيادة لم ترد في المسودة .
٢ أوردها القفطي ٢ : ٤٩ .

عَلّلِ القلب فإني   قانع منك بباطلْ

قال السمعاني : فرأيت ابن الدهان وعرضت عليه الحكاية فقال : ما أعرفها ولعلّ ابن الدهان نسي، فإن ابن عساكر من أوثق الرواة، ثم استملى ابن الدهان من السمعاني هذه الحكاية وقال : أخبرني السمعاني عن ابن عساكر عني ، فروى عن شخصين عن نفسه ، وهذا غريب في الرواية .

(44) وكان له[1] ولد – وهو أبو زكريا يحيى بن سعيد – وكان أديباً شاعراً، ومولده بالموصل في أوائل سنة تسع وستين وخمسمائة تقديراً ، وتوفي سنة ست عشرة وستمائة بالموصل ، ودفن على أبيه بمقبرة المعافى بن عمران الموصلي .

ومن شعره :

إن مَدَحْتُ الخمول نَبَّهْتُ أقوا   ماً نِياماً فسابقوني إليه
هُوَ قد دَلّني على لذة العيـ   ش ، فما لي أدلّ غيري عليه

ومن شعره على ما قيل :

وعَهْدي بالصبا زمناً وقدّي   حكى ألِفَ ابن مُقلة في الكتابِ
فصِرْتُ الآن مُنحَنِياً كأني   أفتّشُ في التراب على شَبابي

---

١ وكان له ... شبابي : سقط النص من ص م والمسودة وهو ثابت في س ر ووستنفلد .

٢٦٦

سفيان الثوري

أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله بن موهبة بن أبي عبد الله بن منقذ بن نصر بن الحكم بن الحارث بن ثعلبة بن ملكان ابن ثور بن عبد مَناة بن أدّ بن طابخة بن إليـــاس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، الثوري الكوفي ؛ كان إماماً في علم الحديث وغيره من العلوم ، وأجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته ، وهو أحد الأئمة المجتهدين ، ويقال إن الشيخ أبا القاسم الجنيد رضي الله عنه كان على مذهبه ، على الاختلاف الذي تقدم في ترجمته في حرف الجيم .

[وقال يونس بن عبيد : ما رأيت كوفياً أفضل من سفيان ، قالوا : إنك رأيت سعيد بن جبير وفلاناً وفلاناً ، قال : ما رأيت كوفياً أفضل من سفيان.

وقال سفيان بن عيينة : ما رأى سفيان مثله . أكل سفيان ليلة فشبع فقال: الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله ، فقام حتى أصبح .

وحدث ابن عيينة قال : دعانا سفيان فقدم إلينا غداء ولبناً خاثراً ، فلما توسطنا قال : قوموا بنا نصلي ركعتين شكراً لله تعالى ؛ قال ابن وكيـع — وكان حاضراً — : لو قدم إلينا شيئاً من هذا اللوزينج المحدث لقال : قوموا بنا نصلي التراويح .

وقال بشر بن الحارث : كان سفيان الثوري كأن العلم بين عينيه، يأخذ منه ما يريد ويدع منه ما يريد .

---

٢٦٦ ـ ترجمة سفيان الثوري في الفهرست : ٢٢٥ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢٣ وطبقات ابن سعد ٦ : ٣٧١ والمعارف : ٤٩٧ والجواهر المضية ١ : ٢٥٠ وحلية الاولياء ٦ : ٣٥٦ وتهذيب التهذيب ٤ : ١١١ وتاريخ بغداد ٩ : ١٥١ وتذكرة الحفاظ : ٢٠٣ ورجال ابن حبان : ١٦٩ .

وقال الأوزاعي : كنت أقول فيمن ضحك في الصلاة قولاً لا أدري كيف هو، فلما لقيت سفيان الثوري سألته فقال : يعيد الصلاة والوضوء ، فأخذت به .

وكان عاصم بن أبي النجود يجيء إلى سفيان يستفتيه ويقول : يا سفيان ، أتيتنا صغيراً وأتيناك كبيراً .

وقال عبد الرحمن بن مهدي : ما رأيت رجلاً أحسن عقلاً من مالك بن أنس ، ولا رأيت رجلاً أنصح لأمة محمد صلى الله عليه وسلم من عبد الله بن مبارك ، ولا أعلم بالحديث من سفيان ، ولا أقشف من شعبة .

وقال سفيان الثوري : ما استودعت قلبي شيئاً فخانني .

وقيل : لقي سفيان الثوري شريكاً بعدما ولي القضاء بالكوفة فقال : يا أبا عبد الله ، بعد الإسلام والتفقه والخير تلي القضاء ، أو صرت قاضياً ؟ فقال له شريك : يا أبا عبد الله ، لا بد للناس من قاض ، فقال سفيان : يا أبا عبد الله ، لا بد للناس من شرطي .

وحدث عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن بن عبد الله البصري ، قال : قال رجل لسفيان : اوصني ، فقال : اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها واعمل للآخرة بقدر دوامك فيها والسلام .

وجاء سفيان الثوري إلى صيرفي بمكة يشتري منه دراهم بدينار ، فأعطاه الدينار ، وكان معه آخر فسقط من سفيان ، فطلبه فإذا إلى جانبه دينار آخر ، فقال له الصيرفي : خذ دينارك ، قال : ما أعرفه ، قال : خذ الناقص ، قال : فلعله الزائد ، وتركه ومضى .

وقال شعيب بن حرب : سمعت سفيان الثوري يقول : انظر درهمك من أين هو وصلِّ في الصف الآخر .

وقال عبد الله بن صالح العجلي : دخل سفيان على المهدي فقال : سلام عليكم ، كيف أنتم يا أبا عبد الله ؟ ثم جلس فقال : حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأنفق في حجته ستة عشر ديناراً ، وأنت حججت فأنفقت في حجتك بيوت الأموال ، قال : فأي شيء تريد ؟ تريد أن أكون مثلك ؟ قال : فوق ما أنا فيه ودون ما أنت فيه ، فقال وزيره أبو عبيد الله : أبا عبد الله قد كانت

كتبك تأتينا فننفذها ، قال : من هذا ؟ قال : أبو عبيد الله وزيري ، قـال : احذره فإنه كذاب ، إني ما كتبت إليك ، ثم قام فقال له المهدي : إلى أين يا أبا عبد الله ، قال : أعود ؛ وكان قد ترك نعله حين قام ، فعاد فأخذها ثم مضى ، فانتظره المهدي فلم يعد ، فقال : وعدنا أن يعود فلم يعد ، فعلم أنه عاد لأخذ نعله ، فغضب فقال : قد أمن الناس إلا سفيان الثوري وإنه لفي المسجد الحرام ، فذهب فألقى نفسه بين النساء فخبأنه ، فقيل له : لمَ فعلت ؟ فقال : إنهن أرحم ؛ ثم خرج إلى البصرة فلم يزل بها حتى مات .

قال عبد الرحمن بن مهدي : لما قدم سفيان البصرة والسلطان يطلبه ، صار في بعض البساتين ، وأجر نفسه على أن يحفظ ثمارها ، فمر به بعض العشارين فقال : من أين أنت يا شيخ ؟ قال : من أهل الكوفة ، قال : أخبرني رطب البصرة أحلى أم رطب الكوفة ؟ قال: أما رطب البصرة فلم أذقه ولكن رطب السابري بالكوفة حلو ، فقال : ما أكذبك من شيخ ، الكلاب والبر والفاجر يأكلون الرطب الساعة وأنت تزعم أنك لم تذقه ! فرجع إلى العامل ليخبره بما قال لتعجّبه، فقال : ثكلتك أمك، ادركه إن كنت صادقاً فإنه سفيان الثوري لتتقرب به إلى أمير المؤمنين ، فرجع في طلبه فما قدر عليه .

ودخل سفيان على المهدي فكلمه بكلام فيه غلظة فقال له عيسى بن موسى : تكلم أمير المؤمنين بمثل هذا الكلام وإنما أنت رجل من ثور ، فقال له سفيان : إن من أطاع الله من ثور خير ممن عصى الله من قومك .

وكان فتى يجالسه ولا يتكلم ، فأحب سفيان أن يعرف نطقه فقـال له : يا فتى إنّ من كان قبلنا مروا على خيل سابقة وبقينا بعدهم على حمر دَبِرة ، فقال الفتى : يا أبا عبد الله ، إن كنّا على الطريق فما أسرع لحوقنا بهم .

وحدث أبو بكر ابن عياش قال : كنت أنا وسفيان الثوري نمشي فرأينـا شيخاً أبيض الرأس واللحية حسن السمت ، فقال له سفيان : يا شيخ أعندك شيء من الحديث ؟ قال : لا، ولكن عندي عتيق سنين، فنظرنا فإذا هو خمّار.

وحكى ضمرة قال : سألت سفيان الثوري : أُصافح اليهود والنصارى ؟ فقال : برجلك نعم . وقال له رجل : إني أريد الحج ، فقال : لا تصحب من

يتكرم عليك فإن ساويته في النفقة أضرّ بك وإن تفضل عليك استذلّك .

وكان يقول : من كان في يده شيء من هذه الدراهم فليصلحه فإنه في زمان إن احتاج كان أول من يبذل دينه . وحكي عنه أنه قال : إني لألقى الرجل أبغضه فيقول لي : كيف أصبحت ؟ فيلين له قلبي ، فكيف بمن أكل ثريدهم ووطىء بساطهم ؟

وقيل إن المهدي قال للخيزران : أريد أتزوج ، وكانت بكتاب[1] فقالت له : لا يحلّ لك أن تتزوج عليّ ، قال : بلى ، قالت له : بيني وبينك من شئت ، قال : أترضين سفيان الثوري ؟ قالت : نعم ، فوجه إلى سفيان فقال : إن أُمَّ الرشيد تزعم انه لا يحل لي أتزوج عليها وقد قال الله عز وجل ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾ ثم سكت ، فقال له سفيان : أتمّ الآية ، يريد قوله تعالى ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾ (النساء : ٣) وأنت لا تعدل ، فأمر له بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها .

ومثل هذه النادرة ما أخبرني به الفقيه أمين الدين الحلي الذي كان في جملة المتصدرين عند الفقيه برهان الدين ابن الفقيه نصر وهو يومئذ صاحب ديوان الأحباس ، وكتب أسماءهم ينتدبهم للمضي إلى الخانقاه إلى المقام السلطاني في مهم فاعتذر رجل منهم فخط على اسمه وكتب غيره ، فقام رجل يعتذر فقال : المملوك كما قال الله عز وجل ﴿ان بيوتنا عورة﴾ فقال له الفقيه أمين الدين : صِلْ ، يشير إلى بقية الآية وهي قوله تعالى ﴿وما هي بعورة ان يريدون إلا فراراً﴾ (الأحزاب : ١٣) فضحك البرهان والحاضرون ، وقال : لا أجمع عليك بين الفقه وبين تكليفك المجيء ، ثم خط على اسمه وابتدأ بغيره][2] .

قال سفيان بن عُيينة : ما رأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام من سفيان الثوري . وقال عبد الله بن المبارك : لا نعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان الثوريّ . ويقال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمانه رأسَ الناس ، وبعده عبد الله بن عباس ، وبعده الشعبي ، وبعده سفيان الثوري .

١ في ر : بنكاح .
٢ زيادة من د ر وبعضه غير وارد في د وبعضه في ص أيضاً .

سمع سفيان الثوري الحديث من أبي إسحاق السبيعي والأعمش ومَنْ في طبقتهما ، وسمع منه الأوزاعي وابن جريج ومحمد بن إسحاق ومالك وتلك الطبقة .

وذكر المسعودي في « مروج الذهب » ما مثاله[1] : قال القعقاع بن حكيم : كنت عند المهدي وقد أتي بسفيان الثوري ، فلما دخل عليه سلم تسليم العامة ولم يسلم بالخلافة ، والربيع قائم على رأسه متكئاً على سيفه يرقب أمره[2] ، فأقبل عليه المهدي بوجه طَلْقٍ ، وقال له : يا سفيان ، تفر منا هاهنا وهاهنا وتظن أنا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك ، فقد قدرنا عليك الآن ، أفما تخشى أن نحكم فيك بهوانا ؟ قال سفيان : إن تحكم فيَّ يحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق والباطل ، فقال له الربيع : يا أمير المؤمنين ، ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا ؟ إيذن لي أن أضرب عنقه ، فقال له المهدي : اسكت ويلك ، وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن نقتلهم فنشقى بسعادتهم ؟ اكتبوا عهده على قضاء الكوفة على أن لا يعترض عليه في حكم ، فكتب عهده ودفع إليه ، فأخذه وخرج فرمى به في دجلة وهرب ، فطُلِبَ في كل بلد فلم يوجد . ولما امتنع من قضاء الكوفة وتولاه شريك بن عبد الله النخعي قال الشاعر :

تحرَّزَ سُفيان وفَرَّ بدينه وأمسى شريك مرصداً للدَّراهم

[وحكي عن أبي صالح شعيب بن حرب المدائني – وكان أحد السادة الأئمة الأكابر في الحفظ والدين – أنه قال : إنني لأحسب يُجاء بسفيان الثوري يوم القيامة حُجَّةً من الله على الخلق ، يقال لهم : لم تدركوا نبيّكم عليه أفضل الصلاة والسلام فلقد رأيتم[3] سفيان الثوري ، ألا اقتديتم به ؟][4] .

ومولده في سنة خمس ، وقيل ست ، وقيل سبع وتسعين للهجرة . وتوفي

١ مروج الذهب ٣ : ٣٣٢ .
٢ ص : حاله .
٣ هـ : أدركتم .
٤ ما بين معقفين لم يرد في المسودة و ص س م .

بالبصرة أوّل سنة إحدى وستين ومائة متوارياً من السلطان ، ودفن عشاء رحمه الله تعالى ؛ ولم يُعْقِبْ .

والثوري : بفتح الثاء المثلثة وبعدها واو ساكنة وراء، هذه النسبة إلى ثَور ابن عبد مَناة ، وثَمَّ ثوري آخر في بني تميم ، وثوري آخر بطن من هَمْدان .

وقيل : إنه توفي سنة اثنتين وستين ، والأول أصح .

٢٦٧

سفيان بن عيينة

أبو محمد سفيان بن عُيَينة بن أبي عمران مَيمون الهلالي ، مَولى امرأة من بني هلال بن عامر رهْطِ ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل مولى بني هاشم ، وقيل مولى الضحاك بن مُزاحم ، وقيل مولى مِسعَر بن كُدام ؛ وأصله من الكوفة ، وقيل ولد بالكوفة ونقله أبوه إلى مكة ، ذكره ابن سَعـد في « كتاب الطبقات » وعَدّه في الطبقة الخامسة من أهل مكة[١] . كان إماماً عالماً ثبتاً حجة زاهداً ورعاً مجمعاً على صحة حديثه وروايته ، وحج سبعين حجة . روى عن الزُّهري وأبي إسحاق السبيعي وعمرو بن دينار ومحمد بن المنكدر وأبي الزناد وعاصم بن أبي النَّجود المقرىء والأعمش وعبد الملك بن عمير وغير هؤلاء من أعيان العلماء ؛ وروى عنه الإمام الشافعي وشعبة بن الحجاج ومحمد ابن إسحاق وابن جُرَيج والزبير بن بكار وعمه مصعب وعبد الرزاق بن همام الصنعاني ويحيى بن أكثم القاضي وخلق كثير ، رضي الله عنهم .

---

٢٦٧ - ترجمة سفيان بن عيينة في تاريخ بغداد ٩ : ١٧٤ وتذكرة الحفاظ : ٢٦٢ وحلية الاولياء ٧ : ٢٧٠ وصفة الصفوة ٢ : ١٣٠ ورجال ابن حبان : ١٤٦ وتهذيب التهذيب ٤ : ١١٧ وميزان الاعتدال ٢ : ١٧٠ والعقد الثمين ٤ : ٥٩١ .

١ انظر طبقات ابن سعد ٥ : ٤٩٧ .

ورأيت[1] في بعض المجاميع أن سفيان خرج يوماً إلى مَن جاءه يسمع منه وهو ضَجِر ، فقال : أليس من الشقاء أن أكون جالست ضمرة بن سعيد وجالس هو أبا سعيد الخدري ، وجالست عمرو[2] بن دينار وجالس هو ابن عمر رضي الله عنهما ، وجالست الزهري وجالس هو أنس بن مالك ، حتى عَدّ جماعة ، ثم أنا أجالسكم ؟ فقال له حَدَث في المجلس : أتُنصِفُ يا أبا محمد ؟ قال : إن شاء الله تعالى ، فقال : والله لشَقاءُ أصحابِ أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم بك أشد من شقائك بنا ؛ فأطرق وأنشد قول أبي نواس[3] :

خلِّ جنبَيكَ لرام وامض عنه بسلامِ
مُتْ بداء الصَّمْت خيرٌ لكَ من داء الكلام
إنما السالم مَنْ ألـ جم فاه بلجام[4]

فتفرق الناس وهم يتحدثون برَجاحة الحَدَث ، وكان ذلك الحدث يحيى بن أكثم التميمي ، فقال سفيان : هذا الغلام يصلح لصحبة هؤلاء ، يعني السلطان —وسيأتي ذكر يحيى في حرف الياء إن شاء الله تعالى ، وهو القاضي المشهور—.
وقال الشافعي : ما رأيت أحداً فيه من آلة الفتيا ما في سفيان، وما رأيت أكفّ عن الفتيا منه .
[وكان أدرك نيفاً وثمانين نفساً من التابعين . قال سفيان المذكور : كنت أخرج إلى المسجد فأتصفح الخلق فإذا رأيت مشيخة وكهولة جلست إليهم وأنا اليوم قد اكتنفني هؤلاء الصبيان ، ثم ينشد :

خلت الديار فسدت غير مسوّد ومن الشقاء تفردي بالسؤدد

قيل إنه في آخر سنة حج قال : قد وافيت هذا الموضع سبعين مرة وأقول كل

١ هذه الفقرة جميعها لم ترد في م .
٢ س ر والمسودة : عبيد ، وأثبتنا ما في ص .
٣ ديوان أبي نواس : ١٩٤ - ١٩٥ .
٤ سقط البيت من س ص والمسودة .

مرة : اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان ، وإني قد استحييت من الله من كثرة ما أسأله ذلك ، فرجع فتوفي في العام القابل][1] .

[وقال رجل : كنت أمشي مع سفيان بن عيينة إذ أتاه سائل فلم يكن معه ما يعطيه ، فبكى ، فقلت : يا أبا محمد ما الذي أبكاك ؟ قال : أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه ؟][2] .

وكان أبو عمران جد سفيان المذكور من عمال خالد بن عبد الله القَسْري ، فلما عزل خالد عن العراق[3] وولي يوسف بن عمر الثقفي طلب عمال خالد فهرب أبو عمران المذكور منه إلى مكة فنزلها ، وهو من أهل الكوفة .

وقال سفيان : دخلت[4] الكوفة ولم يتم لي عشرون سنة ، فقال أبو حنيفة لأصحابه ولأهل الكوفة : جاءكم حافظ علم عمرو بن دينار ، قال : فجاء الناس يسألونني عن عمرو بن دينار ، فأول من صيرني محدثاً أبو حنيفة ، فذاكرته فقال لي : يا بني ، ما سمعت من عمرو إلا ثلاثة أحاديث ، يضطرب في حفظ تلك الأحاديث .

ومولد سفيان بالكوفة في منتصف شعبان سنة سبع ومائة . وتوفي يوم السبت آخر يوم من جمادى الآخرة ، وقيل أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة بمكة ودفن بالحَجُون ، رحمه الله تعالى .

وعُيَيْنة : بضم العين المهملة وفتح الياء الأولى وسكون الثانية المثناتين من تحتها وفتح النون وبعدها هاء ساكنة .

والحَجُون : بفتح الحاء المهملة وضم الجيم وبعد الواو الساكنة نون ، جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها ، وله ذكر في الأشعار .

---

١ زيادة من ر ص .
٢ زيادة من د وحدها .
٣ ج : الكوفة . وفي م : فلما ولي الحجاج وطلب عمال خالد ؛ وهو خطأ عجيب .
٤ م : نزلت .

٢٦٨

سكينة بنت الحسين

السيدة سكينة ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم ؛ كانت سيدة نساء عصرها ، ومن أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً ، وتزوجها مصعب بن الزبير فهلك عنها، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم ابن حزام فولدت له قُرَيناً ، ثم تزوجها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول، ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه، فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها ففعل ، وقيل في ترتيب أزواجها غير هذا ، والطرة السكينية منسوبة إليها .

ولها نوادر وحكايات ظريفة مع الشعراء وغيرهم ، من ذلك ما يروى أنها وقفت على عُرْوة بن أُذَيْنة[1] — وكان من أعيان العلماء وكبار الصالحين وله أشعار رائقة — فقالت له : أنت القائل :

إذا وجَدْتُ أُوار الحبّ في كبدي ... أقبلتُ نحو سِقاء الماء[2] أبترِدُ
هبني بردتُ ببرد[3] الماء ظاهرهُ ... فمنْ لنارٍ على الأحشاءِ تتقدُ

فقال لها : نعم ، فقالت : وأنت القائل :

قالت وأبْثَثْتُها سِرّي فبُحتُ به ... قد كنتَ عندي تحبُّ الستر فاستترِ

٢٦٨ - ترجمة السيدة سكينة وأخبارها في طبقات ابن سعد ٨ : ٤٧٥ ونسب قريش : ٥٩ وانظر الاغاني ١٦ : ٩٣ ، ١٧ : ٣ وصفحات متفرقة من (ج ٥) من أنساب الاشراف ؛ ولها أخبار في الكتب الأدبية العامة ؛ وهذه الترجمة مستوفاة بتمامها في المسودة .

١ انظر الاغاني ١٨ : ٢٤٥ .

٢ ج د : القوم .

٣ هـ : تبردت برد .

ألسْتَ تبصِر مَنْ حولي ؟ فقلتُ لها   غطّى هَواكِ وما ألقى على بصري

فقال : نعم ، فالتفتت إلى جَوارٍ كنَّ حولها وقالت : هن حرائر إن كان خرج هذا من قلب سليم قط .

وكان لعروة المذكور أخ اسمه بكر فمات فرثاه عروة بقوله[1] :

سَرى هَمّي وهمُّ المرء يَسْري   وغاب النجم إلا قِيدَ فترِ
أراقبُ في المجرَّةِ كلَّ نَجْمٍ   تعرض أو على المجراة يجري[2]
لهمٍّ ما أزال له قريناً[3]   كأن القلب أبطنَ حَرَّ جَمْر
على بكر أخي ، فارقت بكراً[4]   وأيُّ العيش يَصلح بعد بكر ؟

فلما سمعت سكينة هذا الشعر قالت : ومن هو بكر هذا ؟ فوصف لها ، فقالت : أهو ذلك الأسَيِّدُ الذي كان يمر بنا ؟ قالوا : نعم ، قالت : لقد طاب بعده كل شيء حتى الخبز والزيت . وأُسَيّد : تصغير أسود .

ويحكى أن بعض المغنين غنى هذه الأبيات عند الوليد بن يزيد الأموي وهو في مجلس أنسه ، فقال للمغني : من يقول هذا الشعر ؟ فقال : عروة بن أذينة ، فقال الوليد : وأي العيش يصلح بعد بكر ؟ هذا العيش الذي نحن فيه ، والله لقد تحجَّر واسعاً .

(45) وكان عروة المذكور[5] كثير القناعة ، وله في ذلك أشعار سائرة ، وكان قد وفَدَ من الحجاز على هشام بن عبد الملك بالشام في جماعة من الشعراء ، فلما دخلوا عليه عرف عروة ، فقال له : ألست القائل :

---

١ الاغاني ١٨ : ٢٥٠ .
٢ الاغاني : تعرض للمجرة كيف يجري .
٣ الاغاني : ما أزال له مديماً .
٤ الاغاني و أ ج : ولى حميداً .
٥ أخبار عروة في الاغاني ١٨ : ٢٤٠ وما بعدها والشعر والشعراء : ٤٨٣ والمؤتلف : ٥٤ والسمط : ٢٣٦ وأمالي المرتضى ١ : ٤٠٨ - ٤١٦ .

لقد علمتُ وما الإشراف[1] من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى له فيعنّيني تطلّبُـــهُ ولو قعـدت أتاني لا يُعَنّيني

وما أراك فعلت كما قلت ، فإنك أتيت من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق، فقال : لقد وعظتَ يا أمير المؤمنين فبالغتَ في الوعظ ، وأذكرت[2] ما أنسانيه الدهر ، وخرج من فوْره إلى راحلته فركبها وتوجه راجعاً إلى الحجاز، فمكث هشام يومه غافلاً عنه ، فلما كان في الليل استيقظ من منامه وذكره ، وقال : هذا رجل من قريش قال حكمة ووفد إليّ فجبَهْتُـه ورددته عن حاجته ، وهو مع هذا شاعر لا آمن لسانه ، فلما أصبح سأل عنه ، فأخبر بانصرافه ، فقال : لا جَرَم ليعلمنّ أن الرزق سيأتيه ، ثم دعا بمولى له وأعطاه ألفي دينار، وقال: الحق بهذه عروة بن أذينة فأعطه إياها ، قال : فلم أدركه إلا وقد دخل بيته ، فقرعت عليه الباب ، فخرج فأعطيته المال ، فقال : أبلغ أمير المؤمنين السلام وقل له : كيف رأيت قولي ؟ سعيت فأكديت ، ورجعت إلى بيتي فأتاني فيه الرزق . وهذه الحكاية وإن كانت دخيلة ليست مما نحن فيه لكن حديث عروة ساقها .

ولبعض المعاصرين وهو محمد بن إدريس المعروف بمرج كحل الأندلسي[3] في معنى هذين البيتين ، وأحسن فيه :

مَثَلُ الرزقِ الذي تَطلبُه مثلُ الظلّ الذي يمشي معكْ
أنتَ لا تدركُـــهُ متبعاً فإذا ولّيتَ عنـــهُ تبعكْ

وكان وفاة سكينة بالمدينة يوم الخميس لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة

---

١ س ص ر : الإسراف ، وفي المسودة « معاً » أي بالسين والشين .
٢ ص : وأذكرتني .
٣ شاعر أندلسي من جزيرة شقر يقال إنه كان أمياً وكان يحتفظ بزي أهل البادية وبينه وبين شعراء عصره (كصفوان بن إدريس) مخاطبات (انظر الإحاطة ٢ : ٢٥٢ ونفح الطيب ٥ : ٥٠ وبرنامج الرعيني : ٢٠٨ والمغرب ٢ : ٢٧٣ والوافي ٢ : ١٨١ والتكملة : ٣٤٤) وبيتاه في الإحاطة والنفح .

سبع عشرة ومائة ، رضي الله عنها ؛ وقيل اسمها آمنة ، وقيل أمينة ، وقيل أميمة ، وسكينة لقب لقبتها به أمها الرباب ابنة امرىء القيس بن عدي . وقال محمد بن السائب الكلبي النسابة : سألني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عن اسم سكينة ابنة الحسين بن علي رضي الله عنهم ، فقلت : أميمة ، فقال : أصبت .

(46) وتوفي مرج كحل المذكور في سنة أربع وثلاثين وستمائة ببلده – وهو جزيرة شقر بالأندلس – وكانت ولادته بها سنة أربع وخمسين وخمسمائة[1] .

٢٦٩

سليم الرازي

أبو الفتح سُلَيم بن أيوب بن سليم الرازي الفقيه الشافعي الأديب ؛ كان مشاراً إليه في الفضل والعبادة ، وصنف الكتب الكثيرة منها كتاب « الإشارة » وكتاب « غريب الحديث » ومنها « التقريب » وليس هو التقريب الذي ينقل عنه إمام الحرمين في « النهاية » والغزالي في « البسيط » و « الوسيط » فإن ذلك للقاسم بن القفال الشاشي ، وقد ذكره في الباب الثاني من كتاب الرهن في « الوسيط » .

وأخذ سُلَيم الفقه عن الشيخ أبي حامد الإسفراييني ، وأخذ عنه أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي .

وقال سُلَيم[2] : دخلت بغداد في حَداثتي لطلب علم اللغة ، فكنت آتي

---

١ ص : أربع وستين .

٢٦٩ - ترجمة سليم الرازي في انباه الرواة ٢ : ٦٩ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٣٩ وطبقات السبكي ٣ : ١٦٨ . قلت : وقد وردت هذه الترجمة في المسودة كاملة .

٢ قارن بما عند القفطي ؛ ٦٩ .

شيخاً هناك ، وذكره ، فبكرت في بعض الأيام إليه فقيل لي : هو في الحمام ، فمضيت نحوه ، فعبرت في طريقي على الشيخ أبي حامد الإسفرايني وهو يُمْلي ، فدخلت المسجد وجلست مع الطلبة ، فوجدته في كتاب الصيام في مسألة إذا أولج ثم أحس بالفجر فنزع ، فاستحسنت ذلك ، فعلّقت الدرس على ظهر جزء كان معي ، فلما عدت إلى منزلي وجعلت أعيد الدرس حلا لي ، وقلت : أتمّ هذا الكتاب – يعني كتاب الصيام – فعلقته ، ولزمت الشيخ أبا حامد حتى علقت عنه جميع التعليق .

وكان لا يخلو له وقت عن اشتغال ، حتى إنه كان إذا برى القلم قرأ القرآن أو سبّح ، وكذلك إذا كان ماراً في الطريق وغير ذلك من الأوقات التي لا يمكن الاشتغال فيها بعلم .

وسكن سُلَيم الشام بمدينة صور متصدّياً لنشر العلم وإفادة الناس ، وكان يقول : وضَعَتْ مني صور ، ورفعت من أبي الحسن المحاملي بغداد . ثم إنه غرق في بحر القُلزُم بعد رجوعه من الحج عند ساحل جُدَّة ، في سلخ صفر سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، وكان قد نَيَّفَ على ثمانين سنة ، رحمه الله تعالى ؛ ودفن في جزيرة بقرب الجار عند المَخاضة في طريق عيذاب .

والرازي : بفتح الراء وبعد الألف زاي ، هذه النسبة إلى الرّيّ ، وهي مدينة عظيمة من بلاد الديلم بين قومس والجبال ، وألحقوا الزاي في النسبة إليها كما ألحقوها في المروزي عند النسب إلى مَرْوَ ، وقد تقدّم ذكر ذلك .

والجار : بفتح الجيم وبعد الألف راء ، وهي بليدة على الساحل ، بينها وبين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم وليلة ، وإليها ينسب القمح الجاري ، وذكر أبو القاسم الزمخشري في « كتاب الأمكنة والجبال والمياه »[1] في باب الشين أن الجار قرية على ساحل البحر ، بها ترسو مطايا القلزم ومطايا عيذاب ومطايا بحر النعام .

وقال ابن حوقل في كتابه[2] : « الجار فُرْضَة المدينة على ثلاث مراحل منها

١ لم أجد هذا في المادة المشار إليها من كتاب الزمخشري .
٢ صورة الأرض : ٣٩ .

على البحر ، وجدّة فرضة مكة » .

(47) وتوفي ولده أبو سعيد إبراهيم بن سُلَيم يوم الثلاثاء السادس والعشرين من ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وأربعمائة بدمشق ، ذكره الحافظ ابن عساكر في « تاريخ دمشق »[1] وقال : أخذ عن جماعة من جلة المشايخ وأخذوا عنه ، وكان صدوقاً ، رحمه الله تعالى .

٢٧٠

سليمان بن يسار

أبو أيوب – ويقال أبو عبد الرحمن ، ويقال أبو عبد الله – سليمان بن يسار مولى ميمونة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، وقد تقدّم ذكر ثلاثة منهم . وكان سليمان المذكور أخا عطاء بن يسار ، وكان عالماً ثقة عابداً ورعاً حجة ؛ قال الحسن بن محمد : سليمان بن يسار عندنا أفهم من سعيد بن المسيب ، ولم يقل أعلم ولا أفقه . وروى عن ابن عباس وأبي هريرة وأم سلمة ، رضي الله عنهم ، وروى عنه الزهري وجماعة من الأكابر . وكان المستفتي إذا أتى سعيد بن المسيب يقول له : اذهب إلى سليمان بن يسار ، فإنه أعلم من بقي اليوم . وقال قتادة : قدمت المدينة ، فسألت : من أعلم أهلها بالطلاق ؟ فقالوا : سليمان بن يسار .

وتوفي سنة سبع ومائة ، وقيل سنة مائة ، وقيل سنة أربع وتسعين للهجرة ، والله أعلم ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ، رحمه الله تعالى .

---

١ تهذيب ابن عساكر ٢ : ٢١٤ .

٢٧٠ - ترجمة سليمان بن يسار في رجال ابن حبان : ٦٤ وتذكرة الحفاظ : ٩١ وتهذيب التهذيب ٤ : ٢٢٨ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ١٣ ؛ وهذه الترجمة بتمامها في المسودة .

٢٧١
الأعمش

أبو محمد سليمان بن مهران مولى بني كاهـــل من ولد أسد ، المعروف بالأعمش الكوفي الإمام المشهور؛ كان ثقة عالماً فاضلاً ، وكان أبوه من دُنْباوَنْدَ ، وقدم الكوفة وامرأته حامل بالأعمش فولدته بها ؛ قال السمعاني : وهو لا يُعرف بهذه النسبة ، بل يُعرف بالكوفي ، وكان يقارن بالزهري[١] في الحجاز[٢] ، ورأى أنس ابن مالك – رضي الله عنه – وكلمه ، ولكنه لم يُرزَق السماع عليه، وما يرويه عن أنس فهو إرسال أخذه عن أصحاب أنس . ورأى أبا بكرة الثقفي وأخذ بركابه فقال له : يا بني إنما أكرمت ربك . سمع داود بن سويـــد وأبا وائل وإبراهيم التميمي وسعيد بن جبير ومجاهداً والنخعي[٣] ، وروى عن عبد الله بن أبي أوفى حديثاً واحداً ، ولقي كبار التابعين رضي الله عنهم ، وروى عنـــه سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وحفص بن غيـــاث وخلق كثير من جلة العلماء .

[وكان الأعمش يقول : إن كان بيننا وبين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر ؛ قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : صدق ، هكذا كان ، وقد رأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال عيسى بن يونس: لم نر نحن والقرن الذي قبلنا مثل الأعمش: ما رأيت الأغنياء والسلاطين عند أحد أحقر منهم عند الأعمش مع فقره وحاجته .

---

٢٧١ ـ ترجمة الأعمش في طبقات ابن سعد ٦ : ٣٤٢ وتاريخ بغداد ٩ : ٣ وتذكرة الحفـــاظ : ١٥٤ وغاية النهاية ١ : ٣١٥ وتهذيب التهذيب ٤ : ٢٢٢ .

١ ص : يقارب الزهري .

٢ ج : الزهري بالحجاز .

٣ ورأى أبا بكرة ... والنخعي : لم يرد في المسودة و ص س .

حدث محمد بن جرير ، قال عيسى بن موسى لابن أبي ليلى : اجمع الفقهاء ؛ قال : فجمعهم ، فجاء الأعمش في جبة وفرو وقد ربط وسطه بشريط فأبطأوا فقام الأعمش فقال : إن أردتم أنْ تعطونا شيئاً وإلا فخلوا سبيلنـــا ، فقال عيسى المذكور : قلت لك تأتي بالفقهاء فتجيء بهذا ؟ فقـــال : هذا سيدنا ، هذا الأعمش .

حدثنا أحمد بن علي بن ثابت بإسناد له عن وكيع : كان الأعمش قريباً من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى ، واختلفت إليه أكثر من ستين سنة فما رأيته يقضي ركعة .

وقال الأعمش : كنت آتي مجاهداً فيقول : لو كنت أطيق المشي لأتيتك .

وجرى بينه وبين زوجته كلام ، وكان يأتيه رجل يقال له أبو ليلى مكفوف فصيح يتكلم بالإعراب يتطلب الحديث منه ، فقال : يا أبا ليلى ، امرأتي نشزت علي وأنا أحب أن تدخل عليها فتخبرها مكاني من الناس وموضعي عندهم، فدخل عليها وكانت من أجمل أهل الكوفة فقال : يا هنتاه إن الله قد أحسن قسمك ، هذا شيخنا وسيدنا وعنه نأخذ أصل ديننا وحلالنا وحرامنا فلا يغرنك عموشة عينيه ولا حموشة ساقيه ، فغضب الأعمش وقال : يا أعمى يا خبيث ، أعمى الله قلبك كما أعمى عينيك ، قد أخبرتها بعيوبي كلها ؛ اخرج من بيتي .

وأراد إبراهيم النخعي أن يماشيه فقال الأعمش : إن الناس إذا رأونا معـاً قالوا : أعور وأعمش ، قال النخعي : وما عليك أن نؤجر ويأثموا ؟ فقال له الأعمش : وما عليك أن يسلموا ونسلم ؟

وجاء رجل يطلبه في منزله ووصل وقد خرج مع امرأته إلى المسجد فجاء فوجدهما في الطريق فقال : أيكما الأعمش ؟ فقال الأعمش : هذه ، وأشار إلى المرأة .

ودخل الحمام يوماً وجاء رجل حاسر ، فقال له الرجل : متى ذهب بصرك ؟ فقال : مذ بدت عورتك .

قال محمد بن حميد ، حدثنا جرير قال : جئنا الأعمش يوماً فوجدناه قاعداً في ناحية فجلسنا في ناحية أخرى وفي الموضع خليج من ماء المطر ، فجاء الأعمشَ

رجلٌ عليه سواد ، فلما بصر بالأعمش وعليه فروة حقيرة قال : قم فعبرني هذا الخليج ، وجذب يده وأقامه وركبه وقال : ﴿ سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنا له مقرنين ﴾ (الزخرف : ١٣) فمضى به الأعمش حتى توسط به الخليج فرمى به وقال : ﴿ رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين ﴾ (المؤمنون : ٢٩) ثم خرج وترك الأسود يخبط في الماء .

وكان الأعمش إذا رأى ثقيلاً قال : كم غرضك تقيم في هذه البلدة ؟][1] .

وكان لطيف الخلق مَزّاحاً ، جاءه أصحاب الحديث يوماً ليسمعوا عليه ، فخرج إليهم ، وقال : لولا أن في منزلي مَنْ هو أبغض إليَّ منكم ما خرجت إليكم[2] .

وقال له داود بن عمر الحائك : ما تقول في الصلاة خلف الحائك ؟ فقال : لا بأس بها على غير وضوء ، فقال : ما تقول في شهادة الحائك ؟ فقال : تُقبل مع عَدْلين . ويقال إن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه عاده يوماً في مرضه ، فطوّل القعود عنده ، فلما عزم على القيام قال له : ما كأني إلا ثقلت عليك ، فقال : والله إنك لتثقل عليَّ وأنت في بيتك . وعاده أيضاً جماعة فأطالوا الجلوس عنده فضجر منهم ، فأخذ وسادته وقام وقال : شفى الله مريضكم بالعافية ؛ وقيل عنده يوماً : قال صلى الله عليه وسلم : « من نام عن قيام الليل بال الشيطان في أذنه » فقال : ما عمشت عيني إلا من بول الشيطان في أُذني . وكانت له نوادر كثيرة .

[وقال[3] أبو معاوية الضرير: بعث هشام بن عبد الملك إلى الأعمش أن اكتب لي مناقب عثمان ومساوىء علي ، فأخذ الأعمش القرطاس وأدخلها في فم شاة فلاكتها ، وقال لرسوله : قل له هذا جوابك ، فقال له الرسول : إنه قد آلى أن يقتلني إن لم آته بجوابك ، وتحمَّلَ عليه بإخوانه[4] ، فقالوا له : يا أبا محمد

---

١ زيادة من ر د .

٢ بعد هذا الموضع ترد حكاية الأعمش وزوجه موجزة ، وقد وردت من قبل في المزيد من ر د .

٣ هذه الفقرة بين معقفين لم ترد في م والمسودة .

٤ ص : بأصحابه .

افتدِه من القتل ، فلما ألحوا عليه كتب له « بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد يا أمير المؤمنين ، فلو كانت لعثمان رضي الله عنه مناقب أهل الأرض ما نفعتك ، ولو كانت لعليّ رضي الله عنه مساوىء أهـــل الارض ما ضرّتك ، فعليك بخُوَيْصة نفسك ، والسلام »] .

[وكتب إلى بعض إخوانه يعزيه :

إنا نعزيك لا أنا على ثقـــة   من البقاء ولكن سنـّة الدين
فلا المعزّى بباقٍ بعد ميّته   ولا المعزّي وإنعاشا إلىحين][1]

ومولده سنة ستين للهجرة ، وقيل إنه ولد يوم مقتل الحسين رضي الله عنه ، وذلك يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، وكان أبوه حاضراً مقتل الحسين ، وعدّه ابن قتيبة في كتاب « المعارف »[2] في جملة مَن حملت به أُمه سبعة أشهر .

وتوفي في سنة ثمان وأربعين ومائة في شهر ربيع الأول ، وقيل سنة سبع وأربعين ، وقيل سنة تسع وأربعين ، رحمه الله تعالى .

وقال زائدة بن قدامة : تبعت الأعمش يوماً ، فأتى المقابر فدخل في قبر محفور فاضطجع فيه ، ثم خرج منه وهو ينفضُ التراب عن رأسه ويقول : واضيِقَ مسكناه .

ودُنْباوَنْدُ : بضم الدال المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وبعد الالف واو مفتوحة ثم نون ساكنة وبعدها دال مهملة ، وهي ناحية من رستاق الريّ في الجبال ، وبعضهم يقول « دماوند » والأول أصح ، وقد تقدم ذكرها قبل هذا .

١ زيادة من ص وحدها .
٢ لم يرد هذا في فصل « من قصّر به عن وقت الحمل » من الكتاب المذكور .

٢٧٢

أبو داود السجستاني

أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شدّاد بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني ؛ أحد حفاظ الحديث وعلمه وعلله ، وكان في الدرجة العالية من النسك والصلاح ، طوّف البلاد وكتب عن العراقيين والخراسانيين والشاميين والمصريين والجزريين ، وجمع كتاب « السنن » قديماً وعرضه على الإمام أحمد بن حنبل ، رضي الله عنه ، فاستجاده واستحسنه ، وعدّه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في « طبقات الفقهاء »[1] من جملة أصحاب الإمام أحمد بن حنبل ، وقال إبراهيم الحربي لما صنف أبو داود كتاب « السنن » : أُلِينَ لأبي داود الحديثُ كما أُلين لداود الحديد .

وكان يقول : كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب – يعني « السنن » – جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث ، ذكرتُ الصحيح وما يشبهه ويقاربه ، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث : أحدها قوله صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات » والثاني قوله « من حسن إسلام المرء تَرْكه ما لا يعنيه » والثالث قوله « لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه » والرابع قوله « الحلال بيّن والحرام بيّن ، وبين ذلك أمور مشتبهات » الحديث بكماله .

وجاءه سهل بن عبد الله التُّستَري فقيل[2] له : يا أبا داود ، هذا سهل بن عبد الله قد جاءك زائراً ، قال : فرحَّبَ به وأجلَسَه ، فقال : يا أبا داود لي إليك

٢٧٢ – ترجمة أبي داود السجستاني في تاريخ بغداد ٩ : ٥٥ وتهذيب ابن عساكر ٦ : ٢٤٤ وطبقات الحنابلة : ١١٨ وتذكرة الحفاظ : ٥٩١ .

١ طبقات الشيرازي ، الورقة : ٥٠ .

٢ في المسودة : فقال .

حاجة ، قال : وما هي ؟ قال : حتى تقول قضيتُها مع الإمكان ، قال : قد قضيتها مع الإمكان ، قال : أخرج لي لسانك الذي حدثت به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبّله ، قال : فأخرج له لسانه فقبّله .

[وكان لأبي داود كم واسع وكم ضيق ، فقيل له : يرحمك الله ما هذا ؟ فقال : الواسع للكتب والآخر لا نحتاج إليه . وكان يقول : الشهوة الخفية حب الرياسة. وكان في أيام حداثته وطلب الحديث جلس في مجلس بعض الرواة يكتب ، فدنا رجل إلى محبرته وقال له : أستمد من هذه المحبرة ؟ فالتفت إليه وقال : أما علمت أن من شرع في مال أخيه بالاستئذان فقد استوجب بالحشمة الحرمان ؟ فسمّي ذلك اليوم حكيماً][1] .

وكانت ولادته في سنة اثنتين ومائتين، وقدم بغداد مراراً ثم نزل إلى البصرة وسكنها ، وتوفي بها يوم الجمعة منتصف شوال سنة خمس وسبعين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

(48) وكان ولده أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان[2] من أكابر الحفاظ ببغداد ، عالماً متفقاً عليه ، إمام ابن إمام ، وله كتاب « المصابيح » وشارك أباه في شيوخه بمصر والشام ، وسمع ببغداد وخراسان وأصبهان وسجستان وشيراز . وتوفي في سنة ست عشرة وثلثمائة ، واحتج به ممن صنف الصحيح أبو علي الحافظ النيسابوري وابن حمزة الأصبهاني .

والسِّجِسْتاني : بكسر السين المهملة والجيم وسكون السين الثانية وفتح التاء المثناة من فوقها وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى سجستان ، الإقليم المشهور ، وقيل بل نسبته إلى سجستان أو سجستانة ، قرية من قرى البصرة ، والله أعلم بذلك .

١ زيادة بعضها عن ص وجميعها عن د .

٢ ترجمة عبد الله بن أبي داود في تاريخ بغداد ٩ : ٤٦٤ وميزان الاعتدال ٢ : ٤٣٣ ويروون أن أباه قال فيه : « ابني عبد الله كذاب » ؛ قال ابن عدي : « وأما كلام أبيه فيه فما أدري ايش تبين له منه . والاكثرون مجمعون على توثيقه » . قال صالح بن أحمد الحافظ : أبو بكر ابن أبي داود إمام العراق، كان في وقته ببغداد مشايخ أسند منه ولم يبلغوا في الآلة والاتقان ما بلغ.

٢٧٣

أبو موسى الحامض

أبو موسى سليمان بن محمد بن أحمد النحوي البغدادي المعروف بالحامض ؛ كان أحد المذكورين من العلماء بنحو الكوفيين ، أخذ النحو عن أبي العباس ثعلب ، وهو المقدم من أصحابه ، وجلس موضعه وخَلَفه بعد موته ، وصنف كتباً حساناً في الأدب، وروى عنه أبو عمر الزاهد وأبو جعفر الأصبهاني المعروف ببرزويه غلام نفطويه . وكان دَيِّناً صالحاً ، وكان أوحد الناس في البيان والمعرفة بالعربية واللغة والشعر ، وكان قد أخذ عن البصريين أيضاً ، وخلط النَّحوَين ، وكان حسن الوراقة في الضبط ، وكان يتعصب على البصريين فيما أخذ عنهم في عربيتهم ، وله عدة تصانيف : فمنها كتاب « خلق الإنسان » وكتاب « السبق والنضال » وكتاب « النبات » وكتاب « الوحوش » وكتاب في النحو مختصر ، وغير ذلك .

وتوفي ليلة الخميس لسبع بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلثمائة ببغداد ، ودفن بمقبرة باب التبن[1] ، رحمه الله تعالى .

وإنما قيل له الحامض لأنه كانت له أخلاق شَرِسَة ، فلقب الحامض لذلك ، ولما احتضر أوصى بكتبه لأبي فاتك المقتدري ، بخلاً بهـا أن تصير إلى أحد من أهل العلم .

---

٢٧٣ - ترجمة أبي موسى الحامض في معجم الأدباء ١١ : ٢٥٣ وانباه الرواة ٢ : ٢١ وبغية الوعاة : ٢٦٢ وتاريخ بغداد ٩ : ٦١ (ومصادر أخرى في حاشية الانباه) . والترجمة مستوفـاة في المسودة .

١ س : المتين ، وموضعها بياض في ص ر .

٢٧٤

أبو القاسم الطبراني

أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مُطَيِّر اللخمي الطبراني ؛ كان حافظ عصره ، رحل في طلب الحديث من الشام إلى العراق والحجاز واليمن ومصر وبلاد الجزيرة الفراتية ، وأقام في الرحلة ثلاثاً وثلاثين سنة ، وسمع الكثير ، وعَدَدُ شيوخه ألف شيخ ، وله المصنفات الممتعة النافعة الغريبة منها المعاجم الثلاثة : « الكبير » و « الأوسط » و « الصغير » وهي أشهر كتبه ، وروى عنه الحافظ أبو نعيم والخلق الكثير .

ومولده سنة ستين ومائتين بطَبَرِيَّة الشام ، وسكن أصبهان إلى أن توفي بها يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ستين وثلثمائة ، وعمره تقديراً مائة سنة ، رحمه الله تعالى ، وقيل إنه توفي في شوال ، والله أعلم ، ودفن إلى جانب حممة الدَّوْسيّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والطبراني : بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة والراء وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى طبرية ، والطبري نسبة إلى طبرستان ، وقد تقدم ذلك .

واللَّخْمي : بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة وبعدها ميم ، هذه النسبة إلى لَخْم ، واسمه مالك بن عديّ ، وهو أخو جُذام ، وقد تقدم القول في تسميتها بهذين الاسمين لِمَ كان .

ومُطير : تصغير مطر .

---

٢٧٤ - ترجمة الطبراني في تهذيب ابن عساكر ٦ : ٢٤٠ والنجوم الزاهرة ٤ : ٥٩ وتذكرة الحفاظ : ٩١٢ وعبر الذهبي ٢ : ٣١٥ ؛ وأول سماعه سنة ٢٧٣ بطبرية ورحل أولاً إلى القدس سنة ٢٧٤ ثم الى قيسارية سنة ٢٧٥ ثم الى حمص وجبلة ومدائن الشام وحج ودخل اليمن وورد مصر ثم رحل الى العراق وأصبهان وفارس . قلت : وهذه الترجمة كاملة في المسودة .

٢٧٥

أبو الوليد الباجي

أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التُّجِيبيُّ المـــالكي الأندلسي الباجي ؛ كان من علماء الأندلس وحُفـّاظها ، سكن شرق الأندلس ورحل إلى المشرق سنة ست وعشرين وأربعمائة أو نحوها ، فأقام بمكة مع أبي ذرّ الهَـروي ثلاثة أعوام وحج فيها أربع حجج ، ثم رحل إلى بغداد فأقام بها ثلاثة أعوام يدرّس الفقه ويقرأ الحديث ، ولقي بها سادةً من العلماء كأبي الطيب الطبري الفقيه الشافعي والشيخ أبي إسحاق الشيرازي صاحب « المهذب » وأقام بالموصل مع أبي جعفر السِّمْناني عاماً يدرس عليه الفقه ، وكان مقامه بالمشرق نحو ثلاثة عشر عاماً ، وروى عن الحافظ أبي بكر الخطيب ، وروى الخطيبُ أيضاً عنه ، قال : أنشدني أبو الوليد الباجي لنفسه [يرثي ابنيه ، وماتا مقترنين[١] :

لئن غـُيِّبا عن ناظري وتبوّءا ... فؤادي لقد زاد التباعد في القربِ
يقرّ بعيني أن أزور ثراهما ... وألصق مكنون الترائب بالتربِ][٢]

وروى الخطيب أيضاً عنه قال : أنشدني أبو الوليد الباجي لنفسه[٣] :

إذا كنتُ أعلم علمـــاً يقيناً ... بأنَّ جميع حَيَـــاتي كَسَاعه

٢٧٥ - ترجمة أبي الوليد الباجي في الذخيرة (قسم ٢/٣٨ من مخطوطة بغداد) والقلائد : ١٨٨ والصلة : ١٩٧ وبغية الملتمس (رقم : ٧٧٧) والمغرب ١ : ٤٠٤ والديباج المذهب : ١٢٠ والمرقبة العليا : ٩٥ ونفح الطيب ٢ : ٦٧ (رقم : ٤٥) وتهذيب ابن عساكر ٦ : ٢٤٨ ومعجم الأدباء ١١ : ٢٤٦ وتذكرة الحفاظ : ١١٧٨ وشذرات الذهب ٣ : ٣٤٤ .

١ انظر النفح : ٧٤ .

٢ زيادة ليست في المسودة .

٣ النفح : ٧٥ والروض المعطار (باجة) .

فلِمْ لا أكونُ ضنيناً بهـــا وأجْعَلـُها في صَلاح وطاعَهْ

وصنف كتباً كثيرة منها كتاب « المنتقى » وكتـاب « إحكام الفصول في أحكام الأصول » وكتاب « التعديل والتجريح فيمن روى عنه البخاري في الصحيح » وغير ذلك . وهو أحد أئمة المسلمين ، وكان يقول : سمعت أبا ذر عبد ابن أحمد الهروي يقول : لو صحت الإجازة لبطلت الرحلة . وكان قد رجع إلى الأندلس وولي القضاء هناك ، وقد قيل إنه ولي قضاء حلب أيضاً ، والله أعلم .

ومولده يوم الثلاثاء النصف من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة بمدينـــة بَطَـلْـيَـوْسَ ، وتوفي بالمرية ليلة الخميس بين العشاءين تاسعة عشرة رجب سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، ودفن يوم الخميس بعد صـــلاة العصر بالرّباط على ضفة البحر ، وصَلـّى عليه ابنُه القاسم .

وأخذ عنه أبو عمر ابن عبد البر صاحب « الاستيعـــاب » ، وبينه وبين أبي محمد ابن حزم المعروف بالظاهري مجالس ومناظرات وفصول يطول شرحها.

والباجي : بفتح الباء الموحدة وبعد الألف جيم ، هذه النسبة إلى باجَةَ ، وهي مدينة بالأندلس[1] ، وثـَمّ باجة أخرى وهي مدينة بإفريقيـــة ، وباجة أخرى ، قرية من قرى أصبهان .

وبَطَـلَـيَـوْسُ يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى . والمرية قد تقدم الكلام عليها.

[1] باجة (Beja) من أقدم المدائن الأندلسية ، نزل فيها جند مصر . وتقع اليوم في البرتغال على بعد ١٤٠ كم إلى الجنوب الشرقي من لشبونه .

٢٧٦

أبو أيوب المورياني

أبو أيوب سليمان بن أبي سليمان مخلد[١] – وقيل داود – المورياني الخوزي؛ كان وزير أبي جعفر المنصور ، تولى وزارته بعد خالد بن بَرْمَك جد البرامكة وتمكن منه غاية التمكن ، وسبب ذلك أنه كان يكتب لسليمان بن حبيب بن المهلّب بن أبي صُفْرة الأزدي ، وكان المنصور قَبْلَ الخلافة ينوب عن سليمان المذكور في بعض كُوَر فارس ، فاتهمه بأنه احتجَنَ[٢] المالَ لنفسه ، فضربه بالسياط ضرباً شديداً وأغرمه المال ، فلما ولي الخلافة ضَرَبَ عنقه ، وكان سليمانُ قد عزم على هتكه عقيب ضربه ، فخلصه منه كاتبه أبو أيوب المذكور ، فاعتدّها المنصور له واستوزره ، ثم إنه فسدت نيته فيه ونَسَبه إلى أخذ الأموال ، وهمّ أن يوقع به فتطاول ذلك ، فكان كلما دخل عليه ظن أنه سيوقع به ثم يخرج سالماً ، فقيل إنه كان معه شيء من الدهن قد عُمل فيه سحر فكان يدهن به حاجبيه إذا دخل على المنصور ، فسار في العامة دُهْنُ أبي أيوب .

ومن مُلَح أمثاله أن خالد بن يزيد الأرقط قال : بينا أبو أيوب المذكور جالسٌ في أمره ونهيه أتاه رسول المنصور فتغير لونه ، فلما رجع تعجبنا من حالته ، فضرب مثلاً لذلك وقال : زعموا أن البازي قال للديك : ما في الارض حيوان أقل وفاء منك ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : أخذك أهلُك بيضةً فحَضنوك ، ثم خرجت على أيديهم وأطعموك في أكفهم ونشأت بينهم ، حتى إذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد إلا طرت هاهنا وهاهنا وصَوّتَّ ، وأُخِذْتُ أنا مسنّاً من الجبال ، فعلموني وألفوا بي ، ثم يخلّى عني فآخذ صيداً في الهواء

٢٧٦ - ترجمة أبي أيوب المورياني في الفخري : ١٥٧ والجهشياري : ٩٧ وما بعدها ؛ وأخباره في كتب التاريخ كالطبري وابن الاثير والمسعودي ... الخ .

١ في أصل المسودة : مجالد ، وفوقها « مخلد » .

٢ ر : احتجز ؛ س : اختزن .

•واجيء به إلى صاحبي، فقال له الديك : إنك لو رأيتَ من البُزاة في سَفافيدهم المعدّة للشيّ مثلَ الذي رأيتُ من الديوك لكنت أنفرَ مني ، ولكنكم أنتم لو علمتم ما أعلم لم تتعجبوا من خوفي مع ما ترون من تمكن حالي .

ثم إنه أوقع به سنة ثلاث وخمسين ومائة ، وعذبه وأخذ أمواله . ومات سنة أربع وخمسين ومائة ، رحمه الله تعالى .

[وكان سبب ذلك ما حكاه المعافى بن زكريا في كتاب « الجليس والانيس » قال : كان أبو جعفر المنصور في بعض أسفاره في أيام بني أمية تزوّج امرأة من الأزد بالموصل عن ضرٍّ شديد أصابه ، حتى أكرى نفسه مع الملاحين يمدّ في الحبل ، أو فعل ذلك لأمرٍ خافه على نفسه ، فتنكر وأكرى نفسه في مدّادي السفن ، فخطب هذه المرأة ورغّبها في نفسه ووعدها ومنّاها ، وأخبرها أنه جليل القدر وأنه من أهل بيت شرف ، وأنها إن تزوجته سعدت، ولم يزل يمنّيها حتى أجابته ، وأقام معها يختلف في أسبابه ويجعل طريقه عليها بما رزقه الله تعالى ؛ ثم اشتملت على حمل فقال لها : أيتهـا المرأة ، هذه رقعة مختومة عندك لا تفتحيها حتى تضعي ما في بطنك ، فإن ولدتِ ابناً فسميه جعفراً وكنّيه أبا عبد الله ، وإن ولدت بنتاً فسمّيها فلانة ، وأنا عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، فاستري أمري فإنّا قوم مطلوبون ، والسلطان إلينا سريع ، وودّعها وخرج ؛ فقضي أنها ولدت ذكراً ، فأخرجت الرقعة فقرأت ما فيها ، وسمته جعفراً ، وضرب الدهر على ذلك ، ما تسمع له خبراً ، ونشأ الصبي مع أخواله وأهل بيت أمّه ، وكان كيّساً ذهناً لقناً . واستخلف أبو العباس ، فقيل للمرأة : إن كنتِ صادقة في رقعتك وكان من كتبها صادقاً فإن زوجك الخليفة أمير المؤمنين . قالت : ما أدري ، صفوا لي صفة هذا الخليفة ، قالوا : غلام حين بقل وجهه؛ قالت: ليس هو هو، [قالوا]: فاستري أمرك ، ولم يلبث أبو العباس أن مات واستحكم عندها اليأس ، وأقبل ابنها على الأدب فتأدّب وكتب ونزعت به همته إلى بغداد فدخل ديوان أبي أيوب كاتب المنصور وانقطع إلى بعض أهله فأتي عليه زمان يتقوت بالكسب ويزيد في أدبه وفهمه وخطه حتى صار يكتب بين يدي أبي أيوب ، إلى أن تهيأ

أن خرج خادم يوماً إلى الديوان يطلب كاتباً يكتب بين يدي المنصور ، فقال أبو أيوب للغلام : خذ دواتك وقم واكتب بين يدي أمير المؤمنين ، فدخل الغلام فكتب، وكان يتهيأ من أبي جعفر إليه النظرة بعد النظرة يتأمله، وألقيت عليه محبته واستجاد خطه واسترشق فهمه ، فكتب زماناً واستراح أبو أيوب إلى مكانه ، ورأى أنه قد حمل عنه ثقلاً ، وبرّ الغلام ووصله وكساه كسوة تصلح أن يدخل بها على أمير المؤمنين ؛ ثم إن أبا جعفر قال للغلام يوماً : ما اسمك ؟ قال : جعفر، قال : ابن من؟ فسكت متحيراً ، قال : ابن من ويحك ؟ قال : ابن عبد الله ، قال : وأين أبوك ؟ قال : لم أره ولم أعرفه ، ولكنّ أمي أخبرتني أن أبي شريف وأنّ عندها رقعة بخطه فيها نسبه : عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، فساعة ذكر الرقعة تغير وجه المنصور فقال : وأين أمك ؟ قال : في موضع كذا ، قال : أتعرف فلاناً ؟ قال : نعم ، هو إمام مسجد محلتنا ، قال : أتعرف فلاناً ؟ قال : نعم ، خياط في مسجدنا ، قال : أفتعرف فلاناً ؟ قال : نعم في سكتنا ، فلما رأى الغلام أبا جعفر ينزع بأسماء قوم يعرفهم أدركته هيبة له وجزع وتدمع ، فأدركت أبا جعفر الرقة عليه ، فلم يتمالك أن قال : فلانة بنت فلانة من هي منك؟ قال : أمي ، قال: فلانة ؟ قال : خالتي، قال : فلان ؟ قال : خالي ، فضمه إليه وبكى ، وقال : يا غلام لا تُعلمنّ أبا أيوب ولا أحداً ما دار بيني وبينك ، انظر انظر ، احذر احذر ، فنهض الغلام وخرج ، فقال له أبو أيوب : لقد احتبست عند أمير المؤمنين ، قال: كتبت كتباً كثيرة أملاها عليّ، قال : فأين هي ؟ قال : جعلها نسخاً يردد فيها نظره حتى يحكمها ، ثم خرج إلى الديوان .

ثم إن أبا جعفر جعل يقول في بعض الأيام لأبي أيوب : هذا الغلام الذي يكتب بين يديّ استوص به ، فاتهم أبو أيوب الغلام أنه يلقي إلى أبي جعفر الشيء بعد الشيء من خبره ، ثم لم يلبث أن سأله مرة بعد مرة ، فقذف في قلب أبي أيوب بغض الغلام وأنه يقوم مقامه إن فقده أبو جعفر ، وأبو جعفر يزداد ولهاً إلى الغلام ويجن به جنوناً وليس يمنعه من إدنائه وإظهار أمره إلا أمرٌ يريده الله ، فلما رأى أبو أيوب ذلك احتبسه عنده عناداً ، ثم قال المنصور

للخادم : اخرج إلى الديوان فجئني بفلان ، فإن بعث معك بغيره فقل : أمرني أمير المؤمنين لا يدخل عليه غيره، ففعل الخادم ذلك، واستحكم في قلب أبي أيوب ما حذره وحدثته به نفسه ، فقال الغلام : يا أمير المؤمنين قد تعرفت من أبي أيوب البغض وله غوائل لا يحيط بها علمي وأنا أخاف على نفسي ، فقال له أبو جعفر : يا بنيّ قد حاك [ذلك] في صدري ، فإذا كان الغد فتعرض لأن يغلظ لك فإذا أغلظ فقم وانصرف كأنك مغضب ولا تعد إلى الديوان ، واجعل وجهك إلى أمك وأوصلْ إليها هذا العقد وهذا الكيس وكتابي هذا واحمل أمك ومن اتبعها من قرابتك وأقبل فانزل في موضع كذا فإني منفذ إليك خادماً يتفقد أمورك ويعرف خبرك ، فلا تطلعن أحداً من الخلق على ما معك وامضِ بهذا المال وهذا العقد وأحرزه أولاً قبل رجوعك إلى الديوان ؛ ثم قال للخادم: أخرجه من باب كذا وكذا ، فخرج الغلام فأحرز ما كان معه ثم رجع إلى الديوان وأبو أيوب في فكره من احتباسه عند المنصور ، ورجع الغلام بوجه بهج مسرور لا يخفى ذلك عليه وظهر الفرح في وجهه وشمائله ، فقال أبو أيوب: أحلف بالله لقد رجع هذا الغلام بغير الوجه الذي مضى به ، ولقد دار بينه وبين أمير المؤمنين من ذكري ما سره، فاستشعر الوحشة منه وصرف أكثر عمله عنه، ثم لم ينشب أن أغلظ له فقال الغلام: أنا إنسان غريب أطلب الرزق وأنت تستخفُّ بي فكأني قد ثقلت عليك فأتنحى عنك قبل أن تطردني ، ثم قام وانصرف فافتقده أبو أيوب أياماً ورأى أن أبا جعفر لا يسأل عنه ولا يذكره ، ثم إن نفس أبي أيوب نازعته إلى علم حقيقة خبره فأرسل من يسأل عنه في الموضع الذي كان نازلاً به ، فقيل له إنه قد تهيأ وتجهز جهازاً حسناً وشخص إلى أهله بالموصل ، فقال أبو أيوب في نفسه : ومن أين له ما يتجهز به ، وكم مبلغ ما ارتزق معي وارتفق به لهذا الأمر ؟ وجعلت نفسه تزداد وحشة منه ومن خبره إلى أن قيل له : قد كان أبو جعفر وصله بمال ووهب له شيئاً، فقال في نفسه : هذا الذي ظننت ، وقد نصبه مكاني ، ويجوز أن يكون استأذنه في أن يخرج إلى أهله فيسلم عليهم ثم يرجع إليه فيقلده مكاني، فقال لرجل من أصحابه: اخرج إلى طريق الموصل قرية قرية برّاً وبحراً فإذا عرفت موضعه فاقتلهُ وجئني

بما معه ، فشخص .

وإن الغلام لما خرج من بغداد رأى أنه قد أمن في مسيره ، وكان يقيم في الموضع الذي يستطيبه اليوم واليومين والأكثر والأقل ، فلحقه رسول أبي أيوب وعرفه فباتا في قرية فقام الرسول إليه فخنقه وطرحه في بئر وأخذ خرجه وخرائط كانت معه وركب دابة له ورجع إلى أبي أيوب فسلم ذلك إليه وشرح له الخبر ، ففتش أبو أيوب متاعه فإذا المال والعقد فعرفه ، وإذا كتاب المنصور بخطه إلى أمه ، فوجم أبو أيوب وندم ، وعلم أنه قد عجل وأخطأ وأن الخبر لم يكن كما ظن ، وعزم على الحلف والمكابرة إنْ عثر على شيء من أمره .

وأبطأ خبر الغلام واستبطأه في الوقت الذي ضربه له فدعا خادماً من ثقاته ورجلاً من خاصته وقال لهما : استقريا المنازل إلى الموصل منزلاً منزلاً وقرية قرية وأعطيا صفة الغلام حتى تدخلا ثم اقصدا موضع كذا من الموصل فاسألا عن فلانة — ووصف لهما كل ما أراد — ففعلا ، فلما انتهيا إلى الموضع الذي أصيب فيه الغلام أعلما خبره ، وذكرا الوقت الذي أصيب فيه فإذا التاريخ بعينه ، ثم مضيا إلى الموصل فسألا عن أمه فوجداها أشد الخلق ولهاً على ابنها وحاجتها إلى علم خبره ، فأطلعاها على حاله وأمراها أن تستر نفسها ، ولم ترد الدنيا بعده ، فكان المنصور يذكره فيكاد ذكره يصدع قلبه ؛ وأجمع أبو جعفر على الإيقاع بأبي ايوب عند ذلك واستصفى امواله واموال اهل بيته ثم قتلهم جميعاً واباد خضراءهم ، وكان إذا ذكر ابا ايوب لعنه وسبه وقال : ذاك قاتل حبيبي][1] .

والمُورِياني : بضم الميم وسكون الواو وكسر الراء وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى مُورِيَانَ ، وهي قرية من قرى الأهواز ، ذكره ابن نقطة ، من أعمال خوزستان .

والخوزي نسبة إلى خُوزِسْتَانَ — بضم الخاء الموحدة وسكون الواو وكسر الزاي وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة من فوقها وبعد الألف نون — وهي بلاد بين البصرة وفارس ، وقيل إنما قيل له الخوزي لشُحّه ، وقيل لأنه كان ينزل شِعْبَ الخوز بمكة .

[1] زياده من ص ر د .

٢٧٧

سليمان بن وهب

أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين بن قيس بن فنال،وكان فنال كاتباً ليزيد بن أبي سفيان لما ولي الشام ثم لمعاوية بعده،ووصله معاوية بولده يزيد ، وفي أيامه مات ، واستكتب يزيد ابنه قَيْساً ، ثم كتب قيسٌ لمروان ابن الحكم ثم لولده عبد الملك ثم لهشام بن عبد الملك،وفي أيامه مات ، واستكتب هشام ابنه الحصين ، ثم استكتبه مروان بن محمد الجَعْدي آخر ملوك بني أُميّة ، ثم صار إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ؛ ولمّا خرج يزيد إلى أبي جعفر المنصور أخذ للحُصين أماناً ، فخدم المنصور ثم المهدي ، وتوفي في أيامه في طريق الري ، فاستكتب المهدي ابنه عَمراً ، ثم كتب لخالد بن برمك ، ثم توفي وخلف سعيداً ، فما زال في خدمة آل برمك ، وتحول ولده وهب إلى جعفر بن يحيى ثم صار بعده في جملة ذي الرياستين الفضل بن سهل ، وقال ذو الرياستين في حقه: عجبت لمن معه وهب كيف لا تهمه نفسه ، ثم استكتبه أخوه الحسن بن سهل بعده وقلده كرمان وفارس فأصلح حالها ، ثم وجه به إلى المأمون برسالة من فم الصلح ، فغرق في طريقه بين بغداد وفم الصلح .

وكتب سليمان المذكور للمأمون وهو ابن أربع عشرة سنة ثم لإيتاخ ثم لأشناس ، ثم ولي الوزارة للمهتدي بالله ثم للمعتمد على الله ، وله ديوان رسائل .

وكان أخوه الحسن بن وهب يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات ، وولي ديوان الرسائل ، وكان أيضاً شاعراً بليغاً مترسلاً فصيحاً ، وله ديوان رسائل أيضاً .

---

٢٧٧ - أخبار سليمان بن وهب في النجوم ٣ : ٣٧ وأخبار أبي تمام : ١٠٤ والاغاني ٢٣ : ٣ وله أخبار في كتب الأدب العامة ودواوين شعراء الفترة التي عاش فيها ، (وترجمة الحسن في الاغاني ٢٢ : ٥٣٣) .

وكان[1] هو وأخوه الحسن من أعيان عصرهما – وقد تقدم ذكر الحسن في حرف الحاء في ترجمة أبي تمام الطائي ، وأنه هو الذي ولاه بريد الموصل – ولما مات أبو تمام رثاه الحسن بما ذكرته ثَمَّ ولم أظفر بتاريخ وفاته حتى أُفرد له ترجمة ، وقد تقدم في خطبة هذا الكتاب أن مبناه على الوفيات وأن الذي أذكره من بعض أحوال مَنْ أذكره لم يكن إلا للإمتاع والتفكه لا غير ، لا أنه مقصود في نفسه .

وقد مدح هذين الأخوين خلق كثير من أعيان الشعراء مثل أبي تمام الطائي والبحتري ومَنْ في طبقتهما . ومن محاسن قول أبي تمام في سليمان المذكور من جملة قصيدة[2] :

كل شِعْبٍ كنتم به آلَ وَهْبٍ فَهْوَ شِعْبي وشِعْبُ كل أديبِ
إن قَلْبي لكم لكالكَبدِ الحَرَّ ى وقَلْبي لِغَيْرِكم كالقلوبِ

وسمع هذين البيتين بعض الأفاضل فقال : لو كانا في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أليق ، فما يستحق هذا القول إلاهم ، رضي الله عنهم .

[وكان يقول : اني أغار على أصدقائي كما أغار على حرمي . ونظر يوماً في المرآة فرأى شيباً كثيراً فقال : عيبٌ لا عدمناه . وكان الحسن بن وهب لا يصحو من الشراب فقال له أخوه سليمان – وقد رآه لا يشرب ذات يوم – : أراك عازفاً ، قال : نعم ولذلك لا أعدّه من عمري ، وأنشد بديهاً :

إذا كان يومي غيرَ يومِ مُدامةٍ ولا يوم قيناتٍ فما هو من عمري
وإن كان معموراً بعودٍ وقهوةٍ فذلك مسروق لعمري من الدهرِ][3]

وكانت وفاة سليمان المذكور في سنة اثنتين وسبعين ومائتين يوم الأحد

١ من هنا تبدأ الترجمة في س ؛ وأكثر ما تقدم مكتوب في هامش المسودة ، وقد سقطت أجزاء منه من ر م ص على التوالي .
٢ ديوان أبي تمام ١ : ١٣١ - ١٣٢ .
٣ زيادة من د وحدها .

منتصف صفر في الحبس ، وقيل توفي سنة إحدى وسبعين . وقـال الطبري في تاريخه : إنه توفي يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر في حَبْس الموفقِ طلحةَ والد المعتضد ، رحمه الله تعالى .

وللبحتري في سليمان بن وهب :

كأنَّ آراءهُ والحزمُ يتبَعُهـا   تريهِ كلَّ خفيٍّ وهْوَ إعـلانُ
ما غابَ عَنْ عَينِهِ فالقلبُ يكلؤه   وإنْ تَنَمْ عينُهُ فالقلبُ يقظانُ

وهذا المعنى قد استعمله الشعراء كثيراً ، فقال أوس بن حَجَر التميمي أحد شعراء الجاهلية[1] :

الألمعيُّ الذي يظنُّ بكَ الظ   نَّ كأنْ قدْ رأى وقدْ سمعا

وقال آخر :

بصيرٌ بأعقابِ الأمُورِ كأنما   تخاطبهُ من كلِّ أمرٍ عَواقِبُهْ

وقال آخر[2] :

بصيرٌ بأعقـابِ الأمُورِ كأنما   يرَى بصَوابِ الظنِّ ما هوَ واقِـعُ

وقال آخر :

عليمٌ بأخبارِ الخطوب بِظنه   كأنَّ لهُ في اليومِ عيناً على غَـدِ

وقال آخر :

كأنـكَ مُطلعٌ في القلوبِ   إذا ما تَناجَتْ بأسْرارِها

وهو باب متسع لا حاجة إلى الاطالة فيه .

---

١ ديوان أوس : ٥٣ .
٢ هذا البيت والذي يليه لم يردا في م .

[وتَنَقَّلَ سليمان في الدواوين الكبار والوزارة ، ولم يزل كذلك حتى توفي مقبوضاً عليه .

وحكي أن سليمان بلغه أن الواثق نظر إلى أحمد بن الخصيب الكاتب فأنشد:

مِنَ الناسِ إنسانانِ دَيْني عليهما ... مَليّانِ لوْ شاءا لقَدْ قضياني
خَليلَيَّ أما أمُّ عمرو فإنها ... وأما عن الأخرى فلا تسَلاني

فقال : إنا لله احمد بن الخصيب أم عمرو ، وأما الأخرى فأنا ، وكذلك كان ، فانه نكبهما بعد أيام . ولما تولى سليمٰن بن وهب الوزارة — وقيل لما تولاها ابنه عبيدالله بن سليمن — كتب إليه عبيدُ الله بن عبد الله بن طاهر الآتي ذكره :

أبَى دَهرنا إسعافنا في نفوسنا ... فأسعفنا فِيمنْ نحبُّ ونُعْظِمُ
فقلتُ لهُ نُعماكَ فيهمْ أتِمَّها ... ودَعْ أمرَنا إنّ المهمّ المقدَّمُ][1]

٢٧٨

سليمان بن حرب

أبو أيوب سليمن بن حرب بن بجيل الأزدي[2] الواشجي البصري : سمع شعبة وجرير بن حازم والحمادين ومبارك[3] بن فضالة وسعيد بن زيد بن درهم والبسري بن

١ ما بين معقفين انفردت به ر .

٢٧٨ - ترجمته في تاريخ بغداد ٩ : ٣٣ وتهذيب التهذيب ٤ : ١٧٨ والمعارف : ٥٢٦ وتذكرة الحفاظ : ٣٩٣ ؛ وهذه الترجمة تتابع ما ورد في تاريخ بغداد ؛ ولم ترد في م س والمسودة وإنما وردت في ص ر .

٢ ر : الأسدي .

٣ ر : ومالك .

يحيى ويزيد بن ابراهيم التستري ؛ وروى عنه يحيى بن سعيد القطان واحمد بن حنبل ومحمد بن سعد كاتب الواقدي وغيرهم .

قدم بغداد وحدث بها ، وولي قضاء مكة .

ذكره أبو حاتم الرازي فقال : إمام من الأئمة ، كان لا يدلس : وقـــال : ظهر حديثه نحو عشرة آلاف حديث ما رأيت في يده كتاباً قط . وقد حضرت مجلس سليمان بن حرب ببغداد فحزروا من حضر مجلسه أربعين ألف رجـــل . وكان مجلسه عند قصر المأمون فبنى له شبه منبر[1] ، فصعد سليمن ، وحضر جماعة من القواد عليهم السواد والمأمون فوق قصره[2] وقد فتح باب القصر وقـد أرسل ستراً وهو خلفه يكتب ما يلي .

وقال يحيى بن اكثم : قال لي المـأمون : من تركت بالبصرة ؟ فوصفت له مشايخ منهم سليمن بن حرب وقلت : هو ثقة حافظ محدث عاقل في نهايـــة الستر والصيانة . فأمرني بحمله إليه ، فكتبت إليه في ذلك فقـدم . فاتفق أني أدخلته إليه وفي المجلس ابن أبي دواد وثمامة وأشباه لهم ، فكرهت أن يدخـل مثله بحضرتهم ، فلما دخل سلّم ، فأجابه المـأمون . ودعا له سليمن بالعز والتوفيق . فقال ابن أبي دواد : يا أمير المؤمنين . نسأل الشيخ عن مسألة ؟ فنظر إليه المأمون نظرة تخيير له ، فقال سليمن : يا أمير المؤمنين ، حدثنا حماد ابن زيد قال : قال رجل لابن شبرمة : أسألـــك ؟ قال : إن كانت مسألتـك لا تضحك الجلوس ولا تزري بالمسؤول فسل ؛ وحدثنا وهيب بن خالد قال : قال إياس بن معاوية : من المسائل ما لا ينبغي للسائل[3] ان يسأل عنهـــا ولا للمجيب[4] ان يجيب فيها : فان كانت مسألة من غير هذا فليسأل ، وان كانت من هذا فليمسك ؛ قال : فهابوه فما نظر أحد منهم إليه حتى قام ، وولاه قضاء مكة فخرج إليها .

١ ر : فبنى له انظاهر سدة سنية .
٢ فوق قصره : سقطت من ر .
٣ للسائل : سقطت من ر
٤ ص : المسؤول .

قال الخطيب : وكانت ولايته مكة[1] في سنة أربع عشرة ، فلم يزل على ذلك[2] إلى ان عزل سنة تسع عشرة ومائتين . وولد سنة اربعين ومائة في صفر وتوفي بالبصرة لأربع ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

٢٧٩

سليمان بن عبد الملك

أبو أيوب سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وأمه ولّادة أم أخيه الوليد ؛ بويع له يوم السبت النصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين ، وتوفي بذات الجنب بدابق لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين وله خمس وأربعون سنة ، وصلّى عليه عمر بن عبد العزيز ، وكانت خلافته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام . وكان الناس يتبركون به ويسمونه مفتاح الخير ، وذلك أنه أذهب عنهم سنة الحجاج وأطلق الأسرى وأخلى السجون وأحسن إلى الناس واستخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، فكان يقال : فتح بخير وختم بخير .

وكان قد أغزى أخاه مسلمة الصائفة حتى بلغ القسطنطينية ، فأقام بها حتى هلك سليمان ؛ وقيل إن سليمان لما وجه أخاه لفتح القسطنطينية أمره أن يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتيه أمره ، فسار إليها مسلمة[3] ، فلما دنا منها أمر كل فارس أن يحمل على عجز فرسه مُدَّين من الطعام حتى يأتي به قسطنطينية ،

---

١ فخرج ... مكة : سقط من ص .

٢ ر : فلم يزل قاضياً .

٢٧٩ ـ أخباره في المصادر التاريخية المشهورة فلا داعي لاثباتها ؛ ولم ترد الترجمة في م س ر والمسودة وإنما انفردت بها ص وهي خارجة على القاعدة التي بينها المؤلف في المقدمة .

٣ قارن هذا الخبر بما في العيون والحدائق : ٢٧ وما بعدها .

ففعلوا ذلك ، وألقى ذلك الطعام مثل الجبال ، ثم قال للمسلمين : لا تأكلوا منه شيئاً ، وأقام بأرضهم وشتا وصيّف وزرع ، والناس يأكلون مــــا أصابوا من الغارات ، ثم أكلوا من الزرع ؛ فأقام مسلمة على قسطنطينية قاهراً لأهلها ومعه وجوه أهل الشام ، ومات ملك الروم ومسلمة نازل عليها ، فكتب الروم إلى اليون صاحب أرمينية ، فسار اليون من أرمينية ومكر في طريقه بمسلمة ووعده أن يسلم إليه قسطنطينية . وكانت الروم قد أرسلوا إلى اليون : إن صرفت عنا مسلمة ملّكناك ، فلما أتى اليون مسلمة قال له : إنك لا تصدقهم القتـــال ولا تزال تطاولهم ما دام هذا الطعام عندك وقد أحسّوا بذلك منك ، فلو أحرقت الطعام أعطوا ما بأيديهم ، فأحرقه مسلمة ، ووجه مع اليون من شيّعـــه حتى دخل القسطنطينية ، فلما دخلها ملّكه الروم عليهم، فأرسل إلى مسلمة يخبره بما جرى من أمره ويسأله أن يأذن له أن يُدخل من الطعام ، من النواحي ، مــا يعيش به القوم حتى يصدقوه بأن أمره وأمر مسلمة واحد ، وأنهم في أمان من الشتات والخروج من بلادهم ، وأن يأذن لهم ليلة واحدة في حمل الطعام . وهيأ اليون السفن والرجال ، فأذن له مسلمة ، فحمل جميع ما في تلك النواحي من الغلة في ليلة واحدة ، وأفرج اليون وأصبح محارباً لمسلمة ، وظهرت هذه الخديعة التي لا تتم على النساء ، وأقام المسلمون في قلة الميرة ، وحصلت الميرة جميعها عند الروم ، ولقي المسلمون من الشدة ما لم يلق أحد قط حتى إن الرجل كان يخاف أن يخرج من العسكر وحده ، وأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والعروق والورق وكلّ شيء حتى الروث ، هذا وسليمان مقيم بدابق ، فدهمهم الشتاء ولم يقدر أن يمدهم ، حتى هلك سليمان .

قيل إنه خرج من الحمام يريد الصلاة ونظر في المرآة فأعجبه جماله ، وكان حسن الوجه فقال : أنا الخليفة الشاب ، فلقيته إحدى حظاياه ، فقال : كيف ترينني ؟ فتمثلت :

ليس فيما بدا لنا فيــك عيبٌ عابه النـــاسُ غير أنك فانِ
أنت نعم المتاعُ لو كنت تبقى غـير أن لا بقـــاءَ للإنسانِ

ورجع فحمّ ، فما بات تلك الليلة إلاّ ميتاً .

وكان عاقلاً ديّناً متوقفاً عن الدماء ، ويقال إنه كان شرهاً نكّاحاً ، يأكل في كل يوم نحو مائة رطل ، وكان به عرج .

وحج بالناس[١] سنة سبع وتسعين فمرّ على المدينة وهو يريد مكة فقال : أهاهنا أحد يذكّرنا ؟ فقيل له : أبو حازم ، فأرسل إليه فدعاه ، فلما دخل عليه قال له : يا أبا حازم ، ما هذا الجفاء ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن ، ما عرفتني قبل ولا أنا رأيتك ، فالتفت سليمان إلى محمد ابن شهاب وقال : أصاب الشيخ وأخطأت أنا ؛ فقال سليمان : يا أبا حازم ، ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم أخربتم آخرتكم وعمرتم الدنيا فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب ، قال : صدقت ، فكيف القدوم على الله عز وجل غداً ؟ قال : أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله ، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه ، فبكى سليمان وقال : ليت شعري ، ما أنا عند الله ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، اعرض عملك على كتاب الله عز وجل ، قال : وأين أجده ؟ قال : ﴿ إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجّار لفي جحيم ﴾ (الأعراف : ٥٦) ، قال : يا أبا حازم ، فأي عباد الله أفضل ؟ قال : أولو المروءة والتقى ، قال : فأي الأعمال أفضل ؟ قال : أداء الفرائض مع اجتناب المحارم ، قال : فأي الدعاء أسمع ؟ قال : دعوة المحسن للمحسن ، قال : فأي الصدقة أزكى ؟ قال : صدقة السائل البائس وجهد من مقلّ ليس فيها منٌّ ولا أذى ؛ قال : فأيّ القول أعدل ؟ قال : قول الحق عند من يخافه أو يرجوه ؛ قال فأي الناس أحمق ؟ قال : رجل انحط في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره ؛ قال : صدقت ، فما الذي تقول فيما نحن فيه ؟ قال : يا أمير المؤمنين أوَتعفيني من ذلك ؟ قال : لا ، ولكن نصيحة تلقيها إليّ ؛ قال : إن آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضًى حتى قتلوا عليه مقتلةً عظيمة وارتحلوا عنها ، فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم ؛ فغشي على سليمان ، فقال رجل من جلسائه : بئس ما قلت يا أبا حازم ! قال أبو حازم :

١ هذا النص موافق في معظمه لما في الإمامة والسياسة ٢ : ٨٨ وقارن بما في العقد ٣ : ١٦٣ .

كذبت يا عدو الله ، إن الله أخذ ميثاق العلماء ليبيننّه للناس ولا يكتمونه ، فأفاق سليمان فقال : يا أبا حازم كيف لنا أن نصلح للناس ؟ قال : تدع الصلف وتستمسك بالمروّة وتقسم بالسويّة ، قال سليمان : كيف المأخذ به ؟ قال : أن تأخذ المال من حله وتضعه في أهله ، قال سليمان : هل لك أن تصحبنا فتصيب منا ونصيب منك ؟ قال : أعوذ بالله يا أمير المؤمنين ! قال : ولمَ ؟ قال : أخشى أن أركن إليكم شيئاً قليلاً فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات ، قال : يا أبا حازم ارفع إليّ حوائجك ، قال : تنجيني من النار وتدخلني الجنة ، قال: ليس ذلك إليّ ، قال : فلا حاجة لي غيرها ، قال : فادع لي الله يا أبا حازم ، قال : اللهمّ إن كان سليمان وليّك فيسّره بخير الدنيا والآخرة، وإن كان عدوّك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى . قال سليمان : زدني ، قال : يا أمير المؤمنين قد أوجزت وأكثرت إن كنت من أهله ، وإن لم تكن من أهله فما ينبغي لي أن أرمي عن قوس ليس لها وتر ، قال : أوصني يا أبا حازم ، قال : سأوصيك وأوجز : عظّم ربك ونزّهه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك من حيث أمرك ، ثم قام ، فبعث إليه سليمان بمائة دينار وكتب إليه ان أنفقها ولك مثلها كثير ، فردها عليه وكتب إليه : يا أمير المؤمنين أعوذ بالله أن يكون سؤالك إياي هزلاً وردّي عليك باطلاً ، فوالله ما أرضاها لك فكيف أرضاها لنفسي؟ يا أمير المؤمنين إن كانت هذه المائة عوضاً لما حدثتك فالميتة ولحم الخنزير في حال الاضطرار أحلُّ من هذه ، وإن كانت هذه حقاً لي في بيت المال فلي فيها نظر، فإن سويت بيننا وإلا فلا حاجة لي فيها ؛ قال له جلساؤه : يا أمير المؤمنين أيسرُّك أن يكون الناس كلهم مثله ؟ قال : لا والله . قال أبو حازم : يا أمير المؤمنين إن بني إسرائيل ما داموا على الهدى والرشد كان أمراؤهم يأتون علماءهم رغبة فيما عندهم ، [فلما رئي قوم من أراذل الناس تعلموا العلم وأتوا به الأمراء] يريدون به الدنيا [استغنت الأمراء عن العلماء] فتعسوا ونكسوا وسقطوا من عين الله عز وجل ، ولو ان علماءهم زهدوا فيما عند الأمراء لرغب الأمراء في علمهم ، ولكنهم رغبوا فيما عند الأمراء فزهدوا فيهم وهانوا في أعينهم ، فقال الزهري : إياي تعني وتعرّض بي ؟ فقال أبو حازم : لا والله ما تعمدتك ولكن

هو ما تسمع ؛ قال سليمان للزهري : هل تعرفه ؟ قال : يا أمير المؤمنين إنه لجاري منذ ثلاثين سنة ما كلمته ، قال أبو حازم : أجل والله لو أحببت الله لعرفتني ولكن لم تحب الله فنسيتني ، فقال الزهري : يا أبا حازم تشتمني ! قال : لا ، ولكنك شتمت نفسك ، أما علمت أن للجار حقاً كالقرابة ؟

جاء سليمان يوماً إلى طاوس فلم ينظر إليه ، فقيل له في ذلك ، فقال : أردت أن يعلم أن لله رجالاً يزهدون فيما لديه .

وشاور سليمان عمر بن عبد العزيز في أمر ، فقال سليمان : هل علينا عين ؟ فقال عمر : نعم عين بصيرة لا تحتاج إلى تحديق ، وسمعٌ نافذ لا يحتاج إلى إصغاء .

حضر أعرابي إلى مائدة سليمان فجعل يمد يده فقال له الحاجب : كلْ ما بين يديك ، فقال الأعرابي : من أجدب انتجع ، فشقّ ذلك على سليمان وقال له : لا تعد إلينا ؛ ودخل آخر فمد يده فقال له الحاجبُ : كلْ مما يليك ، فقال : من أخصب تخير ، فأعجب ذلك سليمان وقضى حوائجه .

وحكى عتيق بن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : كنت نديماً لسليمان بن عبد الملك،وإني لعنده ذات يوم إذ دخل عليه عمر بن عبد العزيز فقال: يا أمير المؤمنين إن بالباب أعرابياً وله دين ، فلو أذنت له فسمعت كلامه، قال : نعم، يا غلام ، إيذن للأعرابي ، فلما دخل عليه قال : يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله فإن وراءه ما يحب إن قلته ، فقال له : يا أعرابي إنا لنجود بالاحتمال على من لا نأمن غيبه ولا نرجو نصحه وأنت المأمون غيباً والناصح جيباً فهات ، فقال الأعرابي : أما إذ أمنت بادرة غضبك فإني مطلقٌ لساني بما خرستْ به الألسن بإذنه ، لحق الله عز وجل وحق أمانتك يا أمير المؤمنين ، إنه تكنفك قوم أساءوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياك بآخرتهم ورضاك بسخط الله ، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه فانهم لم يألوا الأمانة والأمة خسفاً وعسفاً وأنت مسؤولٌ عما اجترحوا وليسوا مسؤولين عما اجترحت ، فلا تفسد آخرتك بدنيا غيرك ، فإن المغبون كل المغبون من أفسد آخرته بدنيا غيره ، فقال له سليمان : أما أنت فقد سللت علينا لسانك وهو أقطع من سيفك ، قال : نعم يا أمير المؤمنين وهو لك لا لغيرك ، فقيل

له : سلْ أمير المؤمنين حاجة ، قال : ما آخذ خاصاً دون عامّ ، ثم خرج .

ظلم عامل لسليمان رجلاً فقال : يا أمير المؤمنين إني أحـذّرك يوم الأذان ، قال : وما يوم الأذان؟ قال : قوله تعالى ﴿ فأذن مؤذن بينهم أنْ لعنةُ الله على الظالمين ﴾ (الأعراف : ٤٤) قال : لا جرم لا أبرح أو تصل إلى حقك .

وغضب سليمان بن عبد الملك على خالد القسري ، فلما أُدخل عليه قـال : يا أمير المؤمنين إن القدرة تـُذهب الحفيظة وإنك تجل عن العقوبة ، فإن تعف فأهل لذلك أنت ، وإن تعاقب فأهل لذلك أنا ، فعفا عنه .

احتال يزيد بن راشد في الدخول على سليمان متنكراً بعد أن ولي الخلافـة فقعد في السماط ، وكان سليمان قد نـذر أنه إن أفضت إليه الخلافة قطع لسانه لأنه كان ممن دعا إلى خلع سليمان والبيعة لعبد العزيز ، فقال : يا أمير المؤمنين كن كنبيّ الله أيوب عليه السلام، ابتلي فصبر وأُعطي فشكر وقدر فغفر، قال : ومن أنت ؟ قال : يزيد بن راشد ، فعفا عنه .

كان سليمان قد طلب يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج ، فلما دخل عليه مكبلاً بالحديد ازدراه وقال : لعن الله رجلاً رفعك ووجهك في أمره ، فقـال له : رأيتني والأمر عني مدبر وعليك مقبل ، ولو رأيتني والأمر مقبل علي لاستعظمت مني ما استصغرت ولاستجللت مني ما استحقرت ، قال : صدقت ، اجلس لا أم لك ، فلما جلس قال له سليمان : عزمت عليك لتخبرني عن الحجاج ما ظنك به ، أتراه يهوي بعد في جهنم أو قد استقر فيها ؟ فقال : يا أمير المؤمنين لا تقلْ هذا للحجاج فإنه بذل لكم نصحه وأحقن دونكم دمه وأمّن وليّكم وأخاف عدوكم ، وإنه يأتي يوم القيامة عن يمين أبيك ويسار أخيك حيث شئت ؛ فصاح سليمان : اخرج عني إلى لعنة الله .

بينا سليمان بن عبد الملك في مجلسه مرّ به رجل عليه ثياب يختال في مشيه ، وكان العلاء بن كدير حاضراً فقال : ما ينبغي أن يكون إلا كوفياً وينبغي أن يكون من همدان ، ثم قال : عليّ بالرجل ، فأتي به فقال : ممن الرجل ؟ فقال : ويلك دعني حتى ترتد اليّ نفسي، فتركه هنيهة ثم قال له : ممن الرجل؟ فقال: من أهل العراق ، قال : من أيهم ؟ قال : من أهل الكوفة ، قال : من أي أهل

الكوفـة ؟ قال : من همدان ، فازداد عجبـاً ، قال : ما تقول في أبي بكر ؟ قال : ما أدركت دهره ولا أدركه دهري، ولقد قال الناس فيه وأحسنوا وهو إن شاء الله كذلك ، قال : فما تقول في عمر ؟ فقال مثل ذلك ، فقـــال : ما تقول في عثمان ؟ قال : ما أدركت دهره ولا أدركه دهري ، ولقد قال فيه ناس فأحسنوا وقال فيه ناس فأساءوا وعند الله علمه ، قال : فما تقول في علي ؟ فقال مثل ذلك ، قال : سبَّ علياً ، قال : لا أسبه ، قال : والله لتسبنه أو لأضربنَّ عنقك ، فقال : والله لا أسبه ، فأمر بضرب عنقه ، فقـــام رجل بيده سيف فهزّه حتى أضاء في يده كأنه خوصة وقال : لتسبنَّه أو لأضربن عنقك ، قال : والله لا أسبه ، ثم نادى : ويلك يا سليمان أدنني منك ، فدعا به فقال : يا سليمان أما ترضى مني بما رضي به من هو خير منك ممن هو خير مني فيمن هو شر من عليّ ؟ قال : وما ذلك ؟ قال : الله تعالى رضي من عيسى وهو خير مني إذ قال في بني إسرائيل وهم شرّ من علي ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ (المائدة : ١١٨) قال فنظرت إلى الغضب يتحدر من وجهه حتى صار في طرف أرنبته ثم قال : خلّيا سبيله ، فعـــاد إلى مشيته فما رأيت رجلاً قط خيراً من ألف رجل غيره وإذا هو طلحة بن مطرف .

قال سليمان لعديّ بن الرقاع : أنشدني قولك في الخمرة ، فأنشده :

كميت إذا شُجّتْ وفي الكأس وردةٌ لها في عظـــام الشاربين دبيبُ
تُريك القذى من دونها وهي دونه لوجـــه أخيها في الإنـــاء قُطوبُ

فقال سليمان : شربتها ورب الكعبةِ ! فقال عديّ : والله يا أمير المؤمنين لئن رابك وصفي لها لقد رابني معرفتك بها ، فتضاحكا وأخذا في الحديث .

وكان سليمان هرب من الطاعون ، فقيل له : إن الله عز وجل يقول ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتّعون إلا قليـــلا﴾ (الأحزاب : ١٦) قال : ذلك القليل اطلب .

وقع بين ابن لعمر بن عبد العزيز وبين ابن لسليمان بن عبد الملك كلام فجعل ابن عمر يذكر فضل أبيه ويصفه فقال له ابن سليمان: إن شئت فأكثر أو فأقلل،

ما كان أبوك إلا حسنة من حسنات أبي ، لأن سليمان هو الذي ولّى عمر بن عبد العزيز .

٢٨٠

السلطان سنجر السلجوقي

أبو الحارث سنجر بن ملكشاه بن ألبَ أرْسِلان بن داود بن ميكائيل بن سَلْجوق بن دُقَاق ؛ سلطان خراسان وغزْنَةَ وَما وراء النهر ، وخُطب له بالعراقين وأذربيجان وأران وأرمينية والشام والموصل وديار بكر وربيعة والحرمين ، وضُربت السكة باسمه في الخافقين ، وتلقب بالسلطان الأعظم معز الدين .

كان من أعظم الملوك هِمّة ، وأكثرهم عطاء ، ذكر عنه أنه اصطبح خمسة أيام متوالية ذهب في الجود بها كلّ مذهب ، فبلغ ما وهبه من العين سبعمائة ألف دينار ، غير ما أنعم به من الخيل والخِلَع والأثاث وغير ذلك .

وقال خازنه : اجتمع في خزائنه[1] من الأموال ما لم أسمع أنه اجتمع في خزائن أحد من الملوك الأكاسرة ، وقلت له يوماً : حصل في خزائنك ألف ثوب ديباج أطلس وأُحبُّ أن تبصرها ، فسكت ، وظننتُ أنه رضي بذلك ، فأبرزت جميعها ، وقلت : أما تنظر إلى مالك ؟ أما تحمد الله تعالى على ما اعطاك وأنعم عليك ؟ فحمد الله تعالى ، ثم قال : يقبح بمثلي أن يقال : مال إلى المال ، وأمر للأمراء بالإذن في الدخول فدخلوا عليه ، ففرق عليهم الثياب الطُّلْسَ وانصرفوا . واجتمع عنده من الجوهر ألف وثلاثون رطلاً ، ولم يُسمع عند أحد

٢٨٠ - أخبار سنجر بن ملكشاه في ج ١١ ، ١٢ من تاريخ ابن الأثير ، وصفحات متفرقة من تاريخ الملوك السلجوقية وراحة الصدور للراوندي ، والترجمة هنا مطابقة لما في المسودة .

[1] س ر : خزائنه .

من الملوك بمثل هذا ولا بما يقاربه ، ولم يزل أمره في ازدياد وسعادته في الترقي إلى أن ظهرت عليه الأغُزّ[1] – وهم طائفة من الترك – في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، وهي واقعة مشهورة استشهد فيها الفقيه محمد بن يحيى – كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى – وكسروه وانحلّ نظام ملكه ، وملكوا نيسابور وقتلوا فيها خلقاً لا يحصى عدده ، وأسروا السلطان سنجر ، وأقام في أسرهم مقدار خمس سنين ، وتغلب خوارزم شاه على مدينة مرو ، وتفرّقت مملكة خراسان .

ثمّ إن سنجر أفلتَ من الأسر وعادَ إلى خُراسان [وجُمِعَ إليه أطرافه بمرو ، وكاد يعود إلى ملكه ، فأدركه أجله][2] .

وكانت ولادته يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة بظاهر مدينة سِنْجَار ، ولذلك سمي سنجر ، فان والده السلطان مَلِكْشَاه لما اجتاز بديار ربيعة ونزل على سنجار جاءه هذا الولد ، فقالوا : ما نسميه ؟ فقال : سموه سنجر ، وأخذ هذا الاسم من اسم المدينة .

وتولى المملكة في سنة تسعين وأربعمائة نيابة عن أخيه بَرْكِيَارُوق – كما تقدم ذكره في حرف الباء – ثم استقل بالسلطنة في سنة اثنتي عشرة وخمسمائة . وتوفي يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة بمرو ، ودفن بها بعد خلاصه من الأسر ، وانقطع بموته استبداد الملوك السلجوقية بخراسان ، واستولى على أكثر مملكته خوارزم شاه أتسز بن محمد بن أنُوشتكين رحمه الله تعالى ، وهو جدُّ السلطان محمد بن تكش خوارزم شاه ، فسبحان من لا يزول ملكه . وذكر ابن الأزرق الفارقي في تاريخه أنه مات سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، والله أعلم بذلك .

وقال غيره : توفي في جمادى الآخرة من السنة ، وقُطعت الخطبة ببغداد للسلجوقية عند وصول خبر وفاته في أيام المقتفي لأمر الله ، وكُتب إلى بلاد الجزيرة الفراتية والشام بقطع الخطبة في هذه السنة ، والله أعلم .

---

١ كتبت في المسودة أولاً « الغز » ثم ضرب عليها وكتبت « الأغز » في الحاشية .
٢ ما بين معقفين لم يرد في المسودة .

٢٨١

أبو محمد التستري

أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التُّسْتَري الصالح المشهور ؛ لم يكنْ له في وقته نظيرٌ في المعاملات والورع ؛ وكان صاحب كرامات ، ولقي الشيخ ذا النون المصري رحمه الله تعالى بمكة حرسها الله تعالى، وكان له اجتهاد وافر ورياضة عظيمة ، وكان سبب سلوكه هذا الطريق خاله محمد بن سَوّار ، فإنه قال : قال لي خالي يوماً : ألا تذكر الله الذي خلقك ؟ فقلت له : كيف أذكره ؟ قال : قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك : الله معي ، الله ناظر إليّ ، الله شاهدي ، فقلت ذلك ليالي ، ثم أعلمته ، فقال : قلها في كل ليلة سبع مرات ، فقلت ذلك ، ثم أعلمته ، فقال : قلها في كل ليلة إحدى عشرة مرة ، فقلت ذلك ، فوقع في قلبي حلاوة ، فلما كان بعد سنة قال لي خالي : احفظ ما علّمتك ودُمْ عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة ، فلم أزل على ذلك سنين ، فوجدت لها حلاوة في سِرّي .

ثم قال لي خالي يوماً : يا سهل ، مَنْ كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهِدُه يعصيه ؟ إياكَ والمعصية . فكانَ ذلك أوّلَ أمره ، وسكن البصرةَ زمــاناً وعَبّادانَ مدّة .

[وكان قد اعتقل بطن يعقوب بن الليث في بلد فارس ، فجمع له الأطباء فلم يغنوا عنه ، فوصف له سهل بن عبد الله ، فأمر بإحضاره فأحْضِر ، فلما دخل عليه قعد عند رأسه وقال : اللهمّ أريته ذلّ المعصية فأرِه عزّ الطاعة ، ففرج الله عنه من ساعته، فأخرج إليه بِدَراً وثياباً فردّها وما قبل منها شيئاً، فلما رجع إلى تستر قال له بعض أصحابه : لو أخذت تلك الدراهم وفرقتها على

---

٢٨١ - ترجمة سهل التستري في طبقات السلمي : ٢٠٦ وحلية الأولياء ١٠ : ١٨٩ .

الفقراء ، فقال : انظر إلى الأرض ، فإذا الأرض كلها ذهب ؛ ثم قال : من كان حاله مع الله سبحانه هذا لا يستكثر هذا][1] .

وكانت وفاته سنة ثلاث وثمانين في المحرم، وقيل سنة ثلاث وسبعين ومائتين ، رضي الله عنه ، بالبصرة . وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه[2] أن مولده في سنة مائتين ، وقيل إحدى ومائتين بتستر .

والتستري[3] : بضم التاء المثناة من فوقها وسكون السين المهملة وفتح التاء الثانية وبعدها راء ، هذه النسبة إلى تستر ، وهي بلدة من كور الأهواز من خوزستان ، يقول لها الناس ششتر – بشينين معجمتين – بها قبر البراء بن مالك رضي الله عنه .

٢٨٢

أبو حاتم السجستاني

أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد الجشمي السجستاني النحوي اللغوي المقرىء ، نزيل البصرة وعالمها ؛ كان إماماً في علوم الآداب ، وعنه أخذ علماء عصره كأبي بكر محمد بن دريد والمبرد وغيرهما ، وقال المبرد : سمعته يقول : قرأت كتاب سيبويه على الأخفش مرتين ، وكان كثير الروايـــة عن أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة والأصمعي ، عالماً باللغة والشعر ، حسن العلم بالعروض

١ زيادة من ص د وحدهما .
٢ تاريخ ابن الأثير ٧ : ٤٨٣ .
٣ في المسودة : وتستر .

٢٨٢ – ترجمة أبي حاتم سجستاني في معجم الأدباء ١١ : ٢٦٣ والفهرست : ٥٨ وانباه الرواة ٢ : ٥٨ وبغية الوعاة : ٢٦٥ وتهذيب التهذيب ٤ : ٢٥٧ والشذرات ٢ : ١٢١ وغاية النهاية ١ : ٣٢٠ (وراجع حاشية الانباه للاطلاع على مزيد من المصادر) .

وإخراج المعمّى، وله شعر جيد ، ولم يكن حاذقاً في النحو[1] ، وكان إذا اجتمع بأبي عثمان المازني في دار عيسى بن جعفر الهاشمي تشاغل أو بادر بالخروج خوفاً من أن يسأله عن مسألة في النحو . وكان صالحاً عفيفاً يتصدق كل يوم بدينار ، ويختم القرآن في كل أسبوع ، وله نظم حسن . وكان أبو العباس المبرّد يحضر حلقته ، ويلازم القراءة عليه ، وهو غلام وسيم في نهاية الحسن فعمل فيه أبو حاتم المذكور :

ماذا لقيتُ اليوم من متمجّنٍ خَنِثِ الكلام
وقف الجمالُ بوجهِهِ فسَمَت له حَدَقُ الأنام
حركاته وسكونه تُجْنَى بها ثمر الأثام
وإذا خلوتُ بمثله وعزمتُ فيه على اعتزام
لم أَعْدُ أفعال العفا ف، وذاك أوكَدُ للغرام
نفسي فداؤك يا أبا الـ عباس جلّ بك اعتصامي
فارحم أخاك فإنه نَزِر الكرى بادي السقام
وأنله ما دون الحرا م فليس يرغب في الحرام

ومن شعر أبي حاتم أيضاً :

أبرزوا وجهه الجميل ولاموا من افتتن
لو أرادوا عفافنا ستروا وجهه الحسن

[وله أيضاً :

كبدَ الحسود تقطّعي قد بات من أهوى معي

وله غير ذلك كثير .

قال محمد بن الحسن الأزدي : حدثنا أبو حاتم قال : وفد علينا عاملٌ من

[1] وقال المبرد ... النحو : سقط من س .

أهل الكوفة ولم أر في عمال السلطان أبرع منه ، فدخلت عليه مسلّماً فقال لي : يا سجستاني ، من علماؤكم بالبصرة ؟ قلت : الزيادي أعلمنا بعلم الاصمعي ، والمازني أعلمنا بالنحو ، وهلال الرأي أفقهنا ، والشاذكوني من أعلمنا بالحديث ، وأنا — رحمك الله — أنسب الى علم القرآن ، وابن الكلبي من أكتبنا للشروط . قال : فقال لكاتبه : إذا كان غداً فاجمعهم اليّ ، قال : فجمعنا فقال : أيكم المازني ؟ فقال أبو عثمان : ها أناذا ، قال : هل يجزي في كفارة الطهارة عتق عبد أعور ؟ قال المازني : لست صاحب فقه ، أنا صاحب عربية ، قال : يا زياديّ ، كيف يكتب بين بعل وامرأة خالعها على الثلث من صداقها ؟ قال : ليس هذا من علمي ، هذا من علم هلال الرأي ، قال : يا هلال ، كم اسند ابن عون عن الحسن؟ قال: ليس هذا من علمي، هذا من علم الشاذكوني، قال : يا شاذكوني، من قرأ ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم﴾ (هود : ٥) قال : ليس هذا من علمي ، هذا من علم أبي حاتم ، قال : يا أبا حاتم ، كيف تكتب كتاباً الى أمير المؤمنين تصف خصاصة أهل البصرة وما اصابهم بي وتسأله النظر بالبصرة ؟ قلت : لست صاحب براعة وكتابة ، انا صاحب قرآن ؛ قال : ما أقبح بالرجل يتعاطى العلم خمسين سنة لا يعرف إلا فنّاً واحداً حتى إذا سئل عن غيره لم يحل فيه ولم يُمِرّ ، لكن عالمنا بالكوفة الكسائي لو سئل عن هذا كله لأجاب][1] .

وقال أبو حاتم لتلميذه : إذا أردت أن تضمّن كتاباً سرّاً فخذ لبناً حليباً فاكتب به في قرطاس ، فيذر المكتوب إليه عليه رماداً سخناً من رماد القراطيس فيظهر المكتوب ، وإن كتبته بماء الزاج الأبيض ، فإذا ذر عليه المكتوب إليه شيئاً من العَفْصِ ظهر ، وكذا بالعكس .

وله من المصنفات كتاب « إعراب القرآن » وكتاب « ما يلحن فيه العامة » وكتاب «الطير» وكتاب «المذكر والمؤنث» وكتاب «النبات» وكتاب «المقصور والممدود» وكتاب «الفرق» وكتاب «القراءات» وكتاب «المقاطع والمبادي» وكتاب «الفصاحة» وكتاب «النخلة» وكتاب «الاضداد» وكتاب «القِسِيّ والنبال

١ زيادة من ص وحدها .

والسهام» وكتاب «السيوف والرماح» وكتاب «الدرع والفرس»[1] وكتاب «الوحوش» وكتاب «الحشرات» وكتاب «الهجاء» وكتاب «الزرع» وكتاب «خلق الانسان» وكتاب «الإدغام» وكتاب «اللبأ واللبن الحليب» وكتاب «الكرم» وكتاب «الشتاء والصيف» وكتاب «النحل والعسل» وكتاب «الإبل» وكتاب « العشب » وكتاب « الخِصْب والقَحْط » وكتاب « اختلاف المصاحف » وغير ذلك [من المصنفات] .

وكانت وفاته في المحرم ، وقيل رجب ، سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وقيل سنة خمسين ، وقيل أربع وخمسين ، وقيل خمس وخمسين ومائتين بالبصرة ، وصلى عليه سليمان بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي ، وكان والي البصرة يومئذ ، ودفن بسُرَّة المصلى ، رحمه الله تعالى .

والجُشَمي : بضم الجيم وفتح الشين المثلثة وبعدها ميم ، هذه النسبة إلى عدة قبائل يقال لكل واحدة منها جُشَم ، ولا أدري إلى أيها ينسب أبو حاتم المذكور .

والسِّجِسْتاني : قد تقدم الكلام عليه .

٢٨٣

أبو الفتح الأرغياني

أبو الفتح سهل بن أحمد بن علي الأرْغِياني الفقيه الشافعي ؛ كان إماماً كبير المقدار في العلم والزهد ، تَفَقّه بمرو على الشيخ أبي علي السِّنْجي — المقدم ذكره في حرف الحاء — ثم قرأ على القاضي حسين بن محمد المروروذي

١ م : الدروع والفرس .

٢٨٣ - ترجمة سهل الأرغياني في طبقات السبكي ٣ : ١٦٩ والسمعاني واللباب : « الأرغياني » والترجمة مطابقة لما في المسودة .

وحصل طريقته ، حتى قال : ما علق أحـــد طريقتي مثله . ودخـل نيسابور وقرأ أصول الفقه على إمام الحرمين أبي المعالي الجوَيني ، وناظر في مجلسه وارتضى كلامه ، ثم عاد إلى ناحية أرْغِيانَ ، وتقلد قضاءها سنين مـــع حسن السيرة وسلوك الطرائق المرضية ، ثم خرج إلى الحج ولقي المشايخ بالعراق والحجـــاز والجبال وسمع منهم وسمعوا منه ، ولمـــا رجع من مكة ، حرسها الله تعالى ، دخل على الشيخ العارف الحسن السمناني شيخ وقته زائراً فأشار عليه بـترك المناظرة فتركها ولم يناظر بعد ذلـــك ، وعزل نفسه عن القضاء ولزم البيت[1] والانزواء ، وبنى للصوفيـة دُوَيْرة من ماله ، وأقـــام بها مشغولاً بالتصنيف والمواظبة[2] على العبادة إلى أن توفي على تيقـظ من حاله مستهلّ المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

وهو[3] صاحب الفتاوي المنسوبة إليه[4]، وسمع جماعة من الأئمة مثل أبي بكر البيهقي وناصر المروزي وعبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي صاحب «مجمع الغرائب» و«ذيل تاريخ نيسابور» وغيرهم ، رحمهم الله تعالى .

والأرغِياني : بفتح الهمزة وسكون الراء وكسر الغـين المعجمة وفتـح الياء المثناة من تحتها وبعد الألف نون ، هذه النسبة إلى أرْغِيَانَ وهي اسم لناحية من نواحي نيسابور بها عِدّة من القرى .

---

١ أ ج : العزلة .

٢ أ : والمرابطة ؛ م : بالتصنيف والعبادة .

٣ من هنا حتى آخر الترجمة لم يرد في م .

٤ بهامش س : منقولة من خط الشيخ العالم الورع الزاهد عبد الرحيم الاسنوي : « ليست الفتاوى له بل لمحمد الأرغياني الآتي ذكره في حرف الميم ، وقد نبه عليه المصنف » .

٢٨٤

أبو الطيب الصعلوكي

أبو الطيب سَهْل بن محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان الصُّعْلوكي النيسابوري الفقيه الشافعي – وسيأتي ذكر ابيه ورَفْعُ نسبه في حرف الميم إن شاء الله تعالى – ؛ كان أبو الطيب المذكور مفتي نيسابور وابنَ مفتيها ، أخذ الفقه عن أبيه أبي سَهْل الصعلوكي ، وكان في وقته يقال له « الإمام » وهو متفق عليه ، عديم النظير[1] في علمه وديانته ، وسمع أباه ومحمد بن يعقوب الأصمّ وابن مطر[2] وأقرانهم . وكان فقيهاً أديباً متكلماً ، خُرِّجَتْ له الفوائد من سماعاته ، وقيل إنه وُضع له في المجلس أكثر من خمسمائة محبرة وجمع رياسة الدنيا والآخرة وأخذ عنه فقهاء نيسابور .

وتوفي في المحرم سنة سبع وثمانين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى . وقال أبو يعلى الخليلي في كتاب «الإرشاد» : إنه توفي أول سنة اثنتين وأربعمائة[3] ، والله أعلم بالصواب .

والصعلوكي : بضم الصاد المهملة وسكون العين المهملة وضم اللام وسكون الواو وفي آخرها كاف ، هذه النسبة إلى صعلوك ، هكذا ذكره السمعاني وما زاد عليه .

[قال عبد الواحد اللخمي : أصاب سهلاً الصعلوكي رمد فكان الناس يدخلون عليه وينشدونه من النظم ويروون له من الآثار ما جرت به العادة ، فدخل عليه الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي وقال : أيها الإمام ، لو أن عينيك رأتا

---

٢٨٤ – ترجمة سهل الصعلوكي في طبقات الشيرازي ، الورقة : ٥٣ وطبقات السبكي ٣ : ١٦٩ .

١ ب : المثل .

٢ ر : سطر .

٣ قال السبكي : توفي في شهر رجب سنة أربع وأربعمائة بنيسابور .

وجهك ما رمدت ، فقال له الشيخ سهل : ما سمعت بأحسن من هذا الكلام ، وسُرَّ به][1] .

ولما مات أبوه محمد بن سليمان – في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته – كتب أبو النضر ابن عبد الجبار إلى أبي الطيب المذكور يعزيه عن والده :

مَنْ مبلغٌ شيخَ أهل العلم قاطبةً عني رسَالَةَ محزونٍ وأوّاهِ
أولى البرايا بحُسْن الصبر ممتحناً مَنْ كان فُتْياه توقيعاً عن اللهِ

---

[1] ما بين معقفين لم يرد في ص والمسودة .

حرف الشين

٢٨٥

شاور وزير مصر

أبو شجاع شاور بن مُجير بن نزار بن عشائر بن شأس بن مُغيث بن حبيب ابن الحارث بن ربيعة بن يخنس[١] بن أبي ذؤيب عبدالله — وهو والد حليمة مرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ابن الكلبي في « جمهرة النسب » : حليمة مرضع النبي صلى الله عليه وسلم ابنة أبي ذؤيب وهو الحارث بن عبد الله بن شجنة بن جابر ابن ناصرة ، أرضعته بلبن ابنتها الشَّيْماء بنت الحارث بن عبد العزى بن رفاعة ابن ملان ، وهو الذي حضن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان عند حليمة ، والشيماء المذكورة كانت تحمل النبي صلى الله عليه وسلم فعضها وهي تحمله فلما وفدت عليه أرته الأثر، والله أعلم — ابن الحارث بن شَجْنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن قُصَيّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن السعدي .

كان الصالح بن رُزّيكَ وزير العاضد صاحب مصر قد ولاه الصعيد الأعلى من ديار مصر ، ثم ندم على توليته ، ولما جُرح الصالح وأشرف على الوفاة — كما سيأتي في ترجمته في حرف الطاء إن شاء الله تعالى — كان يعد لنفسه ثلاث غلطات : إحداها تولية شاور [وثانيتها بناء الجامع المعروف به على باب زويلة ، فإنه كان قد بقي عوناً لمن يحاصر القاهرة[٢] ، وثالثتها خروجه إلى بلبيس[٣]

---

٢٨٥ - أخبار شاور السعدي في ابن الاثير (جـ ١١) ومفرج الكروب ١ : ١٥٨ وابن خلدون ٥ : ٢٤٦ وما بعدها (وخاصة : ٢٨١) والنكت العصرية ، وكتاب الروضتين ومرآة الزمان ، واتعاظ الحنفا : ٢٨٨ وقد وردت الترجمة موجزة في م ، وأكثرها في س أيضاً ؛ كما أنها وردت في المسودة ونسخة ر .

١ ر : مخنس .

٢ ج : القلعة .

٣ ب : تنيس .

بالعساكر ورجوعه بعد أن أنفق فيهم أكثر من مائتي ألف دينار حيث لم يتم إلى بلاد الشام ويفتح بيت المقدس ويستأصل شأفةَ الفرنج][1] .

ثم إن شاور تمكن في الصعيد ، وكان ذا شهامة ونجابة وفروسية ، وكان الصالح قد أوصى ولده العـادلَ رُزّيكَ أن لا يتعرض لشاور بمساءة ولا يغير عليه حاله ، فإنه لا يأمن عصيانه والخروج عليه ، وكان كما أشار ، والشرح يطول . وقدم من الصعيد على واحات ، واخترق تلك البراري إلى أن خرج عند تَرَوْجَةَ بالقرب من الإسكندرية ، وتوجه إلى القاهرة ودخلها يوم الأحد الثاني والعشرين من المحرم سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . وهرب العادل رزيك وأهله من القاهرة ليلة العشرين من المحرم المذكور ، وقتل العادل بن الصالح ، وأخذ موضعه من الوزارة واستولى . ثم توجه في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة في شهر رمضان منها إلى الشام مستنجداً بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام لما خرج عليه أبو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوّار الملقب فارس المسلمين اللّخْمي المنذري نائب الباب بجموع كثيرة وغلبه وأخرجه من القاهرة ، وقتل ولده طيّاً ، وولي الوزارة مكانه – كعادة المصريين – فأنجده بالأمير أسد الدين شيركوه ، والقصة مشهورة فلا حاجة إلى الإطالة فيها ، وآخر الأمر أن أسد الدين تردد إلى الديار المصرية ثلاث دفعات – كما سيأتي في ترجمته من هذا الحرف إن شاء الله تعالى – .

وقتل شاور يوم الأربعاء سابع عشر ، وقيل ثامن عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة ، ودفن في تربة ولده طي ، وتربته بالقرافة الصغرى بالقرب من تربة القاضي الفاضل ، وكان المباشر لقتله الأمير عز الدين جُرْديك عتيق نور الدين صاحب الشام . وقال الروحي في كتاب « تحفة الخلفاء » : إن السلطان صلاح الدين أوقع به ، وكان إذ ذاك في صحبة عمه أسد الدين ، وإن قتله كان يوم السبت منتصف جمادى الأولى من السنة المذكورة ، رحمه الله تعالى. وذكر ابن شداد في « سيرة صلاح الدين »[2] أن شاور المذكور خرج إلى أسد

---

١ ما بين معقفين لم يرد في المسودة .

٢ سيرة ابن شداد : ٣٢ .

الدين في موكبه ، فلم يتجاسر أحد عليه إلا صلاح الدين ، فإنه تلقّاه وسار إلى جانبه وأخذ بتلابيبه وأمر العسكر بقصد أصحابه ، ففروا ونهبهم العسكر ، وأنزل شاور في خيمة مفردة ، وفي الحال جاء توقيع على يد خادم خاص من جهة المصريين يقول : لا بد من رأسه ، جرياً على عادتهم مع وزرائهم ، فحزّ رأسه وأنفذه إليهم ، وسير إلى أسد الدين خِلَعَ الوزارة فلبسها ، وسار ودخل القصر وترتب وزيراً ، وذلك في سابع عشر شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة .

وذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه أن شاور وصل إلى نور الدين مستجيراً فأكرمه واحترمه وبعث معه جيشاً فقتلوا خَصْمه ولم يقع منه الوفاء بما ورد من جهته ، ثم إن شاور بعث إلى ملك الفرنج واستنجده وضمن له أموالاً ، فرجع عسكر نور الدين إلى الشام ، وحدث ملك الفرنج نفسه بملك مصر ، فحضر إلى بلبيس وأخذها وخيّم عليها ، فلما بلغ نورَ الدين ذلك جهز عسكراً إليها ، فلما سمع العدو بتوجُّه الجيش رجعوا خائبين ، واطلع من شاور على المخامرة ، وأنفذ يراسل العدو طمعاً منه في المظافرة ، فلما خيف من شره تمارض أسد الدين فجاءه شاور عائداً له فوثب جرديك وبُرغش مَوْلَيا نور الدين فقتلا شاور ، وكان ذلك برأي الملك الناصر صلاح الدين ، فإنه أول من تولى القبض عليه ومد يده بالمكروه إليه ، وصفا الأمر لأسد الدين ، وظهرت السُّنة بالديار المصرية ، وخطب فيها بعد اليأس للدولة العباسية .

وللفقيه عمارة اليمني – الآتي ذكره – فيه مدائح ، من جملتها قوله من جملة قصيد :

ضجر الحديدُ من الحديدِ وشاورٌ ... مِنْ نَصر دين محمد لم يضْجرِ

حلف الزمان ليأتينّ بمثله ... حنثت يمينك يا زمان فكَفِّرِ

وحكى الفقيه عمارة المذكور[1] أنه لما تم الأمر لشاور وانقرضت دولة بني

[1] راجع النكت العصرية : ٦٩ .

رُزِّيكَ جلس شاور وحوله جماعة من أصحاب بني رزيك وممن لهم عليهم إحسان وإنعام ، فوقعوا في بني رُزِّيكَ تقرُّباً إلى قلب شاور ، وكان الصالح بن رزيك وابنه العادل قد أحسنا إلى عمارة عند دخوله إلى الديار المصرية ، قال : فأنشدته :

صحَّتْ بدولتك الأيام من سَقَمِ وزال ما يشتكيه الدهر من ألمِ
زالت ليالي بني رُزِّيكَ وانصرَمت والحمد والذم فيها غيرُ منصرم
كأن صالحهم يوماً وعادلهم في صَدر ذا الدَّست لم يقعد ولم يقم
هم حركوها عليهم وهْيَ ساكنة والسِّلم قد ينبت الأوراق في السَّلم
كنا نظنُّ وبعضُ الظن مأثمة بأن ذلك جَمْعٌ غير منهزم
فمذ وقعْتَ وقوعَ النسر خانهُمُ من كان مجتمعاً من ذلك الرخَم[1]
ولم يكونوا عدُوّاً ذلَّ جانبه وإنما غرقوا في سَيْلِك العَرِمِ
وما قصدتُ بتعظيمي عِداكَ سوى تعظيم شأنك فاعذرني ولا تلم
ولو شكرتُ لياليهم محافظةً لعهدها لم يكن بالعهد من قِدَم
ولو فتحت فَمي يوماً بذمِّهِمُ لم يرض فضلك إلا أن يسد فَمي
والله يأمر بالإحسان عارفةً منه وينهى عن الفحشاء في الكلم

قال عمارة : فشكرني شاور وولداه على الوفاء لبني رُزِّيكَ .

(49) وأما الملك[2] المنصور أبو الأشبال ضرغام بن سَوَّار اللَّخْمي المذكور فإنه لما وصل شاور من الشام بالعساكر خرج من القاهرة وقتل يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر جمادى الآخرة ، وقيل في رجب سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، وكان قتله عند مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها ، فيما بين القاهرة ومصر ، وحزُّوا رأسه وطافوا به على رمح ، وبقيت جثته هناك ثلاثة أيام تأكل منها الكلاب ، ثم دفن عند بركة الفيل وعمر عليه قبة ، هكذا وجدته في بعض

---

١ بعد هذا البيت جاء في ج : ومنها ، وأشار إلى من كان حاضراً ...
٢ هذه الفقرة لم ترد في س ، حتى قوله : المذكورة .

التواريخ ، وعلى البركة قبة ، وغالب ظني انها هي المذكورة .

وواحات : بفتح الواو وبعد الألف حاء مهملة وبعد الألف الثانية تاء مثناة من فوقها ، وهي بلاد بنواحي الديار المصرية مستطيلة في طول صعيدها داخل البرِّيَّة مما يلي أرض بَرْقَةَ وطريق المغرب .

وتَرَوْجَةَ : بفتح التاء المثناة من فوقها والراء وبعد الواو الساكنة جيم ثم هاء ساكنة ، وهي قرية بالقرب من الإسكندرية أكثر زراعة أهلها الكَرَوْيا.

ونقلتُ نسبه على هذه الصورة من شجرة أحضرها إليَّ أحد حَفَدَتِه .

٢٨٥ ب

شاور بن مجير الوزير المصري

[بعد النسب المتقدّم في الترجمة السابقة] وزير العاضد صاحب مصر ، ولي الوزارة له سنة ثمان وخمسين وخمسمائة في صفر منها ، وكان ابتداء امره أنه كان يخدم الصالح بن رزيك ، فأقبل عليه وولاه الصعيد وهو أكبر الأعمال بعد الوزارة ، وظهرت منه كفاءة عظيمة وتقدم واستمال الرعية والمقدمين من العرب وغيرهم ، فعسر أمره على الصالح ولم يمكنه عزله ، فاستدام استعماله لئلا يخرج عن طاعته . ولما جرح الصالح وأشرف على الوفاة كان يعد لنفسه ثلاث غلطات إحداها تولية شاور. ولما حضر الصالحَ الموتُ كان من جملة وصيته للعادل رزيك ولده : انك لا تغير على شاور فإنني أنا أقوى منك وقد ندمت على استعماله ولم يمكنّي عزله فلا تغيروا عليه فيكون لكم ما تكرهون . فلما توفي الصالح وتولى ابنه العادل الوزارة حسَّن له أهله عزل شاور واستعمال بعضهم مكانه وخوفوه

٢٨٥ ب ـ هكذا وردت هذه الترجمة في النسخة ص ، وقد آثرنا فصلها عن ترجمة شاور السابقة لما بينهما من اختلاف .

منه ان اقره على عمله ، فأرسل إليه بالعزل فجمع جموعاً كبيرة وقدم من الصعيد على واحات واخترق تلك البراري الى ان قدم عند تروجة من الاسكندرية وتوجه الى القاهرة ، فهرب منه العادل بن رزيك فأخذ وقتل . وكانت مدة وزارته ووزارة ابيه تسع سنين وشهراً واحداً وأياماً .

وصار شاور وزيراً وتلقب بأمير الجيوش ، وكان ذا شهامة ونجابة وفروسية. ثم ان الضرغام جمع جموعاً كبيرة ونازع شاور في الوزارة ، وفي شهر رمضان ظهر أمره وانهزم شاور منه الى الشام وصار ضرغام وراءه . فكان في هذه السنة مصير ثلاثة وزراء : العادل بن رزيك وشاور وضرغام . فلما تمكن ضرغام من الوزارة ، قتل كثيراً من الامراء المصريين لتخلو له البلاد من منازع . ثم ان شاور لما نازعه ضرغام في الوزارة قصد نور الدين محمود بن زنكي ملتجئاً إليه مستجيراً به ، فأكرم مثواه واحسن إليه وانعم عليه ، وطلب منه إرسال العساكر معه الى مصر ليعود الى منصبه ، ويكون لنور الدين ثلث خراج مصر بعد اقطاعات العساكر ، ويكون شيركوه مقيماً بعساكره في مصر ويتصرف بأمر نور الدين واختياره . فبقي نور الدين يقدم الى هذا العرض رجلاً ويؤخر أخرى ، فتارة تحمله رعاية قصد شاور به وطلب الزيادة في الملك والتقوّي على الفرنج ، وتارة يمنعه خطر الطريق من أجل الفرنج وخوفاً من أن شاور ان استقرت قاعدته ربما لا يفي ؛ ثم قوي عزمه على ارسال الجيوش ، فتقدم بتجهيزها وازاحة عللها . وكان هوى أسد الدين في ذلك وعنده من الشجاعة وقوة النفس ما لا يبالي بمخافة ، فتجهز وساروا جميعاً وشاور صحبتهم في جمادى الأولى سنة تسع وخمسين ، وتقدم نور الدين الى شيركوه أن يعيد شاور الى منصبه وينتقم له ممن نازعه ، ووصل أسد الدين والعساكر الى مدينة بلبيس ، فخرج إليهم ناصر الدين أخو ضرغام بعسكر المصريين ولقيهم فانهزم وعاد الى القاهرة مهزوماً ، ووصل أسد الدين الى القاهرة أواخر جمادى الآخرة ، فخرج الملك المنصور ابو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار الملقب فارس المسلمين اللخمي المنذري – المذكور أول الترجمة – من القاهرة سلخ الشهر ، فقتل عند مشهد السيدة نفيسة وبقي يومين ثم حمل ودفن بالقاهرة . وقتل أخوه ناصر الدين، وخلع

على شاور مستهلّ رجب واعيد الى الوزارة وتمكن منها ، والقصة مشهورة...[1]

وحدث ملك الفرنج نفسه بملك مصر وأخذ بلبيس وحكم عليها ، وكان استقر بينهم وبين المصريين أن يكون لهم بالقاهرة شحنة[2] وتكون أسوارها بيد فرسانهم ليمتنع نور الدين من ايفاد عسكر إليهم ويكون لهم من دخل مصر كل سنة مائة ألف دينار ، وهذا كله استقر مع شاور فان العاضد لم يكن له معه حكم ، قد حجر عليه وحجبه عن الأمور كلها .

وعاد الفرنج الى بلاد الساحل الشامي وتركوا بمصر جماعة من مشاهير فرسانهم . وكان الكامل شجاع بن شاور قد ارسل الى نور الدين مع بعض الأمراء ينهي إليه محبته وولاءه ويسأله الدخول في طاعته ، وضمن على نفسه انه يجمع الكلمة بمصر على طاعته ويبذل مالاً يحمله كل سنة ، فأجابه الى ذلك وحملوا إليه مالاً جزيلاً ، فبقي الأمر على ذلك الى أن قصد الفرنج مصر سنة أربع وستين .

وفي ربيع الاول من هذه السنة ، سار أسد الدين شيركوه الى ديار مصر ومعه العساكر النورية ، وسبب ذلك ما ذكرناه من تمكن الفرنج وانهم جعلوا لهم في القاهرة شحنة وتسلموا ابوابها وجعلوا فيها جماعة من فرسانهم وحكموا على المسلمين حكماً جائراً ، فلما رأوا ذلك وان البلاد ليس فيها من يردهم ، ارسلوا الى ملك الفرنج بالشام ، وهو مري ، ولم يكن للفرنج منذ ظهروا بالشام مثله شجاعةً ومكراً ودهاءً ، يستدعونه ليملكها واعلموه خلوها من ممانع وهونوا عليه أمرها ، فلم يجبهم الى ذلك ، فاجتمع عنده فرسان الفرنج وذوو الرأي وأشاروا عليه بقصدها ، فقال لهم: الرأي عندي أنّا لا نقصدها ، فإنها طعمة لنا وأموالها تساق إلينا نتقوى بها على نور الدين، وان نحن قصدناها لنملكها فإن صاحبها وعساكره وعامة بلاده لا يسلمونها إلينا ويقاتلوننا دونها ويحملهم الخوف على تسليمها الى نور الدين ، وان أخذها وصار له فيها مثل أسد

---

١ تتفق هذه الترجمة مع السابقة بعد ذلك حتى قوله : « فرجع عسكر نور الدين إلى الشام » ، وقد تضمنت النقل عن بهاء الدين ابن شداد والفقيه عمارة والحافظ ابن عساكر .

٢ الشحنة : ذخيرة الحرب .

الدين فهو هلاك الفرنج وإجلاؤهم من ارض الشام ، فلم يقبلوا قوله وقالوا انها لا مانع فيها ولا حامي ، والى ان يجهز نور الدين عسكراً نكون قد ملكناهــا وفرغنا من أمرها وحينئذ يتمنى نور الدين منا السلامة . فسار معهم على كره وشرعوا يتجهزون ويُظهرون أنهم يقصدون مدينة حمص . فلما سمع نور الدين شرع أيضاً في جمع عسكره . وجدّ الفرنج في السير الى مصر ونازلوا مدينــة بلبيس وملكوهــا قهراً ونهبوا فيها وأسروا وسبوا . وكان جماعــة من أعيان المصريين قد كاتبوا الفرنج ووعدوهم النصرة عداوة منهم لشاور، منهم ابن الخياط وابن مرجلة ، فقوي جنان الفرنج بهم ، وساروا من بلبيس الى مصر فنزلوا على القاهرة وحصروها ، فخــاف الناس منهم واقبلوا على الامتنــاع فحفظوا البلد وقاتلوا عليه وبذلوا جهدهم في حفظه . فلو أن الفرنج أحسنوا السيرة في بلبيس لملكوا مصر والقاهرة، ولكن الله حسّن لهم ما فعلوا ليقضي الله أمراً كان مفعولاً . وأمر شاور باحراق مدينــة مصر ، وأمر أهلها بالانتقال منها الى القاهرة وأن ينهب البلد ، فانتقلوا وبقوا على الطرق ونهبت المدينــة وافتقر أهلها وذهبت أموالهم ونعمتهم قبل نزول الفرنج عليهم بيوم أو يومين خوفاً ان يملكها الفرنج، وبقيت النار فيها اربعة وخمسين يومــاً . فأرسل الخليفة العاضد الى نور الدين يستغيث به ويعرفه ضعف المسلمين عن دفع الفرنج ، وأرسل في الكتب شعور النساء وقال : هذه شعور نسائي من قصري تستغيث بــك لتنقذهم من الفرنج . فشرع في تجهيز الجيوش .

وأما الفرنج فانهم اشتدوا في حصار القاهرة وضيقوا على أهلها وشاور هو المتولي للأمر والعساكر والقتال ، فضاق به الأمر وضعف عن ردهم ، فأخذ في إعمال الحيلة ، فأرسل الى ملك الفرنج يعرفه مودته له ومحبته القديمة ، وأن هواه معه لخوفه من نور الدين ومن العاضد، وأن المسلمين لا يوافقونه على التسليم إليه ، وبشر بالصلح على أن يعطيه ألف ألف دينار مصريــة ، يعجل البعض ويؤخر الباقي ، فاستقرت القاعدة على ذلك . ورأى الفرنج أن البلاد قد امتنعت عليهم وربما سلمت الى نور الدين ، فاجابوا الى ذلك فقالوا : نأخذ المال ونتقوى بــه ونعاود البلاد بقوة لا نبــالي معها بنور الدين ، ومكروا ومكر الله والله خير

الماكرين . فعجل لهم شاور مائة ألف دينار وسألهم الرحيل عنهم ليجمع لهم المال ، فرحلوا وشرع شاور يجمع المال من أهل القاهرة ومضى فلم يتحصل له إلا قدر يسير لا يبلغ خمسة آلاف دينار وتنبه أن أهل مصر أُحرقت دورهم بما فيها وما سلم نهب وهم لا يقدرون على الأقوات فضلاً عن الاقساط ، وأما أهل القاهرة فالأغلب فيهم الجند وغلمانهم فلهذا تعذر جمع المال ، وهم في خلال هذا يراسلون نور الدين بما الناس فيه وبذلوا له ثلث خراج ديار مصر وأن يكون اسد الدين مقيماً عندهم في عسكر يكون مقطعاً في الديار المصرية خارجاً عن الثلث المختص به .

فأسرّ نور الدين لأسد الدين بالتجهز الى مصر واعطاه مائتي ألف دينار سوى الثياب والأسلحة والدواب وغير ذلك وحكّمه في العسكر والخزائن ، فاختار من العسكر الفي فارس وأخذ المال وجمع ستة آلاف فارس وسار بهم هو وصلاح الدين ابن أخيه . فلما قرب أسد الدين من مصر رحل الفرنج عنها عائدين إلى بلادهم بخفّي حُنين . فلما وصل أسد الدين الى القاهرة دخل الى العاضد فخلع عليه وعاد الى المخيم بالخلعة وفرح بها أهل مصر وأجريت عليه وعلى عسكره الجرايات الكثيرة والاقامات الوافرة . ولم يمكن شاور المنع من ذلك لأنه رأى العساكر كثيرة مع شيركوه وهوى العاضد معهم ، فلم يتجاسر على إظهار ما في نفسه وشرع يماطل أسد الدين في تقدير ما كان بذل لنور الدين من المال وإقطاع الجند وهو يركب كل يوم إلى أسد الدين ويسير معه ويعده ويمنيه . ثم انه عزم على أن يعمل دعوة يدعو لها أسد الدين وجماعة من الأمراء الذين معه ويقبض عليهم ويستخدم من معهم من الجند فَتَمْنَع بهم البلاد من الفرنج ، فنهاه ابنه الكامل وقال : والله لئن عزمت على هذا لأعرّفن شيركوه ، فقال له أبوه : والله لئن لم نفعل هذا لنُقتلن جميعاً، فقال : صدقت ولكن نُقتل ونحن مسلمون خير من أن نُقتل وقد ملكها الفرنج ، فإنه ليس بينك وبين عود الفرنج الا أن يسمعوا بالقبض على شيركوه ، وحينئذ لو مشى العاضد الى نور الدين لم يرسل معه فارساً واحداً ويملكون البلاد ؛ فترك ما كان عزم عليه .

ولما رأى العسكر النوري مطل شاور خافوا شره ، واتفق صلاح الدين

ومن معــه من الأمراء منهم عز الدين جرديك على قتل شاور ، وأعلموا أسد الدين ، فنهاهم عنه فسكتوا وهم على العزم . فاتفق أن شاور قصد عسكر أسد الدين على عادته في الخيام فلم يجده — وكان قد مضى لزيارة قبر الإمــام الشافعي رضي الله عنه — فمضى إليه ومعه صلاح الدين وجرديــك في جمع من العسكر فساروا جميعاً ، فتناوله صلاح الدين وجرديــك وألقياه الى الأرض عن فرسه ، فهرب عنه أصحابه وأُخذ أسيراً ، ولم يمكنهم قتله بغير أمر أسد الدين ، فوكلوا به وسيروا أعلموا أسد الدين بالحال ، فحضر ولم يمكنه إلا اتمام ما عملوه. وسمع العاضد الخبر فــأرسل الى أسد الدين وطلب إيفـــاد رأس شاور وبايع الرسل بذلك ، فقـُتل كما تقدم في هذه الترجمة .

أما الكامل بن شاور فانه لما قـُتل ابوه دخل إلى القصر هو واخوته معتصمين به فكان آخر العهد بهم . فكان شيركوه يتأسف كيف عدم لانه بلغه ما كان منه مع أبيه في منعــه من قتل شيركوه . وكان يقول : وددت لو بقي لأحسن إليه جزاء الصنيعة .

وصفا الامر لاسد الدين وظهرت السُّنة بالديار المصرية وخطب فيها بعد اليأس للدولة العباسية .

٢٨٦

الأفضل ابن أمير الجيوش

أبو القاسم شاهنشاه الملقب الملك الافضل ابن أمير الجيوش بَدْر الجَمالي .

(50) كان بدر[١] المذكور أرْمنيّ الجنس، اشتراه جمَال الدولة بن عمّار، وتربّى عنده وتقدم بسببه ، وكان من الرجال المعدودين في ذوي الآراء والشهامة وقوة

٢٨٦ - أخبار الأفضل ابن أمير الجيوش في اتعاظ الحنفا : ٢٨١ وما بعدها ، وصفحات متفرقة من الدره المضية (ج ٦) ، وابن الأثير ، والاشارة إلى من نال الوزارة : ٥٧ .

١ انظر أخبار بدر في الاشارة : ٥٥ .

العزم، واستنابه المستنصر صاحب مصر بمدينة صور، وقيل عكا ، فلما ضعف حال المستنصر واختلت دولته – كما سيأتي في ترجمته في حرف الميم إن شاء الله تعالى – وُصِف له بدر الجَمَالي المذكور ، فاستدعاه وركب البحر في الشتاء[1] في وقت لم تجر العادة بركوبه في مثله ، ووصل إلى القاهرة عشية يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الاولى ، وقيل الآخرة ، سنة ست وستين وأربعمائة ، فولاه المستنصر تدبير أموره ، وقامت بوصوله الحرمة وأصلح الدولة ؛ وكان وزير السيف والقلم ، وإليه قضاء القضاة والتقدم على الدعاة ، وساس الامور أحسن سياسة ، ويقال : إن وصوله كان أول سعادة المستنصر وآخر قطوعه[2] ، وكان يلقب « أمير الجيوش » ؛ ولما دخل على المستنصر قرأ قارىء بين يدي المستنصر ﴿ ولقد نصركم الله ببدر ﴾ (آل عمران : ١٢٣) ولم يتم الآية[3] ، فقال المستنصر: لو أتمها ضربت عنقه ، وجاوز ثمانين سنة ، ولم يزل كذلك إلى أن توفي في ذي القعدة، وقيل في ذي الحجة ، سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى.

[قال علقمة العليمي : قصدت بدراً الجمالي بمصر فرأيت الناس وكبراءهم وشعراءهم على بابه قد طال مقامهم ولم يصلوا إليه ؛ قال : فبينا أنا كذلك إذ خرج بدر يريد الصيد ، فخرج علقمة في إثره ، فلما رجع وقف على نشز من الأرض وأومأ برقعة في يده وأنشأ يقول :

نحن التجار وهذه أعلاقنا ... دُرَرٌ ، وجودُ يمينك المبتاعُ
قلّبْ وفتّشها بسمعك إنما ... هي جوهرٌ تختاره الأسماع
كسدت علينا بالشآم وكلما ... قلّ النَّفاق تعطّلَ الصناع
فأتاك يحملها إليك تِجَارها ... ومطيُّها الآمالُ والأطماع
فوهبتَ ما لم يعطه في دهره ... هرمٌ ولا كعبٌ ولا القعقاع
وسبقتَ هذا الناس في طلب العلا ... فالناسُ بعدك كلهم أتباع

[1] أ ج : فركب في الشتاء البحر .
[2] أ ج : خموله ؛ والقطوع : الإدبار والنحس .
[3] تمام الآية : وأنتم أذلة .

ي بدرُ أقسم لو بك اعتصم الورى ولجوا إليك بأسرهم ما ضاعوا

وكان على يد بدر بازيّ فألقاه وانفرد عن الجيش وجعل يستزد الأبيات إلى أن استقر في مجلسه ثم قال لجماعة غلمانه وخاصته : من أحبني فليخلع على هـــذا الشاعر ، فخرج من عنده ومعه سبعون بغلاً تحمل الخِلع وأمر له بعشرة آلاف درهم وخرج من عنده وفرق كثيراً من ذلك على الشعراء][1] .

وهو الذي بنى الجامع الذي بثغر الإسكندريـــة المحروس الذي في سوق العطارين ، وكان فراغه من عمارته في شهر ربيع الأول سنـــة تسع وسبعين وأربعمائة ، وبنى مشهد الرأس بعَسْقَلان .

ولما مرض واشتدّ مرضه في شهر ربيع الأول من سنة سبع وثمانين ، وزر ولده الأفضل المذكور موضعه في حياته ، وقضيته مع نزار بن المستنصر وغلامه أفتكين الأفضلي والي الإسكندرية مشهورة في أخذهما وإحضارهما إلى القاهرة المحروسة ، ولم يظهر لهما خبر بعد ذلك ، وكان ذلك في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة – وكان المستنصر قد مات في التاريخ المذكور في ترجمته ، وأقام الأفضل ولده المستعلي أحمد المقدم ذكره مقامه واستمر على وزارته – فأما أفتكين فإنه قتل ظاهراً ، وأما نزار فيقال : إن أخاه المستعلي أحمد – المقدم ذكره – بنى في وجهه حائطاً فمات ، والله أعلم ، وقد سبق طرف من خبره في ترجمة المستعلي ، وأفتكين كان غلام الأفضل المذكور، ونزار المذكور إليه تنتسب ملوك الإسماعيلية أصحاب الدعوة أرباب قلعة الالموت وما معها من القلاع في بلاد العجم .

وكان الأفضل المذكور حَسَنَ التدبير فَحْل الرأي ، وهو الذي أقام الآمر ابن المستعلي موضع أبيه في المملكة بعد وفاة أبيه كما فعل مع أبيه ، ودبر دولته وحجر عليه ومنعه من ارتكاب الشهوات ، فإنه كان كثير اللعب – كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى – فحمله ذلك على أن عمل على قتله ، فأوثب عليه جماعة ، وكان يسكن بمصر في دار الملك التي على بحر النيـــل ، وهي اليوم دار الوكالة ، فلما ركب من داره المذكورة وتقدم إلى ساحل البحر وثبوا عليـــه

[1] زيادة من ص وحدها .

فقتلوه ، وذلك في سَلْخ رمضان المعظم عشية يوم الأحد سنة خمس عشرة وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

وهو والد أبي علي أحمد بن شاهنشاه – الآتي ذكره في ترجمة الحافظ أبي الميمون عبد المجيد العُبَيْدِي صاحب مصر ، وما اعتده في حقه إن شاء الله تعالى – .

وقد تقدم في ترجمة المستعلي أحمد صاحب مصر وفي ترجمة أرتق التركماني طرَفٌ من حديث الأفضل المذكور وما فعل في أخذ القدس من سكمان وإيل غازي ابني أرتق التركماني .

ثم رأيت بعد ذلك في كتاب « الدول المنقطعة » في ترجمة المستعلي شيئاً آخر فألحقته هاهنا ، فإنه قال : إن الأفضل تسلم القدس في يوم الجمعة لخمس بقين من شهر رمضان من سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ، وولّى فيه من قبله ، فلم يكن لمن فيه طاقة بالفرنج ، فأخذوه بالسيف في شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، ولو تُرك في يد الأرتقية لكان أصلح للمسلمين ، فندم الأفضل حين لم ينفعه الندم.

وخلف الأفضل من الأموال ما لم يُسْمَع بمثله[1] ؛ قال صاحب « الدول المنقطعة »: خلف ستمائة ألف ألف دينار عيناً ، ومائتين وخمسين إردبّاً دراهم نقد مصر ، وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج أطلس ، وثلاثين راحلة أحقاق ذهب عراقي ، ودواة ذهب فيها جوهر قيمته اثنا عشر ألف دينار ، ومائة مسمار من ذهب وزن كل مسمار مائة مثقال ، في عشرة مجالس في كل مجلس عشرة مسامير على كل مسمار منديل مشدود مذهب بلون من الألوان أيما أحب منها لبسه ، وخمسمائة صندوق كسوة لخاصّه من دق تِنّيسَ ودمياط ، وخلف من الرقيق والخيل والبغال والمراكب والطيب والتجمل والحلي ما لم يعلم قدره إلا الله سبحانه وتعالى ، وخلف خارجاً عن ذلك من البقر والجواميس والغنم ما يُستحيا من ذكر عدده ، وبلغ ضمان ألبانها في سنة وفاته ثلاثين ألف دينار ، ووجد في تركته صندوقان كبيران فيهما إبر ذهب برسم النساء والجواري .

---

١ المسودة : بمثلها .

٢٨٧

شاهنشاه بن أيوب

الأمير نور الدولة شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان ، أخو السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى ؛ كان أكبر الإخوة ، وهو والد عز الدين فَرُّوخ شاه والد الملك الأمجد صاحب بعلبك ووالد الملك المظفر تقي الدين عمر صاحب حماة — وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى — .

وقتل شاهنشاه المذكور في الواقعة التي اجتمع فيها الفرنج سبعمائة ألف ما بين فارس وراجل على ما يقال ، وتقدموا إلى باب دمشق ، وعزموا على قصد بلاد المسلمين قاطبة ، ونصر الله سبحانه وتعالى عليهم ، وكان قتله في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى .

(51) [وفي من خرج إلى القتال واستشهد الفقيه حجة الدين يوسف بن درباس الفندلاوي المغربي ، وكان شيخاً كبيراً فقيهاً عالماً زاهداً صالحاً ، فلما رآه معين الدين مقدّم العسكر وهو راجل قصده وسلم عليه وقال : يا شيخ ، أنت معذور لكبر سنك ، ونحن نقوم بالذبّ عن المسلمين ، وسأله أن يعود فلم يفعل وقال له : قد بعتُ واشتريَ مني ، فوالله لا أُقيله ولا أستقيله ، يريد قوله تعالى ﴿ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ (التوبة : ١١١) وتقدم فقاتل الفرنج إلى أن قُتل عند النيرب . ورئي الفندلاوي في النوم فقيل له : ما فعل الله بك وأين أنت ؟ فقال : غفر لي وأنا في جنات عدن على سرر متقابلين ، رحمه الله تعالى][1] .

(52) وأما عز الدين أبو سعيد فَرُّوخ شاه[2] فكان يُنْعَت بالملك المنصور ، وكان

---

١ زيادة من ص وحدها ، وانظر الباهر : ٨٩ .

٢ له دور في الحروب الصليبية أيام ولايته على دمشق إذ غلب الهنفري سنة ٥٧٤ وفي السنة التالية أعطاه صلاح الدين بعلبك وبعد سنتين (٥٧٧) استنابه بدمشق فخرج إلى طبرية وعكا ودبورية=

سَرياً نبيلاً جليلاً ، واستخلفه السلطان صلاح الدين بدمشق لما عاد إلى الديار المصرية من الشام ، فقام بضبط أمورها وإصلاح أحوالها أحسن قيام ، ثم توفي في آخر جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بدمشق ، هكذا قال العماد الأصبهاني في « البرق الشامي » ، وقال ابن شداد في « سيرة صلاح الدين » : إن السلطان بلغه وفاة ابن أخيه عز الدين فَرُّوخ شاه في رجب سنة سبع وسبعين والعماد أخبر بذلك ، والله أعلم .

(53) وكان لشاهنشاه المذكور بنت تسمى عذرا وهي التي بنت المدرسة العذراوية بمدينة دمشق ، وإليها تنسب ، وماتت عذرا المذكورة عاشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة .

(54) وأما الملك الأمجد مجد الدين أبو المظفر بهرام شاه بن فَرُّوخ شاه[1] فإن صلاح الدين أبقى عليه بعلبك ، وكان فيه فضل وله ديوان شعر ، وأخذ الأشرف بن العادل منه بعلبك فانتقل إلى دمشق ، وقتله مملوكه في داره ليلة الأربعاء ثاني عشر شوال سنة ثمانٍ وعشرين وستمائة[2] .

= والتقى بهم في معركة كان النصر فيها حليفه ، وعاد إلى دمشق ، وتوفي سنة ٥٧٨ (انظر ترجمته في مرآة الزمان : ٣٧٢ والخريدة مقدمة قسم الشام : ١١٣) .

١ أبقاه صلاح الدين في بعلبك بعد وفاة والده ، وشارك سنة ٥٩٤ في صد هجوم الفرنج على تبنين ، وأقام ببعلبك حتى سنة ٦٢٧ حيث حصره الأشرف وأخرجه منها بمساعدة شيركوه صاحب حمص . وكان المملوك الذي قتله قد اتهم بسرقة أشياء ثمينة (مرآة الزمان : ٦٦٦ - ٦٦٨) وهذه الفقرة عن الأمجد لم ترد في م .

٢ في النسخ ما عدا د : ٦٠٨ ، وهو خطأ .

٢٨٨

شبيب الخارجي

أبو الضحاك شَبِيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو بن الصلب بن قيس بن شَراحيل بن مُرَّة بن همام بن ذهل بن شَيْبَان بن ثعلبة – وبقية النسب معروف – الشيباني الخارجي ؛ كان خروجه في خلافة عبد الملك بن مروان ، والحجاج بن يوسف الثقفي بالعراق يومئذ ، وخرج بالموصل ، فبعث إليه الحجاج خمسة قُوَّاد ، فقتلهم واحداً بعد واحد ، ثم خرج من الموصل يريد الكوفة ، وخرج الحجاج من البصرة يريد الكوفة أيضاً ، وطمع شبيبٌ أن يلقاه قبل أن يصل إلى الكوفة ، فأقحم الحجاج خيله فدخلها قبله ، وذلك في سنة سبع وسبعين للهجرة ، وتحصن الحجاج في قصر الإمارة ، ودخل إليها شبيب وأمه جَهِيزَة وزوجته غَزَالة عند الصباح ، [فوجد باب القصر مغلقاً والحجاج فيه ، فقتل الحرس ثم دنا من الباب فعالجه هو وأصحابه فأعياهم فتحه ، فضربه شبيب بعمود كان في يده فنقب الباب ، فيقال إن ذلك النقب لم يزل في الباب إلى أن خرب قصر الإمارة وفيه ضربة شبيب][1] . وقد كانت غزالة نذرَتْ أن تدخل مسجدَ الكوفة فتصلي فيه ركعتين تقرأ فيهما سورة البقرة وآل عمران ، فأتوا الجامع في سبعين رجلاً فصلّت فيه الغداة وخرجت من نذرها [فقيل فيها :

وفت الغزالة نذرها يا رب لا تغفر لها][2]

وكانت غزالة من الشجاعة والفروسية بالموضع العظيم ، وكانت تقاتل في

---

٢٨٨ - وردت أخبار شبيب الخارجي مفصلة في الطبري وابن الاثير واليعقوبي وابن خلدون والبداية والنهاية (٩ : ٢٠) .

١ زيادة من ص وحدها .

٢ زيادة من ص وحدها .

الحروب بنفسها ، وقد كان الحجاج هرب في بعض الوقائع مع شبيب من غزالة فعيره ذلك بعضُ الناس بقوله[1] :

أسدٌ عليّ وفي الحروب نَعامـةٌ   فَتْخاءُ تَنفِر من صفير الصّافِرِ
هَلاّ برزْتَ إلى غزالة في الوَغى   بل كان قلبك في جَناحَيْ طائِرِ

وكانت أُمه جهيزة أيضاً شُجاعة تشهد الحروب[2] ، وكان شبيب قد ادعى الخلافة ، ولما عجز الحجاج عن شبيب بعث عبد الملك إليه عساكر كثيرة من الشام عليها سفيان بن الأبرد الكلبي ، فوصل إلى الكوفة ، وخرج الحجاج أيضاً وتكاثروا على شبيب فانهزم وقُتِلت غزالة وأُمه ونجا شبيب في فوارس من أصحابه ، واتبعه سفيان في أهل الشام ، فلحقه بالأهواز فولّى شبيب فلما حصل على جسر دُجَيْل نفر به فرسه وعليه الحديد الثقيل من دِرْع ومِغفر وغيرهما فألقاه في الماء فقال له بعض أصحابه : أغَرَقاً يا أمير المؤمنين ؟ قال : ذلك تقدير العزيز العليم ، فألقاه دُجَيل ميتاً في ساحله ، فحُمل على البريد إلى الحجاج ، فأمر الحجاجُ بشق بطنه واستخراج قلبه ، فاستُخرج فإذا هو كالحجر إذا ضُرب به الأرض نبا عنها ، فشُقّ فكان في داخله قلب صغير كالكرة ، فشُقّ فأصيب علقة الدم في داخله .

وقال بعضهم : رأيت شبيباً وقد دخل المسجد وعليه جُبّة طيالسة عليها نَقط من أثر المطر ، وهو طويل أشمط جَعْد آدم ، فجعل المسجد يرتج له .

وكان مولده يوم عيد النحر سنة ست وعشرين للهجرة ، وغرق بدُجَيل كما تقدم سنة سبع وسبعين للهجرة ، رحمه الله تعالى .

---

١ ج : اسامة بن زيد البجلي ؛ والشعر ينسب لعمران بن حطان (شعر الخوارج : ٢٥ وتخريجها ص : ١٥٦) .

٢ زاد في أ هنا :
وبلغنا أنه كان ينعى إليها في وقائعه فلا تصدق حتى بلغها أنه غرق في دجيل فسكتت ، وقالت : الآن علمت انه قد هلك ، فقيل لها : وكيف ذلك ؟ فقالت : لأني رأيت عند حملي به ان شهاباً قد خرج مني فبلغ أقطار الأرض وعنان السماء وليس يطفىء النار غير الماء فلذلك صدقت بذهابه .

(55) ولما غرق أُحضر إلى عبد الملك رجل يرى رأي الخوارج وهو عِتْبان الحَرُوري ابن أصيلة ، ويقال وصيلة ، وهي أُمه ، وهي من بني محلّم وهو من بني شيبان من شراة الجزيرة ، وقد عمل قصيدة وهي أبيات عديدة ذكرها المرزباني في « المعجم » فقال له : ألست القائل[1] يا عدوّ الله :

فإنْ يَكُ منكم كانَ مَرْوانُ وابنُهُ وعَمْرو ومنكم هاشمٌ وحبيبُ
فمنّا حُصينٌ والبَطِينُ وقَعْنبٌ ومنّا أميرُ المؤمنين شَبيبُ

فقال : لم أقل كذا يا أمير المؤمنين ، وإنما قلت :

ومنّا أميرَ المؤمنين شبيبُ

فاستحسن قوله ، وأمر بتخلية سبيله .

وهذا الجواب في نهاية الحسن ، فإنه إذا كان « أمير » مرفوعاً كان مبتدأ فيكون شبيب أمير المؤمنين ، وإذا كان منصوباً فقد حذف منه حرف النداء ومعناه يا أمير المؤمنين منا شبيب ، فلا يكون شبيب أمير المؤمنين ، بل يكون منهم .

وذكر الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر الدمشقي في « تاريخ دمشق » في أواخر كتابه المذكور في جملة تراجم أرباب الكُنى ما مثاله : أبو المنهال الخارجي ، شاعر وفد على عبد الملك بن مروان مستأمناً بعدما كان قال لعبد الملك[2] :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة وذو النصح لو يُدْعى إليه قريبُ
فلا صُلْحَ ما دامت منابر أرضنا يقوم عليها من ثقيفَ خطيب

١ معجم المرزباني : ٢٦٦ وشعر الخوارج : ٦٣ ، وعتبان هو ابن شراحيل بن شريك بن عبد الله بن الحصين الشيباني .

٢ مختصر تاريخ دمشق ٢٩ : ١٣٢ وأوردها المسعودي في المروج ٥ : ٤٤١ (ط. باريس) منسوبة لصقلة بن عتبان .

وإنكَ إنْ لا تُرْضِ بكر بن وائل   يَكُنْ لك يومٌ بالعراق عصيب

وبعد هذه الأبيات الثلاثة البيتان المذكوران . وأبو المنهال كنية عِتْبان بن وصيلة المذكور . وقوله « من ثقيف خطيب » يريد به الحجاج بن يوسف الثقفي المقدم ذكره .

وجَهيزة : بفتح الجيم وكسر الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الزاي وبعدها هاء ساكنة ، وهي التي يُضرب بها المثل في الحمق فيقال « أحمق من جهيزة » ، ذكر ذلك يعقوب بن السِّكِّيت في كتاب « إصلاح المنطق » في باب ما تضعه العامة في غير موضعه[1] ، وقال : كان أبو شبيب من مهاجرة الكوفة ، فغزا سلمان بن ربيعة الباهلي في سنة خمس وعشرين للهجرة ، فأتوا الشام ، فأغاروا على بلاد وأصابوا سَبْياً وغنموا ، وأبو شبيب في ذلك الجيش، فاشترى جارية من السبي حمراء طويلة جميلة ، فقال لها : أسْلِمي ، فأبت ، فضربها فلم تُسلم ، فواقعها فحملت ، وتحرك الولد في بطنها فقالت : في بطني شيء ينقز[2] ، فقيل : أحمق من جهيزة، ثم أسلمت فولدت شبيباً سنة ست وعشرين يوم النحر، فقالت لمولاها : إني رأيت قبل أن ألد كأني ولدتُ غلاماً فخرج مني شهاب من نار فسطع بين السماء والأرض ثم سقط في ماءٍ فخبا ، وقد ولدته في يوم أريق فيه الدماء وقد زَجَرْتُ أن ابني يعلو أمره ويكون صاحب دماء يهريقها؛ هذا آخر كلام ابن السكيت .

ودُجَيْل : بضم الدال المهملة وفتح الجيم وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام ، وهو نهر عظيم بنواحي الأهواز وتلك البلاد ، عليه قرى ومدن ، ومخرجه من جهة أصبهان، وحفره أردشير بن بابك أوّل ملوك بني ساسان ملوك الفرس بالمدائن ، وهو غير دُجَيْل بغداد فإن ذلك مخرجه من دجلة مقابل القادسية في الجانب الغربي بين تكريت وبغداد ، عليه كورة عظيمة .

وعِتْبان : بكسر العين المهملة وسكون التاء المثناة من فوقها وفتح الباء

---

١ انظر اصلاح المنطق : ٣٢٤ .

٢ ينقز : يثب ، وفي المسودة « ينقر » بالراء المهملة ، وهو كذلك في بعض أصول ابن السكيت.

الموحدة وبعد الألف نون .

والحَروري : بفتح الحاء المهملة وضم الراء وسكون الواو وبعدها راء ، هذه النسبة إلى حَرُوراء ، بالمد ، وهي قرية بناحية الكوفة ، كان أوّل اجتماع الخوارج بها فنسبوا إليها .

٢٨٩

شبيب بن شيبة

أبو معمر شبيب بن شيبة الخطيب المنقري البصري ؛ حدث عن الحسن ومعوية بن قرة وعطاء بن أبي رباح وغيرهم ، وروى عنه عيسى بن يونس وأبو بدر شجاع بن الوليد وغيرهما ، وكان له لسن وفصاحة . وقدم بغداد في أيام المنصور فاتصل به وبالمهدي من بعده ، وكان كريماً عليهما أثيراً عندهما .

---

٢٨٩ - انفردت النسخة ص بهذه الترجمة ؛ وشبيب بن شيبة من مشاهير الخطباء ، كانت بينه وبين خالد بن صفوان منافسة ، لما اتفق لهما من المشاركة في الصناعة والقرابة والمجاورة ، وكان يقال لولا أنهما أحكم تيم لتباينا تباين الأسد والنمر (البيان ١ : ٤٧) وقد قيل : ان أي خطيب بلدي يكون في أول أمره متكلفاً مستثقلاً الى أن يحرز الاجادة بالدربة ؛ إلا شبيب بن شيبة فانه ابتدأ بحلاوة ورشاقة وسهولة وعذوبة ، حتى صار ايجازه يغني عن اسهاب المكثرين (١ : ١١٢ - ١١٣) ؛ وقد نسب إليه الجاحظ مقامه بين يدي المنصور لما خطب صالح بن المنصور فأحسن (راجع الترجمة رقم ٢٣٥ في هذا الكتاب) . ومن أقواله : « اطلب الأدب فإنه دليل على المروءة وزيادة في العقل وصاحب في الغربة وصلة في المجلس » (١ : ٣٥٢) وله نصائح في البلاغة تدل على ذوق أدبي وقدرة نقدية منها : « الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه ، وأنا موكل بتفضيل جودة القطع وبمدح صاحبه . وحظ جودة القافية وان كانت كلمة واحدة أرفع من حظ سائر البيت » . وقوله في نصحه للخطيب : « فإن ابتليت بمقام لا بد لك فيه من الاطالة فقدم إحكام البلوغ في طلب السلامة من الخطل قبل التقدم في إحكام البلوغ في شرف التجويد ، وإياك أن تعدل بالسلامة شيئاً ، فإن قليلاً كافياً خير من كثير غير شاف » (١ : ١١٢) . وانظر ترجمته في تاريخ بغداد ٩ : ٢٧٤ .

قال شبيب : كنت أسير في موكب أمير المؤمنين أبي جعفر فقلت : يا أمير المؤمنين رويداً فإني أمير عليك ، فقال : ويلك ، أمير علي؟ قلت : نعم ، حدثني معاوية بن قرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقطف القوم دابة أميرهم ، فقال أبو جعفر : [أعطوه دابة فهو] أهون من أن يتأمر علينا .

وقال أيضاً : قال لي أبو جعفر وكنت في سمّاره : يا شبيب عظني وأوجز ، فقلت : يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قسم الدنيا فلم يرض لك إلا بأرفعها وأشرفها فلا ترض لنفسك من الآخرة إلا مثل الذي رضي لك من الدنيا ، وأوصيك بتقوى الله عز وجل فإنها عليكم نزلت وعنكم أقبلت واليكم صدرت . قال : لقد أوجزت وقصرت . قلت : والله لئن قصرت فما بلغت كنه النعمة فيك .

وخرج شبيب من دار المهدي فقيل له : كيف تركت الناس ؟ قال : تركت الداخل راجياً والخارج راضياً .

وقال حماد بن سلمة : كان شبيب بن شيبة يصلي بنا في المسجد الشارع في مربعة أبي عبيد الله ، فصلّى يوماً الصبح فقرأ بالسجدة و ﴿هل أتى على الإنسان﴾ فلما قضى الصلاة قام رجل فقال : لا جزاك الله عني خيراً فإني كنت غدوت لحاجة فلما أقيمت الصلاة دخلت أصلي فأطلتَ حتى فاتتني حاجتي . قال : وما حاجتك ؟ قال : قدمت من الثغر في شيء من مصلحته وكنت وعدت البكور إلى الخليفة لأتنجز ذلك ، قال : فأنا أركب معك ، وركب معه ودخل على المهدي فأخبره الخبر وقصَّ عليه القصة ، قال : فتريد ماذا ؟ قال : قضاء حاجته ، فقضى حاجته وأمر له بثلاثين ألف درهم فدفعها الى الرجل ، ودفع له شبيب من ماله أربعة آلاف درهم وقال له : لم تضرك يا أخي السورتان .

وقال الأصمعي : كان شبيب بن شيبة رجلاً شريفاً يفزع إليه أهل البصرة في حوائجهم ، وكان يغدو في كل يوم ويركب ، فإذا أراد أن يغدو أكل من الطعام شيئاً ثم يركب ، فقيل له : إنك تباكر الغداء ، فقال : أجل أطفىء به فورة الجوع وأقطع به خلوف فمي وأبلغ به في قضاء حاجتي ، فاني وجدت خلاء الجوف وشهوة الطعام يقطعان الحكيم عن بلوغ حاجته ويحمله ذلك على

التقصير فيما به الحاجة ، وإني رأيت النهم لا مروءة له ، ورأيت الجوع داءً ، فخذ من الطعام ما يُذهب عنك النهم وتداوي به الداء .

قيل إن شبيباً أتى سليمان بن علي الأمير في حاجة ، فقال له سليمان : قد حلفت أني لا أقضي هذه الحاجة ، فقال : أيها الأمير إن كنت لم تحلف بيمين قط فحنثت فيها فما أحب أن أكون أول من أحنثك ، وإن كنت ترى غيرها خيراً منها فكفّر ، فقال : أستخير الله ، ثم قضاها .

وكان يقول : من سمع كلمة يكرهها فسكت انقطع عنه ما يكره ، فإن أجاب سمع أكثر مما يكره[1] .

٢٩٠

القاضي شريح

أبو أُمية شُريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر بن الرائش ابن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرَتّع – بتشديد التاء المثناة من فوقها وكسرها – الكندي ، وثور بن مُرَتّع هو كِنْدَة ، وفي نسبه اختلاف كثير ، وهذه الطريق أصحها[2] ؛ كان من كبار التابعين ، وأدرك الجاهلية ، واستقضاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الكوفة ، فأقام قاضياً خمساً وسبعين سنة لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين امتنع فيها من القضاء في فتنة ابن الزبير ، واستعفى الحجاج بن يوسف من القضاء فأعفاه ، ولم يقض بين اثنين حتى مات .

---

١ قلت : ليست هذه الترجمة على شرط المؤلف لأنه لم يحدد السنة التي توفي فيها شبيب .

٢٩٠ – ترجمة القاضي شريح في طبقات ابن سعد ٦ : ١٣١ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ٢١ وحلية الأولياء ٤ : ١٧٢ والشذرات ١ : ٨٥ والمعارف : ٤٣٣ وتذكرة الحفاظ : ٥٩ والعقد ١ : ٨٩ – ٩١ ، ٥ : ١٠ .

٢ هذا هو النسب الذي أورده ابن سعد أيضاً .

وكان أعلم الناس بالقضاء ، ذا فطنة وذكاء ومعرفة وعقل ورصانة ، قال ابن عبد البر : وكان شاعراً محسناً ، وهو أحد السادات الطُّلْس ، وهم أربعة : عبد الله بن الزبير، وقيس بن سعد بن عبادة ، والأحنف بن قيس الذي يُضرب به المثل في الحلم ، والقاضي شُرَيْح المذكور . والأطلس : الذي لا شَعْر في وجهه .

وكان مَزّاحاً ، دخل عليه عَدِيّ بن أرْطَاة فقال له[1] : أين أنت أصلحك الله ؟ فقال : بينك وبين الحائط ، قال : استمع مني ، قال : قل أسمع ، قال : إني رجل من أهل الشام ، قال : مكان سَحيق ، قال : تزوجت عندكم ، قال : بالرفاء والبنين ، قال : وأردت أن أرحلها[2] ، قال : الرجل أحق بأهله ، قال: وشرطت لها دارها ، قال : الشرط أملك ، قال : فاحكم الآن بيننا ، قال : قد فعلت ، قال : فعلى من حكمت ؟ قال : على ابن أمك ، قال : بشهادة من؟ قال : بشهادة ابن أخت خالتك[3] .

---

١ العقد ١ : ٩٠ .

٢ ص : ادخل بها .

٣ زاد هنا في أ ما نصه :

حدث أبو جعفر المدني عن شيخ من قريش قال : عرض شريح ناقة ليبيعها فقال له المشتري: يا أبا أمية كيف لبنها ؟ قال: احلب في أي اناء شئت ، قال : كيف الوطا ؟ قال : افرش ونم، قال : كيف نجاؤها ؟ قال : اذا رأيتها في الإبل عرفت مكانها ، علّق سوطك ونم ، قال : كيف قوتها ؟ قال : احمل على الحائط ما شئت ، فاشتراها فلم ير شيئاً مما وصفها به ، قال : ما كذبتك ، قال : اقلني ، قال : نعم .

وقيل تقدم رجلان الى شريح فاعترف أحدهما بما ادعي عليه وهو لا يعلم بذلك فقضى عليه، فقال الرجل : تقضي علي من غير بينة ؟ فقال : قد شهد عندي الثقة ، قال : ومن هو ؟ قال : ابن أخي عمك ؛ وقد ألم بهذا المعنى أبو عبد الله الحسين بن الحجاج المقدم ذكره في قوله :

وان قدموا خيلهم للركوب ... خرجت فقدمت لي ركبتي
وفي جمل النـاس غلمانهم ... وليس سوى أنا في جملتي
ولا لي غـلام فأدعى به ... سوى من أبوه أخو عمتي

وقال الأشعث بن قيس لشريح : ما أشد ما ارتفعت ! قال : فهل ضرك ذلك ؟ قال : لا ، قال : فأراك تعرف نعمة الله عليك وتجهلها في نفسك .

وحدث محمد بن سعد عن عامر الشعبي أن ابناً لشريح قال لأبيه: ان بيني وبين قوم خصومة=

وروي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه دخل مع خصم له ذمي إلى القاضي شريح فقام له ، فقال : هذا أول جورك ، ثم أسند ظهره إلى الجدار وقال : أما إن خصمي لو كان مسلماً لجلست بجنبه .

وروي أن علياً رضي الله عنه قال : اجمعوا لي القراء ، فاجتمعوا في رحبة المسجد ، فقال : إني أوشك أن أفارقكم ، فجعل يسائلهم : ما تقولون في كذا؟ ما تقولون في كذا ؟ وشريح ساكت ، ثم سأله ، فلما فرغ منهم قال : اذهب فأنت من أفضل الناس ، أو من أفضل العرب .

وتزوج شريح امرأة من بني تميم تسمى زينب ، فنَقم عليها شيئاً فضربها ، ثم ندم وقال :

رأيتُ رجالاً يضربون نساءهم ... فشُلَّتْ يميني يوم أضرب زَينبا
أأضربُها من غير ذنب أتت به ... فما العدل مني ضَرْبُ من ليس مذنبا
فزينبُ شمسٌ والنساء كواكب ... إذا طلعت لم تُبْقِ منهن كوكبا

هكذا ذكر هذه الحكاية صاحب « العقد »[1] .

ويروى أن زياد بن أبيه كتب إلى معاوية[2] : « يا أمير المؤمنين ، قد ضبطت لك العراق بشمالي ، وفرّغت يميني لطاعتك ، فولني الحجاز » ، فبلغ ذلك عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما ، وكان مقيماً بمكة ، فقال : اللهم اشغل عنا يمين زياد ، فأصابه الطاعون في يمينه ، فجمع الأطباء واستشارهم ، فأشاروا عليه بقطعها ، فاستدعى القاضي شريحاً وعرض عليه ما أشار به الأطباء ، فقال له : لك رزق معلوم وأجل مقسوم وإني أكره إن كانت لك مدة أن تعيش في الدنيا بلا يمين ،

= فانظر فإن كان الحق لي خاصمت وإن لم يكن لي الحق لم أخاصمهم ، فقص قصته عليه فقال : انطلق فخاصمهم ، فانطلق اليهم فتخاصموا اليه ، فقضى على ابنه ، فقال له لما رجع الى أهله : والله لو لم أتقدم اليك لم ألمك ، فقال : والله يا بني لأنت أحب الي من ملء الأرض مثلهم ولكن الله أعز علي منك ، خشيت أن أخبرك ان القضاء عليك فتصالحهم ببعض حقهم .

١ العقد ٥ : ٢٩٠ ، ٦ : ٩٤ .

٢ انظر طرفاً منها في العقد ٥ : ١٢ .

وإن كان قد دنا أجلك أن تلقى ربك مقطوع اليد فإذا سألك: لم قطعتها؟ قلت: بغضاً في لقائك وفراراً من قضائك . فمات زياد من يومه ، فلام الناس شريحاً على منعه من القطع ، لبغضهم له ، فقال : إنه استشارني والمستشار مؤتمن ، ولولا الأمانة في المشورة لوددت أنه قطع يده يوماً ورجله يوماً وسائر جسده يوماً يوماً .

[وكتب شريح إلى أخ له هرب من الطاعون : أما بعد فإنك أنت الذي بعين من لا يُعْجزه من طلب ولا يفوته من هرب، والمكان الذي خلفته لم يعجل امرءاً حِمامه ولم يظلمه أيامه ، وانك وإياهم لعلى بساط واحد ؛ إن المنتجع من غير ذي قدرة لقريب والسلام .

وعن الشعبي قال : شهدت شريحاً وجاءته امرأة تخاصم رجلاً فأرسلت عينيها فبكت ، فقلت أنا : ما اظن هذه البائسة إلا مظلومة ، فقال : يا شعبي ان إخوة يوسف عليه السلام جاءوا اباهم عِشاء يبكون .

وسئل شريح عن الحجاج : أكان مؤمناً ؟ قال : نعم ، بالطاغوت ، كافراً بالله تعالى][1] .

وكانت وفاة القاضي شُرَيح سنة سبع وثمانين للهجرة وهو ابن مائة سنة ، وقيل سنة اثنتين وثمانين ، وقيل سنة ثمان وسبعين ، وقيل سنة ثمانين ، وقيل سنة تسع وسبعين ، وقيل سنة ست وسبعين ، وهو ابن مائة وعشرين سنه ، وقيل مائة وثماني سنين ، رضي الله عنه .

والكِندي : بكسر الكاف وسكون النون وبعدها دال مهلة ، هذه النسبة إلى كِنْدَة ، وهو ثور بن مُرَتّع بن مالك بن زيد بن كهلان ، وقيل ثور بن عُفَير بن الحارث بن مرة بن أدد ، وسمي كِندة لأنه كَنَدَ أباه نعمته : أي كفرها .

---

١ زيادة من ص وحدها .

٢٩١

القاضي شريك النخعي

أبو عبدالله شريـــك بن عبد الله بن أبي شريك وهو الحــارث بن أوس بن الحارث بن الأذهل بن وهبيل بن سعد بن مالك بن النخع النخعي ، وبقية النسب في ترجمة إبراهيم النخعي في أول هذا الكتاب ؛ تولى القضاء بالكوفة أيام المهدي ، ثم عزله موسى الهــادي . [أدرك عمر بن عبد العزيز وسمع أبا اسحاق السبيعي ومنصور بن المعتمر وعبد الملك بن عمير وسمــاك بن حرب وغيرهم ، وروى عنه عبد الله بن المبارك وعبــاد بن العوام ووكيـع بن الجراح وغيرهم ؛ وكان شريك ولد ببخارى من أرض خراسان ، وكان جده قد شهد القادسية][1] .

وكان عالماً فهماً ذكياً فطناً ، حكم يوماً على وكيل عبد الله بن مصعب[2] بحكم لم يوافق هوى عبد الله ، فالتقى شريــك بن عبد الله وعبد الله بن مصعب بحضرة المهدي فقــال عبد الله بن مصعب لشريك : ما حكمت على وكيلي بالحق ، قال : ومن أنت ؟ قال : من لا ينكر . قال : قد نكرتك أشد النكير ، قال : أنا عبد الله بن مصعب ، قال : لا كبير ولا طيب ، قال: وكيف لا تقول ذلك وأنت تتنقّص الشيخين ؟! قــال : ومن الشيخان ؟ قال : أبو بكر وعمر رضي الله

---

٢٩١ - ترجمة القاضي شريك في تاريخ بغداد ٩ : ٢٧٩ وطبقات الشيرازي، الورقة : ٢٣ وتذكرة الحفاظ : ٢٣٢ وميزان الاعتدال ٢ : ٢٧٠ والبداية والنهاية ١٠ : ١٧١ والمعارف : ٥٠٨ ورجال ابن حبان : ١٧٠ ، وله أخبار في العقد (جـ ٢ ، ٤) .

١ زيادة من ص وحدها .

٢ هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير والد مؤلف « نسب قريش » ، صحب المهدي ومن بعده الهادي والرشيد وتوفي سنة ١٨٤ بالرقة ، وكان المهدي استعمله على اليمامة واستعمله الرشيد على المدينة ثم على اليمن (نسب قريش : ٢٤٢ وجمهرة الزبير بن بكار : ١٢٤ - ١٥٦) .

عنها ، قال : والله ما أتنقص جدك وهو دونها فكيف أتنقصها ؟[1] .

وذُكِر معاوية بن أبي سفيان عنده ووُصِفَ بالحلم ، فقال شريك : ليس بحليم من سفّه الحق وقاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وخرج شريك يوماً إلى أصحاب الحديث ليسمعوا عليه ، فشموا منه رائحة النبيذ ، فقالوا له : لو كانت هذه الرائحة منا لاستحيينا ، فقال : لأنكم أهلُ ريبَةٍ .

ودخل يوماً على المهدي فقال له : لا بد أن تجيبني إلى خصلة من ثلاث خصال، قال : وما هن يا أمير المؤمنين ؟ قال : إما أن تلي القضاء أو تحدث ولدي وتعلمهم أو تأكل عندي أكلة ، وذلك قبل أن يلي القضاء ، فأفكر ساعة ثم قال : الأكلة أخفها على نفسي ، فأجلسه وتقدم إلى الطباخ أن يصلح له ألواناً من المخ المعقود بالسكر الطبرزذ والعسل وغير ذلك ، فعمل ذلك وقدمه إليه فأكل ، فلما فرغ من الأكل قال له الطباخ : والله يا أمير المؤمنين ليس يُفْلح الشيخ بعد هذه الأكلة أبداً ؛ قال الفضل بن الربيع : فحدّثهم والله شريك بعد ذلك ، وعلّم أولادهم وولي القضاء لهم .

ولقد كتب له برزقه على الصيرفي فضايقه في النقد ، فقال له الصيرفي : إنك لم تبع به بزًّا ، فقال له شريك : بل والله بعت أكثر من البز ، بعت به ديني .

[وقال يحيى بن اليمان[2] : لما ولي شريك القضاء أُكره على ذلك وأُقعد معه جماعة من الشرط يحفظونه ، ثم طاب للشيخ فقعد من نفسه ، فبلغ سفيان الثوري انه قعد من نفسه فجاء فتراءى له ، فلما رأى الثوري قام إليه فعظمه وأكرمه ثم قال : يا أبا عبد الله ، هل من حاجة ؟ قال : نعم ، مسألة ، قال : أوَليس عندك من العلم ما يجزئك ؟ قال : أحببت أن أذكرك بها ، قال : قل،

---

١ وردت هذه الفقرة موجزة كثيراً في ر والمسودة ، وهي موافقة لما في تاريخ بغداد : ٢٨٧ ، وفي المسودة : « جرى بينه وبين مصعب بن عبد الله الزبيري كلام بحضرة المهدي فقال له مصعب : أنت تتنقص أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، فقال القاضي شريك ... دونهما » .

٢ قارن بما في تاريخ بغداد : ٢٨٦ .

قال : ما تقول في امرأة جاءت فجلست على باب رجل فاحتملها ففجر بهـا ، لمن تحدُّ منهما ؟ فقال : الرجل دونها لأنها مغصوبة ، قال : فإنه لما كان من الغد جاءت فتزينت وتبخرت وجلست على ذلك الباب ففتح الرجل فرآها فاحتملها ففجر بها ، لمن تحد ؟ قال : أحدّهما جميعاً لأنها جاءت من نفسها وقد علمت الخبر بالأمس، قال: أنت كان عذرك حين كان الشرط يحفظونك؛ اليوم أيُّ عذر لك ؟ قال : يا أبا عبد الله ، أكلمك ، قال : مـــا كان الله ليراني أكلمك أو تتوبَ ؟ قال : ووثب فلم يكلمه حتى مات ؛ وكان إذا ذكره قال : أي رجل كان لو لم يفسدوه !

واجتمع شريك ويحيى بن عبد الله بن الحسن البصري في دار الرشيد ، فقال يحيى لشريك : ما تقول في النبيذ ؟ قال : حلال ، قال : شربه خير أم تركه ؟ قال : بل شربه ، قال : قليله خير أم كثيره ؟ قال : بل قليله ؛ قال يحيى : ما رأيت خيراً قط إلا والازدياد منه خير إلا خيرك هـــذا ، فإن قليله خير من كثيره .

وروى صالح بن علي قال : كنت مع المهدي فدخل عليه شريك بن عبد الله فأراد أن يبخره ، فقال لخادم على رأسه : هات عوداً للقاضي ، فجاء الخادم بالعود الذي يلهى به فوضعه في حجر شريك ، فقال شريك : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا أخذه صاحب العسس البارحة فأحببت أن يكون كسره على يد القاضي ، فقال : جزاك الله يا أمير المؤمنين [خيراً] ، فكسره . ثم أفاضوا في حديث حتى نسي الأمر ثم قال المهدي لشريك : ما تقول في رجل أمر وكيلاً له أن يأتي بشيء بعينه فأتى بغيره فتلف ذلك الشيء ؟ فقال : يضمن يا أمير المؤمنين ، فقال للخادم : اضمن ما تلف بقيمته .

وكان شريك يشاحن الربيع صاحب شرطة المهدي ، فكان يحمل المهـــدي عليه ، فدخل شريك يوماً على المهدي فقــال له المهـدي : بلغني أنك ولدت في قوصرة ، قـــال : يا أمير المؤمنين ، ولدت بخراسان والقواصر هناك عزيزة ، قــال : إني لأراك فاطمياً خبيثـاً ، قال : والله إني لأحب فاطمة ، وأبا فاطمة صلى الله عليه وسلم ، قال : وأنا والله أحبها ، ولكني رأيتك في منامي مصروفاً

وجهك عني ، وما ذاك إلا لبغضك لنا ، وما أراني إلا قاتلك لأنك زنديق ، قال : يا أمير المؤمنين إن الدماء لا تـُسفك بالأحلام ، وليست رؤياك رؤيا يوسف عليه السلام ؛ وأما قولك إني زنديق فإن للزنادقة علامة يُعرفون بها ، قال : وما هي ؟ قال : شرب الخمور والضرب بالطنبور، قال : صدقتَ أبا عبد الله ، وأنت خيرٌ من الذي حملني عليك .

قال مصعب بن عبد الله الزبيري : حدثني أبي قال[1] : دخل شريك على المهدي فقال له : ما ينبغي أن تقلد الحكم بين المسلمين ، قال : ولمَ ؟ قال : لخلافك على الجماعة وقولك بالإمامة ، فقال : أما قولك : لخلافك على الجماعة ، فعن الجماعة أخذت ديني ، فكيف أخالفهم وهم أصل ديني ؟ وأما قولك : وقولك بالإمامة ، فما أعرف إلا كتاب الله عز وجل وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ وأما قولك : مثلك لا يقلد الحكم بين المسلمين ، فهذا شيء أنتم فعلتموه، فإن كان خطأً فلتستغفروا الله منه، وإن كان صواباً فامسكوا عليه. قال: ما تقول في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؟ قال : ما قال فيه جدك العباس وعبد الله، قال : وما قالا فيه ؟ قال : أما العباس فمات وعلي عنده أفضل الصحابة ، وقد كان يرى كبراء المهاجرين يسألونه عما ينزل من النوازل وما احتاج إلى أحد حتى لحق بالله . وأما عبد الله فإنه كان يضرب بين يديه بسيفين ، وكان في حروبه رأساً متبعاً وقائداً مطاعاً ، فلو كانت إمامة علي جوراً لكان أول من يقعد عنه أبوك لعلمه بدين الله وفقهه في احكام الله . فسكت المهدي وأطرق ، ولم يمض بعد هذا المجلس إلا قليل حتى عُزل شريك .

وقال عبد الله العجلي[2] : قدم هارون الكوفة فعزل شريكاً عن القضاء ، وكان موسى بن عيسى والياً على الكوفة ، فقال موسى لشريك : ما صنع أمير المؤمنين بأحد ما صنع بك : عزلك عن القضاء ، قال له شريك : هم أمراء المؤمنين يعزلون الولاة ويخلعون ولاة العهود فلا يعاب ذلك عليهم ، فقال موسى : ما ظننت أنه مجنون هكذا لا يبالي ما تكلم به ، وكان أبوه عيسى بن

١ تاريخ بغداد : ٢٩٢ .
٢ المصدر نفسه .

موسى ولي العهد بعد أبي جعفر فخلعه أبو جعفر][1] .

وحكى الحريري في كتاب « درة الغواص »[2] أنه كان لشريك المذكور جليس من بني أمية ، فذكر شريك في بعض الأيام فضائل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال ذلك الأموي : نعم الرجل علي ، فأغضبه ذلك وقال : ألعليّ يقال نعم الرجل[3] ؟ فأمسك حتى سكن غضبه ثم قال : يا أبا عبد الله ألم يقل الله تعالى في الإخبار عن نفسه ﴿ فَقَدَرْنَا فنعم القادرون ﴾ (المرسلات: ٢٣) وقال في أيوب ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبدُ إنه أوّاب ﴾ (ص : ٤٤) وقال في سليمان ﴿ ووهبنا لداود سليمان نعم العبد ﴾ (ص:٣٠) أفلا ترضى لعليّ بما رضي الله به لنفسه ولأنبيائه ؟ فتنبه شريك عند ذلك لوهمه ، وزادت مكانة ذلك الأموي من قلبه .

وكان عادلاً في قضائه كثير الصواب حاضر الجواب ، قال له رجل يوماً : ما تقول فيمن أراد أن يقنت في الصبح قبل الركوع فقنت بعده ؟ فقال : هذا أراد أن يخطىء فأصاب .

وكان مولده ببخارى سنة خمس وتسعين للهجرة ، وتولى القضاء بالكوفة ثم بالأهواز ، وتوفي يوم السبت مستهل ذي القعدة سنة سبع وسبعين ومائة بالكوفة ، وقال خليفة بن خياط : مات سنة سبع أو ثمان وسبعين ومائة ، رحمه الله تعالى . وكان هارون الرشيد بالحيرة ، فقصده ليصلي عليه فوجدهم قد صلوا عليه ، فرجع .

والنَّخعي : بفتح النون والخاء المعجمة وبعدها عين مهملة ، هذه النسبة إلى النخع ، وهي قبيلة كبيرة من مَذْحِجَ .

قلت : هكذا وجدت نسبه في « جمهرة النسب » لابن الكلبي ، ثم وجدت في نسخة أخرى « ابن أبي شريك أوس بن الحارث بن ذهل بن وهبيل » ، والله أعلم بالصواب .

---

١ كل ما بين معقفين زيادة من ص .

٢ انظر ص : ١٤٥ .

٣ زاد في أ : ولا يزاد على ذلك ، ولم ترد العبارة في درة الغواص .

٢٩٢

شعبة بن الحجاج

أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد مولى الأشاقر ؛ واسطيّ الأصل بصريّ الدار ، رأى الحسن ومحمد بن سيرين وسمع قتادة ويونس بن عبيد وأيوب وخالداً الحذّاء وعبد الملك بن عمير وأبا اسحاق السبيعي وطلحة بن مصرف وخلقاً غيرهم من طبقتهم ؛ روى عنه أيوب السختياني والأعمش ومحمد بن اسحاق وإبراهيم بن سعد وسفيان الثوري وشريك بن عبد الله وسفيان بن عيينة وغيرهم .

قدم شعبة بغداد مرتين وكان قدومه إحدى المرتين بسبب أخ له كان قد حُبس في دين كان عليه ، فجاء الى المهدي في شأن أخيه . فقال سفيان الثوري: هوذا شعبة قد جاء إليهم ، فبلغ شعبة فقال : هو لم يُحْبَسْ أخوه . وكان أخوه اشترى طعاماً من طعام السلطان ، فخسر هو وشركاؤه ، فحبس بستة آلاف دينار بحصّته ، فلما دخل شعبة على المهدي قال له : يا أمير المؤمنين ، أنشدني قتادة لأمية بن أبي الصلت يقول لعبد الله بن جدعان :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك ان شيمتك الحياء

كريم لا يعطله صباح ... عن الخلق الكريم ولا مساء

فأرضٌ أرضُ مكرمةٍ بنوها ... بنو تيم وأنت لهم سماء

فقال المهدي : لا يا أبا بسطام ، لا تذكرها ، قد عرفناها وقضيناها لك ؛ ادفعوا إليه أخاه ولا تلزموه شيئاً ، ووهب له ثلاثين ألف درهم فقسمها ، وأقطعه ألف جريب بالبصرة ، فقدم فلم يجد شيئاً يطيب له فتركها .

---

٢٩٢ - انظر ترجمته في تاريخ بغداد ٩ : ٢٥٥ وتذكرة الحفاظ : ١٩٣ وتهذيب التهذيب ٤ : ٣٣٨ وابن سعد ٧ : ٢٨٠ وعبر الذهبي ١ : ٢٣٤ ورجال ابن حبان : ١٧٧ ، وانظر ما ورد عنه في ترجمة أبي زيد الانصاري من هذا الكتاب ؛ وقد انفردت بهذه الترجمة النسخة ص .

وقال النضر بن شميل : ما رأيت أرحم بمسكين من شعبة ؛ كان إذا رأى المسكين لا يزال ينظر إليه حتى يعطى . وكان يقول : والله لأنا في الشعر اسلم مني في الحديث ، ولو أردت الله لما خرجت اليكم ، ولو أردتم الله ما حييتموني ، ولكننا نحب المدح ونكره الذم .

ركب شعبة يوماً حماره فلقيه سليمان بن المغيرة فشكا إليه الفقر والحاجة ، فقال : والله ما أملك غير هذا الحمار ، ثم نزل عنه ودفعه إليه فابتيع بستة عشر درهماً .

توفي بالبصرة سنة ستين ومائة وهو ابن خمس وسبعين سنة[1] ، رحمه الله تعالى.

٢٩٣

شعيب بن حرب

أبو صالح شعيب بن حرب المدائني ؛ وهو من أبناء خراسان ، سمع شعبة وسفيان الثوري وزهير بن معاوية وغيرهم ، روى عنه موسى بن داود الضبي ويحيى بن أيوب المقابري وأحمد بن حنبل وغيرهم . وكان أحد المذكورين بالعبادة والصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال شعيب بن حرب : بينا أنا في طريق مكة إذ رأيت هارون الرشيد ، فقلت لنفسي : قد وجب عليك الأمر والنهي ، فقالت لي : لا تفعل فإن هذا رجل جبار ومتى أمرته ضرب عنقك ، فقلت لنفسي : لا بد من ذلك . فلما دنا مني صحت : يا هارون قد أتعبتَ الأمة وأتعبت البهائم ، فقال : خذوه ، ثم أُدخلت عليه وهو على كرسي وبيده عمود يلعب به فقال : ممن الرجل ؟

١ تاريخ بغداد : وهو ابن سبع وسبعين .

٢٩٣ - انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٤ : ٣٥٠ وتاريخ بغداد ٩ : ٢٣٩ وعبر الذهبي ١ : ٣٢٣ والعقد الثمين ٥ : ١١ ، وقد انفردت بهذه الترجمة النسخة ص ، والنص متابع لما عند الخطيب.

قلت : من أفناء الناس ، فقال : ممّن ثكلتك أمك ! قلت : من الأبناء . قال : ما حملك على أن تدعوني باسمي ؟ قال شعيب : فورد على قلبي كلمة ما خطرت لي قط على بال ، فقلت له : أنا أدعو الله باسمه فأقول يا الله يا رحمن ، لا أدعوك باسمك ؟ وما ينكر من دعائي باسمك وقد رأيت الله تعالى سمّى في كتابه أحب الخلق إليه محمداً وكنّى أبغض الخلق إليه أبا لهب، فقال ﴿تبّت يدا أبي لهب﴾ (المسد : ١) فقال : أخرجوه ، فأخرجت .

وكان يقول : من أراد الدنيا فليتهيأ للذل . وأراد أن يتزوج امرأة ، فقال لها : أنا سيء الخلق ، قالت : أسوأ منك خلقاً من أحوجك ان تكون سيء الخلق ، فقال لها : أنت إذاً امرأتي .

قال سري السقطي رحمه الله تعالى : أربعة كانوا في الدنيا أعموا انفسهم في طلب الحلال ، فلم يدخلوا اجوافهم إلا الحلال ، فقيل له : من هم ؟ قال : وهيب بن الورد وشعيب بن حرب ويوسف بن اسباط وسليمان الخواص .

قال شعيب : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، فجئت ، فقال : أوسعوا له فإنه حافظ لكتاب الله عزّ وجل. وقال شعيب : أكلت في عشرة أيام أكلة وشربت شربة . وكان ثقة مأموناً ، مات بمكة سنة تسع وتسعين ومائة ، رحمه الله تعالى .

٢٩٤

أشعب الطامع

واسمه شعيب واسم أبيه جبير ؛ قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في « المنتظم » : ولد أشعب سنة تسع من الهجرة ، وكان أشعب خال الأصمعي ،

٢٩٤ ـ ترجمة أشعب في تهذيب ابن عساكر ٣ : ٧٥ وميزان الاعتدال ١ : ٢٥٨ وتاريخ بغداد ٧ : ٣٧ والفوات ١ : ٣٧ والمحاسن والمساوىء : ٥٩٧ والأغاني ١٩ : ٦٩ وأخبار الظرفاء : ـــ

وفي اسم أمه ثلاثة أقوال : أحدها جعدة مولاة أسماء بنت أبي بكر الصديق ، رضي الله عنهما ، والثاني أم حُميدة – بضم الحاء – والثالث أم حَميدة – بفتح الحاء – .

اتفقوا أنه مولى واختلفوا في ولائه على أربعة أقوال : أحدها لعثمان رضي الله عنه والثاني عبد الله بن الزبير والثالث سعيد بن العاص والرابع فاطمة بنت الحسين .

عمّر دهراً طويلاً ، وكان قد أدرك زمن عثمان رضي الله عنه ، وقرأ القرآن وتنسك . روى عن عبد الله بن جعفر والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وعكرمة ، وله أخبار طريفة : من ذلك ما حكى العباس بن نسيم الكاتب قال[1] :

قيل لأشعب : طلبت العلم وجالست الناس فلو جلست لنا لسمعنا منك، فقال: نعم ، فجلس لهم فقالوا : حدثنا ، فقال : سمعت عكرمة يقول سمعت بن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: خلتان لا تجتمعان في مؤمن، ثم سكت فقالوا : ما الخلتان ؟ فقال : نسي عكرمة واحدة ونسيت أنا الأخرى .

وحدثنا الزبير بن بكار قال : قال الواقدي[2] : لقيت أشعب يوماً فقال لي : يا ابن واقد وجدت ديناراً فكيف اصنع به ؟ قلت : تعرفه ، قال : سبحان الله ، قلت : فما الرأي ؟ قال : أشتري به قميصاً وأعرفه ، قلت : إذن لا يعرفه أحد ، قال : فذاك أريد .

وقال الهيثم بن عدي : أسلمته فاطمة بنت الحسين في البزازين فقيل له : أين بلغت من معرفة البز ؟ فقال : أُحسن النشر ولا أُحسن أطوي وأرجو أن أتعلم الطي . ومر برجل يتخذ طبقاً فقال : اجعله واسعاً لعلهم يهدون إلينا فيه فيكون كبيراً خيراً من أن يكون صغيراً .

= ٣١ وثمار القلوب : ١٥٠ ، وهذه الترجمة انفردت بها ص ، ووردت في طبعة وستنفيلد مع اختلاف في الترتيب وعدد النوادر .

١ تاريخ بغداد : ٣٩ وابن عساكر : ٧٦ وميزان الاعتدال : ٢٥٩ .

٢ ميزان الاعتدال : ٢٦٠ وأخبار الظرفاء : ٣١ .

وخرج سالم بن عبد الله[1] إلى ناحية من نواحي المدينة متنزهاً ومعه حرمه ، فبلغ اشعب خبره فوافى الموضع الذي هم فيه فصادف الباب مغلقاً فتسوّر الحائط فقال له سالم : ويحك بناتي وحرمي ، فقال : ﴿ لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد﴾ (هود : ٧٩) فوجّه إليه بطعام أكل منه وحمل إلى منزلـــه .

وقال سليمان الشاذكوني : كان لي بُنيّ في المكتب فانصرف إليَّ يوماً فقال : يا أبه ألا احدثك بطريف ؟ فقال : هات ، فقال : كنت أقرأ على المعلم أن أبي يدعوك وأشعب الطامع عنده جالسٌ ، فلبس نعله وقال : امش بين يـــديّ ، فقلت : إنما أقرأ عشري ، فقال : عجبت أن تفلح أو يفلح أبوك .

وحكى الحسن بن عـــلي الخلال عن أبي عاصم النبيل قال : سمعت أشعب يقول : ما زُفَّت بالمدينة امرأة قط إلى زوجها إلا كنست بيتي ورفعت ستري طمعاً في أن تهدَى إليَّ .

وقيل لأشعب : هل رأيت أطمعَ منك ؟ قال : نعم ، شاة كانت لي على سطح فنظرت إلى قوس قزح فظنته حبل قتّ فأهوت إليه واثبـةً من السطح فاندقّ عنقها .

وقدم على يزيد بن حاتم مصر فجلس في مجلسه من الناس ، فدعا يزيد بعض غلمانه وأسرّ له بشيء ، فقام أشعب فقبّل يده ، فقال له : ولمَ فعلت هذا ؟ قال : رأيتك أسررتَ إلى غلامك بشيء فعلمت أنك قد أمرت لي بصـــلة ، فضحك منه وقال : ما فعلت ولكني أفعل ، وأمر له بصلة .

وحكى المدائني قال : تغدى أشعب مع زياد بن عبيد الله الحارثي فجاءوه بمضيرة فقال أشعب للخباز : ضعها بين يديّ ، فوضعها بين يديه ، فقال زياد : من يصلي بأهل السجن؟ قالوا : ليس لهم إمام ، فقال : أدخلوا أشعب يصلي بهم ، قال : أوَغير ذلك أصلح الله الأمير ؟ أحلف لا آكل مضيرة أبداً .

وحكى المدائني قال : أُتي أشعب بفالوذجة عند بعض الولاة فأكل منها فلم

[1] ابن عساكر : ٧٧ .

توافقه ، فقيل له : كيف تراها يا أشعب ؟ قال : امرأته طالق إن لم تكن عملت من قبل أن يوحي الله إلى النحل .

وحكى المدائني عن جهم بن خلف قال : حدثني رجل قال : قلت لأشعب : لو تحدثت عندي العشية ، قال : أكره أن يجيء ثقيل ، قلت : ليس غيرك وغيري ، قال : فإذا صليت الظهر فأنا عندك ، فصلى وجاء ، فلما وضعت الجارية الطعام إذا صديق لي يدق الباب ، قال : ألا ترى ؟ قد صرت إلى ما أكره ، قلت : ان لك عندي فيه عشر خصال ، قال : فما هي ؟ قلت : أولها أنه لا يأكل مع ضيف ، قال : التسع خصال لك ، أدخلْهُ .

ووجدت في بعض الكتب عن المدائني قـال : توضأ أشعب فغسل رجله اليسرى وترك اليمنى ، فقيل له : تركت غسل اليمنى ، فقال : لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أمتي غرٌّ محجّلون من آثار الوضوء ، وأنا أحب أن أكون أغرَّ محجَّلاً من الثلاث مطلقَ اليمين .

وحكى الهيثم بن عدي قال : لقيت أشعب فقلت له : كيف ترى أهـل زمانك هذا ؟ قال : يسألون عن أحاديث الملوك ويعطون عطاء العبيد . وحكى المدائني قال : بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعدما طلق امرأته سعدى ، فقال له : يا أشعب ان لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبلـّغ رسالتي سعدى ، فقال له : أحضر المال حتى أنظر إليه ، فأحضر الوليد بدرة فوضعهـا أشعب على عنقه وقال : هات رسالتك يا أمير المؤمنين ، قال : قل لها : يقول لك :

أسعدى هل إليكِ لنا سبيل وهل حتى القيامة من تلاقِ
بلى ولعـلَّ دهراً ان يُواتي بموت من حليلك أو طلاق
فأصبح شامتـاً وتقر عيني ويجمع شملنـا بعد افتراق

قال : فأتى أشعب الباب فأخبرت بمكانه فأمرت ففُرش لها فرش وجلست فأذنت له فدخل فأنشدها ما أمره ، فقالت لخدمها : خذوا الفاسق ، فقال : يا سيدتي إنها بعشرة آلاف درهم ، قالت : والله لأقتلنك أو تبلغه كما تبلغني ، قال : هاتي رسالتك جُعلت فداك ، قالت : قل له :

أتبكي على لبنى وأنت تركتها　　وقد ذهبت لبنى فما أنت صانعُ

فأقبل أشعب فدخل على الوليد فأنشده البيت فقال : اوه ! قتلتني والله ، ما تراني صانعاً بك يا ابن الزانية ؟ اختر إما أن أدليك في البئر منكساً أو أرمي بك من فوق القصر منكساً أو أضرب رأسك بعمودي هذا ضربة ، فقال : ما كنت فاعلاً بي شيئاً من ذلك ، قال : ولمَ ؟ قال : لأنك لم تكن لتعذب عينين قد نظرتا إلى سعدى ، قال : صدقتَ يا ابن الزانية ، اخرج عني .

قال الزبير : حدثني مصعب قال ، قال لي ابن كليب : حدثت أشعبَ مرة فبكى فقلت : ما يبكيك ؟ قال: أنا بمنزلة شجرة الموز إذا نشأت ابنتها قُطعت هي ، وقد نشأت أنت في موالي وأنا الآن أموت وأنا أبكي على نفسي .

وكان أشعب يغني وله أصوات قد حكيت عنه وكان ابنه عبيدة يغنيه ، فمن أصواته هذه :

أروني من يقوم لكم مقامي　　إذا ما الأمرُ جلَّ عن الخطابِ
إلى من تفزعون إذا حثوتم　　بأيديكم عليّ من الترابِ

٢٩٥

شقيق البلخي

أبو علي شقيق بن إبراهيم البَلْخي؛ من مشايخ خراسان ، له لسان في التوكل حسن الكلام فيه ، صاحَبَ إبراهيم بن أدهم وأخذ عنه الطريق ، وهو أستاذ

....

٢٩٥ - ترجمة شقيق البلخي في حلية الأولياء ٨ : ٥٨ وتهذيب ابن عساكر ٦ : ٣٢٧ وميزان الاعتدال ٢ : ٢٧٩ وطبقات السلمي : ٦١ ؛ وقد سقطت الترجمة من س ص ر م ووردت في المطبوعة فقط ؛ وعلى هامش المسودة إشارة تدل على أن المؤلف كان ينوي اثباتها إذ جاء هنالك: « يذكر بعد شريك : شقيق البلخي وكانت وفاته سنة ثلاث وخمسين ومائة ، ذكره ابن الجوزي في الشذور » .

حاتم الأصم ، وكان قد خرج إلى بلاد الترك للتجارة وهو حَدَث ، فدخل إلى بيت أصنامهم ، فقال لعالمهم : إن هذا الذي أنت فيه باطل ، ولهـــذا الخلق خالق ليس كمثله شيء رازق كل شيء ، فقـــال له : ليس يوافق قولك فعلك ، فقال له شقيق : كيف ؟ قال : زعمت أن لك خالقاً قادراً على كل شيء وقد تعنّيت إلى هاهنا لطلب الرزق ، قال شقيق : فكان سبب زهدي كلام التركي ، فرجع وتصدق بجميع ما يملك ، وطلب العلم .

وكانت وفاته سنة ثلاث وخمسين ومائة ، رحمه الله تعالى . ذكره ابن الجوزي في « الشذور » .

٢٩٦

شقيق بن سلمة

ابو وائل شقيق بن سلمة الأسدي ؛ أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلقَه ، وسمع عمر بن الخطاب وعثمان وعلياً وعماراً وعبد الله بن مسعود وخباب ابن الأرت وأبا موسى الأشعري وأسامة بن زيد وحذيفة بن اليمان وابن عمر وابن عباس وجرير بن عبد الله وأبا مسعود الأنصاري والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم اجمعين ، وروى عنه منصور بن المعتمر والحكم بن عتبة وحبيب بن أبي ثابت وغيرهم .

وكان ممن سكن الكوفــة وورد المدائن مع علي رضي الله عنه حين قاتـــل الخوارج بالنهروان ؛ قيل له : من أدركت ؟ قال : بينا أنا أرعى غنماً لأهلي إذ مرّ ركب أو فوارس ففرقوا غنمي ، فوقف رجل فقال : اجمعوا للغلام غنمه كما فرقتموها عليه ، فتبعت رجلاً منهم فقلت : من هذا ؟ قال : النبي صلى الله عليه وسلم.وقال الأعمش: قال لي شقيق بن سلمة: لو رأيتني ونحن هُرّاب من خالد بن

---

٢٩٦ ـ شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي الكوفي شيخ الكوفة وعالمها مخضرم جليل، توفي سنة ٨٢ هـ. انظر ابن سعد ٦ : ١٨٠ وتذكرة الحفاظ : ٦٠ ؛ وقد انفردت النسخة ص بهذه الترجمة .

الوليد يوم بزاخة فوقعت عن البعير فكادت تندق عنقي ، فلو مِتُّ يومئذ كانت النار ؛ وقال : كنت يومئذ ابن إحدى عشرة سنة .

وكان لأبي وائل خصٌ من قصب هو فيه وفرسه . وكان إذا غزا نقضه وإذا قدم بناه . وكان يقول للأعمش : يا سليمان ، نعم الربُّ ربُّنا لو أطعناه ما عصيناه . وقال ايضاً : أسمع الناس يقولون الدانق والقيراط ، الدانق اكبر أو القيراط ؟ وقال سعيد بن صالح : كان أبو وائل يؤم جنائزنا وهو ابن خمسين ومائة سنة ...

٢٩٧

شهدة بنت الإبري

فخر النساء شهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج بن عمر الإبَري الكاتبة الدِّينوريَّة الأصل البغدادية المولد والوفاة ؛ كانت من العلماء ، وكتبت الخط الجيد وسمع عليها خلق كثير ، وكان لها السماع العالي ألحقت فيه الأصاغر بالأكابر ؛ سمعت من أبي الخطاب نصر بن أحمد بن البطر وأبي عبد الله الحسين ابن أحمد بن طلحة النعالي وطرّاد بن محمد الزينبي وغيرهم مثل أبي الحسن علي ابن الحسين بن أيوب وأبي الحسين أحمد بن عبد القادر بن يوسف وفخر الإسلام أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي[١] واشتهر ذكرها وبعد صيتها . وكانت وفاتها يوم الأحد بعد العصر ثالث عشر المحرم سنة أربع وسبعين وخمسمائة ، ودفنت بباب أبرز وقد نَيَّفَتْ على تسعين سنة من عمرها ، رحمها الله تعالى .

والإبري : بكسر الهمزة وفتح الباء الموحدة وبعد الراء ياء مثناة من تحتها ،

---

٢٩٧ - ترجمة شهدة الكاتبة في مرآة الزمان : ٣٥٣ وعبر الذهبي ٤ : ٢٢٠ والشذرات ٤ : ٢٤٨ ونزهة الجلساء : ٦١ ؛ قلت : وقد وردت هذه الترجمة مطابقة لما في المسودة .

١ سمعت ... الشاشي : سقط من س ، وبعضه سقط من ص .

هذه النسبة إلى الإبر التي هي جمع إبْرَة التي يخـــاط بها ، وكان المنسوب إليها يعملها أو يبيعها .

والدينورية : بكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون والواو وفي آخرها راء ، هذه النسبة إلى الدِّيْنَوَر ، وهي بلدة من بـلاد الجبل ينسب إليها جماعة من العلماء ، وقال أبو سعد ابن السمعاني: إن الدال من الدينور مفتوحة ، والأصح الكسر كما ذكرناه .

(56) ومات والدها أبو نصر أحمد في يوم السبت الثـالث والعشرين من جمادى الأولى سنة ست وخمسمائة رحمه الله تعالى ، وكانت وفاته ببغداد ودفن بباب أبرز .

(57) وذكر ابن النجار في « تاريخ بغداد » عليّ بن محمد بن يحيى أبا الحسن الدُّرَيني المعروف بثقة الدولة ابن الأنباري فقال : كان من الأماثل والأعيان ، واختص بالإمام المقتفي لأمر الله ، وكان فيه أدب ويقول الشعر ، وبنى مدرسة لأصحاب الشافعي على شاطىء دجلة بباب الأزج وإلى جانبها رِباطاً للصوفيـــة ووقف عليها وقوفاً حسنة ، وسمع الحديث ؛ قـــال السمعاني : كان يخدم أبا نصر أحمد بن الفرج الإبَري وزَوّجه بنته شهدة الكاتبة ، ثم علت درجته إلى أن صار خصيصاً بالمقتفي . مولده سنة خمس وسبعين وأربعمائـــة ، وتوفي يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، ودفن في داره برحبـة الجامع ، ثم نُقل بعد موت زوجته شهدة فدفنا بباب أبرز قريباً من المدرسة التاجية في محرم سنة أربع وسبعين وخمسمائة[1] .

---

١ وذكر ... وخمسمائة : سقط من س .

٢٩٨

أسد الدين شيركوه

أبو الحارث شيركوه بن شاذي بن مروان الملقب الملك المنصور أسد الدين عم السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى؛ قد تقدم من حديثه نبذة في أخبار شاور، وكان شاور قد وصل إلى الشام يستنجد بنور الدين في سنة تسع وخمسين وخمسمائة. وذكر بهاء الدين بن شداد أن ذلك كان في سنة ثمان وخمسين، وأنهم وصلوا إلى مصر في الثاني من جمادى الآخرة من السنة المذكورة، حكاه في «سيرة صلاح الدين»[1] رحمه الله تعالى، فسيَّر معه جماعة من عسكره، وجعل مقدمهم أسد الدين شيركوه، وقدموا مصر، وغدَر بهم شاور ولم يَفِ بما وعدهم به، فعادوا إلى دمشق[2]، وكان رحيلهم عن مصر في السابع من ذي الحجة من السنة المذكورة. ثم إنه عاد إلى مصر، وكان توجهه إليها في شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وستين، لأنه طمع في ملكها في الدفعة الأولى، وسلك طريق وادي الغزلان، وخرج عند إطفيح، وكانت في تلك الدفعة وقعة البابين عند الأشمونين، وتوجه السلطان صلاحُ الدين إلى الاسكندرية واحتمى بها، وحاصره شاور وعسكر مصر.

ثم رجع أسدُ الدين من الصعيد إلى بلبيس، وجرى الصلح بينه وبين المصريين، وسيروا له صلاح الدين، وعاد إلى الشام، ولما وصل الفرنج إلى بلبيس وملكوها وقتلوا أهلها في سنة أربع وستين، سيروا إلى أسد الدين

---

٢٩٨ - ترجمة شيركوه وأخباره في ابن عساكر ٦: ٣٥٨ وتاريخ ابن خلدون ٥: ٢٨٢ وصفحات متفرقة من ابن الأثير والنجوم الزاهرة (ج: ٥) ومفرج الكروب (ج: ١) وسيرة ابن شداد، وهذه الترجمة متابعة للنسخة ر.

١ انظر ابن شداد: ٢٩.

٢ س: طريق دمشق.

وطلبوه ومَنَّوْه ودخلوا في مرضاته لأن ينجدهم ، فمضى إليهم وطرد الفرنج عنهم . وكان وصوله إلى مصر في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة ، وعزم شاور على قتله وقتل الأمراء الكبار الذين معه ، فبادروه وقتلوه كما تقدم في ترجمته .

وتولى أسد الدين الوزارة يوم الاربعاء سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة ، وأقام بها شهرين وخمسة أيام ، ثم توفي فجأة يوم السبت الثاني والعشرين ، وقال الرَّوْحي : يوم الاحد الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة بالقاهرة ، ودفن بها ، ثم نقل إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد مدة بوصية منه ، رحمه الله تعالى ، وتولى مكانه صلاحُ الدين .

وقال ابن شداد في « سيرة صلاح الدين »[1] : إن أسد الدين كان كثير الاكل ، شديد المواظبة على تناول اللحوم الغليظة ، تتواتر عليه التخم والخوانيق وينجو منها بعد مقاساة شدة عظيمة ، فأخذه مرض شديد ، واعتراه خانوق عظيم فقتله في التاريخ المذكور[2] ، ولم يخلف ولداً سوى ناصر الدين محمد بن شيركوه الملقب الملك القاهر .

(58) ولما مات أسدُ الدين أخذ نور الدين حمصَ منهم في رجب سنة أربع وستين وخمسمائة . فلما ملك صلاحُ الدين الشام أعطى حمصَ لناصر الدين المذكور ، ولم يزل ملكها حتى توفي يوم عرفة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ونقلته زوجته بنتُ عمه ستُّ الشام بنتُ أيوب إلى تربتها بمدرستها بدمشق ظاهر البلد ، ودفنته عند أخيها شمس الدولة توران شاه بن أيوب المقدم ذكره .

(59) وملَك حمص بعده ولده أسدُ الدين شيركوه ، ومولده في سنة تسع وستين وخمسمائة ، وتوفي يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر رجب سنة سبع وثلاثين وستمائة بحمص ، ودفن في تربته داخل البلد[3] . وكانت له أيضاً الرحبة وتَدْمُر

---

١ سيرة ابن شداد : ٣٢ .

٢ إلى هنا تنتهي ترجمة شيركوه في النسخة س .

٣ إلى هنا تنتهي ترجمة شيركوه في النسخة ص والمسودة .

وماكسين من بلد الخابور .

(60) وخلف جماعة من الاولاد ، فقام مقامه في الملك ولده الملك المنصور ناصر الدين إبراهيم . ولم يزل حتى توفي يوم الجمعة عاشر صفر سنة أربع وأربعين وستمائة بالنيرب من غوطة دمشق، ونُقل إلى حمص ، ودفن ظاهر البلد في مسجد الخضر عليه السلام من جهتها القبلية .

(61) وترتب مكانه ولده الملك الأشرف مظفر الدولة أبو الفتح موسى . وأخبرني الأشرف المذكور بدمشق في أواخر سنة إحدى وستين وستمائة أن مولده في السنة التي كسر فيها الخوارزمية بالروم ، وأن والده بُشّرَ به وهم راجعون من هناك . وكانت الوقعة في شهر رمضان سنة سبع وعشرين وستمائة حَسبما هو مشروح في ترجمة الأشرف بن العادل ، وقال لي : إن والده لمّا بُشّر به قال للملك الأشرف بن العادل : يا خوند قد زاد في ماليكك واحد ، فقال : سمّه باسمي ، فسماه الأشرف مظفر الدين أبا الفتح موسى .

وكانت وفاة الأشرف بن المنصور المذكور بحمص يوم الجمعة عاشر صفر سنة اثنتين وستين وستمائة ، ودفن عند قبر أسد الدين شيركوه جده داخل حمص ، فيكون تقدير ولادته في شَوّال أو ذي القعدة سنة سبع وعشرين .

وشيركوه : لفظ عجمي تفسيره بالعربي أسد الجبل، فشِير : أسد ، وكُوه: جبل .

وحَجّ شيركوه في سنة خمس وخمسين وخمسمائة من دمشق على طريق تيماء وخيبر ، وفي تلك السنة حج زين الدين عليّ بن بكتكين على طريق العراق ، واجتمع بالخليفة .



حَرْفُ الصَّادِ

٢٩٩

أبو عمر الجرمي

أبو عمر[١] صالح بن إسحاق الجَرْمِيُّ النَّحويُّ ؛ كان فقيهاً عالمــاً بالنحو واللغة ، وهــو من البصرة وقدم بغداد ، وأخــذ النحو عن الأخفش وغــيره ، ولقي يونس بن حبيب ولم يلقَ سيبويه ، وأخذ اللغة عن أبي عُبَيْدة وأبي زيد الأنصاري والأصمعي وطبقتهم[٢].

وكان ديّناً ورعاً حسن المــذهب صحيح الاعتقاد ، روى الحديث ، وله في النحو كتاب جيد يُعرف بـ « الفرخ » ، معناه[٣] فرخ كتاب سيبويه ، وناظَرَ ببغداد الفراء .

وحَدَّثَ أبو العباس المبرد عنه قال: قال لي أبو عمر: قرأت ديوان الهُذَليين على الأصمعي ، وكان أحفظ له من أبي عبيدة ، فلما فرغت منه قال لي : يا أبا عمر ، إذا فات الهذلي أن يكون شاعراً أو رامياً أو ساعياً فلا خير فيه .

وكان يقول في قوله تعالى : ﴿ ولا تَقْفُ ما ليس لك بـــه علم ﴾ قـــال : لا تقل سمعت ولم تسمع ، ولا رأيت ولم تَرَ ، ولا علمت ولم تعلم ﴿ إنَّ السمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ (الاسراء : ٣٦) .

وقال المبرد ايضاً : كان الجَرْمي أثبتَ القوم في كتاب سيبويه ، وعليــه قرأت الجماعة .

٢٩٩ ـ ترجمة صالح الجرمي في معجم الأدباء ١٢ : ٥ وبغية الوعاة : ٢٦٨ وانباه الرواة ٢ : ٨٠ وتاريخ بغداد ٩ : ٣١٣ وشذرات الذهب ٢ : ٥٧ وغاية النهاية ١ : ٣٣٢ والفهرست : ٥٦ ونزهة الألباء : ٩٨ وقد جاءت هذه الترجمة في المسودة دون نقص .

١ ج هـ : أبو عمرو (حيثما وقع) .

٢ وطبقتهم : سقطت من ص .

٣ ج د : يعني .

وكان عالماً باللغة حافظاً لها، وله كتب انفرد بها ، وكان جليلاً في الحديث والأخبار ، وله كتاب في السير عجيب وكتاب « الأبنية » وكتاب « العَروض » ومختصر في النحو[1] وكتاب « غريب سيبويه » . وذكره الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في « تاريخ أصبهان »[2] . وكانت وفاته سنة خمس وعشرين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

والجَرْمي – بفتح الجيم وسكون الراء وبعدها ميم – هذه النسبة إلى عدة قبائل كل واحدة يقال لها جَرْم ، ولا أعلم إلى أيها ينسب أبو عمر المذكور ، ولم يكن منهم وإنما نزل فيهم فنسب إليهم ، ثم وجدت في كتاب « الفهرست »[3] تأليف أبي الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن أبي يعقوب الوراق النديم البغدادي أن أبا عمر المذكور مولى جَرْم بن رَبّان ، وفي كتاب السمعاني أن ربان بالراء والباء الموحدة المشددة ، وهو ربان بن عمران بن الحاف بن قضاعة القبيلة المشهورة ، وقيل إنه مولى بجيلة أيضاً . وفي بجيلة جَرْم بن علقمة بن أنمار ، والله أعلم بالصواب[4] .

وما أحسن قول زياد الأعجم في هجو جَرْم[5] :

تكلفني سويقَ الكرم جَرْمٌ ... وما جَرْمٌ وما ذاك السويقُ
وما شَرِبَتْهُ جَرْمٌ وهْوَ حِلٌّ ... ولا غالَتْ به مُذْ كانَ سُوق
فلمَّا أُنْزِلَ التحريمُ فيها ... إذا الجرميُّ منها لا يُفِيق

وكَنَى بالسويق عن الخمر ، وفي ذلك كلام يطول شرحه فأضربت عنه ،

١ ومختصر في النحو : سقط من ص .
٢ انظر تاريخ أصبهان ١ : ٣٤٦ .
٣ الفهرست : ٥٧ .
٤ ثم وجدت ... بالصواب : سقطت من س .
٥ زياد الأعجم : من شعراء العصر الأموي كانت به لكنة ولذلك سمي الأعجم، وقيل سمي الأعجم لكثرة لحنه بسبب سكناه بفارس إذ كان ينزل إصطخر . وأبياته في الشعر والشعراء : ٣٤٥ وانظر الأغاني ١٤ : ٩٨ ومعجم الأدباء ٤ : ٢٢١ والمؤتلف : ١٣١ والخزانة ٤ : ١٩٢ والشعر والشعراء : ٣٤٣ .

وحاصل ما قالوه أن الشاعر كنى عن الخمر بالسويق لانسياقها في الحلق ، فسماها سويقاً لذلك .

٣٠٠

صالح بن مرداس

أسد الدولة أبو علي صالح بن مِرْداس بن إدريس بن نصر بن حُميد بن مدرك ابن شداد بن عبد قيس بن ربيعة بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب ابن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة بن مُعَاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس عَيْلان بن مُضَر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان ، الكلابي ؛ كان من عرب البادية ، وقصد مدينة حلب وبها مُرْتَضَى الدولة ابن لؤلؤ الجراحي غلام أبي الفضائل ابن سعد الدولة نصر بن سيف الدولة بن حَمْدان نيابةً عن الظاهر بن الحاكم العُبَيْدي صاحب مصر ، فاستولى عليها وانتزعها منه ، وكان ذا بأس وعزيمة وأهل وعشيرة وشَوْكة ، وكان تملّكه لها في ثالث عشر ذي الحجة سنة سبع عشرة وأربعمائة ، واستقر بها ورتب أمورها ، فجهز إليه الظاهر المذكور أمير الجيوش أنوشتكين الدِّزْبِري في عسكر كثيف — والدزبري بكسر الدال المهملة والباء الموحدة وبينهما زاي وفي الآخر راء ، هذه النسبة إلى دزبر بن أويتم الديلمي وهو بالدال وبالتاء ، أيضاً ، وكان بدمشق نائباً عن الظاهر ، وكان ذا شهامة وتقدمة ومعرفة بأسباب الحرب — فخرج متوجهاً إليه ، فلما سمع صالح الخبر خرج إليه ، وتقدم حتى تلاقيا على الأقحوانة فتصافّا وجرت بينهما مقتلة انجلت عن قتل أسد الدولة صالح المذكور ، وذلك في جمادى الأولى سنة عشرين ، وقيل تسع عشرة وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

٣٠٠ - أخبار صالح بن مرداس في ابن الأثير (ج ٩) وابن خلدون ٤ : ٢٧١ وزبدة الحلب (١ : ٢٧٧) ؛ وقد استوفت المسودة جميع هذه الترجمة .

وهو أول ملوك بني مرداس المتملكين لحلب . وسيأتي ذكر حفيده نصر إن شاء الله تعالى في ترجمة ابن حَيُّوس الشاعر .

ومرداس : بكسر الميم وسكون الراء وفتح الدال المهملة وبعد الألف سين مهملة .

والأقحوانة : بضم الهمزة وسكون القاف وضم الحاء المهملة وفتح الواو وبعد الالف نون مفتوحة ثم هاء ساكنة ، وهي بُليدة بالشام من أعمال فلسطين بالقرب من طبرية . وبالحجاز أيضاً بُليدة يقال لها الأقحوانة كان يسكنها الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة المخزومي ، وفيها يقول من جملة أبيات[1] :

مَنْ كان يسأل عنّا أين منزِلُنا ... فالأقحوانة منّا منزل قَمنُ
إذ نلبسُ العيش صفواً لا يكدّره ... طعنُ الوشاة ولا يَنْبُو بنا الزّمنُ

٣٠١
صاعد البغدادي اللغوي

أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الرَّبَعِيُّ البغدادي اللغوي صاحب كتاب « الفصوص » ؛ روى بالمشرق عن أبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي وأبي سليمان الخطابي ، ورحل إلى الأندلس في أيام هشام بن الحكم وولاية المنصور ابن أبي عامر في حدود الثمانين والثلثمائة ، وأصله من بلاد الموصل، ودخل بغداد ، وكان عالماً باللغة والأدب والأخبار سريع الجواب حسن الشعر طيب المعاشرة مُمْتِعاً، فأكرمه المنصور وزاد في الإحسان إليه والإفضال عليه ، وكان مع ذلك

١ انظر الاغاني ٣ : ٣٢٠ .

٣٠١ - ترجمة صاعد البغدادي في الذخيرة ٤/١ : ٢ وانباه الرواة ٢ : ٨٥ والجذوة : ٢٢٣ وبغية الوعاة : ٢٦٧ ونفح الطيب ٣ : ٧٥ (رقم : ٥٩) .

محسناً للسؤال حاذقاً في استخراج الأموال ، وجمع له كتاب « الفصوص » نحا فيه منحى القالي في أماليه ، وأثابه عليه خمسة آلاف دينار ، وكان يُتَّهم بالكذب في نقله ، فلهذا رَفَضَ الناس كتابه .

ولما دخل مدينة دانيَةَ وحضر مجلس الموفق مجاهد بن عبد الله العامري أمير البلد كان في المجلس أديب يقال له بشار ، فقال للموفق مجاهد : دعني أعبث بصاعد ، فقال له مجاهد : لا تتعرض إليه فإنه سريع الجواب ، فأبى إلا مشاكلته[1] ، فقال له بشار ، وكان أعمى : يا أبا العلاء ، فقال : لبَّيك ، فقال : ما الجَرَنْفُلُ في كلام العرب ؟ فعرف أبو العلاء أنه قد وضع هذه الكلمة وليس لها أصل في اللغة ، فقال له بعد أن أطرق ساعة : هو الذي يفعل بنساء العميان ولا يفعل بغيرهن ، ولا يكون الجرنفل جرنفلاً حتى لا يتعداهن إلى غيرهن ، وهو في ذلك كله يصرح ولا يكني ، قال : فخجل بشار وانكسر ، وضحك مَنْ كان حاضراً ، فقال له الموفق : قلتُ لك لا تفعل فلم تقبل .

وتوفي صاعد المذكور سنة سبع عشرة وأربعمائة بصقلية ، رحمه الله .

ولما ظهر[2] للمنصور كذبه في النقل[3] وعدم تثبته ، رمى كتاب « الفصوص » في النهر ، لأنه قيل له : جميع ما فيه لا صحة له ، فعمل فيه بعض شعراء عصره :

قدْ غاص في البحر كتاب الفُصُوصْ   وهكذا كلُّ ثقيل يغوصْ

فلما سمع صاعد هذا البيت أنشد :

عاد إلى عُنْصُره إنما   يخرج من قعر البحور الفُصوصْ

وله أخبار كثيرة في الامتحان[4] ، ولولا التطويلُ لذكرتها .

والجرنفل : بفتح الجيم والراء وسكون النون وضم الفاء وبعدها لام .

١ هـ : مساءلته .
٢ ص : حكي .
٣ أ : القول .
٤ انفردت النسخة ج في هذا الموضع برواية أخبار صاعد وكلها منقول عن الذخيرة لابن بسام =

٣٠٢

صدقة بن دبيس

أبو الحسن صدقة الملقب سيف الدولة فخر الدين بن بهاء الدولة أبي كامل منصور بن دُبَيْس بن علي بن مَزْيَد الأسدي الناشري صاحب الحِلّة السيفية؛ كان يقال له ملك العرب وكان ذا بأس وسطوة وهيبة ، ونافَرَ السلطان محمد ابن ملكشاه بن ألبَ أرسلانَ السلجوقي وأفضت الحال إلى الحرب ، فتلاقيا عند النعمانية ، وقتل الأمير صدقة المذكور في المعركة يوم الجمعة سلخ جمادى الآخرة ، وقيل العشرين من رجب سنة إحدى وخمسمائة ، وحُمِل رأسه إلى بغداد ، رحمه الله تعالى .

وذكر عز الدين أبو الحسن علي بن الأثير في استدراكاته على السمعاني في كتاب « الأنساب »[1] أنه توفي سنة خمسمائة ، والله أعلم .

وله نظَمَ الشريف أبو يعلى محمد بن الهَبّارية كتاب « الصادح والباغم » — وسيأتي ذكر ذلك في ترجمة ابن الهبّارية ، إن شاء الله تعالى[2] — .

= ١/٤ : ٧ - ١٦ ، فأغنانا ذلك عن إثباتها هنا ، وقول المؤلف « ولولا التطويل لذكرتها » يشير إلى أنه بنى الترجمة على الايجاز ؛ وما ورد هنا هو ما جاء بتمامه في المسودة أيضاً .

٣٠٢ - أخبار صدقة بن دبيس في ابن الأثير (ج : ١٠) وابن خلدون ٥ : ٣٨ وأخبار الدولة السلجوقية : ٨٠ - ٨١ ، قلت : وقد استكملت المسودة هذه الترجمة بتمامها .

١ انظر مادة « الناشري » في كتاب اللباب .

٢ انفردت نسخة ج في هذا الموضع بالزيادة التالية : ورأيت في بعض التواريخ أن صدقة المذكور كان قد بنى داراً فوقعت فيها نار يوم الفراغ منها ، فعمل الحكيم أبو الفرج ابن التلميذ :

يا بانياً دار العلا مليتها لتزيدها شرفاً على كيوان
علمت بأنك إنما شيّدتها للمجد والافضال والإحسان
فقفت عوائدك الكرام وأقبلت تستقبل الأضياف بالنيران

(قلت : انظر طبقات ابن أبي أصيبعة ٢ : ٢٩٥ ط. بيروت) .

(62) وكانت وفاة والده أبي كامل منصور في أواخر شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .

(63) وتوفي جده دُبَيْس المذكور ولقبه نور الدولة أبو الأغرّ في ليلة الأحد عاشر شوال سنة ثلاث ، وقيل أربع وسبعين وأربعمائة ، وكانت إمارته سبعاً وستين سنة ، ولي الإمارة سنة ثمان وأربعمائة وعمره يوم ذاك أربع عشرة سنة ، وكان أبو الحسن علي بن أفلح الشاعر المشهور كاتباً بين يديه في شبيبته[1] .

(64) وتوفي جد أبيه علي بن مَزْيد سنة ثمان وأربعمائة ، وقد تقدم ذكر ولده دبيس بن صدقة في حرف الدال .

ودبيس : بضم الدال المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة .

ومزيد : بفتح الميم وسكون الزاي وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة .

والأسدي والناشري : تقدم الكلام عليها في حرف الدال في ترجمة دبيس .

والحِلّة : بكسر الحاء المهملة وتشديد اللام وبعدها هاء ساكنة ، وهي بلدة بالعراق بين بغداد والكوفة على الفرات في بر الكوفة ، اختطّها سيف الدولة صدقة المذكور في سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، فنسبت إليه .

والنعمانية ، بضم النون ، بلدة بين الحِلّة وواسط .

....

[1] وكان أبو الحسن ... شبيبته : سقط من ص ر ، وثبت في س وفي هامش المسودة .

٣٠٣

صالح بن عبد القدوس

أبو الفضل صالح بن عبد القدوس البصري مولى الأزد ؛ أحد الشعراء ، اتهمه المهدي بالزندقة فأمر بحمله ، فأحضر ، فلما خاطبه أعجب بغزارة أدبه وعلمه وبراعته وحسن بيانه وكثرة حكمته فأمر بتخلية سبيله ، فلما ولّى ردّه وقال : ألستَ القائل :

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه
إذا ارعوى عاد الى جهله كذي الضنى عاد إلى نكسه

قال : بلى يا أمير المؤمنين . قال : فأنت لا تترك أخلاقك ، ونحن نحكم فيك بحكمك في نفسك ، ثم أمر به فقتل وصلب على الجسر ؛ ويقال إن المهدي أبلغ عنه أبياتاً عرّض فيها بذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، فأحضره المهدي وقال له : أنت القائل هذه الأبيات ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما أشركت بالله طرفة عين ، فاتّقِ الله ولا تسفك دمي على الشبهة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ادرأوا الحدود بالشبهات ، وجعل يتلو عليه القرآن حتى رقّ له وأمر بتخليته . فلما ولى قال : أنشدني قصيدتك السينيّة ، فأنشده حتى بلغ إلى قوله فيها : والشيخ لا يترك أخلاقه ... فأمر به حينئذ فقتل .

ومن مستحسنات قصائد صالح المذكور القصيدة التي أولها :

المرءُ يجمعُ والزمان يفرّقُ ويظلُّ يرقعُ والخطوبُ تمزقُ

---

٣٠٣ ـ كان شاعراً حكيماً يجلس في مسجد البصرة ويقص على الناس ، وله مع أبي الهذيل العلاف مناظرات ، وهو يكثر في شعره من الأمثال والحكم (انظر تاريخ بغداد ٩ : ٣٠٣ ومعجم الأدباء ١٢ : ٦ ونكت الهميان : ١٧١ وتهذيب ابن عساكر ٦ : ٣٧١ والفوات ١ : ٣٩١ وميزان الاعتدال ٢ : ٢٩٧) وهذه الترجمة انفردت بها النسخة ص .

وَزِنِ الكلامَ إذا نطقت فإنما … يبدي عيوبَ ذوي العقولِ المنطق
ومن الرجال إذا استوتْ أحلامُهم … من يستشار إذا استشير فيُطرق
حتى يجيلَ بكلِّ وادٍ قلبه … فيرى ويعرفُ ما يقولُ فينطق
ما الناسُ إلا عاملان فعاملٌ … قد مات من عطشٍ وآخرُ يغرق
والناسُ في طلب المعاش فإنما … بالجدِّ يرزق منهمُ من يرزق
لو يرزقون الناس حسب عقولهم … ألفيتَ أكثر من ترى يتصدق
لكنه فضلُ المليك عليهمُ … هذا عليه مُوسَّعٌ ومضيّق
وإذا الجنازةُ والعروسُ تلاقيا … ورأيتَ دمعَ نوائحٍ يترقرق
سكت الذي تبع العروسَ مُبَهَّتاً … ورأيتَ من تبع الجنازة ينطق

ومن مختار شعره :

ان الغنيَّ الذي يرضى بعيشته … لا من يظلُّ على ما فات مكتئبا
لا تحقرنَّ من الأيام محتقراً … كلُّ امرىءٍ سوف يُجْزى بالذي اكتسبا
قد يحفزُ المرء ما يهوى فيركبه … حتى يكونَ إلى توريطه سببا

قال أحمد بن عبد الرحمن المعبر : رأيت صالح بن عبد القدوس في المنام ضاحكاً مستبشراً فقلتُ له : ما فعل بك ربك ، وكيف نجوت مما كنت ترمى به ؟ قال : إني وردت على ربٍّ لا تخفى عليه خافية ، فاستقبلني برحمته وقال : لقد علمتُ براءتك مما كنتَ تُقْذَفُ به . وكان قتله سنة سبع وستين ومائة .

٣٠٤
صالح المري

أبو بشير صالح بن بشير القارىء المعروف بالمري ؛ من أهل البصرة ، حدّث عن الحسن ومحمد بن سيرين وبكر بن عبد الله وغيرهم ؛ روى عنه شجاع بن أبي نصر البلخي وسريج بن النعمان الجوهري وعفان بن مسلم وغيرهم .

كان عبداً صالحاً ، وكان المهدي قد بعث إليه فأقدمه عليه ؛ قال صالح المري : دخلت على المهديّ بالرصافة ، فلما مثلت بين يديه قلت : يا أمير المؤمنين، احمل لله ما أكلمك به اليوم، فإنّ أولى الناس بالله أحملهم لغلظة النصيحة فيه ، وجديرٌ بمن له قرابة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرث أخلاقه ، ويأتمّ بهديه، وقد ورّثك الله من فهم العلم وإنارة الحجة ميراثاً قطع به عذرك، فمهما ادعيتَ من حجة أو ركبتَ من شبهة لم يصحّ لك فيها برهان من الله ، حل بك من سخط الله بقدر ما تجاهلته من العلم أو أقدمت عليه من شبهة الباطل؛ واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خصم من خالف في أمته [يبتزها] أحكامها . ومن كان محمد صلى الله عليه وسلم خصمه ، كان الله خصمه ، فأعدّ لمخاصمة الله ومخاصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حججاً تضمن لك النجاة أو استسلم للهلكة. واعلم [أن أبطأ الصرعى نهضة] صريع هوى ، وأن أثبت الناس قدماً يوم القيامة آخذهم بكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم ، فمثلك لا يكابر بتجديد المعصية ، ولكن تمثل له الاساءة إحساناً ، ويشهد له

٣٠٤ ـ صالح بن بشير زاهد واعظ بصري ؛ ضعفه ابن معين والدارقطني، وقال البخاري : منكر الحديث ؛ انظر تاريخ بغداد ٩ : ٣٠٥ وميزان الاعتدال ٢ : ٢٨٩ وذكر أن وفاته سنة ١٧٣ ، وقال في العبر (ج ١ ص ٢٦٢) فيها أو في ١٧٦ ؛ وهذه الترجمة انفردت بها النسخة ص وهي متابعة لما في تاريخ بغداد .

عليها خونة العلماء ، وبهذه الحبالة تصيدت الدنيا نظراؤك ، فأحسنِ الحمل فقد أحسنتُ إليك الأداء ؛ قال : فبكى المهدي ثم أمر له بشيء فلم يقبله ؛ وحكى بعض الكتّاب أنه رأى هذا الكلام مكتوباً في دواوين المهدي .

وقال عفان بن مسلم : كنّا نأتي مجلس صالح المري نحضره وهو يقص، وكان إذا أخذ في قصصه كأنه رجل مذعور يفزعك أمره من حزنه وكثرة بكائه كأنه ثكلى . وكان مملوكاً لامرأة من بني مرة بن الحارث بن عبد القيس . ومات سنة ست وسبعين[1] ومائة ، رحمه الله تعالى .

---

[1] في ص : ست وتسعين ، وهو تصحيف .



حَرْفُ الضَّادِ

٣٠٥

الأحنف بن قيس

أبو بحر الضحاك بن قَـيْس بن مُعَاوية بن حُصَيْن بن عبادة بن النزال بن مرة ابن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مَنَاة بن تميم التميمي المعروف بالأحنف ، وقيل اسمه صخر، وهو الذي يُضرب به المثل في الحِلْم – والحارث المذكور لقبه مُقَاعس – .

كان من سادات التابعين رضي الله عنهم ؛ أدرك عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه وشهد بعض الفتوحات منها قاسان والتيمرة ، وذكره الحافظ أبو نعيم في « تاريخ أصبهان »[١] وقال ابن قتيبة في كتاب « المعارف » ما صورته [٢]: ولما أتى النبيُّ صلى الله عليه وسلم بني تميم يدعوهم إلى الإسلام كان الأحنف فيهم، ولم يجيبوا إلى اتباعه ، فقال لهم الأحنف : إنه ليدعوكم إلى مكارم الأخلاق وينهاكم عن ملائمها ، فأسلموا وأسلم الأحنف ولم يفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان زمن عمر رضي الله عنه وفَـدَ عليه . وكان من جلـّة التابعين وأكابرهم ، وكان سيد قومه ، موصوفاً بالعقل والدهاء والعلم والحلم ، روى عن عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، وروى عنه الحسن البصري وأهل البصرة ، وشهد مع علي رضي الله عنه وقعة صِفّينَ ، ولم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين ، وشهد بعض فتوحات خراسان في زمن عمر وعثمان ، رضي الله عنهما.

---

٣٠٥ – ترجمة الأحنف بن قيس في طبقات ابن سعد ٧ : ٩٣ وتهذيب ابن عساكر ٧ : ١٠ وتهذيب التهذيب ١ : ١٩١ وسرح العيون : ٥٤ ؛ وأخبار حلمه والحكايات عنه منشورة في كتب الأدب.

١ تاريخ أصبهان ١ : ٢٢٤ .

٢ المعارف : ٤٢٣ .

ولما استقر الأمر لمعاوية دخل عليه يوماً فقال له معاويـــة : والله يا أحنف ما أذكر يوم صفين إلا كانت حزازة في قلبي إلى يوم القيامة ، فقال له الأحنف : والله يا معاوية إن القلوب التي أبغضناك بهـــا لفي صدورنا ، وإن السيوف التي قاتلناك بها لفي أغمادها ، وإن تَدْنُ من الحرب فتراً نَدْنُ منها شبراً ، وإن تمش إليها نهرول إليها ، ثم قام وخرج . وكانت أخت معاوية من وراء حجاب تسمع كلامه فقالت : يا أمير المؤمنين ، مَنْ هذا الذي يتهدد ويتوعد ؟ قال : هذا الذي إذا غضب غضب لغضبه مائة ألف من بني تميم لا يدرون فيم غضب .

وروي أن معاوية أيضاً لما نصب ولده يزيد لولاية العهد أقعده في قبة حمراء، فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون إلى يزيد ، حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع إلى معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ، اعلم أنـــك لو لم تولّ هـذا أمور المسلمـــين لأضعتها ، والأحنف بن قيس جالس[1] ، فقال له معاوية : ما بالك لا تقول يا أبا بحر ؟ فقال : أخاف الله إن كذبت وأخافكم إن صدقت ، فقال له معاوية : جزاك الله عن الطاعة خيراً ، وأمر له بألوف ؛ فلما خرج لقيه ذلك الرجل بالباب فقال له : يا أبا بحر ، إني لأعلم أن شر من خلق الله سبحانه وتعالى هذا وابنه ، ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفـــال فليس نطمع في استخراجها إلا بما سمعت ، فقال له الأحنف : أمْسِكْ عليك فإن ذا الوجهين خَليقٌ أن لا يكون عند الله تعالى وجيهاً[2] .

ومن كلام الأحنف : فيّ ثلاثُ خصالٍ ما أقولهن إلا ليعتبر معتبر : مـــا دخلت بين اثنين قط حتى يُدخلاني بينهما ، ولا أتيت باب أحد من هؤلاء ما لم

---

١ ج : ساكت .

٢ انفردت نسخة ج في هذا الموضع بهذه الزيادة : وقال معاوية بن هشام لخالد بن صفوان : بِمَ بلغ فيكم الأحنف بن قيس ما بلغ ؟ قال : إن شئت حدثتك ألفاً ، وإن شئت حذفت الحديث لك حذفاً ، قال : احذفه لي حذفاً ، قال : وان شئت فثلاثـــاً وان شئت فاثنتين وان شئت فواحدة ، قال : ما الثلاث ؟ قال : كان لا يشره ولا يحسد ولا يمنع حقاً ، قال : فما الثنتان ؟ قال : كان موفقاً للخير معصوماً عن الشر ، قال : فما الواحدة ؟ قال : كان أشد الناس على نفسه سلطاناً .

ادع إليه ، يعني الملوك ، ولا حللت حبوتي[1] إلى ما يقوم الناس إليه .

ومن كلامه : ألا أدلكم على المحمدة بلا مرزئة ؟ الخلق السجيح والكف عن القبيح ، ألا أخبركم بأدوإ الداء ؟ الخلق الدنيء واللسان البذيء .

ومن كلامه : ما خان شريف ولا كذب عاقل ولا اغتاب مؤمن . وقال : ما ادخرت الآباء للأبناء ولا أبقت الموتى للأحياء أفضل من اصطناع معروف عند ذوي الأحساب والآداب . وقال : كثرة الضحك تُذهب الهيبة ، وكثرة المزاح تُذهب المروءة ، ومن لزم شيئاً عُرف به .

وسمع الأحنف رجلاً يقول : ما أبالي أمُدحت أم ذُممت ، فقال له : لقد استرحت من حيث تعب الكرام .

ومن كلامه : جنّبوا مجلسنا ذكر النساء والطعام ، فإني أبغض الرجل يكون وَصّافاً لفرجه وبطنه ، وإن من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهيه .

وقال هشام بن عقبة أخو ذي الرمة الشاعر المشهور : شهدت الأحنف بن قيس وقد جاء إلى قوم يتكلمون في دم ، فقال : احكموا ، فقالوا : نحكم بديَتَيْنِ . قال : ذلك لكم ، فلما سكتوا قال : أنا أعطيكم ما سألتم غير أني قائل لكم شيئاً ، إن الله عز وجل قضى بدية واحدة ، وإن النبي صلى الله عليه وسلم قضى بدية واحدة ، وأنتم اليوم طالبون ، وأخشى أن تكونوا غداً مطلوبين ، فلا يرضى الناس منكم إلا بمثل ما سننتم لأنفسكم ، فقالوا : فردّها إلى دية واحدة ، فحمد الله وأثنى عليه وركب .

وسئل عن الحلم ما هو فقال : هو الذل مع الصبر . وكان يقول إذا عجب الناس من حلمه : إني لأجد ما تجدون ، ولكني صبور . وكان يقول : وجدت الحلم أنصر لي من الرجال . وكان يقول : ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم المنقري ، لأنه قَتَلَ ابنُ أخ له بعضَ بنيه فأتي بالقاتل مكتوفاً يقاد إليه ، فقال : ذعرتم الفتى ، ثم أقبل على الفتى فقال : يا بني ، بئس ما صنعت : نقصت

[1] كتب فوقها في المسودة « معاً » أي بضم الحاء وفتحها .

عددك وأوهنت عضدك وأشمتّ عدوّك وأسأت بقومك ؛ خلوا سبيله ، واحملوا إلى أم المقتول ديته فإنها غريبة . ثم انصرف القاتل وما حل قيس حبوته ولا تغير وَجْهُه[1] .

وكان[2] زياد بن أبيه في مدة ولايته العراقين كثير الرعاية لحارثة بن بدر الغُدَاني وللأحنف ، وكان حارثة مكبّاً على الشراب ، فوقع أهل البصرة فيه عند زياد ولاموا زياداً في تقريبه ومعاشرته ، فقال لهم زياد : يا قوم ، كيف لي باطّراح رجل هو يسايرني منذ دخلت العراق، ولم يصكك ركابيَّ ركاباه قطّ، ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه ، ولا تأخر عني فلويت إليه عنقي ، ولا أخذ علي الرَّوْح في صيف قط ، ولا الشمس في شتاء قط ، ولا سألته عن شيء من العلوم إلا وظننته لا يحسن سواه ، ثم وجدت هذا الكلام في كتاب « ربيع الأبرار » تأليف الزمخشري في باب معاشرة الناس على هذه الصورة ، والله أعلم . وأما الأحنف فلم يكن فيه ما يقال . فلما مات زياد وتولى ولده عبيد الله قال لحارثة : إما أن تترك الشراب أو تبعد عني ، فقال له حارثة : قد علمتَ حالي عند والدك ، فقال عبيد الله : إن والدي كان قد برع بروعاً لا يلحقه معه عيب ، وأنا حدث ، وإنما أنسب إلى من يغلب علي ، وأنت رجل تديم الشراب فمتى قربتك فظهرت رائحة الشراب منك لم آمَنْ أن يُظَنّ بي ، فدع النبيذ وكن أول داخل علي وآخر خارج عني ، فقال له حارثة : أنا لا أدعه لمن يملك ضري ونفعي ، أفأدعه للحال عندك ؟ قال : فاختر من عملي ما شئت، قال : تولّيني سُرَّق فقد وصف لي شرابها ، وتضم إليها رامَ هُرْمُز، فولاه إياهما، فلما خرج شيعه الناس ، فقال له أنس بن أبي أنس ، وقيل أبو الأسود الدؤلي[3] :

أحارِ بنَ بدرٍ قد وَليتَ إمارة   فكن جُرذاً فيها تخون وتَسْرِقُ
ولا تحتقر يا حارِ شيئاً وجَدْتَهُ   فحظك من مال العراقين سُرَّق

١ وسمع الأحنف ... ولا تغير وجهه : سقط من س وبعضه من ص والمسودة ؛ وانظر الجمان لابن ناقيا : ٢٥٣ .

٢ قارن بما في الاغاني ٢٣ : ٤٤٦ .

٣ رواها أبو الفرج (٢٣ : ٤٧١) لأبي الأسود الدؤلي .

وباهِ تميماً بالغنى إن للغنى لساناً به المرء الهيُوبَةُ يَنْطِق
فإن جميع الناس إما مكذّب يقول بما تهوى وإما مصدق
يقولون أقوالاً ولا يعلمونها ولو قيل هاتوا حَقّقُوا لم يحققوا

وأما الأحنف فإنه تغيرت منزلته عند عبيد الله أيضاً ، وصار يقدم عليه من لا يساويه ولا يقاربه .

ثم إن عبيد الله جمع أعيان العراق وفيهم الأحنف وتوجه بهم إلى الشام للسلام على معاوية ، فلما وصلوا دخل عبيد الله على معاوية وأعلمه بوصول رؤساء العراق ، فقال : أدخلهم إليّ أولاً فأول[1] على قدر مراتبهم عندك . فخرج إليهم وأدخلهم على الترتيب كما قال معاوية ، وآخر من دخل الأحنف . فلما رآه معاوية — وكان يعرف منزلته ويبالغ في إكرامه لتقدمه وسيادته — قال له : إليّ يا أبا بحر ، فتقدم إليه فأجلسه معه على مرتبته وأقبل عليه يسأله عن حاله ويحادثه وأعرض عن بقية الجماعة ؛ ثم إن أهل العراق أخذوا في الشكر من عبيد الله والثناء عليه ، والأحنفُ ساكت ، فقال له معاوية : لم لا تتكلم يا أبا بحر ؟ فقال : إن تكلمتُ خالفتهم ، فقال لهم معاوية : اشهدوا عليَّ أنني قد عزلت عبيد الله عنكم ، قوموا انظروا في أمير أوليه عليكم وترجعون إليَّ بعد ثلاثة أيام. فلما خرجوا من عنده كان فيهم جماعة يطلبون الإمارة لأنفسهم وفيهم من عيَّنَ غيره وسَعَوا في السر مع خواصّ معاوية أن يفعل لهم ذلك ، ثم اجتمعوا بعد انقضاء الثلاثة كما قال معاوية ، والأحنفُ معهم ، ودخلوا عليه فأجلسهم على ترتيبهم في المجلس الأول ، وأخذ الأحنف إليه كما فعل أولاً وحادثه ساعة ، ثم قال : ما فعلتم فيما انفصلتم عليه ؟ فجعل كل واحد يذكر شخصاً ، وطال حديثهم في ذلك وأفضى إلى منازعة وجدال ، والأحنفُ ساكت ، ولم يكن في الايام الثلاثة تحدّث مع أحد في شيء ، فقال له معاوية : لم لا تتكلم يا أبا بحر ؟ فقال الاحنف : إن وليتَ أحداً من أهل بيتك لم تجد من يَعْدِل عبيد الله ولا يسدُّ مسدَّه ، وإن وليت من غيرهم فذلك إلى رأيك . ولم يكن في

[1] كذا في المسودة .

الحاضرين الذين بالغوا في المجلس الاول في الثناء على عبيد الله مَنْ ذكره في هذا المجلس ولا سأل عَوْدَهُ إليهم ، فلما سمع معاوية مقالة الأحنف قال للجماعة : اشهدوا عليَّ أني أعدت عبيد الله إلى ولايته ، فكلٌ منهم ندم على عدم تعيينه ، وعلم معاوية أن شكرهم لعبيد الله لم يكن لرغبتهم فيه ، بل كما جرت العادة في حق المتولّي . فلما فَصلَ الجماعة من مجلس معاوية خلا بعبيد الله وقال له : كيف ضيعت مثل هذا الرجل – يعني الأحنف – فإنه عزلك وأعادك إلى الولاية وهو ساكت ، وهؤلاء الذين قدمتهم عليه واعتمدت عليهم لم ينفعوك ولا عَرَّجُوا عليك لما فوضتُ الأمر إليهم ، فمثل الأحنف مَنْ يتخذه الانسان عوناً وذُخْراً. فلما عادوا إلى العراق أقبل عليه عبيد الله وجعله بِطانَتَه وصاحب سره . ولما جرت لعبيد الله تلك الكائنة المشهورة لم ينفعه فيها سوى الأحنف ، وتخلى عنه الذين كان يعتقدهم أعواناً[1] .

وبقي الأحنف إلى زمن مصْعَب بن الزبير ، فخرج معه إلى الكوفة ، فمات بها سنة سبع وستين للهجرة ، وقيل إحدى وسبعين ، وقيل سبع وسبعين ، وقيل ثمان وستين عن سبعين سنة ، والأول أشهر ، رضي الله عنه ، وكان قد كبر جداً ، ودفن بالثَّوِيَّة عند قبر زياد .

وحكى عبد الرحمن بن عمارة بن عُقْبة بن أبي مُعَيط قال : حضرت جنازة الأحنف بن قيس بالكوفة ، فكنت فيمن نزل قبره ، فلما سويته رأيته قد فُسح له مَدَّ بصري ، فأخبرت بذلك أصحابي ، فلم[2] يروا ما رأيت ؛ ذكر ذلك ابن يونس في « تاريخ مصر » المختص بالغرباء في ترجمة عبد الرحمن المذكور .

وهو احد [السادات][3] الطُّلْس ، كما تقدم في أخبار[4] القاضي شريح .

[وحدث الكندي عن أبيه قال : ان معاوية بن أبي سفيان بينا هو جالس وعنده وجوه الناس فيهم الأحنف بن قيس إذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيباً ، فكان آخر كلامه أن سب علياً رضي الله عنه ، فأطرق الناس ،

١ ه : اخواناً .
٢ في المسودة : فلما .
٣ زيادة من ص .
٤ ص : ترجمة .

وتكلم الأحنف فقال : يا أمير المؤمنين، إن هذا القائل آنفاً لو يعلم أنّ رضاك في لعن المرسلين لفعل ؛ فاتّقِ الله ودع عنك علياً فقد لقي ربه وأُفرد في قــبره وخلا بعمله ، وكان والله المبرز سيفه ، الطـاهر ثوبـه ، الميمون نقيبته ، العظيم مصيبته . فقال معاوية : يا أحنف لقد أغضيت العين عن القذى وقلت فيما ترى، وايم الله لتصعدنّ المنبر ولتلعننّه طوعاً أو كرهاً . فقال له الأحنف : يا أمير المؤمنين ، إن تعفني فهو خير لك وإن تجبرني فوالله لا تجري به شفتاي أبـداً . قال : قم فاصعد، قال الأحنف : اما والله مع ذلك لأنصفنـّك في القول والفعل، قال : وما أنت قائل يا أحنف ان انصفتني ؟ قال : أصعد المنبر فأحمد الله تعالى بما هو أهله وأصلي على نبيّه صلى الله عليه وسلم ثم أقول : أيها الناس ، ان أمير المؤمنين معاوية أمرني أن ألعن علياً ، ألا وإن علياً ومعاويـــة اقتتلا واختلفا فادعى كل منهما انه مبغيٌ عليه وعلى فئته ، فإذا دعوت فأمّنوا رحمكم [الله] ، ثم اقول : اللهم العن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغيَ منهما على صاحبه ، والعن الفئةَ الباغيــة لعناً كثيراً ، أمّنوا رحمكم الله ؛ يا معاويـــة لا ازيد على هذا حرفاً ، ولا انقص منه حرفاً ، ولو كان فيه ذهاب نفسي . فقال معاوية : إذن نعفيك أبا بحر . ومثل هذا ما قال معاوية أيضاً لعقيل بن أبي طالب رضي الله عنه : ان علياً قد قَطَعَكَ ووَصَلْتُكَ ، ولا يرضيني منك إلا أن تلعنه على المنبر ، قال : أفعل ، قال : فاصعد المنبر ، فصعد ، ثم قـال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أيها الناس أمرني أن ألعن عليَّ بن أبي طالب أميرُ المؤمنين معاوية بن أبي سفيان فالعنوه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، ثم نزل ، فقال له معاوية : انك لم تبيّن ، قال : والله لا زدت حرفاً ولا نقصت آخر ، والكلام على نية المتكلم .

وكان الأحنف بن قيس يقول : عجبت لمـــن جرى في مجرى البول كيف يتكبر ؛ وكان يقول : اكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم العار والنار . وقـــال الأحنف : شكوت إلى عمي مصيبةً نزلتْ بي فأسكتني ثلاثاً ثم قال لي : يا أبا بحر ، لا تشكُ الذي نزل بك إلى مخلوق فإنمـــا هو صديق تسوءه أو عدو تسره .

وقال رجل للأحنف : أخبرني الثقة عنك بسوء ، قال : الثقة لا ينمّ][1].

ووُلد ملتزق الأليتين حتى شُقّ ، أحنفَ الرِّجلِ يطأ على وحْشِيّها ولذلك قيل له الأحنف ، وذهبت عينه عند فتح سمرقند ، ويقال بل ذهبت بالجدري ؛ وكان متراكب الأسنان صغير الرأس مائل الذقن ، وقَتَلَ عنترةُ بن شداد العبسي الفارس المشهور جَدّه معاوية بن حصين في يوم الفَرُوق ، وهو أحد أيام وقائع العرب المشهورة .

وهاهنا ألفاظ تحتاج إلى تفسير ، فالأحنف : المائل ، ووحشيّ الرِّجْل : ظهرها .

والغُداني : بضم الغين المعجمة وفتح الدال المهملة وبعد الالف نون ، هذه النسبة إلى غُدانة بن يَرْبُوع ، بطنٍ من تميم .

ورامَهُرْمز : مشهورة لا حاجة إلى ضبطها ، وهي من بلاد الأهواز من إقليم خوزستان الذي بين البصرة وفارس .

وسُرَّق : بضم السين المهملة وفتح الراء المشددة وبعدها قاف ، من كور الاهواز أيضاً ومدينتها دَوْرَق : بفتح الدال المهملة وسكون الواو وفتح الراء وبعدها قاف ، ويقال لها : دورق الفرس .

والثَّويّة : بفتح الثاء المثلثة وكسر الواو وتشديد الياء المثناة من تحتها ، وتصغر أيضاً فيقال لها الثُّوَيّة ، اسم موضع بظاهر الكوفة فيه قبور جماعة من الصحابة وغيرهم رضي الله عنهم ، وفيه ماء .

(65) وكان للأحنف ولد يقال له بحر ، وبه كُني ، وكان مضعوفاً ، قيل له : لم لا تتأدب بأخلاق أبيك ؟ فقال : الكسل . ومات وانقطع عقبه .

[1] زيادة من ص .

حَرْفُ الطَّاء

٣٠٦

طـــاوس

أبو عبد الرحمن طاوس بن كَيْسانَ الخَوْلاني الهَمْداني اليماني ، من أبناء الفرس ؛ أحد الأعلام التابعين ، سمع ابن عبـاس وأبا هريرة رضي الله عنهما ، وروى عنه مجاهد وعمرو بن دينار ، وكان فقيهاً جليل القدر نبيه الذكر . قال ابن عُيَيْنة : قلت لعبيد الله بن يزيد : مع من تدخل على ابن عباس ؟ قـال : مع عطاء وأصحابه . قلت : وطاوس ؟ قال : أَيْهَاتَ ، كان ذلك يدخل مع الخواص . وقال عمرو بن دينار : ما رأيت أحداً قط مثل طاوس .

ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه طاوس المذكور : إن أردت أن يكون عملك خيراً كله فاستعمل أهل الخير ، فقال عمر : كفى بها موعظة .

وتوفي حاجّاً بمكة قبل يوم التروية بيوم ، وصلى عليه هشـام بن عبد الملك وذلك في سنة ست ومائة رضي الله عنه ، وقيل سنة أربع ومائة ، والله أعلم . قال بعض العلماء : مات طاوس بمكة فلم يتهيأ إخراج جنازته لكثرة الناس ، حتى وجّه إبراهيم بن هشام المخزومي أمير مكة بالحرس ، فلقد رأيت عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم ، واضعَ السرير على كاهله ، وقد سقطت قَلَنْسُوة كانت على رأسه ومُزّق رداؤه من خلفه .

ورأيت بمدينة بَعْلَبَكّ داخلَ البلد قبراً يزار ، وأهل البلد يزعمون أنـــه طاوس المذكور ، وهو غلط .

٣٠٦ – ترجمة طاوس بن كيسان في طبقات ابن سعد ٧ : ٥٣٧ وتذكرة الحفاظ : ٩٠ وصفة الصفوة ٢ : ١٦٠ وحلية الأولياء ٤ : ٣ وتهذيب التهذيب ٥ : ٨ وعبر الذهبي ١ : ١٣٠ والعقد الثمين ٥ : ٥٩ وطبقات الشيرازي ، الورقة : ١٩ .

قال أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب « الألقاب » إن اسمه ذكوان، وطاوس لقبه وإنما لقب به لأنه كان طاوسَ القراء ، والمشهور أنه اسمه .

[وحكي أن هشام بن عبد الملك قدم حاجّاً إلى بيت الله الحرام ، فلما دخل الحرم قال : إيتوني برجل من الصحابة ، فقيل : يا أمير المؤمنين قد تفانوا ، قال : فمن التابعين ، فأتي بطاوس اليماني ، فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلّم بإمرة المؤمنين ولم يكنّه وجلس إلى جانبه بغير إذنه وقال : كيف أنت يا هشام؟ فغضب من ذلك غضباً شديداً حتى همَّ بقتله ، فقيل: يا أمير المؤمنين أنت في حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ لا يمكن ذلك، فقال له : يا طاوس ، ما حملك على ما صنعت ؟ قال : وما صنعت ؟ فاشتدَّ غضبه له وغيظه وقال : خلعتَ نعليك بحاشية بساطي ولم تسلّم عليّ بإمرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بإزائي بغير إذني وقلت : يا هشام كيف أنت ؟ قال : أمّا خلع نعليَّ بحاشية بساطك فإني أخلعهما بين يدي رب العزة كلَّ يوم خمس مرات فلا يعاتبني ولا يغضب علي ؛ وأما ما قلت : لم تسلّم علي بإمرة المؤمنين فليس كل المؤمنين راضين بإمرتك فخفت أن أكون كاذباً ؛ وأما ما قلت : لم تكنّني فإن الله عز وجل سمّى أنبياءه ، قال : يا داود يا يحيى يا عيسى ، وكنّى أعداءه فقال : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ ؛ وأما قولك : جلست بإزائي ، فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالسٍ وحوله قوم قيام ؛ فقال له : عظني ، قال : إني سمعت أمير المؤمنين رضي الله عنه يقول : إن في جهنم حيّات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كلَّ أمير لا يعدل في رعيته . ثم قام وخرج .

قالت امرأة ماجنة : ما بقي أحد إلا فتنته ما خلا طاوس فإني تعرضت له فقال : إذا كان وقت كذا فتعالي ، فجئت ذلك الوقت فذهب بي إلى المسجد الحرام فقال : اضطجعي ، فقلت : هاهنا ؟ فقال : الذي يرانا هنا يرانا ثَـمَّ .

وقال رجل لطاوس : ادعُ لي ، قال : ادعُ أنت لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه .

ابن جريج قال ، قال لي عطاء : جاءني طاوس فقال لي : يا عطاء ، إياك أن

ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه ، وعليك بطلب حوائجك إلى مَنْ بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة ، طَلَبَكَ أن تدعوه ووعدك الإجابة .

وقال عبد الله بن طاوس : قال لي أبي : يا بنيّ صاحب العقلاء تُنسب إليهم وإن لم تكن منهم ، ولا تصاحب الجهال فتنسب إليهم وإن لم تكن منهم ، واعلم أن لكل شيء غاية ، وغايةُ المرء حسن عقله][1] .

وروي أن أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور استدعى عبد الله بن طاوس المذكور ومالك بن أنس رحمهما الله تعالى ، فلما دخلا عليه أطرق ساعة ، ثم التفت إلى ابن طاوس ، وقال له : حدثني عن أبيك ؟ فقال : حدثني أبي أن أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله تعالى في سلطانه فأدخل عليه الجور في حكمه ، فأمسك أبو جعفر ساعة ؛ قال مالك : فضممتُ ثيابي خوفاً أن يصيبني دمه . ثم قال له المنصور : ناولني تلك الدواة ، ثلاثَ مراتٍ ، فلم يفعل ، فقال له : لم لا تناولني ؟ فقال : أخاف أن تكتب بها معصية فأكون قد شاركتك فيها ، فلما سمع ذلك قال : قوما عني ، قال : ذلك ما كنا نبغي . قال مالك : فما زلت أعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم .

والخَوْلاني : بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وبعدها لام ألف ثم نون ، هذه النسبة إلى خَوْلان ، واسمه أفكل بن عمرو بن مالك ، وهي قبيلة كبيرة نزلت بالشام .

والهمْداني : بسكون الميم وفتح الدال المهملة ، قد تقدم الكلام عليه ونسبته إليهم بالولاء .

١ زيادة من ص .

٣٠٧

أبو الطيب الطبري

أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري القاضي الفقيه الشافعي؛ كان ثقة صادقاً ديّناً ورعاً عارفاً بأصول الفقه وفروعه، محققاً في علمه، سليم الصدر حسن الخلق صحيح المذهب، يقول الشعر على طريقة الفقهاء.

[ومن شعره ما أورده له الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي – المقدم ذكره – في الجزء الذي وضعه في أخبار أبي العلاء المعري، فقال مسنداً عنه: كتبتُ إلى أبي العلاء المعري الأديب حين وافى بغداد، وكان قد نزل في سويقة غالب:

وما ذاتُ دَرّ لا يحلُّ لحالبٍ ... تناولهُ واللحمُ منها مُحَلَّلُ
لمنْ شاءَ في الحالين حيّاً وميّتاً ... ومَنْ شاءَ شُرْبَ الدَّرّ فهو مُضلل
إذا طعنَتْ في السن فاللحمُ طيّبٌ ... وآكلهُ عِندَ الجميع مُغَفَّــل
وخرفانها للأكل فيها كَزازة ... فما لحصيفِ الرأي فيهنّ مأكل
ومــا يجتني معناهُ إلا مبرّز ... عليمٌ بأسرار القــلوب محصّل

فأجابني وأملى على الرسول في الحال ارتجالاً:

جَوابانِ عنْ هذا السؤال كِلاهما ... صَوابٌ، وبعضُ القائلين مضلل
فمَنْ ظنهُ كرْماً فليسَ بكاذِب ... ومنْ ظنهُ نخــلاً فليسَ يجهّل
لحومها الأعنابُ والرُّطَبُ الذي ... هوَ الحلُّ، والدَّرُّ الرَّحيقُ المسَلسل
ولكنْ ثِمارُ النّخلِ وهي غضيضةٌ ... تمرُّ وغضُّ الكرم يُجْنى ويؤكل

....

٣٠٧ - ترجمة أبي الطيب الطبري في طبقات الشيرازي، الورقة: ٣٧ وطبقات السبكي ٣: ١٧٦.

يكلفني القاضي الجليلُ مَسائِلاً هيَ النجم قدراً بل أعزّ وأطول
ولوْ لمْ أجبْ عنها لكنتُ بجهلها جديراً ولكنْ من يَوَدّكَ مُقبِل

فأجبته عنه ، وقلت :

أنارَ ضميري مَنْ يعزُّ نظيرُه من الناس طُرّاً سابغُ الفضل مكمَلُ
ومَنْ قلبهُ كتبُ العلوم بأسْرِها وخاطرُهُ في حِدّةِ النارِ مشعل
تساوَى لهُ سِرُّ المعاني وجهرُها ومعضلها بادٍ لدَيه مفصَّل
ولمّا أنارَ الحبّ قادَ منيعهُ أسيراً بأنواع البيان يُكبَّل
وقرَّبهُ مِنْ كلِّ فهمٍ بكشفهِ وإيضاحهِ حتى رآهُ المغفّل
وأعجبُ منهُ نظمهُ الدّرّ مُسرعاً ومُرْتجلاً مِنْ غيرِ ما يتمهّل
فيخرُجُ منْ بحْرٍ ويسمو مكانهُ جلالاً إلى حيثُ الكواكب تنزل
فهنّأهُ الله الكريمُ بفضلهِ محاسِنه والعمرُ فيها مطوَّل

فأجاب مرتجلا وأملى على الرسول :

ألا أيها القاضي الذي بدَهاتِه سُيُوفٌ على أهل الخلاف تُسَلَّلُ
فؤادكَ مَهْورٌ من العلم آهلٌ وجدُّكَ في كل المسائِلِ مقبل
فإن كنتَ بين الناس غير مموّل فأنتَ من الفهم المصون مُمَوّل
إذا أنتَ خاطبتَ الخصوم مجادلاً فأنتَ، وهُمْ مثل الحمائم ، أجدلُ
كأنكَ مِنْ في الشافعيّ مخاطب ومِنْ قلبهِ تملي فما تتَمهّل
وكيف يُرَى علم ابن إدريس دارساً وأنتَ بإيضاحِ الهُدى متكفّل
تفضلت حتى ضاق ذَرعي بشكر ما فعلتَ وكَفّني عن جوابك أجمل
لأنكَ في كنهِ الثريا فصاحةً وأعلى ومن يبغي مكانكَ أسفل
فعذرُكَ في أني أجبتكَ واثقاً بفضلك فالإنسان يسهُو ويذهل
وأخطأتُ في إنفاذ رُقعتكَ التي هيَ المجدُ لي منها أخيرٌ وأوّل
ولكن عَداني أن أرومَ احتفاظَها رَسولُكَ وهوَ الفاضلُ المتفضّل

ومن حقها أن يصبحَ المسكُ عامراً لها وهْيَ في أعلى المواضع تُجعل
فمن كانَ في أشعارِهِ مُتمثلاً فأنت امرؤ في العلم والشعر أمثل
تجمّلتِ الدُّنيا بأنكَ فوْقها ومِثلكَ حقاً مَنْ بهِ تتجمّل

وذكر السمعاني في « الذيل » في ترجمة أبي الحسن عليّ بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن محمويه اليزدي أنه كان له عمامة وقميص بينه وبين أخيه : إذا خرج ذاك قعد هـذا في البيت ، وإذا خرج هـذا احتاج ذاك أن يقعد . قال السمعاني : وسمعته يقول يوماً ، وقد دخلت عليه مع علي بن الحسين الغزنوي الواعظ مسلماً داره ، فوجدناه عرياناً ، متأزراً بمئزر ، فاعتذر من العُرْي وقال : نحن إذا غسلنا ثيابنا نكون كما قال القاضي أبو الطيب الطبري :

قَوْمٌ إذا غَسَلُوا ثِيابَ جَمالِهِمْ لَبِسُوا البيوتَ إلى فراغ الغاسلِ][1]

عاش مائة سنة وسنتين ، لم يختلّ عقله ولا تغير فهمه ، يُفتي ويستدرك على الفقهاء الخطأ ويقضي ببغداد ويحضر المواكب في دار الخلافة إلى أن مات .

تفقه بآمُلَ على أبي علي الزجاجي صاحب ابن القاصّ ، وقرأ على أبي سعد الإسماعيلي وأبي القاسم بن كَجٍّ بجرجان ، ثم ارتحـل إلى نيسابور ، وأدرك أبا الحسن الماسرجسي فصحبه أربع سنين وتفقه عليه ، ثم ارتحل إلى بغداد وحضر مجلس الشيخ أبي حامد الاسفرايني . وعليه اشتغل الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ، وقال في حقه : « لم أر فيمن رأيت أكمـل اجتهاداً وأشد تحقيقاً وأجود نظراً منه » .

وشرح مختصر المزني وفروع أبي بكر ابن الحداد المصري ، وصنّف في الأصول والمذهب والخلاف والجدل كتباً كثيرة .

وقال الشيخ أبو إسحـاق : « لازمت مجلسه بضع عشرة سنة ، ودرّستُ أصحابه في مسجده سنين بإذنه ، ورتبني في حلقته »[2] .

١ ومن شعره ... إلى فراغ الغاسل : سقط من ص س م والمسودة .
٢ طبقات الشيرازي : وسألني أن أجلس في مسجد للتدريس ففعلت ذلك في سنة ثلاثين وأربعمائة.

واستوطن بغداد وولي القضاء بِرُبْع الكَرْخ بعد موت أبي عبد الله الصيمري ، ولم يزل على القضاء إلى حين وفاته .

وكان مولده بآمُلَ سنة ثمان وأربعين وثلثمائة ، وتوفي في شهر ربيع الأول يوم السبت لعشر بقين منه سنة خمسين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ، ببغداد ، ودفن من الغد في مقبرة باب حرب وصُلي عليه في جامع المنصور .

والطبري : قد تقدم الكلام عليه أنه منسوب إلى طبرستان .

وآمُل : بمد الهمزة وضم الميم وبعدها لام ، مدينة عظيمة هي قصبة طبرستان .

٣٠٨

ابن بابشاذ النحوي

أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوي ؛ يقال إن أصله من الدّيلم[١] ، وكان هو بمصر إمامَ عصره في علم النحو ، وله المصنفات المفيدة ، منها : « المقدمة » المشهورة ، وشرحها ، و« شرح الجمل » للزجاجي ، و« شرح كتاب الأصول » لابن السراج ، وجمع في حال انقطاعه شكّة[٢] كبيرة في النحو ، يقال إنها لو بُيضَت قاربت خمس عشرة مجلدة ، وسماها النحاة بعده الذين وصلت إليهم « تعليق الغرفة » [وانتقلت هذه التعليقة إلى تلميذه أبي عبد الله محمد بن بركات السعدي[٣] النحوي اللغوي المتصدر موضعه ، ثم انتقلت منه إلى صاحبه : أبي محمد عبد الله بن بَرّي النحوي المتصدر في مكانه ، ثم انتقلت بعده إلى صاحبه

---

٣٠٨ - ترجمة ابن بابشاذ النحوي في معجم الأدباء ١٢ : ١٧ وبغية الوعاة ٥ : ٢٧٢ وانباه الرواة ٢ : ٩٥ والشذرات ٣ : ٣٣٣ والنجوم الزاهرة ٥ : ١٠٥ .

١ القفطي : أصله من العراق ، وكان جده أو أبوه قدم مصر تاجراً .

٢ الشكة : لم أجد لها معنى مناسباً في المعاجم ، وهي تفيد هنا مجموعة جذاذات .

٣ القفطي : السعيدي .

أبي الحسين النحوي المنبوز بشلط الفيل ، المتصدر في موضعه ، وقيل : إن كل واحد من هؤلاء كان يهبها لتلميذه ويعهد إليه بحفظها[1] . ولقد اجتهد جماعة من الطلبة في نَسْخها ، فلم يتمكنوا من ذلك][2] .

وانتفع الناس بعلمه وتصانيفه . وكانت وظيفته بمصر أن ديوان الإنشاء لا يخرج منه كتاب حتى يُعرض عليه ويتأمله ، فإن كان فيه خطأ من جهة النحو أو اللغة أصلحه كاتبه ، وإلا استرضاه فسيروه إلى الجهة التي كتب إليها ، وكان له على هذه الوظيفة راتب من الخزانة يتناوله في كل شهر ، وأقام على ذلك زماناً .

ويحكى أنه كان يوماً في سطح جامع مصر وهو يأكل شيئاً وعنده ناس ، فحضرهم قطٌّ فرموا له لقمة ، فأخذها في فيه وغاب عنهم ثم عاد إليهم ، فرموا له شيئاً آخر ففعل كذلك ، وتردّد مراراً كثيرة وهم يرمون له وهو يأخذه ويغيب به ثم يعود من فَوْره ، حتى عجبوا منه ، وعلموا أن مثل هذا الطعام لا يأكله وحده لكثرته ، فلما استرابوا حاله تبعوه فوجدوه يَرْقَى إلى حائط في سطح الجامع ، ثم ينزل إلى موضع خالٍ صورة بيت خراب ، وفيه قط آخر أعمى ، وكل ما يأخذه من الطعام يحمله إلى ذلك القط ويضعه بين يديه وهو يأكله . فعجبوا من تلك الحال ، فقال ابن بابشاذ : إذا كان هذا حيواناً أخرس قد سخر الله سبحانه وتعالى له هذا القط ، وهو يقوم بكفايته ولم يحرمه الرزق ، فكيف يُضيّع مثلي ؟ ثم قطع الشيخ علائقه واستعفى من الخدمة ونزل عن راتبه ولازم بيته واشتغاله متوكلا على الله سبحانه وتعالى . وما زال محروساً محمول الكلفة إلى أن مات عشية اليوم الثالث من رجب سنة تسع وستين وأربعمائة بمصر ، ودفن في القرافة الكبرى ، رحمه الله تعالى ، وزرت بها قبره ، وقرأت تاريخ وفاته على حجر عند رأسه ، كما هو هاهنا .

وكان سبب موته أنه لما انقطع وجمع أطرافه وباع ما حوله وأبقى ما لا

---

١ ذكر القفطي أنه أرسل من حلب من يشتري له تلك التعليقة بأي ثمن بلغت ، فذكر له الشخص المرسل أنها صارت إلى الملك الكامل محمد بن العادل .

٢ ما بين معقفين لم يرد في المسودة .

بُدّ له منه ، كان انقطاعه في غرفة بجامع عمرو بن العاص ، وهو الجامع العتيق بمصر ، فخرج ليلة من الغرفة إلى سطح الجامع ، فزلّتْ رجله من بعض الطاقات المؤدية للضوء[1] إلى الجامع ، فسقط وأصبح ميتاً .

وبابشاذ : بباءين موحدتين بينهما ألف ثم شين معجمة وبعد الألف الثانية ذال معجمة ، وهي كلمة عجمية تتضمن الفرح والسرور .

٣٠٩

طاهر بن الحسين

أبو الطيب طاهر بن الحسين بن مُصْعَب بن رُزيق[2] بن مَاهَانَ ، ورأيت في مكان آخر : رزيق بن أسعد بن رادويه ، وفي مكان آخر : أسعد بن زاذان — والله أعلم — وقيل مصعب بن طلحة بن رزيق الخزاعي بالولاء الملقب ذا اليمينين ؛ كان جده رزيق بن ماهان مولى طَلْحة الطلحات الخزاعي المشهور بالكرم والجود المفرط ، وكان طاهر من أكبر أعوان المأمون ، وسيره من مَرْوَ كرسِيِّ خراسانَ لما كان المأمون بها إلى محاربة أخيه الأمين ببغداد لما خلع المأمون بيعته ، والواقعة مشهورة ، وسير الأمين أبا يحيى علي بن عيسى بن ماهان لدفع طاهر عنه ، فتواقعا وقُتل علي في المعركة .

ذكر ابن العظيمي الحلبي[3] في تاريخه أن الأمين وَجَّه عليّ بن عيسى بن

. . .

١ ص : إلى النور .

٣٠٩ - أخبار ذي اليمينين في كتب التاريخ كالطبري وابن الأثير (ج ٦) والعيون والحدائق : ٣٣٢ - ٣٦٤ والبداية والنهاية ١٠ : ٢٦٥ والديارات : ٩١ والنجوم الزاهرة ٢ : ١٤٩ والشذرات ٢ : ١٦١ وتاريخ بغداد ٩ : ٣٥٣ وكتاب بغداد لابن طاهر : في صفحات مختلفة . وانظر التمثيل والمحاضرة : ٢٩١ والجهشياري : ٢٩٠ .

٢ س ص : زريق .

٣ مر التعريف به في ترجمة عماد الدين زنكي .

ماهان لملاقاة طاهر بن الحسين ، فلقيه بالري فقُتل علي بن عيسى لسبع[1] خلون من شعبان سنة خمس وتسعين ومائة . قلت : وذكر الطبري في تاريخه[2] هـــذه الواقعة في سنة خمس وتسعين ، ولم يعين الشهر ، لكنه قال : إنه قتل في الحرب ، وسير طاهر بالخبر إلى مرو ، وبينهما نحو مائتين وخمسين فرسخاً ، فسار الكتاب ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد ، ولم يذكر في أي شهر ، فوصلهم يوم الأحد ، ثم قال بعد هذا[3] : وخرج علي بن عيسى من بغداد لسبع ليال خلون من شعبان من سنة خمس وتسعين . والظاهر أن ابن العظيمي اشتبه عليه يوم قتل علي بن عيسى بيوم خروجه من بغداد . ثم قال بعد هذا[4] : إن الخبر وصل إلى بغداد بقتله يوم الخميس النصف من شوال من السنة ، فيحتمل أنه قتل لسبع أو لتسع من شوال ، وتصحّف على الناسخ شوال بشعبان ، فيكون كما قال الطبري خرج من بغداد في شعبان ، وقتل في شوال أو في رمضان ، والله أعلم .

وتقدم طاهر إلى بغداد وأخذ ما في طريقه من البـــلاد ، وحاصر بغداد والأمين بها ، وقتله يوم الأحد لست أو أربع خلون من صفر سنة ثمان وتسعين ومائة ، ذكره الطبري في تاريخه ؛ وقال غيره : إن طاهراً سير إلى المأمون يستأذنه في أمر الأمين إذا ظفر به ، فبعث إليه بقميص غير مُقَوَّر ، فعلم أنه يريد قتله ، فعمل على ذلك ، والله أعلم ؛ وحمل رأسه إلى خراسان ووضع بين يدي المأمون ، وعقد للمأمون على الخلافة ، فكان المأمون يرعاه لمناصحته وخدمته .

وقيل لطاهر ببغداد لما بَلَغ ما بلغ : لِيَهْنِكَ ما أدركته من هذه المنزلة التي لم يدركها أحد من نظرائك بخراسان ، فقال : ليس يهنيني ذلك ، لأني لا أرى عجائز بُوشَنْج يتطلعن إليّ من أعالي سطوحهن إذا مررت بهن ، وإنما قال ذلك لأنه ولد ونشأ بها ، وكان جده مصعب والياً عليها وعلى هَراة .

١ ص : لتسع .
٢ تاريخ الطبري (حوادث : ١٩٥) ج ١٠ : ١٤١ (من الطبعة المصرية : ١٣٢٦) .
٣ ص : ١٤٩ من المصدر السابق .
٤ نص ما قاله الطبري (ص : ١٥٣) : ومشى القواد بعضهم إلى بعض وذلك يوم الخميس للنصف من شوال سنة ١٩٥ فقالوا ان علياً (يعني علي بن عيسى بن ماهان) قد قتل .

وكان شجاعاً أديباً ، وركب يوماً ببغداد في حَرّاقته ، فاعترضه مُقَدّسُ ابن صيفي الخلوقي الشاعر ، وقد أُدنيت من الشط ليخرج ، فقال : أيها الأمير ، إن رأيت أن تسمع مني أبياتاً ، فقال : قل ، فأنشأ يقول[1] :

عجبتُ لحرّاقة ابن الحسين لا غرقَتْ كيف لا تَغرَقُ
وبَحْرانِ : من فوقها واحدٌ وآخرُ من تحتها مُطْبَقُ
وأعجبُ من ذاك أعْوادُها وقد مسَّها كيف لا تُورِقُ ؟

فقال طاهر : أعطوه ثلاثة آلاف دينار[2] ، وقال له : زدنا حتى نزيدك ، فقال : حسبي .

ولبعض الشعراء في بعض الرؤساء ، وقد ركب البحر ، وما أقصر فيه :

ولما امتطى البحرَ ابتهلْتُ تضرُّعاً إلى الله يا مُجري الرياحِ بلطفهِ
جعلْتَ الندَى من كفّهِ مثلَ موْجهِ فسلّمه واجعلْ موْجه مثل كفّهِ

وكان طاهر قد احتاج إلى الأموال عند محاصرة بغداد ، فكتب إلى المأمون يطلبها منه ، فكتب له إلى خالد بن جيلويه الكاتب ليقرضه ما يحتاج إليه ، فامتنع خالد من ذلك ، فلما أخذ طاهر بغداد أحضر خالداً وقال له : لأقتلنك شر قتلة ، فبذل من المال شيئاً كثيراً فلم يقبله منه ، فقال خالد : قد قلتُ شيئاً فاسمعه ، ثم شأنك وما أردت ، فقال طاهر : هاتِ ، وكان يعجبه الشعر ، فأنشده :

زعَمُوا بأن الصّقْر[3] صادفَ مرةً عصفور برٍّ ساقَه المقدورُ[4]
فتكلّم العصفورُ تحتَ جناحهِ والصقرُ مُنقضٌ عليه يطير

---

[1] س : فأنشده ، والأبيات منسوبة لعوف بن محلم في طبقات الشعراء : ١٨٩ .
[2] ر : درهم .
[3] م : نبئت أن الباز .
[4] أ : التقدير .

ما كنتُ يا هذا لمثلك لقمةً[1] ولئن شُويتُ[2] فإنني لحقير
فتهاوَنَ الصقرُ المدِلُّ بصيدهِ[3] كرَماً فأفلَتَ ذلك العصفور

فقال طاهر : أحسنت ، وعفا عنه .

وكان طاهر بفرد عين ، وفيه يقول عمرو بن بانة – الآتي ذكره إن شاء الله تعالى – :

يا ذا اليمينين وعينٍ واحدهْ نقصانُ عينٍ ويمينٌ زائدَهْ

ويحكى أن إسماعيل بن جرير البجلي كان مدّاحاً لطاهر المذكور، فقيل له: إنه يسرق الشعر ويمدحك به ، فأحبّ طاهر أن يمتحنه ، فقال له : تهجوني ، فامتنع ، فألزمه بذلك ، فكتب إليه :

رأيتُكَ لا ترى إلا بعيْنٍ وعينُكَ لا ترى إلا قليلا
فأما إذ أصبت بفرْد عينٍ فخذ من عينك الأخرى كفيلا
فقد أيقنْت أنك عن قريبٍ بظهر الكف تلتمس السبيلا

فلما وقف عليها قال له : احذر أن تنشدها أحداً ، ومزق الورقة .

ولما استقل المأمون بالأمر بعد قتل أخيه الأمين كتب إلى طاهر بن الحسين المذكور وهو مقيم ببغداد والمأمون مقيم بخراسان بأن يسلم إلى الحسن بن سَهل – المقدم ذكره – جميع ما افتتحه من البلاد ، وهي العراق وبلاد الجبل وفارس والأهواز والحجاز واليمن ، وأن يتوجه هو إلى الرقّة ، وولاه الموصل وبلاد الجزيرة الفُراتية والشام والمغرب ، وذلك في بقية سنة ثمان وتسعين ومائة .

وأخبار طاهر كثيرة – وسيأتي ذكر ولده عبد الله وحفيده عبيد الله في حرف العين إن شاء الله تعالى – .

---

١ ه : مثلي لمثلك لا يفيد بأكله .

٢ ه : أكلت .

٣ ج : بنفسه .

وكان مولده سنة تسع وخمسين ومـــائة . وتوفي يوم السبت لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة سبع ومائتين بمدينة مَرْوَ رحمه الله تعالى .

وكان المأمون قد ولاه خراسان ، فوردها في شهر ربيع الآخر سنـة ست ومائتين ، واستخلف ابنه طلحة ، هكذا قال السلامي في كتاب « أخبار ولاة خراسان » ، وقال غيره[1] : إنه خلع طاعة المأمون ، وجاءت كتبُ البريد من خراسان تتضمن ذلك، فقلق المأمون لذلك قلقاً شديداً ، ثم جاءته كتب البريد ثاني يوم أنه أصابته عقيب ما خلع حُمّى فوجد في فراشه ميتاً، وقيل إنه حدثْ به في جفن عينه حادث ، فسقط ميتاً .

[وحكى هارون بن العباس بن المأمون في تاريخه ، قال[2] : دخل طـاهر يوماً على المأمون في حاجة فقضاها وبكى حتى اغرورقت عيناه بالدموع ، فقال طاهر : يا أمير المؤمنين لِمَ تبكي ؟ لا أبكى الله عينك ، وقد دانت لك الدنيا وبلغت الأماني، فقال : أبكي لا عن ذل ولا عن حزن ، ولكن لا تخلو نفس من شَجَنٍ ، فاغتم طاهر وقال لحسين الخادم وكان يحجب المأمون في خلواته: أريد أن تسأل أمير المؤمنين عن موجب بكائه عندما رآني ، ثم أنفذ طاهر للخادم مائة ألف درهم ، فلما كان في بعض خلوات المأمون وهو طيب الخاطر قال له حسين الخادم : يا أمير المؤمنين ، لِمَ بكيت لما دخل عليك طاهر ؟ فقـــال : ما لك ولهذا ويلك ؟ قال : غَمَّني بكاؤك ، فقال : هو أمر إن خرج من رأسك أخذته ، فقال : يا سيدي ومتى أبحت لك سرّاً ؟ قال : إني ذكرت محمداً أخي وما ناله من الذلة ، فخنقتني العَبْرَة ، ولن يفوت طاهراً مني ما يكره ، فأخبر حسين طاهراً بذلك ، فركب طاهر إلى أحمد بن أبي خالد فقال له : إن الثناء مني ليس برخيص وإن المعروف عندي ليس بضائع ، فغيبني عن المأمون، فقال: سأفعل ، فبكّر إليّ غداً ، وركب أحمد إلى المأمون فقال له : لم أنم البارحة ، فقال له : ولِمَ ؟ قال : لأنك ولّيت خراسان غسان وهو ومن معه أكلة رأسٍ ، وأخاف أن يصطلمه مصطلم ، فقال : فمن ترى ؟ قال : طاهر ، قـــال : هو

١ انظر تفصيل هذا الخبر في كتاب ابن طاهر : ٧٣ وما بعدها .
٢ ورد الخبر في المصدر السابق : ٢٣ وقد جاء في النسخة ج باختلاف يسير .

جائع ، فقال : أنا ضامن له ، فدعا به المأمون وعقد له على خراسان من ساعته ، وأهدى له خادماً كان رباه ، وأمره إن رأى ما يريبه أن يَسُمَّه ، فلما تمكن طاهر من الولاية قطع الخطبة . حكى كلثوم بن ثابت متولي بريد خراسان قال : صعد طاهر المنبر يوم الجمعة وخطب ، فلما بلغ ذكر الخليفة أمسك ، فكتب بذلك إلى المأمون على خيل البريد ، وأصبح طاهر يوم السبت ميتاً فكتب إليه أيضاً بذلك ، فلما وصلت الخريطة الأولى إلى المأمون دعا أحمد بن أبي خالد وقال : اشخص الآن فأت به كما ضمنت ، وأكرهه على المسير في يومه ، ثم بعد شدائد أذن له في المبيت ، ثم وافت الخريطة الثانية من يومه بموته ، وقيل : إن الخادم سَمَّه في كامخ][1] .

(66) ثم إن المأمون استخلف ولده طلحة على خراسان ، وقيل إنه جعله خليفة بها لأخيه عبد الله بن طاهر الآتي ذكره ، وتوفي طلحة سنة ثلاث عشرة ومائتين ببَلْخَ .

واختلفوا في تلقيبه بذي اليمينين[2] لأي معنى كان ، فقيل لأنه ضرب شخصاً في وقعته مع علي بن ماهان كما تقدم فقدّه نصفين ، وكانت الضربة بيساره ، فقال فيه بعض الشعراء :

كلتا يديك يمينٌ حين تضربه

فلقبه المأمون « ذا اليمينين » ، وقيل غير ذلك .

(67) وكان جده مصعب بن رزيق[3] كاتباً لسليمان بن كثير الخزاعي صاحب دعوة بني العباس ، وكان بليغاً ، فمن كلامه : ما أحوجَ الكاتبَ إلى نفس تسمو به إلى أعلى المراتب ، وطبع يقوده إلى أكرم الأخلاق ، وهمة تكفه عن دَنَسِ الطمع ودناءة الطبع .

---

١ ما بين معقفين سقط من ص س والمسودة .
٢ ذكر الثعالبي (ثمار القلوب : ٢٩١) انه لقب بذلك لأن المأمون كتب اليه : « يمينك يمين أمير المؤمنين وشمالك يمين » .
٣ انظر الجهشياري : ٧٤ .

وبُوشَنْج : بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وسكون النون وبعدها جيم ، وهي بلدة بخراسان على سبعة فراسخ من هَراة .

ومُقَدَّس : بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال المهملة المكسورة وبعدها سين مهملة ، وهو اسم علم على الشاعر المذكور .

والخلوقي : بفتح الخاء المعجمة وضم اللام وسكون الواو وبعدها قاف ، هذه النسبة إلى خَلُوق أو خَلُوقة ، وهي قبيلة من العرب مشهورة .

(68) ومات والده الحسين بن مصعب بخراسان في سنة تسع وتسعين ومائة ، وحضر المأمون جنازته وبعث إلى ابنه طاهر وهو بالعراق يعزيه .

٣١٠

سيف الإسلام طغتكين

سيف الإسلام أبو الفوارس طُغْتِكين بن أيوب بن شاذي بن مروان المنعوت بالملك العزيز ظهير الدين ، صاحب اليمن ؛ كان أخوه السلطان الملك الناصر صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، لما ملك الديار المصرية قد سير أخاه شمس الدولة تُورَانَ شاه – المقدم ذكره في حرف التاء – إلى بلاد اليمن ، فملكها واستولى على كثير من بلادها ، ورجع عنها – حسبما هو مذكور في ترجمته – ثم سير السلطان إليها بعد ذلك أخاه سيف الإسلام المذكور ، وذلك في سنة سبع وسبعين وخمسمائة . وكان رجلاً شجاعاً كريماً مشكور السيرة حسن السياسة مقصوداً من البلاد الشاسعة لإحسانه وبره ، ودخل إليه شرفُ الدين أبو المحاسن ابن عنين الدمشقي – الآتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى – ومدحه بغرّ القصائد ، فأحسن إليه وأجزل صلته ، واكتسب من جهته مالاً وافراً وخرج به من اليمن ،

٣١٠ - ترجمة طغتكين في ابن الأثير ١١ : ٤٨٠ ومفرج الكروب ٢ : ١٠٥ وصفحات كثيرة في مرآة الزمان ، والعقود اللؤلؤية ١ : ٢٩ .

فلما وصل إلى الديار المصرية وسلطانُها يومئذ الملك العزيز عمـاد الدين عثمان ابن السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى ، ألزمه أرباب ديوان الزكاة بدفع الزكاة من المتاجر التي وصلت صحبته ، فعمل[1] :

ما كلُّ من يَتَسَمَّى بالعزيز لهـــا أهلٌ ولا كـلُّ برقٍ سُحْبُهُ غَـدِقَـهْ
بـين العزيزين بَوْنٌ في فَعَالهـما هذاك يُعْطي ، وهذا يأخذ الصَّدَقَـهْ

وكانت وفاة سيف الإسلام في شوال تاسع عشر سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بالمنصورة ، وهي مدينة اختطها باليمن ، رحمه الله تعالى .

(69) وتولى بعده ولده الملك المعز فتح الدين إسماعيل[2] ، وللمعز المذكور صنّف أبو الغنائم مسلم بن محمود بن نعمة بن أرسلان الشيزري كتابه الذي سماه « عجائب الأسفار وغرائب الأخبار » وأودع فيه من أشعاره وأخبار الناس كثيراً ، وذكر العز بن عساكر أنـــه مات بالحمراء من بلاد اليمن ، وذكر أبو الغنـائم المذكور في كتابه الذي سماه « جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام »[3] أنـه مات بتعز ، ودفن بها بالمدرسة . ثم قال : وقتل ولده فتح الدين أبو الفداء إسماعيـل في رجب سنة ثمان وتسعين ، بمكان يقال له عجي شاميّ زبيد ، وتولى مكانه أخوه الملك الناصر أيوب[4] .

[وكان الملك المعز اسماعيل أهوج كثير التخليط بحيث انه ادعى أنه قرشي من بني أمية وخطب لنفسه بالخلافة وتلقب بالهادي ، فلما سمع عمه الملك العادل

١ ديوان ابن عنين : ٢٢٣ .
٢ راجع نبذة عنه في بلوغ المرام : ٤١ .
٣ من هذا الكتاب نسخة خطية بليدن رقم ٤٨٠ ؛ وقد جاء في مقدمتها : « أما بعد فهذا كتاب ألفته وبعضه أنشأته لخزانة مولانا الملك المسعود السيد الأجل الكبير العالم العامل المجاهد المظفر المنصور صلاح الدين ملك المسلمين ، ذخر الإسلام ، عدة الأنام ، أسد الدولة ، بهاء الملة ، شمس الملوك والسلاطين ، قاتل الكفرة والملحدين ، قاهر الخوارج والمتمردين ، صلاح الدين سلطان اليمن ... الخ » وقد قسمه في ستة عشر كتاباً وختم كل كتاب بإيراد شيء من قوله وقول ولده أحمد في مدح الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن محمد بن سيف الدين أبي بكر .
٤ ترتيب أخبار الملك المعز مختلف في نسخة ص عما هو عليه في سائر النسخ .

ذلك ساءه وأهمه وكتب إليه يلومه ويوبخه ويأمره بالعودة إلى نسبه الصحيح ، وبترك ما ارتكبه مما يضحك الناس منه ، فلم يلتفت ولم يرجع ؛ وانضاف إلى ذلك أنه أساء السيرة مع اجناده وامرائه ، فوثبوا عليه فقتلوه وملّكوا عليهم أخاه الملك الناصر محمداً][1] .

(70) وكان أبو الغنائم المذكور أديباً شاعراً ، وكان موجوداً في سنة سبع عشرة وستمائة . فقد توفي في هذه السنة أو بعدها .

(71) وكان أبوه أبو الثناء محمود[2] نحوياً متصدراً بجامع دمشق لإقراء النحو ، وذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه الكبير ، وذكره العماد الكاتب في كتاب « الخريدة »[3] وقال : توفي بعد سنة خمس وستين وخمسمائة . وقال شرف الدين ابن عنين : أنشدني محمود المذكور لنفسه[4] :

يقولون كافات الشتاء كثيرة ... وما هي إلا واحد غير مُفْتَرَى
إذا صح كاف الكيس فالكلُّ حاصل ... لديك ، وكل الصيد يوجد في الفَرا

وكان جده أرسلان مملوك ابن منقذ صاحب شيزر ، والله أعلم .

وطُغْتِكِينُ : بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وكسر التاء المثناة من فوقها والكاف وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها نون ، وهو اسم تركي [لا أعرف معناه] .

١ زيادة من ص .
٢ قال القفطي (انباه ٣ : ٢٧٣) : كان محمود بن نعمة شاعر ابن منقذ ، وله شعر حسن وكان يحفظ أشعاراً كثيرة ، وتوفي بدمشق ؛ وانظر أيضاً بغية الوعاة : ٣٩٠ والنجوم الزاهرة ٥ : ٣٥٨ .
٣ الخريدة (قسم الشام) ١ : ٥٧٥ .
٤ الخريدة : ٥٧٦ .

٣١١

الصالح بن رزيك

أبو الغارات طلائع بن رُزِّيك الملقب الملك الصالح وزير مصر ؛ كان والياً بمنية بني خصيب من أعمال صعيد مصر، فلما قُتل الظافر إسماعيل صاحب مصر – كما تقدم في حرف الهمزة – سير أهل القصر إلى الصالح ، واستنجدوا به على عباس وولده نصر المتفقين على قتله ، فتوجه الصالح إلى القاهرة ومعه جمع عظيم من العربان ، فلما قربوا من البلد هرب عباس وولده وأتباعهما ومعهما أسامة بن منقذ – المذكور في حرف الهمزة أيضاً – لأنه كان مشاركاً لهما في ذلك على ما يقال ، ودخل الصالح إلى القاهرة وتولى الوزارة في أيام الفائز ، واستقل بالأمور وتدبير أحوال الدولة ، وكانت ولايته في التاسع عشر من شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وخمسمائة . وكان فاضلاً سمحاً في العطاء سهلاً في اللقاء محباً لأهل الفضائل جيد الشعر، وقفت على ديوان شعره وهو في جزأين ، ومن شعره قوله[١]:

كم ذا يُرينا الدهرُ من أحداثِه عِبَراً وفينا الصدُّ والإعراضُ
نَنسى المماتَ وليسَ يجري ذكرُه فينا فتُذكرنا بــه الأمراضُ

ومن شعره أيضاً[٢] :

ومُهَفهَفٍ ثملِ القَوامِ سرَتْ إلى أعطافِه النشواتُ من عينيهِ
ماضي اللحاظِ كأنّما سَلَّتْ يدي سيفي غَــداةَ الروع من جفنيــه

٣١١ – ترجمة طلائع بن رزيك في الخريدة (قسم مصر) ١:١٧٣ وفي الحاشية ثبت بمصادر ترجمته ؛ وانظر النكت العصرية ١ : ٣٢ وما بعدها ، وقد جمع محمد هادي الأميني ديوانه (ط. النجف: ١٩٦٤ وألحق بقدمته ثبتاً مفصلاً في مصادر ترجمته) قلت: وهذه الترجمة مستوفاة في المسودة .

١ ديوانه : ٨٤ .

٢ الخريدة ١ : ١٧٧ والديوان : ١٧٤ .

قد قلتُ إذ خَطّ العِذارُ بمسكةٍ   في خده ألِفَيْهِ لا لاميه
ما الشَّعر دَبَّ بعارِضيهِ وإنما   أصْداغُهُ نفضَتْ على خَدّيه
الناسُ طَوْعُ يدي وأمْري نافِذٌ   فيهمْ وقلبي الآنَ طَوْعُ يَدَيه
فاعْجبْ لِسلطان يعمُّ بعَدْلِهِ   ويجُورُ سُلطانُ الغَرامِ علَيه
واللهِ لوْلا اسمُ الفِرارِ وأنّهُ   مُستَقبَحٌ لفَرَرْتُ مِنهُ إلَيه

وروى عنه أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الأنصاري الملقب زين الدين الحنبلي المعروف بابن نُجَيَة الواعظ المشهور الدمشقي قال : أنشدني طلائع بنُ رُزّيك لنفسه بمصر[1] :

مَشيبُكَ قد نَضا صبْغَ الشّبابِ   وحَلّ البازُ في وَكْرِ الغُرابِ
تَنامُ ومُقلَةُ الحِدْثان يَقظى   وما نابَ النّوائِب[2] عَنكَ نابي
وكيفَ بَقاء عُمْرِكَ وهْوَ كنزٌ   وقد أنفَقْتَ مِنهُ بلا حِسابِ

وكان المهذب عبد الله بن أسعد الموصلي نزيل حِمْصَ قد قصده من الموصل ، ومدحه بقصيدته الكافيّة التي أولها[3] :

أما كَفاكَ تَلافي في تَلافيكا   ولَستَ تَنقِمُ إلا فرْطَ حُبّيكا

وهي من نخب القصائد ، ومخلَصُها[4] :

وفيمَ تَغْضبُ أنْ قالَ الوُشاة سَلا   وأنتَ تَعْلَمُ أني لَستُ أسْلُوكا
لا نِلتُ وصْلَكَ إنْ كانَ الذي زَعَموا   ولا شَفى ظَمَئي جُودُ ابنِ رُزّيكا

وهي طويلة طائلة ولولا خوف الإطالة لكتبتها .

١ الديوان : ٥٧ .
٢ س : الحوادث .
٣ انظر ابن الصابوني : ٣٦٠ .
٤ سقطت هذه العبارة من ر .

ولما مات الفائز وتولى العاضد مكانه استمر الصالح على وزارته وزادت حرمته وتزوّج العاضد ابنتــه ، فاغترّ بطول السلامة ، وكان العاضــد تحت قبضته وفي أسره ، فلما طال عليه ذلــك أعمل الحيلة في قتله ، فاتفق مع قوم من أجنــاد الدولة يقــال لهم أولاد الرّاعي وتقرر ذلك بينهم ، وعَيَّن لهم موضعــاً في القصر يجلسون فيه مُستَخْفِين ، فإذا مرّ بهم الصالح ليلاً أو نهاراً قتلوه ، فقعدوا له ليلة وخرج من القصر ، فقاموا ليخرجوا إليه ، فأراد أحدهم أن يفتح غَلَق الباب فأغلقه وما علم ، فلم يحصل مقصودهم تلك الليلة لأمر أراده الله تعــالى في تــأخير الأجل ، ثم جلسوا له يوماً آخر ، فدخــل القصر نهاراً فوثبوا عليــه وجرحوه جراحات عديدة بعضها في رأسه ، ووقع الصوت ، فعاد أصحابه إليه فَقَتَلوا الذين جَرَحُوهُ وحُمِلَ إلى داره مجروحاً ودمــه يسيل ، وأقام بعض يوم . ومات يوم الاثنــين تاسع عشر رمضان سنة ست وخمسين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ، وكانت ولادتــه في سنة خمس وتسعين وأربعمائــة . وخرجت الخلع لولده العادل محيي الدين رُزّيك – المقدّم ذكره في ترجمــة شاور – يوم الثلاثاء ثاني يوم وفاة أبيه ، وكنيته أبو شجاع ، ولما تولى الوزارة لقبوه العادل الناصر .

ولما مات رثاه الفقيه عمارة اليمني بقصيدة ، أولها[1] :

أفي أهْلِ ذا النّادي عَلِيمٌ أُسائِلُــهْ ... فإني لِما بي ذاهِبُ اللُّبِّ ذاهِلُهْ
سَمِعتُ حَديثاً أحْسُدُ الصُّمَّ عِندَهُ ... ويَذهَلُ واعِيهِ ويَخْرَسُ قائله
فهَلْ مِنْ جَوابٍ يَستَغيثُ به المُنى ... ويَعْلو عــلى حَقّ المُصيبَةِ باطِله
وقدْ رابَني مِنْ شاهِدِ الحالِ أنّني ... أرى الدَّسْتَ منصُوباً وما فيهِ كافِله
فهَلْ غابَ عَنهُ واسْتَنابَ سَليلَهُ ... أمِ اخْتارَ هَجْراً لا يُرَجّى تَواصُله
فإني أرى فَوقَ الوُجُوهِ كآبَةً ... تَدُلُّ على أنّ الوُجُوهَ ثَواكِله

ومنها :

دَعُوني فما هــذا أوانُ بُكائِهِ ... سيَأتِيكُمُ طَــلُّ البُكاءِ ووابِله

[1] النكت العصرية : ٥٠ ، وهي في ديوانه في ٧٦ بيتاً .

ولا تُنكِرُوا حُزْني علَيهِ فإنّني تَقَشّعَ عَنّي وابِلٌ كنت آمله
ولِمْ لا نُبكّيهِ ونَنْدُبُ فَقدَهُ وأوْلادُنا أيْتامُهُ وأرامِلُه
فيا لَيتَ شِعري بَعدَ حُسنِ فِعالِهِ وقد غابَ عَنّا ما بنا الله فاعِله
أيُكرَمُ مَثوَى ضَيفِكمْ وغَريبِكمْ فيَمكثَ أمْ تَطْوَى ببَيْنٍ مَراحِله

وهي طويلة ؛ وكان قد دفن بالقاهرة ، ثم نقله ولده العادل من دار الوزارة التي دفن بها ، وهي المعروفة بانشاء الأفضل شاهان شاه — المقدّم ذكره — ؛ وكان نقله في تاسع عشر صفر سنة سبع وخمسين في تابوت وركب خلفه العاضد إلى تربته التي بالقرافة الكبرى ، فعمل في ذلك الفقيه عمارة أيضاً قصيدة طويلة أجاد فيها ، ومن جملتها في صفة التابوت :

وكأنهُ تابُوتُ مُوسى أُودِعَتْ في جانِبَيهِ سَكينَةٌ ووَقارُ

وله فيه مَراثٍ كثيرة .

وهذا الصالح هو الذي بنى الجامع الذي على باب زويلة بظاهر القاهرة .

(72) وأما ولده العادل رُزّيك[1] فقد ذكرت في ترجمة شاور تاريخ هربه من القاهرة ، وكان قد حمل معه من الذخائر ما لا يحصى ، ومعه أهله وحاشيته ، واستجار بسليمان ، وقيل بيعقوب بن النيص[2] اللخمي ، وكان من خواص أصحابهم ، وحَصّلَ من جهتهم نعمة وافرة ، فأنزلهم عنده وهو بإطفيح ، وسار من ساعته إلى شاور وأعلمه بهم ، فندب معه جماعة ومضوا إلى العادل وأخذوه أسيراً وأحضروه إلى باب شاور ، فوقف زماناً طويلاً ثم حبسه .

ثم قال شاور لابن النيص : لقد خَبأك الصالح ذخيرةً صالحة لولده وأنا أخبؤك أيضاً لولدي ، ثم شنقه ، وبقي العادل في الاعتقال مدة مديدة ، ثم قتله

١ يلقب بالملك الناصر ، قال عمارة (النكت : ٥٣) « إن الله لم يمهله إلا مديدة يسيرة ، وكانت أفعال الخير فيها كثيرة وذلك أنه سامح الناس بالبواقي والحسابات القديمة وأسقط من رسوم الظلم مبالغ عظيمة ... الخ » .

٢ ص : الفيض ، وأثبتنا ما في ر والمسودة .

وأخرج رأسه لأمراء الدولة[1] .

ومن العجائب أن الصالح ولي الوزارة في التاسع عشر ، وقتـــل في التاسع عشر ، ونقل تابوته في التاسع عشر ، وزالت دولتهم في التاسع عشر .

ورُزّيك : بضم الراء وتشديد الزاي المكسورة وسكون اليـــاء المثناة من تحتها وبعدها كاف .

(73) وكانت[2] ولادة زين الدين الواعظ[3] المذكور سنة ثمان وخمسمائة بدمشق، ونشأ بها وقدم بغداد مراراً ، وصاهر أبا الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد البلنسي الأنصاري الأندلسي[4] على ابنته أم عبد الكريم فاطمة، وانتقل قبل وفاتـه إلى مصر ، وحَدَّثَ بها ، وتوفي يوم الأربعاء ثامن رمضان سنة تسع وتسعين وخمسمائة بمصر ، وهو المعروف بابن نُجَيَّة ، رحمه الله تعالى .

---

١ وأما ولده العادل ... الدولة : لم ترد هذه الفقرة في م .

٢ من هنا الى آخر الترجمة لم يرد في م .

٣ ترجمة زين الدين علي بن ابراهيم الواعظ في ذيل الروضتين : ٣٤ وذيل ابن رجب ١ : ٤٣٦ ، وفي إحدى رحلاته الى بغداد (سنة ٥٦٤ ه) كان رسولاً عن نور الدين زنكي ، وهناك تعرف الى سعد الخير البلنسي وصاهره على ابنته فاطمة ونقلها معه الى مصر ، وانتقلت كتب سعد الخير اليه ، وكان انتقاله الى مصر من قبل دولة صلاح الدين ، وهناك كان يعظ بجامع القرافة ، وكان صلاح الدين يسميه عمرو بن العاص لصواب رأيه ، وهو الذي أنهى الى صلاح الدين خبر مؤامرة عمارة اليمني ورفاقه لاعادة الدولة الفاطمية ، ولما فتح صلاح الدين القدس كان معه .

٤ أندلسي رحالة وصل الصين وقاسى المشقات ، وتتلمذ ببغداد للغزالي ، وسكنهـــا بعد أن استقر فترة بأصبهان وتوفي سنة ٥٤١ ه (ترجمته في التكملة : رقم ٢٠١١ والذيل والتكملة ٤ : ١٦ ونفح الطيب ٢ : ٦٣٢ ، رقم : ٢٥٥) .

٣١٢

أبو يزيد البسطامي

أبو يزيد طَيْفُور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي البَسْطامِيُّ الزاهد المشهور ؛ كان جده مجوسياً ثم أسلم ، وكان له أخَوَان زاهدان عابدان أيضاً : آدم وعلي ، وكان أبو يزيد أجلّهم . وسُئل أبو يزيد : بأي شيء وجدت هذه المعرفة ؟ فقال : ببطن جائع وبدن عار ؛ وقيل لأبي يزيد: ما أشدُّ ما لقيته في سبيل الله تعالى ؟ فقال : لا يمكن وصفه ؛ فقيل له : ما أهون ما لقيت نفسك منك ؟ فقال : أما هذا فنعم ، دعوتها إلى شيء من الطاعات فلم تجبني طَوعاً ، فمنعتها الماء سنة . وكان يقول : لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة . وله مقالات كثيرة ومجاهدات مشهورة وكرامات ظاهرة .

وكانت وفاته سنة إحدى وستين ، وقيل أربع وستين ومائتين ، رحمه الله تعالى .

وطَيفور : بفتح الطاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وضم الفاء وبعد الواو الساكنة راء .

والبسطامي : بفتح الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطاء المهملة وبعد الألف ميم ، هذه النسبة إلى بَسْطَامَ ، وهي بلدة مشهورة من أعمال قُومِسَ ويقال : إنها أول بلاد خراسان من جهة العراق ، والله أعلم .

٣١٢ - ترجمة أبي يزيد البسطامي في طبقات السلمي : ٦٧ وحلية الأولياء ١٠ : ٣٣ وطبقات المناوي ١ : ٢٤٤ وميزان الاعتدال ٢ : ٣٤٦ وقد وردت في المسودة دون نقص .



حرف الظاء

٣١٣

أبو الأسود الدؤلي

أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جَنْدَل بن يَعْمُر بن حِلْس بن نفاثة ابن عدي بن الدّيل بن بكر الديلي ، ويقال : الدؤلي ، وفي اسمه ونسبه ونسبته اختلاف كثير ؛ كان من سادات التابعين وأعيانهم ، صحب علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وشهد معه وَقْعة صِفّينَ ، وهو بصري ، وكان من أكمل الرجال رأياً وأسَدّهم عقلاً .

وهو أول من وضع النحو ، قيل إن علياً ، رضي الله عنه ، وضع له : الكلامُ كله ثلاثة أضرب : اسم وفعل وحرف ، ثم رفعه إليه وقال له : تمم على هذا .

[وكان ينزل البصرة في بني قشير ، وكانوا يرجمونه بالليل لمحبته علياً كرّم الله وجهه ، فإذا ذكر رجمهم قالوا : إن الله يرجمك ، فيقول لهم : تكذبون ، لو رحمني الله لأصابني ولكنكم ترجمون ولا تصيبون ... وهذا بالعكس مما جرى لأبي الجهم العدوي فإنه باع داره بمائة ألف درهم ثم قال : فبكم تشترون جوار سعيد بن العاص ؟ قالوا : وهل يُشترى جوار قط ؟ قال : ردّوا عليَّ داري ثم خذوا مالكم، لا أدع جوار رجل ان قعدت سأل عني وإن رآني رحب بي وإن غبت حفظني وإن شهدت قربني وإن سألته قضى حاجتي وإن لم أسأله بدأني وإن نابتني جائحة فرّج عنّي ، فبلغ ذلك سعيداً فبعث إليه بمائة ألف درهم .

٣١٣ - ترجمة أبي الأسود الدؤلي في تهذيب ابن عساكر ٧ : ١٠٤ والخزانة ١ : ١٣٦ والفهرست: ٣٩ وانباه الرواة ١ : ١٣ ومعجم الأدباء ١٢ : ٣٤ وسرح العيون : ١٥٣ وغاية النهاية ١ : ٣٤٥ (وفي حاشية الانباه ثبت واف بمصادر ترجمته) .

وحكى أبو غفر الدؤلي — وكان شاعراً — قال : كنت عند عبـد الملك بن مروان إذ دخل عليه أبو الأسود الديلي — وكان أحول دميماً قبيح المنظر — فقال له عبـد الملك : يا أبا الأسود ، لو علقت عليك عوذة من العين ، فقال : ان لك جواباً يا أمير المؤمنين ، وأنشد :

افنى الشبابَ الذي افنيت جدّتـه   كرُّ الجديـدين من آتٍ ومنطلق
لم يتركا ليَ في طول اختلافهما   شيئاً أخاف عليه لذعة الحـــدق

أما والله لئن كانت أبلتني السنون وأسرعت إليّ المنون لما اثبتُ ذاك إلا في موضعه ، ولرب يوم كنت فيه إلى الآنسات البيض اشهى منك إليهن ، وإني اليوم لكما قال امرؤ القيس :

أراهنَّ لا يحببن من قــلَّ ماله   ولا من رأين الشيب فيـه وقوّسا

ولقد كنت كما قال أيضاً :

ورعن إلى صوتي إذا ما سمعنـــه   كما يرعوي عيـط إلى صوت اعيسا

فقال عبد الملك : قاتلك الله من شيخ ما اعظم همتك !
وكان لأبي الأسود من معاوية ناحية حسنة فوعده وعداً أبطأ عليه فقال :

لا يكن برقـــك برقاً خُلَّبــاً   إن خير الـــبرق ما الغيث معه
لا تهني بعـــد إذ أكرمتني   فقبيحٌ عـــادة منتزعــــه][1]

وقيل إنه كان يعلّم أولاد زياد بن أبيه وهو والي العراقين يومئذ ، فجاءه يوماً وقال له : أصلح الله الأمير ، إني أرى العرب قـد خالطت هذه الأعاجم وتغيرت ألسنتهم ، أفتأذن لي أن أضع للعرب ما يعرفون أو يقيمون به كلامهم؟ قال : لا ، قال : فجاء رجل إلى زياد وقال : أصلح الله الأمير ، توفي أبانا وترك

١ ما بين معقفين زيادة من د .

بنونَ ، فقال زياد : توفي أبانا وترك بنون !! ادعوا لي أبا الأسود ، فلما حضر قال : ضع للناس الذي نهيتك أن تضع لهم ·

وقيل : إنه دخل بيته يوماً فقال له بعض بناته : يا أبت ، ما أحسَنُ السماءِ ، فقال : يا بنية نجومُها ، فقالت له : إني لم أرد أي شيء منها أحسن، إنما تعجبت من حسنها ، فقال : إذن فقولي ما أحسَنَ السماءَ ، وحينئذ وضع النحو.

وحكى ولده أبو حرب قال : أولُ باب رسم أبي بابُ التعجب .

وقيل لأبي الأسود : من أين لك هذا العلم ؟ يعنون النحو ، فقال : لقنت حدوده من علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وقيل إن أبا الأسود المذكور كان لا يخرج شيئاً أخذه عن علي بن أبي طالب إلى أحد ، حتى بعث إليه زياد المذكور : أن اعمل شيئاً يكون للناس إماماً ويُعْرف به كتاب الله عز وجل ، فاستعفاه من ذلك ، حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ ﴿ان الله بريءٌ من المشركين ورسوله﴾ (التوبة : ٣) بالكسر ، فقال : ما ظننت أن أمر الناس آل إلى هذا ، فرجع إلى زياد فقال : أفعلُ ما أمر به الأمير ، فليبغني كاتباً لقناً يفعل ما أقول له ، فأُتِيَ بكاتب من عبد القيس فلم يرضه ، فأُتِيَ بآخر فقال له أبو الأسود : إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه ، وإن ضممت فمي فانقط بين يدي الحرف ، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت ، ففعل ذلك .

وإنما سمي النحو نحواً لأن أبا الأسود المذكور قال : استأذنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن أضع نحو ما وضع ، فسمي لذلك نحواً ، والله أعلم .

وكان لأبي الأسود بالبصرة دار ، وله جار يتأذى منه في كل وقت ، فباع الدار فقيل له : بعت دارك ، فقال : بل بعت جاري ، فأرسلها مثلاً .

ودخل أبو الأسود يوماً على عبيد الله بن أبي بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي رضي الله عنه ، فرأى عليه جبة رثة كان يكثر لبسها ، فقال : يا أبا الأسود أما تملُّ هذه الجبة ؟ فقال : ربَّ مملوكٍ لا يُستَطاع فراقه ، فلما خرج من عنده بعث[1] إليه مائة ثوب ، فكان ينشد بعد ذلك – وقيل إن هذه

١ ه : سير .

القضية جرت له مع المنذر بن الجارود[1] — :

كساني ولم أستكسِهِ فحمدتُه أخٌ لكَ يعطيكَ الجزيلَ وناصرُ
وإنَّ أحقَّ الناس إن كنتَ شاكراً بشكركَ مَنْ أعطاكَ والعِرضُ وافرُ

يروى « مملوك » بالكاف و « مملول » باللام ، ويروى « ناصر » بالنون و « ياصر » بالياء ، ولكل واحد منهما معنى ، فمعناه بالنون ظاهر لانه من النصرة وبالياء من التعطف والحنو ، يقال : فلان يأصر على فلان ، إذا كان يعطف عليه ويحنو.

وله أشعار كثيرة ، فمن ذلك قوله[2] :

وما طلبُ المعيشة بالتمني ولكن ألقِ دَلْوَكَ في الدلاء
تجيء بملئها طوراً وطوراً تجيء بحَمأةٍ وقليل ماء

ومن شعره أيضاً — وله ديوان شعر — :

صبغَتْ أميَّةُ بالدماء أكفَّنا وطوت أميَّةُ دوننا دنياها

ويحكى أنه أصابه الفالج فكان يخرج إلى السوق يجرُّ رجله ، وكان موسراً ذا عبيد وإماء ، فقيل له : قد أغناك الله عز وجل عن السعي في حاجاتك ، فلو جلست في بيتك ، فقال : لا ، ولكني أخرج وأدخل فيقول الخادم : قد جاء ، ويقول الصبي : قد جاء ، ولو جلست في البيت[3] فبالت عليَّ الشاة ما منعها أحد عني .

وحكى خليفة بن خياط أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان عاملاً لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه على البصرة ، فلما شَخَصَ إلى الحجاز استخلف أبا الأسود عليها ، فلم يزل حتى قُتل علي رضي الله عنه .

وكان أبو الأسود معروفاً بالبخل ، وكان يقول : لو أطعنا المساكين في أموالنا

١ ديوان أبي الأسود : ٣٨ .
٢ ديوانه : ٣٦ .
٣ أ : بيتي .

لكنّا أسوأ حالاً منهم . وقال لبنيه : لا تُجاوِدوا الله عز وجل فإنه أجوَد وأمجد ، ولو شاء أن يوسّع على الناس كلهم لفعل ، فلا تجهدوا أنفسكم في التوسع فتهلكوا هُزالاً . وسمع رجلاً يقول : مَنْ يُعَشّي الجائع ؟ فقال : عليّ به ، فعشّاه ، ثم ذهب ليخرج ، فقال : أين تريد ؟ قال : أهلي ، قال : هيهات ، ما عشيتك إلا على أن لا تؤذي المسلمين الليلة ، ثم وضع في رجله القيد حتى أصبح.

وتوفي أبو الأسود بالبصرة سنة تسع وستين في طاعون الجارف ، وعمره خمس وثمانون سنة رضي الله عنه ، وقيل إنه مات قبل الطاعون بعلة الفالج ، وقيل إنه توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وتولى عمر الخلافة في صفر سنة تسع وتسعين للهجرة وتوفي في رجب سنة إحدى ومائة بدير سمعان ، رضي الله عنه .

وقيل لأبي الأسود عند الموت : أبشر بالمغفرة ، فقال : وأين الحياء مما كانت له المغفرة ؟

والدّيليُّ : بكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها لام ، والدؤلي : بضم الدال المهملة وفتح الهمزة وبعدها لام ، هذه النسبة إلى الدئـل بكسر الهمزة ، وهي قبيلة من كنانة ، وإنما فتحت الهمزة في النسبة لئلا تتوالى الكسرات ، كما قالوا في النسبة إلى نَمِرَة نَمَري - بالفتح - وهي قاعدة مطّردة ، والدئل : اسم دابة بين ابن عِرْس والثعلب .

وحِلْس : بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وبعدها سين مهملة ، هكذا ذكره الوزير أبو القاسم المغربي في كتاب « الإيناس » وهو مما يحرف كثيراً فقد وجدت فيه اختلافاً ، وهذا الأصح .

٣١٤

ظافر الحداد

أبو المنصور ظافر بن القاسم بن منصور بن عبد الله بن خلف بن عبد الغني الجذامي الإسكندراني المعروف بالحداد الشاعر المشهور ؛ كان من الشعراء المجيدين وله ديوان شعر أكثره جيد ، ومدح جماعة من المصريين ، وروى عنه الحافظ أبو طاهر السِّلَفي وغيره من الأعيان . ومن مشهور شعره قوله[1] :

لو كانَ بالصبرِ الجميلِ ملاذُه ... ما سَحّ وابلُ دَمعهِ ورَذاذُه

ما زالَ جيشُ الحبّ[2] يَغزو قلبه ... حتى وهَى وتقَطّعت أفلاذه

لم يَبقَ فيهِ مع[3] الغَرام بقيّة ... إلا رَسيسٌ يحتويه جُذاذه

مَنْ كانَ يرغبُ في السلامةِ فليكنْ ... أبَداً مِنَ الحدَق المِراض عِياذُه

لا تخدَعنّكَ بالفتور فإنهُ ... نظرٌ يضرُّ بقلبكَ استلذاذه

يا أيها الرّشأ الذي مِنْ طَرفه ... سهمٌ إلى حَبّ القلوب نفاذه

دُرٌّ يلوحُ بفيكَ مَنْ نَظّامُهُ ... خمرٌ يجولُ عليهِ مَنْ نَبّاذه

وقناةُ ذاكَ القدّ كيفَ تقوّمَتْ ... وسِنانُ ذاكَ اللحظ ما فُولاذُه

رِفقاً بجسمكَ لا يذوب فإنني ... أخشى بأنْ يجفو علَيه لاذُه[4]

هاروتُ يعجزُ عَنْ مواقِعِ سِحرهِ ... وهُوَ الإمامُ فمَنْ ترى أُستاذه

...

٣١٤ ـ ترجمة ظافر الحداد في معجم الأدباء ١٢ : ٢٧ والخريدة (قسم مصر) ٢ : ١ ـ ١٧ والنجوم الزاهرة ٥ : ٣٧٦ ورسالة أبي الصلت (نوادر المخطوطات ١ : ٥٣) .

١ ياقوت : ٣١ وديوان ظافر : ١٢٧.

٢ أ ج : الهم .

٣ م : من .

٤ سقط هذا البيت من م وياقوت .

تالله ما علقتْ مَحاسِنكَ امرءًا ... إلا وعزَّ على الوَرى استنقاذه
أغرَيتَ حُبّكَ بالقلوب فأذعَنَتْ ... طَوْعاً وقدْ أودى بها اسْتحواذه
ما لي أتيتُ الحظّ مِنْ أبوابهِ ... جُهْدي فدامَ نفُورُهُ ولواذُه
إيّاكَ مِنْ طَمَعِ المُنى فَعزيزُه ... كذليلِهِ وغنيُّهُ شحّاذه

منها :

ذاليّة ابن دُرَيدٍ استهْوَى بهـا ... قَوْماً غَداةَ نبَتْ به بغدادُه
دانُوا لزُخرُفِ قوْلِه فتَفرّقَتْ ... طمعاً بهمْ صرْعاهُ أو جُذّاذُه
منْ قدّرَ الرّزقَ السنيَّ لك أنما ... قد كانَ ليسَ يضرُّه إنفاذُه[1]

وهذه القصيدة من غرر القصائد . والعجب أني رأيت صاحبَنا عماد الدين أبا المجد إسماعيل المعروف بابن باطيش الموصلي قد ذكر هذه الأبيات في كتابه « المغني » الذي وضعه على كتاب « المهذب » في الفقه ، وفسر فيه غريبه ، وتكلم على أسماء رجاله ، فلما انتهى إلى ذكر أبي بكر محمد بن الحداد المصري الفقيه الشافعي وشرح طرفاً من حاله قال بعد ذلك : وكان مليح الشعر ، أنشدني بعض الفقهاء أبياتاً من قصيدة عزَاها إليه ، وذكر بعض هذه الأبيات المكتتبة[2] هاهنا ، وما أوقعه في هذا إلا كون ظافر يُعرف بالحداد ، والفقيه ابن الحداد ، فجمعتها لفظة الحداد ، فمن هاهنا حصل الالتباس[3] .

ومن شعره أيضاً[4] :

رَحَلوا فلوْلا أنّني ... أرْجُو الإياب قضيت نَحْبي
واللهِ ما فارَقتهمْ ... لكنني فارَقت قلبي

---

١ ومنها ... يضره إنفاذه : سقط من ص .
٢ ج : المكتوبة .
٣ من قوله : وهذه القصيدة ... الالتباس : لم ترد هذه الفقرة كلها في م .
٤ رسالة أبي الصلت : ٥٤ والديوان : ٥٣ .

(74) وذكر العماد الكاتب في « الخَريدة » هذين البيتين للعيني[1] ، ثم قال : كان العيني من الأجْناد الأكياس ، مذكوراً بالباس . وتوفي سنة ست وأربعين وخمسمائة . والصحيح أنهما لظافر الحداد ، وذكرهما في « الخريدة » في ترجمة ظافر الحداد أيضاً[2].

وله من جملة قصيد :

يذمُّ المحبُّونَ الرّقيبَ وليتَ لي مِنَ الوَصلِ ما يُخشى عليه رَقيبُ

وكانت وفاته بمصر في المحرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة . وقد تقدم الكلام على الجذامي[3] .

[وله أيضاً من الشعر في كرسي النسخ[4] :

انظرْ بعينكَ في بديع صنائعي وعجيب تركيبي وحكمة صانِعي
فكأنني كَفّا محبٍّ شبكَتْ يومَ الفراق أصابعاً بأصابعِ

وذكره عليّ بن ظافر بن منصور في كتاب « بدائع البدائه »[5] وأثنى عليه ، وأورد فيه عن القاضي أبي عبد الله محمد بن الحسين الآمدي النائب كان في الحكم بثغر الاسكندرية المحروس ، قال : دخلت على الأمير السعيد بن ظفر أيام ولايته للثغر ، فوجدته يقطر دهناً على خنصره ، فسألته عن سببه ، فذكر ضيق خاتمه عليه وأنه ورم بسببه ، فقلت له : الرأي قطع حلقته قبل أن يتفاقم الأمر فيه ، فقال : اخترْ مَنْ يصلح لذلك ، فاستدعيت أبا المنصور ظافر بن القاسم الحداد المذكور ، فقطع الحلقة ، وأنشد بديها[6] :

---

١ الخريدة ٢ : ١٢٠ .
٢ الخريدة ٢ : ٤ .
٣ هنا تنتهي ترجمة ظافر في المسودة وص م مع اختلاف بينها في الترتيب ، وراعينا ما جاء في المسودة .
٤ وردا في هامش س ؛ وانظر الخريدة ٢ : ١٤ وياقوت ١٢ : ٣٣ والديوان : ١٩٥ .
٥ انظر بدائع البدائه ٢ : ١٦٠ - ١٦١ .
٦ البيتان في الخريدة : ١٥ وكذلك الأبيات التالية ؛ والديوان : ٢٩٥ ، ١٢٦ ، ٣٤٤ .

قَصَّرَ عنْ أوصافِكَ العالمُ   وكَثُرَ الناثِرُ والناظمُ
من يكن البحرُ لهُ راحةً   يضيقُ عن خنصرهِ الخاتمُ

فاستحسنه الأميرِ ووهب له الحلقة ، وكانت من ذهب . وكان بين يدي الأمير غزال مستأنس ، وقد رَبَضَ وجعل رأسه في حجره ، فقال ظافر بديهاً:

عَجبتُ لجرْأةِ هذا الغزال   وأمْرٍ تخطَّى لهُ واعتمد
وأعجِبْ بهِ إذ بَدا جاثِماً   وكيفَ اطمأنّ وأنت الأسد

فزاد الأمير والحاضرون في الاستحسان . وتأمل ظافر شيئاً كان على باب المجلس يمنع الطير من دخولها فقال :

رأيتُ ببابكَ هذا المنيف   شباكاً فأدركني بعْضُ شَكّ
وفكّرَ فيما رَأى خاطري   فقلتُ البحارُ مكان الشبك

ثم انصرف وتركنا متعجبين من حسن بديهته ، رحمه الله تعالى وغفر له][1] .

---

[1] انفردت ر بأكثر ما ورد بين معقفين ، وبعد هذا الموضع زاد في النسخة ج ما يلي :
وقال علي بن ظافر في كتاب « البدائه » : وذكر لي أن جماعة من الشعراء في أيام الأفضل خرجوا متنزهين الى الأهرام ليروا عجاب بنائها ويتأملوا ما سطر الدهر من العبر ، فاقترح بعض من كان معهم العمل فيها ، فصنع أبو الصلت أمية بن عبد العزيز :

بعيشك هل أبصرت أعجب منظرا   على ما رأت عيناك من هرمي مصر
أنافا بأعنان السماء وأشرفا   على الجو إشراف السماك أو النسر

وأنشد أبو المنصور ظافر الحداد (الديوان : ٤) :

تأمل هيئة الهرمين وانظر   وبينهما أبو الهول العجيب
كعماريتين على رحيل   لمحبوبين بينهما رقيب
وفيض البحر عندهما دموع   وصوت الريح بينهما نحيب
وظاهر سجن يوسف مثل صب   تخلف فهو محزون كئيب

محتويات الكتاب

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

فهرست التراجم العارضة